

الطبعة 4

روايـة

فَرط الرُمان

مَـروَة جَمَـال

تشكيل للنشر والتوزيع

فرط الرمان

رواية

مروة جمال

Email publish@tashkeel- publishing.com

Website www.tashkeel-publishing.com

Mobile 201006250473 FB/Tashkeeel

I.S.B.N : 978-977-6555-72-3

رقـم الإيـــداع: 3214/ 2018

تصميم الغـلاف : أحمد فرج

المراجعة اللغوية : هناء عودة - أميرة أسامة

الإخراج الداخلي : ضياء فريد

المـديـــر العــام : سيد شعبان

إهداء

إلى أبي الغالي..

من علّمني معنى الحرف

إلى أمي الرائعة

من آمنت بي ودفعتني نحو أحلامي

إلى زوجي الحبيب

من دعم الكلمة بداخلي كي تخرج للنور

إلى أبنائي

أحبكم وكفى..

إلى صديقاتي الغوالي فأنتن بداية كل حلم وكل فكرة جالت بخاطري

إلى أعضاء مجموعة شخابيط وردية فلولاكن ما اكتمل الفرط

اهداء لكل أنثى

كانت فرط وباتت فوضى!

فرط الرمان

مروة جمال

فرط الرمان

هي صفحة من دفتر الحياة، بل لعلّها صفحات..

لون رمادي،آخر وردي.. وبالهوامش فوضى.. والفوضى تُشبه ذلك الحَبُ الأحمر المختبيء خلف قشرة رمان، ما إن تنضج الثمرة وتجد طريق قاطفها إلاّ ويتناثر حبُّها.. والوضع محبب وقد يتفاقم.. يستشري، ويخرج عن السيطرة..

فكونوا على حذر.. إذا ما صادفتكم ثمرة رمان، ففرطها...

غير مضمون العواقب!

(١)

«كما أن للزهور ألوان فهي أيضًا لها أعمار، بذرة فنبتة فورقة فعطر فواح ثم رحيل.»

الحي هادىء يشبه وقت صباحي يوم العطلة، وفي سقيفة منزل الشامية تحركت قدمان حافيتان بحذرٍ تحمل في يدها اليمنى لُعبة محشوة وناعمة.. ووردية اللون. يدٌ أخرى تفوق القدم حجمًا طحنت عدة أوراق من بتلات زهور الأقحوان الملونة. كسرةٌ من عود فانيلا وماء زهر الكادي وحبة رمان!

جديلة سوداء جاورتها مُغمغمة باعتراض: نادية.. ماذا تفعلين؟

كانت هُنا صاحبة الجديلة.. قد أتمت بالأمس فقط أربعة عشر عامًا، ونادية أصرت أن تُحضِر من أجلها هدية، بل من أجلهن جميعًا.. ولكن ليست وصفة طعام جديدة كما تتقن دومًا بل هي تعويذة حب!

صرخت دارين بعدما ألقت لُعبتها المحشوة على أرضية الغرفة: أريد ماما..

رمقتها نادية في يأسٍ قبل أن تعود لمراقبة خلطتها، أي عبث تفعله هي العشرينية لتتسكع مع هؤلاء الأطفال.. دارين الصغيرة الملتصقة بهَنا ما زالت بعمر خمس سنوات، أما العسلية الملامح في جانب الغرفة فهي صُدفة وما زالت بأعتاب عامها العاشر.

دبٌّ محشو وبعض الملصقات وتعويذة حبٍ ورواية!

ضحكت هنا وهي تراقب صدفة التي انشغلت بكتيب ملصقاتها غير مهتمة ودارين الباكية ونادية التي وضعت كل جهدها في إناءٍ لتترك الرواية التي في يدها وتشاكسهن ساخرة: نحن زمرة من الفوضى

ضحكت صدفة تصحح: بل فرط فوضى

وبكت دارين: أريد هذا.. رمان

لتهمس نادية أخيرًا أمام تعويذتها السحرية: فرط الرمان!

(٢)

هل تفشل تعاويذ الحب..؟؟

هل وزعتها نادية عليهن بتساوٍ أم أن لعبة السحر خدعة؟؟

قالوا: لا ضرر ولا ضرار وربما هي لا نفع ولا سعادة..

خطوة.. اثنان.. ثلاثة، أدارت المفتاح في المزلاج ببطءٍ.. تخلصت من وشاحها مع أول خطوة داخل المنزل

تنورتها في الخطوة التالية

بلوزتها القاتمة في الثالثة

والباقي في الرابعة!!

ومع الخامسة ارتسمت فوق شفتيها ابتسامة وهي تنطق باسمه في دلال: سليم!

(٣)

خطوة.. اثنان.. ثلاثة،

الساعة تخطت الثانية عشر مساءًا.. كانت تخطو حافية بحرص شديد، خصلاتها الذهبية منثورة فوق كتفيها وترتدي غلالة حريرية انتقتها بعناية.. فالليلة هي عيد زواجهما الأول...

كيف ينسى؟؟

كيف يظن ببساطة أنها نامت ويتوجه كالعادة نحو حاسوبه؟؟

تسللت بخفةٍ نحو الغرفة المظلمة وكأن يوليها ظهره منشغلًا بعملهِ كالعادة..

منشغلًا.. كالعادة!

وتسمرت وهي تراقب على الشاشة صورة امرأةٍ أخرى!

(٤)

خطوة.. اثنان.. ثلاثة،

كانت تتنفس بحدةٍ وهي ترتعش خلف الباب الخشبي والضوضاء زعيقه..

ليس زعيق، لا... هي اتهامات بأفظع ما قد تختبره امرأة.. ومضة مؤلمة اجتاحت عقلها في لحظةٍ لتتخذ أسوأ قرارتها اختيارًا وتفتح الباب.

وحينها نبأتها عيناه وقبلِها كلماته بأنها أخطأت بل وستأخذ أسوأ عقاب قد تختبره امرأة!!

(٥)

خطوة.. اثنان.. ثلاثة،

اضطراب خطواتها كاد أن يعثرها مرتين.. رمقت نفسها بالمرآة فأبصرت أيقونة امرأة منتهية...ضعيفة وتعاند حد اللعنات!!

رغم التبرج.. رغم الظلال السوداء المرسومة بدقة فوق جفنيها.. رغم نكهة الرمان بشفتيها لأجله.. رغم الثوب الذي دلل نهديها أيضًا لأجله..خرجت نبرته قاتمة حد الألم...

أنتِ طالق!!!

الفصل الأول

أكتر من روحي بحبك!

الاسم : دارين المهدي

العمر : الحادي والعشرون

الوظيفة : ظالبة

والحالة : عاشقة.. حالمة.. حب.. شغف!

تنهيدة وتسبيلة وشرود..

ووجهه لا يفارق الأحلام، والأيام تمر وهي تزداد عشقًا.. تلتهب.. تشرُد في ملامحه بهيامٍ مفضوح!

مجنونة!!

وهل يجوز في الحب عقل..؟؟؟

وهل يجوز معك أنت يا أحمد عقل..؟؟

وهمست لنفسها مع تنهيدة خرجت منها بشكلٍ عفوي : هيييييييييه

لكزتها سما في ذراعها بقوة، وبهمسٍ نبهتها: مفضوحة..... ولاحظ حقاً.. هل يلاحظ..؟؟

هل تمر بخياله كما يمتلك هو عالمها؟؟

آه لو يفعل فحينها ستُصاب بإغماءٍ فوري!

وما الداعي للقلق فالإغماء قادم قادم وهو قادم... يتحرك نحوها بخطواتٍ محسوبة... رزين.. قوي..

بل وهمي، هكذا كانت تهمس لحالها مع اقترابه ووجنتيها ملتهبتين حد الإحمرار.. هي كذلك على الدوام فكلما مر بجانبها.. نظر نحوها.. فاجأها صوته.. احمرَّت!

ولقب الحمراء قد تناله ليس لخصلات جامحة أو طبع حار، بل لتورد مفضوح أمام رجل.

يبدو أنكِ غير منتبهة.. كالعادة؟؟

الجملة وازت اقترابه من طاولتها، جذع محني ليقترب همسه أكثر.. عوينات لا تمنع نظرة وتفاحة آدم مُهلكة لقبيلة عذراوات.

وأول العذراوات رفرفت أهدابها البُنية وتصلبت حدقتيها بماءِ الزيتون المتأرجح داخلهما.. شُقرتها تشبه الشمس وصفاء بشرتها من صفاء نيتها لكن شفتيها ذنب!

هي تتحمل وزر تلك الشفتان.. فكل فكرة بشأنهما معصية!

وتلعثمت من بينهما: آسفة!

ليبتعد هو.. ثقةٌ وغرور ويبيح لنفسه كل فكرة بشأنها، لا يرفض رجل عاشقة مهما كان.

ولكن لا يعشق!

مرة أخرى ستغادرين المحاضرة!

واستدار.. غير مبالي.. غير مدرك لفيضان بكاء سينفجر فقط بعد لحظة ويُغرق بيت المهدي في المساء بسبب تلك الكلمة.

أمام الفرن الملتهب زفرت ثناء بتعبٍ وهي تُخرج آخر ما تبقى من خبزها الشهي، ابتسمت ساخرة فالعمر يتعجل المرور كقطارٍ مسرع وها هي أصبحت تقف في صف العجائز.

صف يجبرها على ابتلاع عقاقير لاحصر لها مع أوجاع متفرقة لم تعد تكترث بمصدرها.

تركت الطعام لكي تُكمل باقي عصير البرتقال الطازج ، فزياد يفضل البرتقال طازجًا على الدوام.

كانت الساعة قد قاربت على الثانية عشر ظهرًا، دارين غادرت مبكرة وزياد ما زال يغط في نومه ،أما هَنا فهي ساهرة منذ الأمس على مشروع عمل مهم ولم تنم إلا قرب الفجر.

رفعت عيناها نحو صورته.. هذا الذي تزوجته بأجمل قرارتها وأكثرها جنونًا.. لم تتخيل أنها قد تترك الشام يومًا وتعيش بوطنٍ آخر، بل تستمر به وحيدة بعد رحيله.

أرملة جميلة مع طفلان وفتاة أخرى هي إبنة أخيه، هَنا اليتيمة التي جاءت لمنزلهم قبل وفاته بثلاث أعوام وتركها هو آمانة في رقبتها، تنهدت بابتسامة وهي تنظر نحو صورته وتتمتم: أفتقدك..

ثم همست بباقي أمانيها.. ستُزوج هَنا بزياد.. فهذا الولد يحتاج لمن تروضه وتكبح جماحه ولن يجد أفضل من ابنة عمه، أما دارين فتدعو الله ليلًا ونهارًا أن يوفقها ويرزقها ابن الحلال.

دارين تشبهها.. طفلة في ملامحها مع خصلات شقراء طالما جذبت كل الأعين.. بل أن زميلاتها دومًا ما لقبوها ب «بنت الشامية» وزياد نال من شقرتها أيضًا نصيبًا لا بأس به ويحمل نفس الزيتون بعينيه مع وسامة خارج نطاق المنافسة وتضحك هي على مدللها...

وتخطط من أجل زواجه.. بل تُلح وتلمح وتمهد وتغضب الغجرية ويضحك زياد بمكر دون جواب.

هَنا توازي زياد بعمره.. فالفارق بينهما شهور قليلة، هي في التاسعة والعشرون وهو في الثلاثون وبينهما علاقة مضطربة منذ الأزل لا تحمل وصفًا مُرضيًا سوى «ناقر ونقير»!

والنقير هي العنيدة دومًا وأبدًا.. ليست غجرية الخصلات فقط بل الطباع أيضًا..

لم تنل الليلة السابقة سوى أربع ساعات من النوم فالمشروع الذي عملت عليه استنفذ وقتها كله.

نظرت لأوراقها بفخر قبل أن تعدل من هندامها لتتهيأ للخروج، هي رسمية الملابس فترتدي على الدوام إما سروالًا قماشي أنيق مع قميص مناسب أو سترة و تنورة بسيطة دون فوضى ألوان.

جمعت خصلاتها في ربطة واحدة ثم وضعت نظارتها الطبية متذكرة في النهاية أن تنثر فوق شفتيها لمسة لامعة لمظهر أنيق ليس أكثر ثم سحبت حقيبتها لتخرج من غرفتها وهي تراجع عدة أوراق وحينها اصطدمت فجأة بحائط بشري برونزي بصدرٍ عاري!

رفعت عيناها نحوه في غضبٍ ثم نظرت نحو أوراقها الثمينة التي تناثرت على الأرض لتزعق به بحدة: زياد!

كان قد استيقظ لتوه، رمقها وهي تنزل على ركبيتها لتلملم الفوضى بغضبٍ لذيذ.. هي كلها على بعضها تحمل لذة أو لذوعة... لذوعة لا يجرؤ على تذوقها!

همس بمكرٍ وهو يتأمل مظهرها الغاضب المتناسب تمامًا مع خصلاتها الفحمية التي حبستها في ربطة.

أنا مدير لطيف.. اعملي معي ولن أُجهدك بأعمال إضافية..

استقامت وهي ترتب الأوراق من جديد ثم نظرت نحوه ساخرة: ولهذا لن أعمل معك زياد.

رفع حاجبيه مصطنعًا الدهشة: قلبي الصغير لا يحتمل..

ابتسمت هي بيأس ثم حركت كفها نحوه كي يمررها: ابتعد!

كتَّف ذراعيه مبتسمًا بشقاوة: لا

ضمت هي حاجبيها بجدية: لا وقت لدي لمزاحك وارتدي شيئًا تبدو ك «مهند»

كانت تتحدث بعفوية كعادتها معه ولكن حينها اقترب هو من وجهها ليهمس بغرور: إذًا نحن بصدد عشقٍ ممنوع!

تراجعت حينها للخلف خطوة.. زياد دومًا يتخطى الحدود وهي من توقفه، تخطِي يشبه مزاحًا ثقيلًا لم يعد من اللائق أن يفتعله معها وربما اقتراب كهذا تبرره هي دومًا بحماقة وليس أكثر فهي منذ صغرها معهم في المنزل كأخت بل تشعر أنها أخت كبرى.

دارين الهائمة في الحب على الدوام وزياد العابث مع كل أنثى تمر بمحيطه، ويبدو أن الأمور اختلطت عليه كما العادة.

رفعت بصرها محذرة: لديك عمل وأنا أيضًا!

ثم أزاحته عن طريقها بقوة لتمر وهو يتوعدها بعقاب عند العودة..

عقاب.. مزاح

ما به؟!

هل زرعت أمه برأسه الفكرة أم دستها بمشروب البرتقال الصباحي أم أنها حقًا أصبحت تستحوذ عليه؟؟

❁

الضجيج اليومي لم يعد محتملًا، فأبواق السيارات أصبحت لعنة متزايدة بهذا الحي. فركت جبينها بيأس في محاولةٍ للتخلص من ألم رأسها ثم ارتشفت القليل من قهوتها المُرَّة قبل أن تقوم بتثبيت آخر دبوس على وشاحها المزركش استعدادًا للرحيل.

كانت الساعة قد قاربت على التاسعة صباحًا وهي كعادتها انتهت من إعداد طعام الغذاء وترتيب المنزل لتبدأ رحلتها اليومية التي عادة ما تستغرق خمس ساعات تبدأ بوقت منفرد بملجأها الهادئ وتنتهي بمروها على المقهى لتسليم أطباقها الشهية ككل ظهيرة..

يُقسِم الجميع أن حلواها تضاهي تلك التي تذوقوها بأشهر المتاجر وفي أحد الأيام قذفت إحدى صديقاتها بأذنها فكرة.. مُكررة ربما ولكنها مُجزية بالتأكيد ونفذتها الكثيرات، ترددت كثيرًا قبل أن تفاتح زوجها بالأمر فعملها بالنسبة له أمر مُحرَّم ولا يجوز فيه النقاش ولكن هذا ليس بعمل بل هو مجرد مشروع صغير وستقوم بإدارته من منزلها وأغلب زبائنها من النساء.

كان هذا هو تبريرها المتلعثم أمامه كعادتها، فرغم مرور خمسة عشر عامًا على زواجهما إلا أنها ما زالت تخشى مواجهته بكل أمرٍ يخصها..خاصة مع نبرته الزاعقة التي ازدادت مع مرور الزمن وصلابة نظراته التي أصبحت متواكبة مع خيط الشيب الذي وجد للمرور بخصلاته أكثر من درب.. زفر بضيقٍ قبل أن ينهي باقي فنجان قهوته ثم تابع دون أن يكترث بالنظر نحوها : أيقظيني بالسابعة

فلدي موعد هام!

ولكن...

لم تقل شيئًا غير ذلك.. فقط تصلبت الكلمات على شفتيها وتحجرت بمقلتيها دمعتان اعتادت ثُقلهما مع كل تجاهل من جانبه وكأنه ببساطة لا يسمعها، راقبت خطواته الثابته نحو غرفة النوم وصرخة الباب المنبئة للفرمان المعتاد «ممنوع الإزعاج»

ومن وقتها لم تزعجه بشيء، تقبلت محاضرته المهترئة بعدها بأيام عن وضعه الإجتماعي ومركزه المرموق الذي لا يسمح بعمل مثل هذا ولتدخر جهدها ووقتها للمنزل ولأولادها الذين قاربوا على جنون المراهقة بدلًا من إضاعة وقته بمشاريعها الحمقاء تارة وفراغ عقلها الأنثوي تارة أخرى.

وككل صباح تقضى نادية دقيقة بالمصعد في تأمل ملامحها، تلك البشرة التي تسعى تجاعيد الزمن لمهاجمتها على عجل.. تباطأ إبهامها على زاوية شفتيها وهي تتذكر تلك النظرة المتهكمة التي ارتسمت على وجهه بنفس المكان ولكن منذ أشهر عندما قابلا منال الأرملة والجارة الحسناء.

الأحمق فقط هو من يتزوج بامرأة جميلة!

قالها بتهكم بعد تفرس في ملامح الجارة اللعوب قبل أن تغادرهم متبخترة، ألم..

هذا هو التعبير الذي ارتسم على ملامحها وقتها.. الألم...

ألم امرأة من رجل بخل عليها حتى بلفظ جميلتي وتندر به على كل أنثى غيرها، بل وصل به الأمر للسخرية من خط رفيع هاجم ملامحها في تذكرة واضحة لهجوم السنوات الضاري على أنوثتها المبعثرة تحت قدميه.

ابتسمت ساخرة وتركت المكان بتنهيدة حارة لا تعلم هل هي فحوى ألم سنوات مرت أم ربما سنواتٍ آتية.

ماما.. ماما.. الله أكبر...

كانت تنهي صلاتها.. تتمتم بدعاء بسيط مع أذكار فوق أصابعها ومريم الصغيرة تجلس فوق قدميها.. ترتدي خمارًا بلون المشمش يصل حتى منتصف ركبتيها وتقول كما تسمع من أمها.

انتهت لتُكتِّف جسد الصغيرة وتبدأ بقبلة لينتهي الأمر بلعبة وحش القبلات.

واليوم ستلعبها مريم مع «بابا»

فكرت بها وهي تخلع رداء الصلاة لتمشط خصلاتها وتجمعها من جديد تحت وشاح بني هادىء.. لقد مرت سبعة أشهر، تلك المرة طال رحيله فهو لم يكن يحتمل ثلاث أشهر أو أربع دونهم فيخطف إجازة سريعة ولو لأيام.

لقد ألحت عليه كثيرًا وقت أن جاءته تلك السفرة أن يأخذهم معه ولكنه تذرع بأمه التي لا يجب أن تمكث وحدها.. بل تعارك معها بشأن هذا.

وكأنها هي من تود أن تترك خالتها وحيدة.. تلك الخالة التي أصبحت لها كل شيء بعد رحيل والديها وهجرة أخيها الأكبر، ووائل..

وائل هو زوجها وحبيبها وابن خالتها الذي لم تعرف الحب سوى من كلماته. ابتسمت برضا وهي ترمق مريم المثابرة لترتدي الحذاء وحدها فيبدو أنها ليست الوحيدةِ المتلهفة للقاءه.

صدفة.. صدفة..

سمعت صوت خالتها فحملت مريم لتخرج لها على الفور فابتسمت لها المرأة الطيبة: لقد جهزت الإفطار

جلست على المائدة لترمقها بلوم: يا ست الحبايب أنا كنت سأحضره

ابتسمت لها خالتها برضا ثم ناولتها بعض الخبز وهي تتعجلها: لا وقت لديك.. باقي ساعة على موعد وصول الطائرة

ابتسمت لها صُدفة بدورها: تعالي معنا

وحينها ابتهجت ملامح الأم فبدت منيرة وهي تردد: لا.. أنا سأعد لوائل أصناف الطعام التي يشتاقها..

ابتسمت صدفة تلك المرة مومئة بتوتر.. فتلك هي المرة الأولى التي ستستقبل فيها وائل بالمطار بل أنها أخفت الأمر عنه لتجعلها مفاجآة..

رتبت كل شيء واتفقت مع سائق طيب من الحي ليقلها هي ومريم، اختارت ملابس جديدة على ذوقه.. فستان وردي طويل تحت سترة قصيرة من خامة الجينز ووشاح مزركش بورود بسيطة، حاولت أن تضع بعض التبرج ولكنها خافت أن يغضب منها فأجلته للمساء!

وفكرت أيضًا أن تغير من لون شعرها... ولكنه كان دومًا يقسم عليها ألا تفعل، هل تترك العسل نحو لون آخر؟؟

عسلية الخصلات والأعين ومذاق الشفتين... حبيبته صدفة...

لم تدرك أن وجنتيها احمرتا عندما تذكرت كلماته، ورفعت بصرها بخجل نحو السائق الذي يقلها فتنهدت براحة أنه غير منتبه.

وكما فكرت بجنون بالقرار الآن هي نادمة.. هرج ومرج وزحام غير طبيعي وأنزلها السائق أمام بوابة الوصول وذهب هو ليصف السيارة.. كانت تتحرك ببطءٍ وهي تراقب وجوه القادمين وتبحث بعينيها بين اللوحات عن رقم طائرته..

ظلت هكذا قرابة الربع ساعة ومريم متشبثة بكفها تسألها عنه، تنهدت في ضيق.. هل وصل..؟؟

هل حطت الطائرة..؟؟

هل..؟؟

هل..؟؟

هل هذا هو؟؟!!

كان يخرج وذراعيه تلتفان حول امرأة..

امرأة أخرى..!

الفصل الثاني

ما بين الشهقات والدمعات.. حسرات!

كيف يمكن أن يكون قاسيًا إلى هذا الحد، كيف يمكن أن يكون قاتلًا إلى هذا الحد؟؟

شهقة أخرى وازت محاولة رديئة منها لارتشاف الشورية.. ثناء ترمقها بمائة فكرة وهَنا تود أن تضرب رأسها الأشقر والأهبل بالمائدة.. فالحمقاء غارقة في حب رجل لا يراها من الأساس.

بل والكارثة، الداهية والمصيبة والحماقة أنه غارق في حب امرأة أخرى!

- لا يهتم بها كثيرًا!!

وقفت هَنا تراقب دارين الرافضة لكل فكرة قد تبعده عنها وربما كل حقيقة، الجميع يعرف أن أحمد هاشم غارق في حب ندى الطائل.. القصة لم تنتهي بعد حتى وإن نفتها ندى في كل مناسبة.

معيد شاب وزميلة من عائلة مرموقة.. الحب مكرر والرفض مكرر!

لوت هَنا شفتيها متجاهلة دراين وتمشيط خصلاتها الذي لا ينتهي وهمت بالمغادرة لتوقفها الأخيرة بنبرة يائسة: لن يشعر بي أبدًا رقّت ملامحها لتقترب من إبنة عمها الصغيرة ثم جذبت الفرشاة لتمشط هي شعرها بهدوء وتمتمت قاطبة حاجبيها في اعتراض: هو الخاسر

ردَّت دارين وهي شاردة: وأنا لا أريده أن يخسر

ثم استدارت نحوها وقد زحف البكاء لعينيها مجددًا: أريده أن يفوز بي يا هَنا

مدت هَنا إبهامها لتمسح عبرات دارين المنهمرة ببطء ثم تنهدت وهي تلومها: وإن لم يفز ليست نهاية العالم يا غبية

لتضيف بإعتراض واضح: ستحبين رجلًا غيره.. أو حتى دون حب ليس بالأمر الجلل

وعندها رفعت دارين بصرها في غيظ: أنت كما يقول عنك زياد.. متحجرة القلب والمشاعر!

رفعت حاجبيها في بعض الدهشة: زياد قال هذا؟

وقبل أن تجيبها دارين أكملت بملامح مرتاحة: جيد.. هذا جيد..

استقامت لتغادر وحينها شعرت بأنامل دارين تطوق معصمها وصوتها يهمس في ندم: أنا آسفة

أخفضت رأسها لتوازي حمقاءها الشقراء ثم خبطت جبهتيهما في مزاح قبل أن تهمس هي أيضًا: أنتِ لست آسفة.. أنتِ عاشقة غبية

ضربت دارين كتفها فضحكت وهي تضمها إليها مُكملة: وأختي الصغرى.. ولو تزوجتِ هذا الأحمقَ سأدق رأسه لو أذاك دارين

والجملة الأخيرة لم تكن مزاح.. هي تعتبر نفسها الوصية على دارين، زياد لن يفيد وخالتها ثناء أضعف من المجادلة وهناك هذا الشعور المختبيء بين ضلوعها.. تلك الومضة التي تخترق كل فكرة تمر برأسها.. تلك الحاسة التي يلقبونها سادسة وتريدها هي كاذبة

أن دراين ستتزوج رجلًا قد يؤذيها!!!

خطواتها توازي حبو طفل قرر المجازفة في نهارٍ مشمس، يتعثر.. يتألم..

يتعرق.. ويثابر!

وحولها همهمة، تفاصيل تَتحرك تُشبه بشر لم تعد تدرك منهم شيء والنتيجة تخبُّط كتف امرأة مسنة.. وصوت رجل يزعق وطفلة تدور في فرحة كي تراقب نسيج ثوبها الطائر.

وطفلة أخرى.. ربما أقل حظًا تتشبث في تنورتها الواسعة وتُحرك عيناها بين الوجوه لا تفهم..

والسؤال سيظل..

أين بابا؟؟!!

والجواب يترنح كصورة مهزوزة أمام عينيها...جواب عنوانه كلمة لا بعدها كلمات...

«خائن»

العينان تلاقتا للحظة، تصلب مكانه يراقب ذهولها ثم هروبها

وقبل أن يفكر كانت قد اختفت...شعرت بهاتفها ينير باسمه فوجدت نفسها لاشعوريًا تُغلقه.. تمسك بيد مريم وتسحبها نحو الخارج.. أي سيارة أجرة.. أقرب سيارة أجرة..

قذفت نفسها داخلها ليبدأ الفيضان، تلعثم باسم شارع ما ليوصلها السائق لأي مكان سوى منزله..

ومريم تسأل..

تكرر..

أين بابا؟

وهي لا تجيب.. فقط تبكي بحرقة، بألم امرأة مخدوعة.. كيف لامرأة لم

تختبر الغيرة قط أن تتجرع فجأة مرارة الخيانة؟؟؟

كيف يفعل هذا؟؟

من تكون؟؟

صديقة.. عشيقة.. أم زوجة؟؟!!

ماما...

نظرت لصغيرتها بتيه لتقلب مريم شفتيها بحزنٍ متابعة: لا تبكي...

واغرورقت عينا الصغيرة بالدموع فقط لأجلها، مسحت صدفة عيناها بظهر يدها ثم قرَّبت رأسها من طفلتها لتهمس بمجاهدة: أنا بخير حبيبتي..

ثم لمحت مطعم وجبات سريعة فأوقفت السيارة لتفرح صغيرتها بوجبة ما وتختفي لبعض الوقت..

أو ربما تهرب.. ليس من مواجهته بل من حقيقة تخشى أن تكتشفها!!

المعادلة ليست صعبة...

رجل يشعر بالوحدة، امرأة تحتاج ونيس.. زوجة بعيدة وذريعة موجودة!

ووصل ولم يجد الزوجة التي كانت دومًا بانتظاره، فاجأته صدفة بوجود غير مرغوب في استقباله واختفت منذ أربع ساعات بابنته..

صرخت أمه وهي تكتم فمها دهشة بينما تسمع باقي اعترافه: تزوجت

ويُكمل: حقي

ويُبرر: أحتاج!!

ومع اللفظ الأخير كانت قد جاءت.. وجهها شاحب.. عيناها محمرة..

ومريم على ذراعها نائمة، توقفت لبرهة متحجرة كصنم قبل أن تتحرك بخطواتٍ بطيئة لتضع طفلتها في الفراش. وصوت صفعة الباب تُخبرها أنه غاضب!

أين كنتِ؟

وأصابعه تجذب ذراعها بقسوة تناقض ما اختبرته عيناها منه مع أخرى، ويزعق مجددًا: كيف تخرجين دون إذني؟!

وكأنه رجل آخر..

استدارت نحوه لا تصدق وخالتها تدفع بجسدها السمين بينهم.. تبكي وتردد بهمس لا تملك غيره: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

ثم أحاطت وجه صدفة بكفيها: حبيبتي كدت أموت من القلق

واستدارت نحوه بغضب: اخرج الآن

وحينها تماسكت صدفة تكتم انهيار، تخطت خالتها وتوجهت نحوه والسؤال لا تقوى عليه.. وهو قرر أن يجيب ويرتاح: هي زوجتي

وصرخت سميحة بولدها من جديد: اخرج يا وائل

ووائل قرر أن يطرق على الحديد وهو ساخن، هو الرجل، هو يملك الحرية، هو يُحاسِب لا يُحاسَب..

هو..

المعادلة ليست صعبة..

أولها هو وآخرها هو أما هي فسقطت في حساب الكسور!!

❀

أسندت نادية رأسها على زجاج النافذة وهي تسترجع تلك الليلة التي قررت

فيها أن تنفذ مشروعها دون علمه، كانت الكلمة الفاصلة تتكون من ثلاث أحرف....

نهى..

نهى الشرقاوي...

زميلة من زمنٍ مر وظنت أنه مات واندثر دون رجعة.. تلك المتوسطة الجمال الشديدة الغنج التي تزوجت سريعًا بعمر الثمانية عشر عامًا من كهل ميسور الحال واختفت من المدرسة والحي بأكمله لتعود بعد سنوات عدة بملامح مصبوغة وشعر مصفف على أحدث صيحة وملابس صُممت من أجل تنشيط الخيال وبسخاء.

لقاء فاتر انتهى بمودة مصطنعة، هي تحتاج لمكان لتنفذ به مشروعها الصغير ونهى تحتاج لمن تستأجر المكان باسمها البعيد عن الشبهات أم ربما البعيد عن أعين العجوز الغائب. وهكذا استأجرت نادية الشقة باسمها وبنقود نهى وتم الإتفاق.. هي في الصباح ونهى في المساء كلٍ منهن تفعل ما تريد وارتضت هي وضع غمامة الشيطان فوق عيناها، هي لا تبالي بنهى وما تفعله من وراء ظهر زوجها بل تفننت في صنع مبررات للصديقة والشريكة.

فكل ما كان يشغل بالها هو مشروعها الصغير، نفسها التي وجدتها من جديد في هذا العمل الخاص بها.. عبارات الإطراء التي كانت تتلقاها من القائمين على المقهى والنقود التي عرفت لجيبها طريقًا فتذوقت للمرة الأولى متعة الإنفاق بحرية!

كل الأمور كانت مرتبة ومدروسة ودقيقة للغاية حتى هذا اليوم بل تلك اللحظة التي دلفت فيها لملجأها ككل صباح لتبصر اللحظات الدافئة بين الخائنة والعشيق!

كانت تخطو كعادتها وفي قبضتها أكياس ممتلئة، تبدأ هي عملها في

الثامنة صباحًا، يكون زوجها قد غادر لعمله والأبناء كل بمدرسته وهي وحيدة ترتدي ملابسها على عجل كي تقضي فترة صباحها بملجأها الآمن..

هناك فقط تشعر بالراحة.. تدور كنحلة تعد أطباقها الشهية وتنهي المعجنات وتستمتع بقهوة دافئة على عبق فرنها الساخن.

تراقب ملامحها بالمرآة.. تضحك وترقص وتسمع الموسيقى!

ألا يحق لامرأة على أعتاب الأربعون أن تمارس جنونها الخاص.. نهى تصغرها بعامين وجسدها يصغرها بأربع أعوام!

رشيقة.. خمرية اللون، شعرها مصبوغ ولكنه جميل.. جميل جدًا تُصففه على شكل جدائل لولبية ساحرة، ترتدي ما يحلو لها وتتهادى بخصر وقِدّ وجَيد أملس...

وهي ربما تمتلك بشرة ملساء أفضل من نهى ولكن باهتة..

لا تبرج فهو ممنوع حتى داخل المنزل.. رشاقتها ضاعت منها منذ زمن وإن لم تكن سمينة ولكنها ليست بممشوقة القوام...

خصلاتها تعرقت تحت حجابها وهي مقتنعة بحجابها بل تعشقه ولكن لم تعد لديها الرغبة حتى في فرد تلك الخصلات فوق وسادة من تكون له زوجة..

كل شيء يمر بلا طعم.. حتى لقاءه أصبح دون نكهة..

يمر كما وتيرة الحياة بينهما ويستدير بنومه راضي وغير راضي..

نفضت أفكارها على صوتٍ غريب، توترت ملامحها قبل أن تترك ما في يدها وتخطو بحذر!

قدماها قادتاها نحو غرفة النوم.. تكذب أفكارها وتخاف وتتساءل وتؤكد أن نهى لا تأتي سوى في المساء..

ومع آخر فكرة شهقت..

ما تراه لم يكن مشابهًا لأي ما تعرفه من قبل، ورجل غريب أمامها كما ولدته أمه!

أغمضت عيناها.. تراجعت للخلف واستدارت وهرعت للمطبخ وتسارعت أنفاسها وصورة نهى أمامها تتكرر.. وصورة الرجل..والشغف...والتيه.....

والخيانة مجسدة في عري رجل وامرأة!

هربت قبل أن تغلق الأخيرة مئزرها علّها تلحق بها!!

❁

شردت نادية في ملامح زوجها وهو يرتشف الشاي ببطء ويطالع الجريدة.. لم تدرك أن لها أكثر من ربع ساعة تتأمله وهو لا يلاحظ...

هذا الصباح شعرت بالرعب وهربت وفي رأسها ألف قرار كلهم في اتجاه إلغاء تلك الشراكة...

أن تتصور خطيئة شيء وأن تراها شيئًا آخر!

وماذا عن اختبارها!

ارتجفت..

شعرت أنها تحتقرها..

بل تحتقر جسدها اللولبي الماجن وعازف أوتاره الذي نظر لها عين العين بابتسامةٍ ودون حياء..

صرخت بألم بعد أن أحرقتها قطرات الشاي، واستدار لها زوجها بنظرةٍ مؤنّبة.

امرأة لا تجيد شيء حتى شُرب الشاي!!

وغادر لغرفته بجملة تحتفظها...

«لا توقظيني»

وحاولت هي النوم وفشلت...

مرة وأخرى تلو أخرى تقتحم نهى خيالها والرجل معها.. وتغضب هي وتلوم حالها وتشعر أنها مجرمة متسترة بل ومشاركة بجريمة!

غسلت وجهها ورمقت نفسها بالمرآة متخذة قرار.. ستسهر وتخبز في ساعات الليل وغياب الزوج!

ستعمل من منزلها وستقلل إنتاجها ليتواءم مع مطبخها الصغير ولن تذهب لملجأها الآمن مرة أخرى

حزنت وشردت وتنفست ببطءٍ مرددة قرارها: لن أذهب لوكر الشيطان...

❁

منذ بداية الخليقة وزياد يتعارك مع دارين، هي طبيعة الحياة كما تصب الأنهار وتنفجر البراكين!

زيااااااااااااااااااااااااااااااااااااد

تصرخ دارين كل خمس دقائق فهو يعترض ومعترض وسيعترض، ملابس.. حذاء.. هاتف.. ضحكة.. همس...

هو رجل والرجل يزعق ويتحكم ويرفض ويحدد ويقرر!

والقرار تلك المرة جاء مخالفًا للقواعد، بل مثيرًا للريبة.

ابتسمت دارين لا تصدق وهي تلمح الثوب اللامع الذي انتقاه لها أخيها خصيصًا من أجل حفل الليلة...

قفزت الصغيرة حتى كادت أن تتعثر من فوق الأريكة وهي تصرخ غير مصدقة: حفل بمنزل ثائر الرويدي.. أنا لا أصدق!

حرك زياد كتفيه بلامبالاة: وما المشكلة.. الآن بين شركتنا وشركته أعمال مهمة.. هل تستخفين بأخيكي أم ماذا؟؟

اقتربت منه لتطبع قبلة قوية فوق وجنته قبل أن تسحب الثوب والحذاء لتجربهم وهي تردد بفرح: أنت أعظم أخ

تركتهم لتتوجه نحو غرفتها وحينها...

استدار زياد لهَنا التي كانت منشغلة بأوراقها وانتبهت لفوضاهم فجاورها على الأريكة مشاكسًا: غاضبة مني؟

قطبت حاجبها: ولمَ؟

رفع هو حاجبيه بمكرٍ: ربما لأنني لم أبتاع لكِ ثوبًا مثل دارين؟؟

حركت رأسها لا تصدقه ثم عادت لأوراقها فتابع هو ما ينتويه وبنظرةٍ ماكرة: أنا ابتعت لكِ شيئًا...ولكن..سأعطيه لكي لاحقًا!

تركت قلمها لترفع عيناها نحوه بعدما شتت هو وأخته تركيزها: ولمَ ليس الآن؟؟

كتم ابتسامته وهو يميل نحوها بهمس بدا لها حميميًا بعض الشيء: لا أضمن العواقب!

ابتعدت عنه وقد توترت ملامحها، بل تملكها الغضب فبدت قاسية.. تلك هي هَنا معه..

متمردة وقاسية حد اللذة!

فرط اللذة!

فرط نسيج ابتاعه بجنون من أجلها.. يتصورها...

ويتخيلها

ربما..!

قطعت دارين أفكاره بظهور ساحر.. كما رتب وكما قرر، أخته ستكون عروس بعد هذا الحفل المنتظر...

واللقاء هو مجرد ترتيب ليراها ثائر الرويدي كي تصبح بعدها زوجته..

رمقت هَنا دارين بتفحص قبل أن تهمس بمكرٍ: تبدين رائعة دأرين.. والغريب أنك أنت من اخترت الثوب زياد

نظر نحوها ببراءةٍ: وما الغرابة؟

جزَّت دارين على أسنانها وكأن هَنا هي من ستجعله يلاحظ الثوب القصير على حد ركبتيها ولكنها تجاهلتها لتنظر نحوه بارتياب فابتسم هو لأخته متصنعًا الجدية: هيا اخلعيه قبل أن أغير رأيي!

عادت دارين لغرفتها فرحة ولاحظ هو أن هَنا لم تحدْ عيناها عنه فتابع وقد استلقى فوق الأريكة مغمضًا عينيه: ذوقي تغير..

ضحكت باستهزاء:

حقًا؟؟

ابتسم بمكرٍ ليفتح عيناه فجأة متأملًا ملامحها: حينما ترين ما ابتعته لكِ ستعرفين أنه تغير!

ثم أغمض عيناه من جديد حابسًا ابتسامته

فهي ستقتله لو علمت أنه اشترى من أجلها غلالة!

الفصل الثالث

في فقه الحب المرأة هي الخاسرة، هذا هو حديث النساء وأمنيات الرجال..

وفي قاموس الوجع احتل هو جميع المعاني!

تزوج.. وانتهى الأمر.

ستبكي كثيرًا.. تولول قليلًا وفي النهاية ستتعايش.. بل سينصحها العجائز بالدخول لحلبة المنافسة....

أستدعينها تسرق زوجك؟؟

وكأنه سُرق رغمًا عنه..!

وتتحدث خالتها عن الخسارة، في فقه الزواج المرأة هي الخاسرة!!

وفي الطلاق كارثة...

وصرخت الخالة: طلاق.. استغفري الله يا ابنتي!

كارثة ومعصية!

وبالحديث عن العصيان، سمعته ليلة أمس يحادث أمه، يخبرها عن حقٍ ومثنى وثلاث وبالطبع لم يرتكب معصية..

وبكت أمه في ليلةٍ ثانية، طلبت منه أن يترك الأخرى وستسافر معه هي وصدفة ولكن.. كان الخبر الأُكثر إيلامًا.....

الزوجة حامل!

وتلك كانت المرة الأولى التي أباح لها عقلها تخيلات اللقاء.. زوجها وأخرى!

ويطلق البعض مسميات لطيفة وهي في الحقيقة موجعة «زواج متعة» «احتياج» والمضحك طاقة!!

وقرر هو باقتحام غضنفري أن ينهي الأمر بنهجهِ الخاص، كانت مريم نائمة تحلم.. لا تدرك من الدنيا سوى تنورتها الوردية والأم تبكي فوق وسادة..

فابنها الغالي جرح من هي في كنفها، من عاهدت أمها عليها أمانة..

وهي.....

هي كانت شاردة بالمرآة، تمشط شعرها دون رؤية حتى تحرك الباب قيد أنملة يعبر عن حضوره.. انتفضت وقد لمعت عيناها ببكاء

أول الضعف وأول القوة!

ستبكي ويحتويها..

تهرب ويحيطها..

تنتفض وتستكين بجبروته...

لم تتصور أنه قرر معالجة الأمر بمعاشرة!

أغلق الباب ليقترب منها وقد تلمست أنامله برقة خصلاتها العسلية:

افتقدتك

تراجعت خطوتان للخلف وقد جحظت عيناها،هربت منها الكلمات وهو لم يكن ينتظر حديث.. شعرت بكفيه تحيطان وجهها والنتيجة قُبلة...

قُبلة كان يجب أن يكون لها مفعول السحر، وإن رفضتها فهي امرأة جاحدة أو باردة..

كان صراخها بالهمس، فما ينقصها أن تستيقظ ابنتها على هكذا مشهد.. سحبت نفسها بمجاهدة وهي ترفضه: ابتعد

وكان هو في همسٍ آخر، يحل أزرار قميصه ويقترب: حبيبتي صدفة.. أفتقدتك!

ويوَد أن يغرق وجهها بقبلات مجددة، اشتياق يذيب كل الحصون.. تملصت منه من جديد وتلك المرة كانت صرخة وليست همسة: قلت لك ابتعد.. ماذا تظن وائل أن ينتهي الأمر بمصالحة على هذا الفراش؟؟

ثم ازدادت صرختها: وماذا بعد؟!

ولم تدرك أن عيناها امتلأت بالعبرات وهي تنطق الأخيرة: أنتظر بيني وبينها العدل..

كانت أنفاسه متسارعة، ينظر لها وقد باتت بعينيه امرأة أخرى..

امرأة تتمرد!

وكان رده تقليديًا للغاية وبنصف عقل منتظر: أترفعين صوتك عليّ يا صدفة!

ولا تدرك أنها حينها ابتسمت، خرجت الابتسامة ناقصة ومشوهة كما الوضع بينهما الآن.. خرجت توازي لفظ واحد تمكن منه البكاء بضعف امرأة: طلقني!

وخرجت ابتسامته هو.. سخيفة، كررها وهو يرتدي قميصه من جديد ويخرج من الغرفة: لا أصدقك.. أنت تهدمين البيت بحماقة النساء

وأعادها وهو يزعق بصوت يوجهه لأمه: ابنة أختك ستخرب بيتها...

وأحاطتها خالتها بذراعيها: استعيذي من الشيطان يا صدفة...

وتلمح بعينيّ إبنها غضب، وفي فقه الغضب... الرجل يزأر والأنثى تهرب والخسارة لا تطال الذكور!

والمشهد بعيني مريم التي استيقظت على صراخ أمها.. هي تمسك بذراعيه.. في عُرفِه تُعاند وتكابر وفي ضعفها هي تسترد كرامتها المهدورة...

أريد الطلاق..

وهو قرر أن يؤدبها: أنتِ طالق!

❁

مرت أربعة أيام.. ونهى تتصل بها وهي لا تجيب وستمِل نهى وسينتهي الأمر ولكن نهى الآن ببابها، أدخلتها بِصمتٍ وتوجهت كي تعد لها شاي.. قهوة.. أي شيء تتحاشى به الحديث... ولكن نهى أوقفتها بقبضةٍ متملكة فوق معصمها، نهى كانت شاحبة.. تواجه تفسيرًا لا تنويه رغم أنها تريد أن ترتاح.. همست بعد عدة أنفاس: لن تفهمي..

استدارت بملامح جامدة وعبارة مقتضبة: أنا لا أهتم ولكن لا أستطيع أن أشارك في تلك المهزلَة.

برقت عينا نهى.. تجادل وتدافع: حياتي هي المهزلة!

عندها صرخت بها.. كيف تبرر العهر والخيانة: أنتِ خائنة

هو يستحق!

أنتِ زانية

صمتت نهى ولم تجيب، أخرجت لفافة تبغ وعبأت منزلها بالدخان: سمِّيها متعة.. وأنا أستحق

أغمضت عيناها.. أي نقاشٍ تخوض، تشبثت بدكتاتورية شربتها من زوج.. أليس كل سجين جلاد؟؟

اخرجي من منزلي.. ليس لي بجوارك مكان

ابتسمت نهى وملست فوق رأسها بل تخللت خصلات شعرها بأصابعها.. همست بِشرٍ: صدقيني نادية لو بيدك الأمر لأخذتِ مكاني!

احترقت نادية، همًا وغضبًا ولكن هي من تنازلت في البداية.. هي تصورت الخطأ وتغاضت عنه ، زعقت لكرامتها: اخرسي نهى.. اخرسي يا حمقاء

تعاطفت بقلب أنثى لتكمل: زوجك سيقتلك

ضحكت نهى بثقة: زوجي لن يعلم، والجيران تقدس منزلك ومشروعك نادية...

فزعت نادية: الرجل.. ماذا سيظنون!!

هدأتها نهى: لا أحد يلاحظه.. هو مبنى من ستون شقة يا حمقاء

صمتت نادية كثيرًا وتصلبت قبضتها فوق كوب ساخن.. ربما هو عقاب. واقتربت منها نهى...

همسٌ متحايل رغمًا عنها.. فهي تحتاجها، تحتاج واجهتها وإلا سيكثر القيل والقال وتخسر كل شيء.

أنتِ خارج الأمر نادية.. ولن تجدين ريحه بصباحٍ آخر... أعدك..

حركت نادية رأسها في رفضٍ: لا.. لا أستطيع أن أُدخل هذا المكان

اقتربت نهى أكثر، نبرة الإقناع مختلفة.. تحمل سحرًا خاصًا: هو مكانك نادية.. ملاذك الممتع بالصباح.. أستتخلين عن حلمك نادية؟؟

أغمضت نادية عيناها ولكن أذنها تسمع.. صرخت بحدة: حلمي ستلوثيه نهى.. خطيئتك تلوثني

واجهتها نهى وبوجهٍ هاديء: أنتِ لن تُسألي عن وزري نادية..

أصرت نادية وبملامح جامدة: الساكت عن الحق شيطان أخرس

واصطنعت نهى ضعف متمرس: دونك أنا سأسقط وربما يقتلني زوجي ولكن معك ربما يومًا ما أستفيق.. ساعديني نادية.. لا تتركيني وأعدك لن تجدي ظله بصباح.

ورحلت نهى وأيقنت نادية أن الحياة يجب أن لا تجود عليها بمتعةِ الشرود، ستقتل الفراغ بشكلٍ أو بآخر وستعود راضية لتصنيف ماكينة..

اليوم يتكرر.. تستيقظ في السادسة لتبدأ حملة إفطار موسعة، فأسرتها كبيرة بثلاث أبناء جميعهم بمراحل دراسية.. غادة تحب الحليب ،أما علي فينطلق ليلحق حافلة مدرسته بآخر لحظة، وجنا تثرثر رغبة في الهروب من صف الصغار..

يهدأ الطوفان خلال ساعة ويحين وقت طوفان آخر.. أهدأ قليلًا ولكن أكثر مللًا! موعد استيقاظه يكون بعد رحيل أبناءه بثلاثين دقيقة.. وقت استحمامه تكون قد أنهت إفطاره وجهزت ملابسه ليفطر ويخرج مسرعًا قبل أن يلومها لأي شيء وإن لم يلمْ لا يتحدث..

وها هي تعود للروتين.. مائدة غداء تختار لها جهدًا خاصًا ونظافة منزل مكررة ورغم هذا يتبقى وقت فتخرج لتبتاع حاجيات منزل وإن لا تحتاج..

وتحارب الشرود!!

وذكرى عملها الذي تضاءل وزباءنها تسأل وتمدح وتغضب وتلح أكثر ومنزلها لا يجود بوقتٍ ومكان..

فكرت أن تستأجر مكانًا آخر ولكن من تخدع؟؟

النقود حتمًا لن تكفيها وزوجها يرفض الفكرة ليساعدها من الأساس..

تغلب عليها الشرود، فكرت وترددت وتحايلت وقررت..

ربما تستطيع أن تساعد نهى وإن لا...

فقدرها أن تصمت.. وكانت نهى قد مر عليها الأسبوع بطيئًا، نادية تهرب وتتركها وحيدة بقيل وقال عن سر خلوة وامرأة تظهر دون داع..

مرر سبابته برقةٍ فوق ظهرها ليسأل: لمَ كل هذا الذعر؟

تنهدت وسحبت سيجارة.. كانت ما زالت متحررة من كل شيء وتحرك قدميها بعشوائية فوق سجادة منقوشة، تمر بأصابع قدميها فوق الخطوط والألوان وكأنها رقصة.

نطقت بعد حين وبصوتٍ ثقيل بدا مغتاظًا: أحتاج الحمقاء ليس أكثر!

ابتسم بسخرية وتمدد براحة فوق الفراش وهو يتذكر الأخرى، هربت مذعورة وتبدلت بوجهها ألوان قوس قزح وكأنها فتاة الأمس لمجرد أنها رأته!

سألها باهتمام: الحمقاء متزوجة؟

سخرت بتندر: هل تراها في العشرين؟؟

زفر بضحكة مختالة: هربت مذعورة... لن أنسى وجهها

زفرت هي بغيظ: أنت السبب ليتنا ما نسينا الوقت

اقترب منها بمكر وأحاط جسدها بين ذراعيه ليُقبّل جيدها بمراوغة: زوجك خارج البلاد.. لمَ لا أستغل الفرصة وأحتفظ بك وقتًا أكثر؟؟

ضحكت لتستدير نحوه وتقترب بمجون متناسية كل قلق: والليلة هو أيضًا غائب...

جذبها ليحتجزها تحت جسده ويُكمل بهمس أعجبها: إذًا سأستغل الفرصة ولا تقلقي...لا مفاجآت من حمقاء..

ثائر الرويدي....

الاسم وحده يكفي!

خطوة متعثرة وأخرى واثقة.. أما الثالثة فبداخلها أمنيات..

وأصابع رجل فوق كأس من مشروب بارد تتحرك في تناغم توازي إيقاع الفرقة الراقصة خلفه وهذا بنصفِ عقل فالنصف الآخر كان ينهي صفقة عمل تتعدى المليارات...

أما الخطوات فكانت لثلاث دخلوا الحفل بإرادة الأخ الأكبر كما ينصب نفسه.. دارين المتعثرة وهَنا الواثقة وزياد بأمنياته.

يسحب أخته الشقراء خلفه والمسمى عرض زواج، وربما صفقة أخرى يضمن بها صبر ثائر الرويدي على الدين الذي لا بعده مفاوضة..

ستتزوج دارين ويسقط دينه بالتأكيد...

بل جميع ديونه!

تنهدت دارين بصوتٍ مسموع وهي تلكز هَنا في كتفها: هل ترين كيف تبدو البيوت؟؟

تركت هَنا هاتفها النقال التي كانت على ما يبدو منشغلة به لإنهاء بعض الأعمال ثم تفحصت المكان حولها لتجيب بعمليةٍ خالصة: هذا ليس مجرد بيت يا دارين هو قصر وطبيعي أن يبدو مبهرًا..

تركتها دارين وهي تتقدم خطوتان وحيدة: مبهرًا فقط.. إنه رائع

راقبتها هَنا تتحرك منفردة في المكان كعروسٍ ملونة، عروس ماريونت يمسك بخيوطها زياد، يُحركها كيفما يشاء ويقرر منفردًا أن يعرضها كسلعةٍ قابلة للبيع والشراء..

والأسوء للمقايضة!

قبل أن تخطو نحوها تجمدت وهي تراقبها تتعثر لتسندها ذراع رجل!

كانا قد ابتعدا لتميز ملامحه ولكن كانت تثق أنه هو..

المالك المنتظر..

ثائر..

آسفة

قالتها دارين بتلعثم وهي تجد نفسها وجهًا لوجه أمام مالك القصر التي انبهرت لتوها بتفاصيله، بل تكاد تسقط بين ذراعيه.. ابتعدت وقد تسارعت أنفاسها خجلًا أمام رجل بدا وكأنه يُقَيِّمها..

مهما بدت كامرأةٍ حمقاء فهي ستميز نظرة الرجل...

تجولت عيناها بحثًا عن زياد ثم عادت تنظر نحوه لتلمح ابتسامة قاسية فوق شفتيه تبعها بلفظ واحد: خائفة؟؟

ردت بعفوية: فقط أبحث عن أخي.. زياد

رفع حاجبيه بسخرية وكأنه تفاجأ لتوه: أنتِ أخت زياد؟؟

ابتسمت باضطراب.. وحينها اقترب منها هو ليمسك بأناملها المرتجفة ويقترب بشفتيه منهما وهو ينطق بحروف اسمه: ثائر الرويدي

ازدادت ابتسامتها اضطرابًا وهي تسحب يدها وتعدل من خصلاتها هامسة بنبرة خفيضة: دارين

تأملها لوهلة قبل أن يشير بيده لحلبة الرقص: تسمحين لي بتلك الرقصة آنسة دارين؟؟

التفتت حولها بتردد.. فتابع هو بثقةٍ: لا أعتقد أن زياد سيمانع.

كانت الموسيقى هادئة تستدعي إلتصاق رجلٍ بامرأة ولكنه كان راقيًا في اقترابه، ترك بينه وبينها مسافة محسوبة رغم أنه قررها بخبث لرغبته في تأمل ملامح وجهها، كانت جميلة.. ربما بمعيار حسابي دقيق هي تقترب من الكمال..

أنف دقيق وناعم، عينان زيتونيتان متناغمتان مع خصلاتها الذهبية.. وفم مكور به لمحة لا ينكرها من الإغراء..

ما المانع إذًا؟؟

زياد يعرضها لسد دينه وهو يحتاج لزوجة.. جسد ممتع وحاضن!

ربما تكون دارين تلك أم الطفل الذي يتمنى بعد أن رفضت زوجته المصون تحميل رشاقة قدِّها بطن منتفخ، لمح حينها زوجته بطرف عيناه وهي منشغلة بمجموعة من أصدقاءها ليبتسم بسخرية ويعود للمرتبكة أمامه: ما زلت تبحثين عن زياد؟؟

رفعت عيناها نحوه لتجيب بخجل: لا

تحرك بها قليلًا مبتعدًا عن الزحام، كان ما زال يتابع الرقص وبقعة الضوء الأخرى مكنتها من تأمل أفضل لملامحه.. يبدو بعمر الخامسة والثلاثون، وسيمًا بشكلٍ راقٍ يشبه نجوم الإعلانات لماركات العطر الشهيرة.. له ذقن ناعمة وخفيفة ومشذبة برقي يحيط عظمتي فكه، ولكن بعيناه قسوة غامضة شعرت أنها لا تفهمها..

صوت ناعم وعينيان شرستان.. تركيبة لا تود اختبارها.. وحينها تذكرت أحمد، عينا أحمد ناعمة وهادئة بتفحص أنيق يناسب عويناته.. صوت أحمد به خشونة مهلكة..

آه لو أحمد من يراقصها..؟؟

يسند خصرها بكفه القوي.. يهمس لها بقرب؟؟

حينها كانت ستتعرض لحالات متكرّرة من الإغماء!

ولِمَ حالات متكررة؟؟

حالة واحدة تكفي!

برقت عيناها وشعرت أن المكان والزمان توقفا في عينيه.. ينظر نحوها وقد تأملها تلك المرة دون عويناته..دهشة.. غضب

لا تفسير.. ولكن الأكيد أن الزمن توقف حينما رأته يبتعد عنها بأمتار قليلة وينظر نحوها من خلف ظهر"فاتنته..

أحمد..!!

الفصل الرابع

إن امتلكت نصف عقل لا تقع في حب امرأة واثقة..

تحافظ على عويناتها في حفلٍ ساهر، تنقر على هاتفها منشغلة بعمل وسط لهو لا ينتمي إليها.. وترتدي الأحمر!

حافظ على هذا النصف..

خصلات فحمية تنسدل حتى منتصف خصرها ورغم أن الثوب عادي، بل ربما لا يرتقي لانفجار التصميمات العالمية حوله إلًا أنه يكفيه أنه احتوى جسدها..

فليس كل النساء هَنا.

امرأة معها تختبر شيئًا لم تمر به من قبل..

فقدان التوازن!

وتعثرت دارين.. حظها لا يكفيه أن يزيد الأمر سوءًا فقرر تدميره، قتله وتوزيعه مع حسرتها في أوراق المحاضرات!

والصورة هي تسقط بين أحضان ثائر..

ضم حاجبيه، وتوسعت عيناه بغضب أكبر.. مخيف ومربك ومشبع لكل نبضة قلب هاجمتها بشأنه... وآفة النسيان لعنة كل امرأة!

تناست أنه لا يشعر بها.. تناست أنه يرقص بدوره مع غريمتها.. تناست أن الرجل كائن يعشق التذوق..لكل الفواكه..

همست بضعفٍ: آسفة

وأسندها هو كي تعتدل بعد أن غامت ملامحه قليلًا: لا عليكِ

ثم نظر حوله ليسألها في جدية: أين زياد؟

ارتبكت ودارت بعينيها تبحث بدورها فقاطعها بجذب قوي لأناملها على حين غرة، وقُبلة دافئة.. راقية حد احتفاله: لا ترهقي حالك، أنا سأجده بمعرفتي.

وابتسم بتملك قبل أن يودعها: فرصة سعيدة آنسة دارين

وتجزم أنها كانت تسابق أنفاسها المتسارعة وقتما رحل.. هالة مرعبة تحيط بهذا الرجل.. حضور طاغٍ يفرض الصمت على الهواء وقتما هو يتحدث..

ووقت مستقطع خارج عن السيطرة، وحينما استفاقت تبحث بعيناها عن الآخر كان قد اختفى هو أيضًا.

❁

أنهت هَنا مكالمتها على عجل وعادت تجول ببصرها بحثًا عن دارين ولكنها اصطدمت بزياد، يقف قبالتها مبتسمًا بثقة رجل وسيم!

هذا هو زياد....

يعتقد أن جاذبيته هي بداية العالم والنهاية وما بينهما من تفاصيل...

خلعت عويناتها لتضعها مرة أخرى في حقيبتها ثم لوت شفتيها تحدثه بغضبٍ: أين أختك زياد؟

اصطنع هو الدهشة ليجيب بشيءٍ مختلف تمامًا: نظارة طبية في حفل ساهر.. تلك كارثة لا تغتفر

ضحكت باستهزاء غير مصدقة: أنا كنت أتابع عدة رسائل إلكترونية مهمة، اعذرني زياد.. أنا لا أشبه عرائس الموضة!

اقترب منها ليجاورها واضعًا يديه في جيوب بنطاله وهو ينظر بسخريةٍ حوله: عرائس الموضة ليست شيئًا سيئًا على الإطلاق

عادت مرة أخرى للإنتباه لهاتفها لتجيبه ببديهية: هذا شيء طبيعي بالنسبة إليك زياد

انشغالها بمتابعة الرسائل الإلكترونية بين مديرها وفريق عمله بشأن المناقصة الأخيرة منعها من ملاحظة لمحة الغضب التي توحشت بعيناه لسخريتها منه.. ما زالت تراه ابن العم الممازح على الدوام..

ربما اقترب الوقت هَنا لتقابلي الرجل..

رفعت بصرها حينما انتهت وحينها لمست تبدله مع نبرته الأخيرة: لو تزوجنا سأحرق لك هذا الهاتف!

تبدل لون وجهها قليلًا.. طالما مازحها زياد ولكن تلك هي المرة الأولى التي يضع فيها الزواج في جملةٍ مفيدة، بل ليست مفيدة على الإطلاق.. تلك جملة سخيفة لا داعي لتكرارها.

زفرت وهي تجيبه بشكلٍ مسرع: ولهذا زياد أنت لن تتزوج إلا امرأة تستطيع إحراق هاتفها!

وتحركت مبتعدة عنه على الفور.. حاسة قوية تحثها أن تُنهي الحوار والأهم كان ظهور دارين التي مع شحوبها نطقت موجهةً نحو أخيها كلمة واحدة: ثائر الرويدي يبحث عنك.

ولم تكن تدري أنها بحروفها تنهي المهزلة كما خُطط لها.. ولم تكن تعلم هنا أن شحوبها هذا لا يوازي شيئًا مع اصفرار وجهها حينما زفَّ إليهما زياد الخبر وهم بالسيارة: دارين.. لقد طلبك ثائر الرويدي للزواج وأنا وافقت!

❁

ربما مرت عشرة أيام.. خمسة عشر.. لا تُحصي...

الغالي قطع إجازته وسافر.. غاضب!

بل ووضع أسس معاقبته لها كما يجب.. النفقة لا توازي شيء مما كان يرسله من قبل وإن اعترضت فلتوكل محامي ما وتلهث بين دهاليز المحاكم.

ألم تتجرأ وتطلب الطلاق.. فلتتحمل العواقب

وقبل أن تدخل الحرب فلتتذكر أنها امرأة!!

ارتشفت القليل من كوب الشاي وهي تمارس عادتها اليومية.. تمر بين إعلانات الوظائف، تكتب هذا وتمرر ذاك وتراسل القليل مما يناسبها ولكن لا شيء..

بمؤهلها العادي والخبرة المعدومة لا فرصة تقريبًا سوى بائعة في محلٍ ما أو ربما مساعدة لطبيب أو ما شابه.. زفرت بضيقٍ وهي تنظر نحو السماء وشفتيها تهمس برجاءٍ واحد: «يا رب»

وشكوى القلوب يفقهها الخالق وحده...

ماما

استدارت لتلمح صغيرتها مريم وقد استيقظت وجاءتها تجرُّ من خلفها الغطاء، شعرها متناثر بشكل فوضوي لذيذ وتفرك عيناها المغمضة بشكل جزئي لا تحتمل الضوء.

رفعتها صدفة لتحملها ويراقبا سويًا بضعة عصافير شاردة تتجول على حافة الشرفة بحثًا عن حبات أرز أو قطع خبز تتركها لهم، ضحكت مريم مع اقتراب الطيور وهمست لها صدفة وهي تُقبِل أذنها: ألن نأكل مثل العصفورة؟

هزت مريم رأسها متذمرة بالنفي، منذ رحل وائل والصغيرة فقدت شهيتها.. لقد كانت تعد الأيام في انتظار أبيها.. تخطط من أجل سفرتهما سويًا لفسحةٍ

أو ما شابه، ويظل الهاجس يدق برأس صدفة.

هل اختارت نفسها وباعت مريم؟؟

صباح الخير

صوت هاديء وناعم أخرجها من شرودها، كانت راضية.. امرأة طيبة تخطت الخمسون تسكن في البناية المقابلة لهم، تعيش مع بناتها وحيدة بعدما رحل الزوج بزواج آخر.

لوت صدفة شفتيها ساخرة بحزن..

فـ راضية منذ خمس سنوات مرت بنفس التجربة ولكنها لم تستطع أن تلفظ بطلب الطلاق، خافت كما العادة من لعنة الكلمة..

«مطلقة»

فاختارت أن تبقى في كنفه زوجة ولا زوجة.. مجرد اسم يمنع عنها وعن بناتها الألسن ويضمن في المستقبل عدم هروب أي عريس.. لتعيش هي لبناتها وهو لمتعه وحق اختاره مع فاكهة أنضر!!

وابتسمت صدفة من جديد.. ابتسامة مكتومة تشبه خاصةَ راضية ربما منذ سنوات مضت وراضية تُكمل بدعوة شرب القهوة لأنها تريدها في أمر هام.

بعد نصف ساعة كانت صدفة تجلس في غرفة المعيشة في منزل راضية.. المكان متواضع فالحي كله قديم ولا يسمح ببذخ داخل أي بناية، كانت الفتيات ما زلن في نعاس فالدراسة لم تبدأ بعد وهذا شيء تتذكره صدفة جيدًا.. فهي من اختارت مدرسة مريم بنفسها وطفلتها ذات الخمس سنوات تحتاج الآن لمبلغ وقدره مع أول قسط شهري ووائل قرر أن يحارب بحقارة فيكاد ما يرسله يكفي بالكاد لمصاريف المدرسة والمواصلات دون حسابات أخرى.

رائحة القهوة هاجمتها مع ابتسامة راضية.. لا تُنكر أنها ترددت في قبول الدعوة، فراضية ربما لن تختلف في النصيحة عن أخريات سيلومنها لأنها أيقظت شبح الطلاق وربما تدخر لها كلمات لتحفزها أن تصبح مثلها.. والكارثة أنها لو ضغطت قد توافق!

ارتشفت صدفة القهوة ببطء فهي لا تستسيغها أبدًا.. تلك النكهة القوية ربما لا تناسبها، تأملتها راضية لوهلة قبل أن تبدأ.. صغيرة ما زالت بأعتاب الخامسة والعشرون تزوجت بعد أن أنهت دراستها بيوم واحد ولم تعرف من الدنيا سوى بيته وخالتها والآن هي ببساطة وحيدة في مهب الريح.

ابتسمت راضية من جديد، تعلم ما تفكر به صدفة وتعلم أنها متخوفة من تلك الزيارة ومن نصائح العجائز ربما كما يسمونها.. ابتسمت لأنها تنوي مفاجأتها بشيءٍ مختلف.

مختلف تمامًا ويقع خارج كادر الخوف من سقوط ظل الرجل..

صدفة.. لقد وجدت لك عمل!

❁

اتخذت القرار وانتهى الأمر.. هكذا رددت لنفسها طوال الليل وفي الصباح وبسيارة الأجرة حتى وصلت للمبنى، فكرت أن تهاتف نهى ولكن لا تعلم لماذا أجلت ذلك حتى تصل وتدخل هناك من جديد.

ربما خافت أنها لو حادثتها ستبدل رأيها.. سيسحرها المكان وستمحو أي تردد وها هو مطبخها الأنيق كما هو والأريكة التي تريح قدمها فوقها.. مشغل الإسطوانات وعبق زهور اللافندر الذي يملأ المكان.. جنتها الصباحية وجحيم نهى المسائي!

نعم هي تختار الجحيم وتظنه متعة..

استدارت نحو الغرفة الجانبية، تأملتها كثيرًا وعبث شيطانها بتصورات عما رأت ولم ترى..

تنفست بتوتر وهرعت نحو مطبخها.. لا مجال للشرود لأنها فقط ستعمل.

والعمل يزيد ونهى لم تناقش ولم تعقب، يكفيها أن واجهتها عادت.. تحييها بابتسامة ونظرة متوسلة!

وتعدها بالحرص والكلمة المعتادة.. لن ترى ظله.

كانت هي على الجانب الآخر تلغي التفكير جانبًا.. غيابها زاد من أجرها بل وأصبحت أكلاتها مطلوبة في الحفلات.. تجهز المطلوب وتتوجه للمكان تسلم الطعام وترحل بنفحة مالية رائعة.

لم تعد لزوجها في احتياج.. لا تطلب بتردد وتنتظر رفض، بل تبتاع ما تريد وللأولاد أيضًا..وهو إن لاحظ فمرتاح لأنها زوجة مدبرة، أخيرًا فعلت ما عليها فعله

كل الأمور جيدة.. كل الخطوات كما تريد..

وكما وعدتها نهى لم يظهر ظله

ظهر هو بلحمه وشحمه!

❁

كانت تقف أمام الموقد متهالكة من حرارته.. وشاحها خلعته وتركت ربطة خفيفة فوق رأسها تمنع خصلاتها من التناثر وبحرية تخلصت من قيد أول ثلاث أزرار بقميصها الملون ووقفت تحضر القطر الحلو من أجل كعكة الليمون التي صنعتها للتو.

تتنهد وتغني مع صوت عبد الحليم ملك مراهقتها وأحلام الحب، الفارس.. العاشق.. المنجذب نحو أنثاه لا يبالي وتضحك هي من سذاجة أحلامها فيما سبق وتدرك بمنطقية كيف هو الواقع.

امممممم.. شهية.

صوت رجل وخلفها تمامًا!

استدارت بفزع تمسك بين يديها ملعقة خشبية كسلاح، تتنفس بسرعة صاروخية ولا تدرك أن ملابسها وقيودها المحلولة لا تجوز..

رمقها بنظرة متفحصة، ربما لو رآها بأحد الأماكن مصادفة أو اصطدم بها بمواصلة عامة لن يعيرها أي انتباه.. فهي لناظرها امرأة عادية للغاية...ولكن الآن..

هي تمثل حالة شهية كفطائرها تمامًا، شعرها معقوص وتداريه بربطة عشوائية تسللت منها خصلات بنية خفيفة... عيناها أيضًا بنية صغيرة بشكل ناعس وشفتيها مكورتين ولها وجنة ممتلئة وطابع حسن يزين ذقنها بجمال بسيط، جسدها متعرق بفزع ولها جيد أملس وما تحته مثير للإنتباه..

أي رجل سيتغاضى عن نهد امرأة؟!

وإن تغاضى جميع الرجال هل سيتغاضى هو؟!

ابتسم بمكر.. كان طويلًا له حاجبات ثقيلان وفك مستعرض وعيناه بهما زرقة مميزة.. أهذا ما يجذب به النساء؟؟

سمرته تتناقض مع زرقة عيناه وله ابتسامة تجعله يبدو كشيطان!

رجعت خطوتان أدركت بهما أشياء كثيرة..

أدركت أنه هو من هربت بسببه منذ أيام وأنه يبتسم نفس الابتسامة غير مبالي بما رأته من قبل وأنها يجب أن تحتشم قليلًا لأنه ينظر وبمتعة..

استدارت بسرعة تغلق أزرار قميصها في ارتباك وتبحث عن وشاحها وتصرخ فيه بصوت ملجلج: أنت؟؟ ماذا تفعل هنا وكيف تسللت هكذا ولا يحق لك أصلًا الوجود ونهى..

قاطعها بصوت واثق ونبرة هادئة تناقض انزعاجها: آسف.. أنا أعلم اتفاقك مع نهى ولكني غفوت بالأمس ولم أستشعر الوقت..

لم تستدير.. أحاطت جسدها بذراعيها فتابع هو بنبرةٍ مهذبة: لا تخبري نهى.. أنا لم أكن أقصد وهي ستفزع كثيرًا لأنكِ غضبتِ

هدأت بعض الشيء ولكنها ظلت توليه ظهرها، نطقت ببطءٍ وثبات بعد وهلة: حسنًا.. لو سمحت ارحل الآن

ابتسم وجلس على أحد المقاعد العالية أمام طاولة المطبخ ثم قال بصوتٍ أثبت أنه يتذوق من الطعام: ألا يحق لي بفنجان قهوة مع تلك الفطائر الشهية.. على الأقل حتى يخرج جميع السكان لأعمالهم ويهدأ المكان قليلًا؟؟

زفرت بضيق يحمل تبرير ما يقول.. لا يجوز أن يخرج بتلك الساعة الصباحية وما زال الجيران يتجولون بالمصعد... ماذا لو رآه أحد بنفس الطابق وماذا لو علموا أنها بالداخل؟؟

استدارت غاضبة وعلى وجهها ملامح.. «أنا في ورطة».. مذعورة ربما أكثر من مراهقة ستقابل صديقها خلسة، تسحب فنجانًا وتصب قهوة وتضعه أمامه ودون أن تنظر همهمت سريعًا: أنا سأرحل الآن وأعود بعد ساعة.. وأتمنى أن لا أجدك!

انتظري

كانت لهجته آمرة وزاعقة بعض الشيء مما أجفلها وأغضبها وجمَّد الردود فوق لسانها... ارتشف القليل من قهوته ليكمل باختلاف أنيق: لا داعي

لهرويك.. أنا لن آكلك

اتسعت حدقتيها لتدقق فيه بغضب ثم ردَّت بحدة: لا يصح وجودي معك في شهقةٍ واحدة يا سيد..

قاطعها: سليم

تنفست ببطء.. أخبرته أنها غير مهتمة باسمه ثم أكملت: سأرحل أنا.. لا يجوز ولا تقلق لن أخبر نهى ولكن لا تكرر الأمر

أومأ بتفهم ولكنه فجأة ودون مقدمات اعترض طريقها قبل أن تمر فأصبحت محجوزة بفضل ذراعه.. تراجعت للخلف بدهشة ممزوجة بالغضب فرفع كلتا يديه في اعتذار كاذب ليكمل: أنا لا أتفق معك.. هذا المكان مقر عملك وأنا مثلي كأي زبون ربما يشتهي تذوق!

ضيَّقت عيناها لتتابع بصرامة: أنا لا أستقبل زبائن بمنزلي سيد سليم ولا تجبرني على أن أكون سخيفة.. يكفي.

وكأنه لم يسمعها، توجه لسلة كان يبدو أن بها بعض الكعك الحلو ليتذوق واحدة ويكمل بحرفية: أنتِ محترفة.. لم أتذوق كعكًا كهذا منذ زمن، واستدار عائدًا لقهوته.. يرتشف منها ونظره موجهًا نحوها لا يحيد..

تدقيق مزعج

تدقيق مهلك..

ترك قهوته وتوجه نحو الحوض مشمرًا ذراعيه!

غسل فنجانه ووضعه جانبًا وأكمل وهو يسحب سترته: أشكرك على القهوة نادية وعلى تلك الدقائق المميّعة بصحبتك.. كانت مختلفة..

ورحل بنظرةٍ غامضة!

لا ابتسامة ولا غضب..

فقط تأمّل وهي وحدها بغضبٍ وتوتر وقلق وفضول وتسارع أنفاس!

ما بال النساء لا يتقن الرفض؟؟

الصراخ دون البكاء

الزعقة دون الرجفة

ببساطة.... القرار!

«تزوجيه دارين»

ليكن الحل...

«لا»

ولنترك جانبًا المناحة!

من وقتها وكأن المنزل على وضع صامت. دارين منزوية في غرفتها يوصل بكاؤها الليل بالنهار وثناء تلعن الحاجة والوقت وتشفق على زياد لتبرر زيجة إبنتها برجل متزوج.. فمدللها مديون والدفع يقابله حبس والحل رباط مقدس يمنع بين العائلات عراك.

أما هَنا... فالغضب كان ينفجر من ملامحها كلما رأت زياد.. هي لم تعتاد الصمت، هي قاسية والحياة تستحق تلك القسوة.

تبيع أختك؟؟

قالتها في وقت غير مناسب، ألم يخبروهم أنه لا سلام على طعام وبالطبع لا كلام والأهم لا عراك..

كانت ثناء قد قضت وقتها في صنع الحمام المحشي، لا أحد له شهية سوى

زياد ولكن الإنشغال رحمة.

ضرب زياد ملعقته على الطاولة بغضب ليزعق محذرًا بنبرة لم يراها منه أحدٌ من قبل: لا تختبري غضبي هَنا!

وكان ردها هي جاهز كرصاصة لا تنوي رحمة: أنت لا تختبر غضبي!

وتوابع الرصاصة جرح.. قذائف ودماء: أنت تبيعها كسلعة لرجل متزوج كي تعوض فشلك.. في المرة القادمة من ستبيع زياد أنا أم أمك؟!

لم تبالي بانفجار الغضب بعيناه ولا بصرخته بها وهو يضرب بكلتا يديه على المائدة: هَنا.. هل جُننتي؟؟

اقتربت منه غير مبالية: هل تظن أنك ستخيفني بزعقتك تلك.. أنا لا أخافك زياد وادرين لا تخافك.. أنت الطرف الأضعف في تلك الحلقة صدقني..

رفع يديه غير مخططًا قبل أن يقبضها بقسوة وهو يتمتم: ابتعدي عن طريقي الآن..

كانت هي ثابتة مكانها لا تتحرك.. ترمقه بغضبٍ وبلوم وبحسرة وبكل تفصيلة مزعجة تراها في رجل مدلل، فجأة سمعا صوت شهقة ثناء التي تهاوت على أحد المقاعد لا تستطيع أن تتنفس ليقترب منها زياد على عُجالة يسندها بين ذراعيه ويهمس بقلق: أمي

ثم يصرخ بهَنا من جديد: هل ترين ماذا فعلتِ؟

أمسكت هَنا بيد ثناء لتشد عليها.. نقطة ضعفها هي تلك المرأة، ظلت ترمقها بعينين متحجرتين وثناء تهمس بضعفٍ: أنا لا أريد أن أفقد أحد أولادي هَنا.. لا أنتِ ولا دارين ولا زياد

اقتربت منها تهمس مطمئنة: لن تفقدي أحد

اغرورقت عينا ثناء بالدموع: زياد قد يُسجن.. هل دينه قوي لتلك الدرجة؟

ثم استدارت له متأملة: لنبيع المنزل بني.. أو لتعطيه الشركة كلها أو..

قاطعها هو بحدة: الأمر ليس بتلك السهولة.. وما الأمر الجلل أنا لا أقذف ابنتك لرجل سبعيني.. هل تعلمين كم امرأة تتمنى ثائر الرويدي زوجًا؟؟

أمسكت هَنا لسانها قبل أن تمطره بقذائف جديدة، ليس من أجله بل من أجل ثناء التي تحدثت بهمسٍ مشفق على صغيرتها: ولكنها لا تريده بني

استقام هو بغرورٍ رافعًا ذقنه: هي لا تدرك مصلحتها

وحينها انفجر لسان هَنا خارجًا عن السيطرة لتنطق باستهزاء: وأنت من تدرك!

لم يجبها.. رمقها بغيظ قبل أن يعاود النظر نحو أمه: تلك الزيجة لن تنقذ اسمي من السقوط فقط بل سيختلف بعدها حالنا جميعًا!

تنهدت ثناء يائسة وهي تفكر بحال ابنتها الساهرة ببكاءٍ منذ أيام، قلة حيلة ربما ورثتها عنها.. وعيون منتفخة من البكاء مع ذكرى رجل لم تمتلك الاقتراب منه لتجد نفسها قد ابتعدت للأبد.. أنهت كل مشاعرها برسالة واعتراف أفلاطوني بحبها الذي لن يكتمل، ربما هذا اليأس هو ما ولَّد بداخلها الشجاعة.. رسمت حروفها بارتجاف لتسطر اعتراف الحب والرحيل وحينما يقرأه أحمد تكون هي قد سطرت نهاية العشق بالموافقة...

أنا موافقة زياد..!

«إذا ما اتخذت قرار.. واجه العواقب.....»

أن تصل لمجموعة شركات ثائر الرويدي ليس بشيءٍ صعب، وهي دخلتها من قبل كي تنهي صفقة عمل صغيرة، بالطبع لم تكن مع كبير المكان.. ولكن الآن هي تتوجه لمكتبه مباشرة..

تطلب مقابلة جدية ودون موعد وتنتحل صفة ليست لها، هكذا أخبرت مديرة مكتبه بكل ثقة...

قولي له دارين.. دارين المهدي!

وبعد ربع ساعة انتظرتها بتوترٍ لا تستسيغه ولا تحب تجربته جاءت الموافقة لتجد نفسها بعد لحظات في غرفة مكتب ثائر الرويدي ونظرة ثابتة لم تحركها سوى حركة حاجبيه وهو يضمهما في دهشةٍ لترفع هي رأسها معرفة عن نفسها بثقة

هَنا.. هَنا المهدي

ظل على ثباته قليلًا قبل أن يحرك يده ببساطة داعيًا إياها للجلوس.. حينما جلست استقام هو واقفًا ليتحرك من خلف مكتبه حتى وصل بجانب مقعدها ليميل بعض الشيء هامسًا بالقرب من أذنيها: هل تعلمين كم عمر تلك الشركة آنسة هَنا؟؟

ظلت على ثباتها، كانت تعلم أنه يود اللعب بأعصابها لمعاقبتها على التسلل لمقابلته بتلك الطريقة.. حركت رأسها في نفي فتابع هو: ثلاثون عامًا.. أنشأها والدي على تلك الأرض كبناية متواضعة بدور واحد أصبحت هي الرسخ لهذا الصرح الذي تسللتي إليه الآن..

حاولت مقاطعته ولكنه ابتعد عنها ليعود لمقعده وهو يُكمل بنبرةٍ حازمة: ثلاثون عامًا لم يجرؤ أحدٍ على تسللٍ كهذا!

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة خشنة وهو يرفع سماعة الهاتف محادثًا مديرة مكتبه: ميادة.. أجلِي موعدي القادم نصف ساعة

رفعت حينها هي بصرها نحوه بجدية: الأمر لا يحتاج وقت سيد ثائر

قاطعها قبل أن تُكمل: أنا من أحدد الوقت!

ثم توقف برهة قبل أن يكمل ببطءٍ ساخر وهو ينطق اسمها: هَنا..

أغمضت عيناها تسترجع في ثوانٍ قرارها بالمجيء لهذا الرجل، أرادت أن تقطع كل سبيل لضعف دارين.. تخبره أن دارين ليست موافقة على تلك الزيجة.. أنها تُحب آخر.. تطعن رجولته إن شاءت أو حتى تتأمل في كرامته.

استفاقت من شرودها لتجده ينظر نحوها ساخرًا: أنا أنتظر

فقدت تركيزها بعض الشيء: ماذا؟؟

حرك قبضتيه بلامبالاة: ما تودين قوله..

زفرت تستجمع كلماتها، لترفع بصرها نحوه مُعرِّفة بنفسها بشكل أوضح: أنا هَنا.. ابنة عم دارين المهدي

ردَ مقاطعًا: أعرف

نظرت نحوه بدهشةٍ:

تعرف من أكون؟

ضحك مستهزءًا: هل تظنين أنني سأطلب الزواج من عائلة لا أعرف أفرادها؟؟

مغرور.. ما بال هذا الرجل منتفخ كطاووس في موسم التزواج؟؟

ضيقت عيناها بغيظٍ لتسخر هي منه بدورها: وهل تعلم أن دارين لا تريد الزواج منك؟؟

لا تنكر أنها كانت سريعة وبمنطقٍ آخر مستفزة وقد ينتهي الأمر بمعاندته، اعتدل هو بمقعده بعد أن تملك من ملامحه الغضب لوهلة قبل أن يتابع: لم تبدو لي رافضة في الحفل

وأجابته هي على الفور: أنت لم تعرض عليها الزواج في الحفل

ضم حاجبيه وقد جذبت انتباهه.. ملامحه أخبرتها أن تُكمل.. تفرغ ما في جعبتها وكان واضحًا ومباشرًا كما انتوت: سيد ثائر.. دارين فتاة صغيرة لن تجرؤ على رفض رجلٍ مثلك أمام زياد وأنت تعرف زياد خاصة أن سبب الرفض لا يقبل المجادلة

استند بذقنه على قبضتيه المتشابكتان، لا ينظر نحوها ولكنه ينصت باهتمام فتابعت: دارين تحب رجلًا آخر.. أنت لن تقبل أن تتزوج امرأة تريد غيرك!

توسعت عيناه بغضب، ولكنها لم تتوقف فقد بدأت الأمر ويجب أن تنهيه: أنت بيدك أن تنهي تلك المهزلة

فتح درج مكتبه ليبدو أنه انشغل بشيء ما على الهاتف ثم عاود الحديث دون أن ينظر نحوها: هي من أرسلتك؟؟

رفعت هَنا كتفيها وهي تجيبه: وما الفارق؟

لينظر هو نحوها بعينين قاسيتين: الفارق جلل.. صدقيني

شعرت أنها في ورطة.. بل دارين... أتخبره أن دارين أرسلتها فيقدر صراحتها أو ينتفض غضبًا لرفضها لشخصه أم تخبره أن دارين وافقت وهي من تطوعت من نفسها فينتوي بدارين العاشقة لغيره شرًا خاصة أنه ستكون في كنفه..؟؟؟

معادلة صعبة...

الصدق قد يُهلك والكذب بدوره ولا سبيل للنجاة!

همست أخيرًا: دارين أضعف من أن تتخذ قرار

ضم حاجبيه ليومأ برأسه في عملية: حسنًا.. فهمت

ثم سحب أوراق أمامه ليتحدث لها دون أن يرفع رأسه: انتهت المقابلة آنسة هَنا!

استقامت وقد تملكها الغضب: انتهت ماذا؟؟ أنا هنا لأسمع ردك لا.......

قاطعها بشراسة: أخبرتك أنا من يحدد الوقت وليس أنتِ!

الشراسة انتقلت لنظرتها هي وهي تستند بذراعيها فوق مكتبه: وأنت من يحدد الزواج بفتاة صغيرة لا تملك حيلة رفضك والأدهى أنها ستكون زوجة ثانية والأعظم أنها تمثل تعويضًا عن مال فقدته والـ.......

رفع بصره نحوها ليستقيم هو فجأةً مستندًا بذراعيه على المكتب مثلها ومقتربًا منها محذرًا: سأنصحك نصيحة قد يكون آوانها قد فات.. لا تثيري غضب رجل اسمه ثائر الرويدي.. أبدًا!

وحينها.. انتهت المقابلة

الفصل الخامس

تفاصيل الحب غريبة، تشبه اشتهاء طفلٍ للعبة ثمينة داخل محل ألعابه المفضل، الطفل يتشبث والأب يرفض.. يستبدلها بلعبةٍ أخرى أرخص ثمنًا، يعدد له مميزاتها ويمارس معه لعبة الإقناع والأمر بسيط لا يحتاج لمناورات أكثر، فتلك التي في متناول يده!

«أحبك»

كانت هي بداية الحروف في خطاب وردي مجعد، يبدو أنها كرمشته مئات المرات بُغية التخلص منه وفي النهاية أرسلته في لحظة جنون!

«أحبك قدر عدد أوراق المحاضرات التي لم أفقه منها شيئًا.. قدر تجاهلك لي يومًا بعد آخر.. ببساطة قدر معرفتي بالحب، أشعر بالغباء الشديد وأنا أكتب تلك الكلمات فهي لن تفيدني بشيءٍ سوى سخريتك، ولكن مع هذا أشعر بالفرحة...

أخيرًا استطعت أن أقولها لك ولا تعلم كيف هي سرعة ضربات قلبي في هذه اللحظة..

أحبك وربما يكون هذا قدري لأسطر النهاية قبل أن أبدأ.. أحبك وهذا كل ما أمتلك لأنني رغمًا عني سأكون لآخر، وسيكون قدري هو أنني لن أعرف أبدًا إذا ما كنت بعالمك علامة فارقة.»

«أحبك»

رفع الخطاب ببطءٍ أمام عينيه، ترك عويناته وظل يتأمله بقسوة.. هناك فتاة بريئة ترتجف لمجرد أنه يقرأ كلماتها الآن وهو لا يمتلك بقلبه سوى القسوة..

قسوة طفل أيقن الآن أنه حتى اللعبة التي كانت في متناول يده ضاعت.

❁

أحمد

كان في كافيتريا الجامعة يرتشف قدحًا من القهوة، انتهت نوبة غضبه.. مرت بشبه سلام!

مجرد خسائر بسيطة. ولوى شفتيه ساخرًا، فها هي ندى الحب الذي لا يملكه تأتي له بخبر جديد وربما محاولة فاشلة جديدة لإقناع والديها بقبوله.

الحفل كان كارثة.. أرادت أن تقدمه لأبيها فعامله بمنتهى الصلافة، ولِمَ لا؟!

هو نفسه أصابه انبهار مؤلم بما اختبره في تلك الساعات.. فثمن لعبته تلك المرة يفوق قدرات عائلته مجتمعة وليس أبيه فقط، هو المتواضع من أحد الأحياء المنسية يود ببساطة أن يتزوج إبنة القصور!!

تكفيه لعبة رخيصة.. تتدحرج بإرادتها نحوه ولكن حتى تلك فقدها أيضًا ولرجل غني.

هل تظن أن خطابها الواهي لمس مشاعره.. أنها حقًا جولييت وستبتاع من أجله سيف روميو!

هي اختارت المال وقد رآها تراقصه بأم عينيه.. على الأقل ندى ما زالت تحاول.

حبيبي ما بك؟!

سألته ندى بلهفةٍ، كانت ذات جمال عادي وربما مكرر.. بشرة خمرية معتدلة وشعر أسود قصير.. فم كبير مستعرض وعينان سوداوتان،، صوت رقيق بشكل كبير.. لا ينكر أن أول ما جذبه بشأنها كانت تلك الأوتار.

أي امرأة تمتلك صوت كهذا تستحق أن تكون فوق عرش... نظر نحوها بابتسامة: صوتك له سحر خاص.. هل هي تعويذة أم ماذا ندى؟؟

ابتسمت بخجل وعادت لتفحص بعض الأوراق بيدها، رفع حاجبه الأيسر مستغربًا: الآن مشغولة؟؟

لم تكن مشغولة.. كانت متوترة وللغاية، وهي حينما تتوتر تشرب الماء.. الكثير من الماء.

راقبها تتجرع الكوب دفعة واحدة وحينما أخفضته لمست منه تلك النظرة.. تلك القسوة التي تطل من خلف عويناته إذا ما غضب أو حدث مالا يُعجبه.

أرجعت خصلاتها إلى الوراء وبأنفاس سريعة قررت أن تفرغ ما في جعبتها وينتهي الأمر: أنا.. سأسافر

أجفلته.. ضيق عينيه يردد ويسأل: ماذا؟

تلفتت حولها وهي تمسك بمعصمها الأيسر كي تراقب الوقت، تتشبث في ساعة زمنية كي تهرب منه على موعد المحاضرة: لدي فرصة مميزة بإحدى الجامعات بإنجلترا، سأرحل أحمد.. سأرحل

ثم باتت نبرتها أكثر حِدة: ربما لن أتزوجك ولكن لن أتزوج غيرك أحمد.. سأرحل وينتهي الأمر

واستقامت فأمسك بيدها..

هل يتوسل؟؟

هل هو ضعيف..؟؟

تمتم باسمها فقط: ندى

ولكنها رفعت رأسها في قوة، طالما كانت هي أقوى منه فيما يخص المشاعر، عملية بشكل مخيف.. أحبته وأرادته زوج ولكن سقوطه من عالمها ليس نهاية العالم

لقد اتخذت قراري..

ضم حاجبيه في غضب: الهروب!

ونظرت نحوه هي في قوةٍ: نحو ندى.. أنا لن أظل هنا لأقع تحت ضغوطات زواج برجلٍ غيرك.. رجل لا أريده

اقترب منها وقد بات بملامحه حزم غريب: ما دمتِ بتلك القوة فلنتزوج الآن.. نضعهم أمام الأمر الواقع.

ولا تنكر أن عيناها قد ضعفت للحظة، ليس رغبة به ولكنه الغضب.. وغضب قوي أيضًا.. حتى أن حدتها كانت مؤلمة: أنا لن أفعل هذا بعائلتي أحمد..

واستدارت للرحيل، أمسك بذراعها دون وعي: وأنا؟!

وحينها أغمضت عيناها كي تتحاشى النظر نحوه.. حررت نفسها من قيده وهي تكرر التيمة المعتمدة لإنهاء علاقة: آسفة.. أتمنى لك حياة سعيدة!

وبات الوضع واقعيًا بدرجة قدير جدًا، واقعية تناسب حظه في الحياة.. فقد اللعبتان.. المتاحة والثمينة.

تنورة مزركشة بنقوشٍ داكنة.. قميص كريمي هاديء ووشاح أزرق، كانت مترددة لحد الهروب.. رغم احتياجها لتلك الوظيفة إلا أنها خائفة.. بل مرعوبة.

المكان يقع في وسط القاهرة تقريبًا.. مبنى إداري كبير تحتل الشركة فيه طابقين، شركة مقاولات واستثمار عقاري كما أفهمتها راضية.. ستعمل هي في قسم السكرتارية والأمر سهل فهي لن تقوم سوى باستقبال العملاء وكتابة بعض الخطابات المهمة ومراسلة الشركات بما يطلبه منها المدراء وفريق الإدارة الهندسية.

ابتعلت ريقها بتوتر وهي تجلس أمام رجل خمسيني يرتدي عوينات ثقيلة.. كان يتفحص أوراقها التي ربما تحوي لا شيء ولكن يبدو أن راضية رتبت الأمر. ابتسم بهدوء: مرحبًا بك مدام صدفة.

أومأت رأسها مرحبة في توتر فتابع الرجل بعمليةٍ بعدما عاد لأوراقه: الحقيقة أنتِ لا يوجد لديك خبرة على الإطلاق ولكن وعدتني راضية أنها في ظرف أسبوعان ستعلمك كل شيء..

ثم نظر نحو راضية بجديةٍ ليتابع: سنجعلهم عشرة أيام

شعرت بالخوف ونظرت نحو راضية وقد تبدل لون وجهها في قلقٍ ولكن راضية كانت منتبهة لمديرها الذي تابع على الفور: من حسن حظك صدفة أن لدينا مكان شاغر بالفعل والجهد عليكِ الآن لتملئيه بجدارة.

صرفهما الرجل بعد ذلك لتخرج صدفة من المكتب متوجهة بنظرها نحو راضية بألف سؤال وحينها راضية ابتسمت مطمئنة: لا تقلقي.. السيد عصام رجل طيب لولاه ما استطعت توفير الوظيفة لكِ حبيبتي أنا هنا لا شيء.

توترت ملامح صدفة أكثر: حقًا.. ولكن يبدو أن الأمر لا يروقه..

ابتسمت راضية بحنكة: هو يفعل هذا لتحفيزك.. كما أن المكان شاغر بالفعل منذ أسبوع ونحتاج لموظفة سريعًا وليس لدينا وقت لإعلانات ومقابلات طويلة.

ثم ربتت فوق كتفها متابعة: اعتبري نفسك أخيرًا محظوظة..

وحينها ابتسمت صدفة بسخريةٍ ولكن تلك الابتسامة تحولت لابتسامة حقيقية نهاية اليوم حينما عرفت رقم الراتب، لتتنهد بسعادة وهي توقن أنها الآن لا تحتاج لوائل في شيء ولا حتى حفنة أمواله المسمومة.

ومرت العشر أيام.. كانت صدفة تتعلم سريعًا حتى أن مديرها عاصم نفسه انبهر بأدائها ومثابرتها في العمل، لم يكن يعلم أن مثابرتها تلك تنفجر حد تمسكها بتلك الوظيفة وكأنه تَمَسُّك بالحياة.

مريم انتظمت في مدرستها حتى أنه استطاعت أن توفر لها مصاريف الباص المدرسي.. كل هذا ونقود وائل محفوظة على جانب لا تلمسه

ولن تلمسه!

ستثابر وتنجو دون أن تحتاجه!

متزوجة؟

سألتها زميلة ثرثارة.. تبحث عن أي حديث جانبي في أوقات الراحة وصدفة كانت دومًا تبتعد عن تلك التجمعات الخاصة بمقهى الشركة في ساعة الغداء، راضية لأنها امرأة كبيرة ويبدو أنها بشكل ما تعرف أصحاب الشركة يُسمح لها بالمغادرة مبكرًا.. في الثالثة ظهرًا تترك المكان أما صدفة فموعد رحيلها مثل أغلب الموظفين يكون في الخامسة..

قضمت قطعة من شريحة الغداء خاصتها وهي تجيب من تجاورها بنفي بسيط، مجرد نفي وبعدها رحلت حتى دون أن تُكمل شريحتها.. هي لا تود أنّ

تبدأ الحكاية، تقصها وتعيش آلامها من جديد.. تتحرك متعثرة وتبدو لناظريها من بعيد مجرد امرأة مهجورة تركها زوجها لأخرى، وكأن المثابرة ليست في العمل فقط..

المثابرة هي الحياة.

رآها تتحرك بعشوائية.. تخرج من غرفة استراحة الموظفين لتعود نحو مكتبها وحيدة، هو عادة لا يدخل الشركة سوى في الرابعة مساءًا وربما بعد ذلك.. يُبقي فقط معه سكرتيرته الخاصة وبضعة مهندسين لمراجعة المشاريع ويرحل دون أن يُتِم ساعتين على الأكثر..

عمل ممل.. ولكن الآن يحوي نكهة جديدة، مختلفة!

رفع نظره ليسأل الفتاة التي كانت تجاوره مع بعض الأوراق: من تلك؟

أجابته بتهكم غيرة امرأة من أخرى لفتت نظر مديرها الشاب: مجرد موظفة جديدة.

رفع أحد حاجبيه باستهجان: دون أن أعلم؟؟

لتجيب هي بابتسامةٍ متلاعبة تنوي الشر ليس أكثر: عيَّنها السيد عاصم.. أنت تعرف أنه يتصرف كثيرًا من نفسه.

ابتسم بمكرٍ يدرك مقصدها وعاد لتتبعها بعيناه ليحدث نفسه في النهاية: ربما هذا التصرفُ الأخير جيد.. جيد للغاية!

ثم بدَّل ملامحه بجدية: أرسلي لي ملفها حالًا.. أريد أن أدرسه بنفسي!

تبعته الموظفة لمكتبه وقد حصلت على الملف في غضون دقائق لتضعه أمامه والتهكم ما زال في نبرتها: وهل لديك الوقت باشمهندس حاتم؟؟

أسند رأسه بغرورٍ فوق مقعده وهو يصرف موظفته بإشارة يد، تظن الفتاة اللعوب أنها ستحاسبه.. سيصرفها وقتما يمل منها.

فرك جبهته العريضة بكفه وبدأ في تصفح ملف هذا الوجه البريء الذي جذبه فور ما رآه، الصورة تظلمها قليلًا كحال أغلب النساء.. اسمها غريب... صدفة!

ضم حاجبيه وهو يفكر......»قديم بعض الشيء»

وباقي الملف كان به كل معلومة عنها.. من الواضح أنها دون خبرة، سقطة لذيذة لعاصم.. خمسة وعشرون عامًا.. و...... «مطلقة»

ابتسم باهتمام وهو يعود للصورة من جديد، من يترك امرأة جميلة وهادئة مثلها؟؟

أخرج سيجارة رفيعة نفث دخانها ببطءٍ ثم ببساطة ضغط الجرس بكلمةٍ واحدة: أحضريها.

كانت سارحة أمام التلفاز.. تمسك كوبًا ساخنًا من الشاي بالحليب وتشاهد فيلمًا كلاسيكيًا دون ألوان وصورة ساذجة مكررة عن العشيق.

قليل الجسد الهارب من النافذة

الصرصور المرتجف أمام حذاء زوج

الخصلات الدهنية والسيجار والنبرة الناعمة ربما أكثر من المرأة نفسها!

تنهدت بضيق..

«من هذا الرجل يا نهى»

هل تحبه نهى؟

لم لا تترك زوجها إذًا؟؟

هو رجل يبدو وسيم وواثق، ولديه فيما يبدو عمل جيد وسيارة..

ضحكت من سذاجتها وتلك التفسيرات الوردية!

نهى لن تترك حقيبة المال خاصتها وهو لن يتزوج بخائنة.. ثنائي مكرر يحترف خطيئته ويعشقها.. يدللها ويطعمها ولا يدرك أنها ستكبر يومًا بعد يوم وستبتلعه.

تنهدت تبرر صمتها وخطأها وتهاونها وقررت أن تغمض عينيها وضميرها وتنام مع وعد مؤكد لحالها أنه لن يظهر مجددًا..

وبالفعل لم يظهر..

تدخل بحذر وتتوجه نحو الغرفة لتتأكد أنه ليس هناك، يزعجها خيالها بذعر وصراخ وتطمئن لأنه ربما لا يحتاج لأن يجبر امرأة!

وتعود لعملها وفطائرها وتستغني عن الموسيقى وعن حرية ملبسها وتشعر أن ظله سيحوم أم ربما هي لم تعد حرة.

بصباحٍ ما كانت لديها طلبية.. امرأة عجوز ترتب لاحتفال، المنزل كان على أطراف المدِينة بحي هادئ.. فيلا راقية لكن قديمة بعض الشيء. طلبت من سيارة الأجرة أن تنتظِرها ودخلت بيدها خمس لفافات ليستقبلها حارس عجوز ويقودها لغرفة صيفية بتصميم مبهج.. أرائك مرتفعة بألوان زاهية وتسقيفة خشبية تمنح طلة من ضوء الشمس، نباتات متنوعة على الأركان وطاولة صغيرة منخفضة تتيح للضيوف جلسة أرضية ممتعة.. كانت لتوها تنخفض ببطء لتضع اللفافات فوق الطاولة حتى سمعت صوتًا مألوفًا: اممم لم أتصور لقاءًا أمتع!

استدارت بذعر.. كان هو بنفس هيئته الداكنة إلا من زرقة تناقض.

يرتدي قميص رمادي واسع وسروال أسود أنيق ويبتسم بثقة.

استدارت حولها في ضيق ودون تردد تركت اللفافات لتتجاوزه وهي تتمتم بغضبٍ: أنت!!

أمسك معصمها فمنعها من المرور.. رمقته بتحذير ولكنه كان أكثر حدة فزعق بعينيه قبل لسانه: انتظري

وعندها لمحت ظل امرأة عجوز يقترب.. كانت سبعينة بجسد سمين للغاية ووجه بشوش.. قصيرة لا تتعدى صدره وترتدي نظارة طبية سميكة وتستند فوق عكاز. ابتلعت ريقها لتبتسم بحرصٍ للمرأة التي مع دلوفها حل معصمها واستدار برقة حانية: مرحبًا أمي.. لقد وصلت السيدة نادية ومعها الطعام.

رحبت بها السيدة بحرارة وبدأت تثرثر بعفوية أُم عن رقمها الذي حصل عليه ابنها من أحد زملاءه وبذلك أنقذها من عزيمةٍ كانت ستضطرها لشراء وجبات طعام مقلدة دون نكهة.. عن طعامها الذي شكّر فيه سليم بعد أن تذوقه بحفل عيد ميلاد وهي تثق برأيه. ابتسمت نادية برقة وشكرت السيدة وودت أن تستأذن مسرعة ولكن إلحاح السيدة كان أقوى بل أنها طلبت من سليم أن يعد القهوة.

كانت ترتشفها ببطءٍ وترسم خيالات غير مريحة عن نواياه وعن مخدر ما وكارثة تدمر عالمها، بتوتر أوقعت الفنجان فوق ملابسها فأومأت السيدة بتفهم ورددت: دلق القهوة خير يا إبنتي.. تعالي لتنظفي ملابسك

ودت أن تعتذر ولكنه جلس جانبها ليهمس بنبرةٍ آمرة: لا تخافي.. أنا لست بمختطف نساء.

كانت الفيلا من الداخل تبدو حميمية للغاية، صور متعددة لفتاة عرفت أنها أخت سليم وضابط برتبة بحرية كان جليًا أنه أبيه الراحل وهو بصور عدة من الطفولة إلى المراهقة.

تنهدت الحاجة سعاد وكان هذا اسمها: ليته يريح قلبي ويتزوج.

ابتسمت لها نادية بحرصٍ فأكملت هي بسؤال: ألديك عروس لإبني نادية..؟؟ إنه يرفض جميع الفتيات!

ردت باقتضاب: آسفة لا أعرف أحد

قادتها سعاد لدورة المياه وظلت تفرك تنورتها تنظف وتفكر.. هذا الرجل وهذا البيت وتلك الأم.. مكانًا يبدو مثاليًا للغاية.

مفزعة خبايا البشر!

❁

وفي المساء كان هو شاردًا.. ينفث في الهواء دخان سيجارٍ رفيع ونهى تعاتبه

بل تتذمر بضيق: ما بك.. أنت لست على ما يرام؟؟

أسوء ما تقوله امرأة لرجل بعد علاقة حميمة.. وأذكى أيضًا...

جذبها وأعاد الكرة..

غادرت هي قبله وكالمعتاد المفروض أن يرحل هو بعدها بساعتين ولكنه الليلة لم ينوي الرحيل.. مرت أربعة أيام منذ زيارة نادية، بل منذ هروبها وتلعثمها وسكبها لقهوته، ابتسم وهو يتذكر حماقتها بتلك التنورة الواسعة ببقعة القهوة وأنهى حمام دافئ وتوجه للمطبخ ليجد شيئًا يؤكل وكان هناك الكثير.. فهو بمعبد طاهية.

كان يمسك بيده شطيرة ويفتح أبوابًا تلو أخرى.. أطباقها منظمة وترص الأكواب بشكل دقيق.. تحتفظ بروائح ملهمة من التوابل ويتصورها الآن بقميص وردي فاتح تعد مشروب ساخن وتطمئن على دفء أبناءها بالفراش.

ومعها رجل يتجاهلها.. نهى مفيدة... نهى تثرثر

سحب من سيجارته نفسًا طويلًا.. يمسك هاتفه بتعداد عشيقات ونسب جمال مهلكة

ولمَ تلك!

ربما لأنها امرأة عادية

ربما لأنها تمثل دفء زوجة.. أم ربما لأنها تحدي لم يقابله من قبل؟؟

إرتشف باقي مشروبه متخذًا قراره واختار نومًا متقطعًا في انتظارها...

حان الوقت.. فثائر العظيم قرر موعد الزيارة..

هكذا كان عقلها يردد في تهكم، دارين تجلس منذ الصباح أمام النافذة.. تراقب بضعة أطفال في الحي يلعبون الكرة وزياد منفعل لدرجة الإبتهاج الهستيري!

طلب الغداء من مطعم مشهور والحلوى من أغلى محلات المدينة وشدد على الجميع أن يكونوا حاضرين في استقبال الرويدي..

الليلة سيطلب دارين رسميًااقتربت منها هَنا بصوتٍ مبحوح: آسفة

ابتسمت بوجع وعادت لمراقبة الأطفال، ربما لأن هذا الشيء الوحيد الذي تجيد فعله... تراقب..

تراقب زياد وهو يخطط لزيجتها على هواه، تراقب سكون أمها أمام كل قرار هو يتخذه وتراقب محاولة هَنا اليائسة لإقناع الرجل الآخر أن يتخلى هو..

محاولة لا تعلم إن كانت ستنقلب عليها وقتما تكون معه تحت سقف واحد.

تمتمت هَنا بغيظ: حقير..

بل هي تراه أحقر من على وجه الأرض، قرر أن يقتنص الطير الضعيف لنفسه، ينتقم لغروره كذكر ويظن أن عضلاته تعطيه حق الأسبقية في جدول

التطور!

خرج صوت دارين أخيرًا بعد مجاهدة: على الأقل أنتِ حاولت.

نظرت لها هَنا في شفقةٍ فتابعت: أنتِ الوحيدة التي حاولت مساعدتي هَنا.. أمي تخاف على زياد وزياد لا يفكر سوى بنفسه وأحمد..

تحشرج صوتها حين نطقت اسمه، ماذا كانت تظن؟!

أن يأخذ قرارًا عنتريًا بطلب يدها أو حتى خطفها من تلك المأساة؟؟

عشقها بات يتحول لأحلام رومانسية حمقاء..

أمسكت هَنا بكتفها باهتمام: أحمد ماذا؟

استدارت لها دارين وقد بدت العَبرات بعينيها واضحة: لا يهم.. فقد انتهى الأمر قبل أن يبدأ!

ثم تركتها كي ترتدي ملابسها.. كي تجيد دور العروس كما يبتغي الرجال وليس أكثر.

والعريس المنتظر.. وصل!

هكذا نطقها زياد باغتباطٍ مستفز

لقد وصل ثائر الرويدي

وترحيبات متابادلة بين الأم وابنها والقادم للخطبة، كان يرتدي حلة رمادية داكنة، ذقنه مشذبة بعناية ويجلس بغرور واضعًا ساق فوق أخرى.

طلب زياد تجهيز المائدة ولكنه رفض بإشارة يد طالبًا بعض القهوة في البداية، وبالطبع ستعدها دارين!

كانت تقف على جانب غرفة الإستقبال تراقبه في استهجان.. لقد طلبتها منه، بل أخبرته بوضوح أنها تحب رجلًا غيره.. وها هو يجلس في تحدي لينالها.

وضعت دارين القهوة في اضطراب.. كانت ترتدي ثوبًا هادئًا بنقوش زهرية.. لم تضع من المستحضرات سوى حمرة شفاه لامعة وظلال أعين كثيرة كي تخفي تورمها من البكاء.

بشكل نهائي هي جميلة.. فاتنة بما لا يقبل الجدال مع أي رجل.

هادئة باستكانة تبيح له تطويعها كيفما يشاء!

ارتشف القليل من القهوة وهو يلمح الأخرى بطرف عينه تقف على جانب الغرفة ولو بيدها سكين لقتلته، الغضب ينفجر من عيناها رغم أنها تخفيها خلف عوينات قوية بإطار أسود وجاد للغاية.. ترتدي بلوزة قطنية باهتة فوق سروال من خامة الجينز.

تبدو مختلفة وسط تأنقهم جميعًا وزياد يزجرها بنظراته من حين لآخر، وكأنها ستهتم!

هو لم ينظر نحوها أبدًا.. تجاهلها تمامًا وعن عمد. كان يرتشف قهوته ببطءٍ حين بدا الجميع في انتظاره.. مقدمات وتعريفات والأهم لم يُسرد بعد.

ارتشف آخر ما تبقى من قهوته مع تنهيدة قوية وازت لمعة خاطفة مرت بعيناه.. دارين تخفض وجهها أرضًا وزياد ينتظر طلبه بابتسامة واثقة..

ابتسامة تلاشت تدريجيًا مع صوت خشن قرر أخيرًا أن يهديهم ما انتظروا، ولكن ليس بذات التفاصيل.

مجرد تعديل صغير.. جملة واحدة، بل كلمة بدلت الموقف

أودُّ أن أطلب يد الآنسة.. هَنا!

وحينها فقط رفع عينيه نحوها..

الفصل السادس

اذا ما أردت تملُّك امرأة..عليك أن تتعلم كيف تجتاحها بنظرة...!

ربما هو ليس برجل متعدد العلاقات، ولم تكن المرأة بالنسبة إليه هدفًا بقدر ما يعتبرها وسيلة، ولكن تلك..

تحمل اختلاف!

اختلاف يجتاحه هو شخصيًا..

ببساطةٍ ألقى قنبلته وغادر، لم يخفى عليه شحوب وجه زياد وتوقف الكلمات على لسان أمه وهروب أنفاس العروس.

ولكن الأهم.. هي..

لم يحد عيناه عنها، حتى وهو يودع الآخر باعتذارٍ ماكر عن وليمة الغداء..

كان ينظر نحوها.. متسمرة مكانها وعيناها تنظر نحوه بجحوظٍ، ربما لا يستطيع أن يتكهن منهما بشيءٍ سوى الصدمة.. لكن خلفهم يعلم أن الغضب شيطان.. وربما شيطانة!

عيون واسعة بإنحناءٍ شرس مثير، خصلات بعثرتها فوضى وشفتين تتحديانه من قبل أن تولد وتلك وحدها لذة.

خطواته بطيئةٍ ومقصودة، يغادر بتبخترِ رجلٍ واثق ويتوقف جانبها مباشرة لا يبالي بالإنفجارت المكتومة خلفه!

الإنفجار أمامه يستحق المشاهدة!

الرجفة.. الرعشة

اختلاج أنثوي تقوده الفطرة، غريزة الدفاع ضد اقتراب رجل!

وهو يهمس مع انحراف بسيط عن وجهته، لتقترب شفتيه من أذنيها وهمس أقوى تلك المرة يحمل نكهة صوته: في انتظار ردّ الزيارة!

ورحل..

خطواته ابتعدت حتى أغلق زياد الباب وحينها شعرت بمتنفس حرية، بل متنفس أفكار

يعاندها.. يطلبها

يعاقبها!

بدأ الغضب في الفورانٍ.. ولكن متأخر، فهي أشبه بضفدع التجارب الذي وضعوه بماء بارد غير مدركًا غليانه.

تحضر نفسها لعراك لتصطدم بعراك آخر أقوى ويريدها هي شخصيًا.

آسفة هَنا.. لو لم تذهبي إليه لأجلي لما حدث كل هذا.

همسة مترددة خرجت من أكبر حمقاء على وجه الأرض، ولا تعلم أن هناك بركان خامد ثورته ستكون ملعونة.

هَنا وثائر

عبث يختبره منذ أكثر من عشر دقائق، ببساطة الرجل أتى ليطلب من ستكون زوجته!

لا يعلم كيف قاده حتى الباب وعقله يكاد يفور من الغليان، ضربات قلبه متسارعة وأنفاسه توقفت فجأة مع جملة أخته الصغرى...

ذهبت إليه؟؟

برقت عيناه لينتفض فجأة متخذًا مكانًا كان يتخذه الآخر.. الأول همس والثاني صرخ.

صراخ وازى التفاف قبضته حول ذراعها ليسحبها نحوه في جنون أربكها، انتفضت ترفع وجهها في محاولةٍ لتتملص منه ولكن هيهات.

دفعة أخرى بها نحو الحائط أسقطت عويناتها ليدهسها هو في لحظةٍ تالية وهو يقترب بتوعد مجنون: ذهبتِ إليه؟.. متى؟؟

استفاقت أخيرًا.. من سلسلة الصدمات، حركت ذراعها في مجاهدة وهي تزجره بصوتٍ مبحوح: ابتعد عني زياد.. اتركني

لم يبالي، وكأنه لا يستمع إليها.. ذراعها يؤلمها من قبضته. وكأن النيران تشبثت به.. نيران استعرت في عيناه وقلبه بنفس الوقت.

بل نفس الجملة.. الكلمة...

يريد هَنا!

انفجر مجددًا والصرخة تجذبها نحوه قبل قوانين الشد والعشق..

اصطدمت بصدره.. خصلاتها تبعثرت فوق وجهه وأنفاسها باتت قريبة من شفتيه.. وتحاول أن تبتعد مجددًا ولن تبكي.. أبدًا لن تبكي

بل ستجيبه.. وستحاسبه أيضًا: أنت السبب.. أنت من أجبرتني عندما تخليت عن دارين.. أنت..

لم تُكمل، والمقاطعة في حالتها ليست كلماته.. بل ملامحه التي باتت أخرى

زياد آخر.. رجل لم تعرفه من قبل، رجل يغار!

رفع يديها الأخرى فجأة.. ألصقها في الحائط، بل صدم جسدها به، لتتوقف أنفاسها من هول الصدمة وعيناه تكفلت بالباقي.

قالت كل شيء..

والهمس يُكمل وهمس عن همس فارق كبير: لن تكوني له!

صرخت ثناء، ولدها يقيد ابنة عمه والوضع ألجم لسان الجميع...

زياد.. هل جننت؟؟

استدار نحو أمه لتفاجيء بكم اللهيب المتقد بزُرقة عيناه.. ترك ذراعي هَنا ليرتخي جسدها رغمًا عنها وحينها توجهت نحوها دارين مسرعة.. أسندتها وبكت بألف اعتذار..

وهو رحل.. رحل بعد أن أسقط زجاج الباب خلفه وأسقط أشياء أخرى غير قابلة للإصلاح...

خرج المارد وانتهى الأمر.

وهي.. لم تنطق من حينها

الأنوثة شيء رائع.. الأنوثة شيء مقيت!

أعدت لها دارين مشروب دافيء، وأصرت ثناء عليها أن تأكل شيئًا ولكن دون فائدة..

أغلقت باب غرفتها لترمق ملامحها في المرآة

ذراعها أزرق وعلامات أصابعه محفورة فوقه،

جنون وقلة حيلة....

هذا بالضبط ما تم.. جنون وقلة حيلة، حتى الدفاع لم تتقنه ثلاث نساء وإن ضربها حتى كان الأمر سيمر.

تهدجت أنفاسها، ورغمًا عنها حلّ البكاء.. هل هو الضعف..؟؟

أم هي الوحدة؟؟

أم رقة جسدها التي تمنعها وقت الجدِ من رفاهية الدفاع.. أم لأنه ببساطة يريدها؟؟

يريدها بكل تفصيلة لم تتصور أنها قد تمر بخياله وأنها عاجلًا أو آجلًا بصدد أن تواجهها.

❀

صدفة.. المدير يريدك!

صوت رفيع ونبرة باردة، أغلقت الهاتف لتتنفس ببطءٍ وتنظر نحو الباب بتردد.. لم تخبرها راضية بالكثير عن مدير الشركة. فقط مهندس شاب ولولا حكمة الأستاذ عاصم لخسرت الشركة الكثير.

شيء ما أخبرها أن تمر على مكتب عاصم في البداية، رجل هاديء الملامح.. أنيق لا يستغني أبدًا عن حلته الكاملة،ربطة عنق بألوان قاتمة.. شارب رمادي مشذب وعوينات راقية الصنع.. تنحنحت صدفة قبل أن تطرق الباب فابتسم لها عاصم مشجعًا: أهلًا صدفة.. تفضلي

تقدمت بخطوات مترددة ثم قالت على الفور وهي تجلس على المقعد المقابل لمكتبه: أستاذ عاصم لقد أرسل المدير في طلبي ولا أعرف السبب.

هل يهيأ لها أنه عبس قليلًا، لا ليست تهيؤات.. عبس بالفعل وضاقت ملامحه قبل أن يترك ما في يديه ويسألها في اهتمام: المهندس حاتم؟

أومأت هي رأسها بإيجابٍ حائر، لماذا هكذا يقرر أن يطلبها فجأة، زفر هو بشرود للحظة قبل أن يجيبها بطمئنةٍ: حسنًا صدفة اذهبي إليه

توترت حدقتيها قليلًا قبل أن تسأله: حضرتك لا تعلم السبب.. هل هناك شيئًا بأوراقي غير مضبوط أو..

لاحت على الفور فوق وجهه ابتسامة بدَّلت توترها، المسكينة تخاف أن تفقد وظيفتها التي على ما يبدو تتشبث بها قدر الحياة أمَّا هو فيخاف شيئًا آخر!

عبث حاتم الذي يدق من حين لآخر جدران تلك الشركة حتى أصبح كل العاملين بجواره من عينةْ سكرتيرته الخاصة أو الرجال. حرك رأسه ليشجعها رغم مخاوفه: لا تخافي.. أوراقك كلها سليمة وقرار التعيين من اختصاصي أنا.

نعم.. طمأنها قليلًا ولم تكن تعلم أن تلك الطمأنينة ستتلاشى مع أول مقابلة.

كان مكتبه هو في الطابق العلوي.. مساحة كبيرة من المكان تحتلها غرفة سكرتيرته ثم مكتبه، طرقت الباب ببطءٍ لترمقها الفتاة الجالسة خلف المكتب بابتسامة غير مفهومة ثم رفعت سماعة الهاتف على الفور دون أن تسألها عن شيء: مدام صدفة وصلت باشمهندس حاتم.

أغلق هو الهاتف لتمر فوق شفتيه ابتسامة أخرى.. ساخرة..

فيبدو أن سكرتيرته الفضولية اختلست نظرة على الملف بدورها،

أدخليها بعد عشر دقائق!

نعم عشر دقائق كافية للعب بأعصابها قليلًا.. فهي الآن تفكر لما طلبها المدير فجأة وستراجع في عقلها كل هفوة بشأن العمل سواء ارتكبتها أم لا!

وكأنه استدعاها للعمل من الأساس!

استقام ليخلع سترة بذلته واكتفى بقميصه الكلاسيكي الثمين فوق سروال أسود قاسي بعض الشيء.. ارتشف بعضًا من عصير البرتقال ثم ضرب الجرس كي تدخل أخيرًا.

عشر دقائق هي جالسة تحت تفحص الفتاة بالخارج.. تحللها من رأسها حتى أخمص قدميها، تنفست الصعداء أخيرًا لأنها ستدخل فتلك الفتاة بالخارج شمطاء بشكل مخيف حتى أنها نظرت خلفها أكثر من مرة وهي تتوجه للمكتب كي تتأكد أنها توقفت عن مراقبتها وحينما استدارت وجدته...

شاب وسيم ربما لم يتعدى الثالثة والثلاثون من عمره، فك مستعرض قليلًا وذقن حليق وشفتين رفيعتين ووجه أبيض حد الشحوب.

ابتسم لها دون كلمات وأشار لها بيده أن تجلس، كان توترها بيِّن حتى أن يديها تعرقت من كثرة ما فركت أصابعها سويًا..

ادعى تفحص بعض الأوراق أمامه ولكنه كان في ذلك الحين يراقبها، تبدو من قريب أجمل كثيرًا.. بشرة بيضاء خالية من العيوب، شفتين ورديتين وووجنتين لهما رقة..غمازتان تظهران حتى دون ابتسامة.. خصلات عسلية تتسلل من خلف وشاحها وعيناها متوترة بشكل مثير.

توتر المرأة للذكر قوة!

عصير

قالها فجأة حتى أنها رفعت بصرها في دهشةٍ لتجده استقام ببساطة ليتوجه نحو المبرد ويحضر لها زجاجة من عصير التفاح، ناولها العصير ببطءٍ وهو يرمقها عن قرب أكثر تلك المرة: يناسبك التفاح؟؟

أخذت الزجاجة وعادت تنظر للأرض متحاشية تلميحه الذي لم تفهمه، عاد لمقعده وقد رسم الجدية فوق ملامحه من جديد: أنت موظفة جديدة.. عاصم لم يخبرني بالتعيينات.

رفعت كتفيها بحيرة، ماذا عساها أن تجيبه.. تابع هو يكتم ابتسامته: عامةً جيد.. أنا أحتاج لأحدهم في الفترة القادمة فيما يخص مراسلات المشروع الجديد.

يحتاج.. لأحدهم.. هل ستعمل معه!

لا تعلم ماذا أصابها لتنتفض فجأة بشجاعة غرضها الهروب: ولكن.. باشمهندس حاتم.. أنا ما زلت في بداية تدريبي ولا أفقه الكثير عن المراسلات و..

أيقنت أنه يتأملها.. بل تفحص يتخطى ما مرت به مع سكرتيرته بمراحل، أخفضت بصرها وداخلها توتر ملحوظ لم يفوته هو..

تحدث بنبرة خفيضة وبطيئة: أخيرًا ظهر صوتك.. ظننت أن القطة قد التهمت لسانك!

عادت للصمت مجددًا وقد عبست ملامحها، مزاحه.. نظرته.. نبرة صوته كلها أشياء تدعوها ببساطة للهرب.

شبك أصابعه سويًا ليضعهما تحت ذقنه تمامًا ثم تابع وهو ينظر لتوترها وكأنها طفلة.. طفلة عسلية الملامح بجسد امرأة كامل النضوج!

ابتسامة شيطانية كانت نهاية المقابلة وبأمر غير قابل للمفاوضة: نبدأ غدًا!

كانت تتفحص وجهها بالمرآة وهي تتذكر صراخ جنا المتكرر قبل أن تركب الباص مع أصدقاءها الأشرار..

ضحكت وخفتت ابتسامتها على الفور.. الخط الذي يكرهه زوجها، لم تتم الأربعين ويتهمها بتجاعيد!

مؤخرًا تفكر بأشياء عجيبة.. فتورها يزداد، وقرأت عدة مقالات عن سن اليأس وضحكت نهى ونعتتها بالحمقاء وأعطتها أفكارًا فاحشة لتجديد الحياة واحمَّر وجهها وأيقنت أنها بعد خمسة عشر سنة زواج لا تفقه شيء.

سألتها مرة لماذا لا تجددين أنتِ حياتك وضحكت نهى بعمقٍ غريب: لا فائدة..

هي لم تخبر نهى عن سليم.. وتشعر بقشعريرة مزعجة كلما تذكرته، كلما لمحت نظراته نحوها ونبرة كلماته.مزيج غريب تغضب منه وترغب به!

أسقطت مفتاحها أربع مرات قبل أن تفتح الشقة أخيرًا ويعالم موازي انتبه دومًا للإشارات!!

وكانت متأخرة.. هرعت مسرعة تخلع وشاحها وبلوزتها لتترك نفسها بقميص داخلي خفيف مع تنورتها وترتدي مسرعة مئزرًا للمطبخ وتبدأ العمل.. لديها طلبية متأخرة ومعجنات المقهى،ستعد بيتزا ومعجنات وكيك الفانيلا وبعض البسكويت بالزبد..

عمل ثلاث ساعات متواصلة..

تغدو وتجيء منذ ساعة وتعرقت وغضبت... لن أتأخر مرة أخرى.. كانت تخرج صينية ساخنة من الفرن دون أن تشعر بخطواته.. دون أن تدرك أن هناك رجل نصف عاري خلفها تمامًا يتأملها..

وفزعت بصوته وجملة كررها مثل أول مرة: شهية

استدارت بجزع حتى أنها أسقطت الصينية بمحتواها الساخن أمام قدميه، أمام زرقة مخيفة تحتل بشرة داكنة واقتراب..

تراجعت!

حدقتيها متسعتان ترمشان وصوتها خائن فهرب الصراخ وتصميمه مخيف ومفسَّر!!

ومئزرها يهتز صعودًا وهبوطًا مع أنفاسها.. لا تعلم أنها تستفزه أكثر..دهس الكعك

وجذب المئزر فظهر عري من قميص فاضح.. وقيد معصميها وأخرس الشفتين بقبلة محترف ليبدأ الإنتهاك....!

أي بلاء هذا الذي تختبره، سريعًا خلصها من أشياء كثيرة وكانت تستشعر جسدًا غريبًا فوق صدرها.. ولا تعلم أين تلك المقاومة التي تتلبس النساء..

كانت خاوية القوى مقيدة رغمًا عنها ولا تستطيع التنفس.. وهو جائع.. ويهمس وينفذ ويعاقب وبمنطقه يكافيء!!

وأخيرًا صرخت..

ربما صراخها ضعيف متخاذل ولكن كان هناك الكثير من البكاء... بل التوسل..

كانت تتوسل له أن يتركها.. أن ينقذها من هذا الحد الذي لا يجوز بعده تراجع..

أن يرحمها!

ابتعد وعبراتها فوق كتفه..ملس على خصلاتها التي فقدت لونها وسط البعثرة وخفَّت قسوة عيناه وجذب قميصها ليدفئها به ثم خرج صوته ثقيلًا: لا تخافي.. لم يحدث شيء!!

لا تعرف ماذا أصابها.. غاب الصراخ.. واللوم.. والقوة والمثابرة وضربة اليد إن لزم الأمر...

ابتعدت عنه.. انكمشت فوق عريها وغابت عيناها تحت دموع حتى راقبت رحيله.

وأربع ساعات مرَّت وهي متقوقعة مكانها تردد جملته...

لم يحدث شيء!

يستبيحها ثم يخبرها أنه لم يحدث شيء.. بكت وضربت وجهها تلوم وتعاقب وتتوعد وتدرك أنها هي المذنبة...

هي من رأت حميمية محرمَّة وتجاوزتها مباركة فكادت أن تختبر مثلها..!

كانت الساعة قد قاربت على الثانية فجرًا.. خرج هو ولا تبدو له عودة وثناء تبكي حظ ابنها!

ملست بأناملها فوق جبهتها التي كادت تنفجر من الصداع، كانت قد بدلت ملابسها بفستان قطني طويل وأخذت حمامًا دافئًا وتوجهت نحو المطبخ كي تعد مشروبًا ليساعدها على النوم.. الآن الأمور تبدو بعقلها أكثر وضوحًا...

ثائر الرويدي بالفعل يستحق زيارة، ولكن زيارة مبتغاها كسر أنفه..

المرأة الضعيفة التي فاجآها بوقاحته اليوم لن يراها مجددًا.. ستكون هَنا كما يجب أن تكون.

أما زياد.. وتنهدت وكأنه الجزء الأصعب، توقعاتها تخبرها أنه سيغيب ليومان أو ثلاثة.. ويعود لطبيعته مع انسحاب عرض ثائر وحينها تكون قد أجلت تلك المواجهة حتى تنهي خطة استقلالها من الجميع، تستأجر شقة وتبتعد والإقناع لا مجال له بعد تلك المواجهات..

زفرت وشعرت أنها خيالية!

تُجبر ثائر على التخلي عن فكرة الزواج منها وتُجبر زياد على ذات الأمر وتحمي دارين.

ضمت حاجبيها ثم نفضت رأسها مع الأفكار، ولكن الأفكار تلتصق بها.. تتأملها وتعانقها ولا تنوي خيرًا!

شعرت بكف حار يحيط خصرها.. استدارت لتصطدم بأنفاسه، والتفسير واضح

همسَ واقترب أكثر: هَنا

دفعته وقد شحب وجهها: هل جننت..

كانت خصلاتها مبتلة ومع استدارتها التصق بعضها بجبهتها.. أزاح البعض بإبهامه وهو يتأملها بهوس: لقد تأخرت.. كان يجب أن تكوني زوجتي بالفعل ومنذ وقت!

الآن الأمر واضح.. وضوح الشمس والتملك والإعتراف، أغمضت عيناها وأزاحته: نتحدث لاحقًا زياد.

وحينها ارتفع صوته، أعاد يدها للوراء يمنعها من المرور..

الآن.. كل حديث بيننا سيكون الآن!

والإقتراب تلك المرة أسوء.. سيقبلها وبالفعل يحاول..

يمسك كتفيها ورائحة التبغ المحشو تنفجر منه.. لم تشعر بنفسها سوى وهي تنزل بكفها على وجهه.. تدفعه وتصرخ غير مبالية: ابتعد عني زياد.. الآن!

وكان صراخًا ضعيفًا حد الصدمة.. لم يستفيق عليه أحد سواه، وإن كانت نصف استفاقة

يتنفس ببطءٍ ويرمقها متحجرًا بمكانه.. لا يتزحزح ولن تمر..

موضع قبضته فوق ذراعها آلمها.. زرقة توازي غضبه وحمرة توازي جنونه، ابتسامة قاسية...

ابتسامة سيئة ومتملكة ومفرطة الرغبة إن لزم الأمر...

الخطوة تلك المرة احتجزتها، يداه تستند على الطاولة خلفها وهمسه لعيناها قبل أذنيها: دارين ستتزوج من ثائر الرويدي.. وأنتِ لي..!

الفصل السابع

إن أكثر القرارات جنونًا، هي تلك التي نتخذها فجأة..!

حب..فلوعة..فخطاب..فوداع، بأي عقل كانت تفكر..؟؟

«وهل يوجد في الحب عقل»!!

كانت قد التزمت المنزل لمدة أسبوع كامل بعد عاصفة ثائر الرويدي، ترمق حالها بالمرآة كل صباح.. تضحك وتبكي وتجزم بعدم قدرتها على مواجهته.

أرسلت له خطاب حب وردي!

أخبرته أنها عاشقة وراحلة وقريبًا متزوجة

وها هي مضطرة الآن لمواجهته، ليتها مثل هَنا التي غادرت المنزل ثان صباح متوجهة لعملها وكأن شيئًا لم يكن رغم أن الكثير حدث ويحدث.. زياد أصبح أكثر جنونًا بكل ما يخصها، يعترض طريقها بطلوع الشمس والغروب ولا يُنزل بصره عنها كلما جمعهما مكان حتى أنها أصبحت تتناول طعامها بالخارج بسببه.. والعاصفة تجددت ليلة أمس عندما أرسل لها ثائر الرويدي باقة ورد بمناسبة يوم ميلادها..

حينها انفجر زياد مجددًا بهم جميعًا وتناثرت أوراق الورود على الأرض تحت قدمي هَنا التي رمقته بنظرة غامضة قبل أن تأخذ بطاقة الإهداء من بين الحطام وتنزوي في غرفتها!

منزل درامي بدرجة قدير جدًا..

وهي بصدد المواجهة الأكثر دراما....!

كانت تقف خارج باب المحاضرة في تردد دام لأكثر من نصف ساعة، كيف ستدخل وتواجهه هكذا ببساطة..؟

كيف سينظر لها..؟؟

هل سيبتسم ساخرًا من مشاعرها..أم يطردها؟؟؟

أم يهديها تلك النظرة التي تقلب عالمها في لحظة لتجد نفسها متأرجحة فوق وسائد من الرياح المضطربة، لا هو بعشق ولا هو برفض..

بل أسوأ منطقة في المشاعر... المنطقة الوسطى!

يُقال أنه قبل أي مواجهة غير مضمونة عُدّ حتى العشرة..

واحد.. اثنان.. مائة، ولم تدخل بعد..

وخلفها تمامًا كان يقف هو.. يراقب قدميها وهما تتحركان بتوتر وكلما مدَّت يدها للباب تراجعت من جديد.. يبدو أنها لم تحضر للجامعة في الأسبوع الفائت وتظن أنه بالداخل.

ابتسامة ساخرة مرت على طرف شفتيه.. ساخرة ومشوهة... فهو نفسه اعتزل الجميع في الأسبوع السابق وحينما أخذ قراره بمواجهة أخرى مع ندى.

أو بالأحرى محاولة.. كانت قد رحلت..!

هي ببساطة حادثته بعد أن ابتاعت تذكرة الطائرة!

رفع ذقنه في شموخ وعيناه تضيقان بصحبة تفحص دقيق للحائرة منذ شهور في محرابه.. لأول مرة ينظر لها بعين ذكورية بحتة.

قامة قصيرة نوعًا ما.. بشرة بيضاء بانعكاسات وردية وخصلات ذهبية بتدرج طبيعي نادر تصل حتى منتصف خصرها والخاتمة أرداف مستديرة..

الابتسامة انقلبت لمكر مُشبع لحواسه...المسميات كثيرة.. تعويض.. ترتيب وربما.. مبادلة!

إن لم تكن الأخرى فلتكن تلك.. وإن لم ينل الحب فليختبر متعة الجمال!!

والخطوات كانت بطيئة ومدركة تمامًا لشرودها.. وهمس قوي بجانب أذنيها تمامًا.. همس واضح ومثير ومباشر: أنا لست بالداخل

فعليًا انتفضت بكل ذرة في جسدها، حتى أنَّ استدارتها كانت قوية فارتطمت به لتقترب أكثر وقانون الجذب والشد واضح.

ولكنه هُنا بتفاصيل العشق وتوازيها الرغبة.. ارتطمت وابتعدت وجذبها هو نحوه من جديد، كفه أسند ظهرها في محاولة بريئة لحمايتها من السقوط.

«حينما يشتهي الرجل فاكهة ما ببساطة يأخذها!»

ابتعدت هي من جديد وكانت تحاول أن تلحق أنفاسها قبل أن يتوقف قلبها تمامًا.. بصرها رفعته على استحياء والكلمات ليس لها وجود تقريبًا: أنا.. أنا..

رسم ملامح الجدية فوق حاجبيه ليضع قبضيته في جيوب بنطاله الكلاسيكي الأنيق ويأمرها بشفتين مزمومتين لغاية الرعب المطلوب..

أنتظرك بمكتبي يا آنسة!

وتركها لبضع دقائق من الإنهيار..!

❁

الخطوات نحو مكتبه معدودة، خمسة وستون درجة!!

وهي حصتهم بكل نقطة دماء متجمدة في عروقها

كيف تحب امرأة رجلًا وتخافه هذا الحد؟؟

هل للأمر علاقة بهيبته.. نظرته الثابتة وتأديبه الموازِ أم هي تلك العلاقة الخاصة بين التلميذة والأستاذ؟؟

الباب كان مواربًا.. كان.. فمع ظهورها خرج صوته قويًا وآمرًا: أغلقيه خلفك..

والنبرة ظلت على حالها وحال عيناه اللاتي تأملتها تلك المرة عن قرب، خلع عويناته وظل ينظر نحوها دون انقطاع.. وهي لم تكن في حال يسمح لها بتفسير النظرة.

وفي حال ماضٍ كانت تكفيها النظرة...

والآن تقتلها، تربكها وتبدأها وتنهيها وتسقطها في لهيب براكين هي غير قادرة على تحملها!

وكيف تتحملها وهو قد أخرج ببساطة خطابها الوردي أمامها، مجعد.. مكرمش.. يحمل تفاصيل ساعات من القراءة، أو الغضب!

حينما أخفضت رأسها لم تلمح ابتسامته، وربما متعته.. فمراقبة احمرار وجنتيها كان شيئًا باعثًا للثقة.

ترك مقعده والتف حولها ثم جلس على المقعد المقابل لها تمامًا، أعاد الخطاب لعينيه من جديد ليقرأ الكلمة الأولى: «أحبك»

والثانية..

«أحبك»

أما الثالثة فحتمًا كانت..

«أحبك»

يا إلهي.. كم «أحبك» كتبت..

كان الاحمرار حينها قد غزا وجهها كله، بل تعرقت جبهتها وشعرت حينها أن انشقاق الأرض تحتها أفضل حل ممكن، رفعت رأسها أخيرًا نحوه ولا غرابة أنها كانت باكية..

عيناها امتلأتا بعبرات خرافية وشفتيها ترتجفان دون كلمة واحدة وملامحها تحمل مخاوف طفلة أمسكوها بقطعة مسروقة من الحلوى.. وهو ببساطة ابتسم.

ابتسامة مبهمة بالنسبة إليها ونبرة هادئة جدًا وهو ينص ببراعة أول تساؤل: أنا لا أفهم باقي الخطاب دارين!

باقي الخطاب؟؟

الآن بدأت تتذكر تفاصيل باقي الخطاب!!

عيناها انتقلتا للورقة الوردية المجعدة بين أنامله ورغمًا عنها دون تفكير واضح امتدت يديها لتجذبها ولكنه أبعدها عنها في حركة خاطفة وابتسامة أكثر وضوحًا.. ومكرًا..

وتحركت شفتيه ببطءٍ مقصود: هذا ملكي

ضمت أناملها لترفعهم نحو شفتيها في توتر.. تملس بأصابعها فوق شفتيها بعشوائية ممتعة وتنظر له في حيرة ليتابع هو بمقصود آخر غائب عنها: هل ما زلتِ ستتزوجين هذا الرجل؟؟

تتزوج.. رجل.. ثائر.. هو.. دارين.. والخطاب!

المفاهيم لديها الآن مبعثرة تمامًا، حركت رأسها في نفي سريع وكأنه نفي للتهمة، لم تكن تعلم أن التهمة أنه لم يعد يصدق وجود رجل من الأساس ولكنه لا يبالي

فهو ببساطة قرر أن يتزوجها..!

وتلك المرة كانت خطواته خطوات رجل يوقن حد تأثيره عليها جيدًا.. مال برأسه للأسفل وكثيرًا فطولها يكاد يصل لكتفيه بصعوبة، همس وبنبرةِ رجل يبتغي القرب وأكثر.. يبتغيها هي شخصيًا: جيد..

وراقب بعدها هروبها على سحابة وردية كخطابها الأحمق.. سحابة من

السعادة.

تخرج من الصباح الباكر ولا تعود سوى بعد التاسعة، تتحاشى الجميع وليس بها طاقة فعلية لأحد.. دارين بكت وثرثرت واعتذرت آلاف المرات وعيناها تخبرها أن زياد يحبها..

وثناء تحققت أمنيتها في أسوء الظروف الممكنة، فطوق نجاة إبنها من الديون ببساطة يريد حبيبته، أما زياد فالمحاصرة كلمة غير كافية لما يفعله.. وآخرها انفجاره مجددًا حينما تلقت من ثائر باقة ورد...

لَمَ عليها أن تتحمل انفجار رجل لا تريده!!

أنهت ما تبقى من قهوتها وهي ترمق فتاة صغيرة لم تتعدى السادسة بعد.. وجه رقيق بين خصلات سمراء حتى منتصف الخصر وعينان سوداوتان تتجولان بفضول بين أوجه مرتادي المقهى، رأس عنيد يُصر على تناول مثلجات الشوكولاه والأم تشترط عليها إنهاء طعامها أولًا.. وانتصرت الفتاة بعد معركة اقناع وتمرد مطولة حتى نالت كأسها الكبير من المثلجات.

ضحكت وأيقنت أنها لم تضحك منذ أسبوع كامل.. ثم غابت ابتسامتها، ذكرتها الفتاة بنفسها وهي صغيرة...

تتدلل.. تطلب المثلجات بنكهتها المفضلة، وترضخ الأم في النهاية مع انهزام واضح والأب يضحك مقهقهًا.

ورحل كلاهما وغاب اشتياقها للمثلجات، غاب حقها في التدلل والطلب رغم أن عمها لم يُقصر ولكن.. التدلل رحل مع الأموات.

وتلك اللحظة.. تلك النقطة الفاصلة التي ظهر بها ثائر ليقلب الموازين

ويقرر زياد بسطوته أنه لا مجال للرفض أو الهروب وربما اتخاذ القرار من الأساس.

يعشقها والعشق واجب النفاذ، ولا عزاء لأي نوع من المثلجات فببساطة هي الفاكهة!

ولكن لا.. هي ليست مصنفة كالتهام في قاموس أي رجل، هي امرأة تملك الإختيار وستتخذه حتى لو كان خاطئًا..!

والخطأ ممثل في صاحب بطاقة وصلتها فقط بالأمس، الرجل حينما يتلبس دور الخطيب يكون مملًا...

ورود وكلمات عاشقة ليست في محلها تمامًا.. وقتما سحبت البطاقة لم تكن مهتمة بمحتواها قدر رغبتها في إيقاف جنون زياد...

مجرد رسالة لتخبره بها أنها خارج نطاق صراعاته وأيضًا تخيلاته..

ووقتما انفردت بالبطاقة كانت صدمة قراءتها لكلماته...

مجنون!!

«أعذريني ولكن لا يوجد شيء لأكتبه.. خطيبتي!»

مغرور..

كرمشت البطاقة ولا تتذكر حتى أين ألقتها، هذا الرجل لديه قدرة صاروخية على إثارة غضبها ربما أكثر من زياد نفسه..

كانت قد وصلت أمام مقر شركته.. مواجهة مؤجلة مع طاووس قرر في لحظة أن يستبدل البضاعة.. صفت سيارتها وتوجهت بثقة نحو المصعد..

طابق.. اثنان.. خمسة.. ونفس المدخل الذي جاءته منذ عدة أيام كي تفاوضه من أجل ترك دارين والآن المفاوضة ستنتقل نحوها هي.

ولكنها.. لا تفاوض

هي تتخذ القرار وفقط مثله تمامًا!

مساء الخير..

قالتها بثقة نحو سكرتيرته التي على ما يبدو لا تتذكرها، رمقتها الفتاة باستفهام وهي تتأمل ملامحها وتلك الهيئة الساخرة على وجهها، تلفتت هَنا حولها بلامبالاة ثم تحركت شفتيها بابتسامة صفراء وطلب رؤيته: أود أن أقابل السيد ثائر

كانت الفتاة قد فتحت فاهها بدهشة غير مفهومة.. فقط فاه مفتوح ولا جواب!

رفعت هَنا حاجبيها وضربت بأناملها فوق المكتب بتنبيه قوي ونبرة أشد حِدَّة تلك المرة: هل سمعتيني؟؟

فجأة استعادت الفتاة ملامحها لتبدو وكأنها انتبهت نتاج حدتها، وابتسمت بشكل مضاد تمامًا لشرودها قبل أن تسألها بصوت رفيع: ومن أخبره؟؟

وحينها رفعت هَنا رأسها في تهكم: خطيبته!

تهكُّم لم يكتمل!

فكل تهكُّم له تهكُّم مضاد مساوٍ له في المقدار وأكثر مكرًا في الإنفعال، قبضة خشنة وتملك نحو خصر لامرأةٍ ستكون له.. اقترب وصوته خلف أذنيها يُكمل الصورة تمامًا: أنا هُنا.. حبيبتي!

ولنتوقف قليلًا، من زاوية أخرى.. سكرتيرة الثائر ربما تمضي عدة أشهر دون أن تلمح ابتسامته....

فما بالكم بالمزاح!

الرويدي يظهر بغتة خلف زائرته الجامحة ويضع أصبعه فوق شفتيه ملمحًا لموظفته بالصمت التام.. مع ضحكة جانبية موازية لما ينتويه...

وهكذا جذبها ورحل!

دون أن يترك خصرها..

ألم تصرح أنها خطيبته.. الباقي من نصيبه إذًا!

أغمضت عينيها في غيظ وتحركت معه نحو غرفة مكتبه ولم تحتمل أكثر من هذا فأزاحتها قبل أن يُغلق باب المكتب...

سبقها نحو مقعده وهو يكتم ابتسامته.. منظر سكرتيرته كان باعثًا للضحك وهي تراقب ظهوره المفاجيء خلف تلك المتمردة بخصلاتها السوداء المنسدلة.. وضع أصابعه أمام شفتيه ليطلب من الفتاة أن تصمت تمامًا ووقف يستمتع بالعرض.

والعرض الآن معه في غرفة مكتبه بنفسه.. ترتدي فستانًا أسود يصل لمنتصف ساقيها.. حذاء أزرق بعلو ثلاث إنشات وسترة رقيقة بلون أزرق مماثل.. والعوينات غير موجودة....

خلعتها.. كسرتها.. لا يهم...

هي يجب أن تتخلص منها على الدوام.... "ببساطة عينيها قاتلة"

تنفست ببطءٍ وهي تحاول أن تكبح جماح غضبها نحوه.. يقترب ويقتحم خصرها دون وجه حق.. والآن يدقق النظر بمتعة..

وجدت نفسها ترفع كفيها بحركة مسرحية: هل ستظل تدقق النظر كثيرًا؟؟

تحركت شفتيه بابتسامة واسعة ليجلس على مقعده مجيبًا بثقة: نعم..

زفرت بغيظ.. ماذا كانت تنتظر فهو بالنهاية رجل!

اقتربت من مكتبه ثم جلست فوق مقعدها لتوازي ابتسامته بأخرى واسعة جدًا وصفراء جدًا جدًا: متى ستنتهي تلك المزحة؟؟

لم يغير من وضع جلسته، ظل جالسًا بأريحية وهو يتأملها ويجيب بنبرة هادئة: الحبيبة أم الخطيبة؟؟

رفعت عيناها وقد ضيقت حاجبيها كطفلة متذمرة: كلتاهما..

ضم هو حاجبيه ساخرًا وكأنه يفكر: الحبيبة انتهت وأعيدها وقتما أريد.. أما الخطيبة فمن أخبرك أنها مزحة!

بدت وكأنها تأخذ أنفاسها عدة مرات، تهدأ من حالها قبل أن تضربه

ما فعلته يا سيد لم يكن سوى مزحة وسخيفة أيضًا!

نظر لها ببراءة: أنتِ طلبتِ مني ألا أتزوج دارين

ونظرت له بعدم تصديق: وأنت قررت المبادلة؟؟

أجاب ببديهية ماكرة: أحتاج لعروس!

وهي كانت بديهيتها ساخرة: جيد ابتع واحدة من السوق الحرة!

صمت.. ضمَّ شفتيه وبدا وكأنه يحرك لسانه داخل فمه كابحًا الضحك وربما احتداد قاس لا داعي الآن لمواجهته.

اهتزت ثقتها قليلًا من عيناه، لا يزيح النظر عن عيناها ولكنها ليست بنظرة حب ولا اهتمام ولا حتى تندرج تحت قاموس الشغف

هي نظرة جدية بحتة لرجل على وشك أن يقتنص صفقة قرر أن يربحها

صفقة!

هل تفكر بكلمة صفقة... أم هو من يقولها الآن؟؟

صفقة!

عيناها ارتجفت لوهلة قبل أن يتابع هو ببساطة رجل لا يمتلك الوقت سوى لماله: اعتبري الأمر صفقة رابحة!

ظلت صامتة بعض الشيء.. بدا وكأنها تفكر ليس بعرضه ولكن بالتفاصيل، تحركت شفتيها باحتقار: أنت تساومني على دين زياد؟؟

ابتسم بسخرية كتمت غضبه من ازدرائها له: بل أساومك على الزواج بدارين.. لو رفضتِ سأعود لاختياري الأول.

ثم هزأ بنبرة أقوى وأبطأ ومقصودة: وزياد يتمنى...

بعض الخيارات متاحة وبعضها نتخذها رغم أنها خدعة تحوي بداخلها نكهة قاسية اسمها القهر!!

ولأنها امرأة ببساطة يرغمها هو وعلى النقيض يجبرها زياد....

لا خيار!

هي أو دارين....

نظرتها نحوه تقدر بألف ثمن.. تكرهه ولا يبالي فهو رجل اعتاد أن يفوز بما يريد بكل السبل..

وقد قرر أن يفوز بها..

وفي الحرب والحياة كل سلاح مباح حتى لو كان خديعة بسيطة اسمها فخ دارين!!

ضاقت عيناها بغضبٍ مستعر، ربما تُتمتم داخلها بسباب العالم وهو يعي ذلك تمامًاتمتمت بهمسٍ: مغرور

والمقصد حقير!!

نظر نحوها نظرة واثقة وجريئة وتخص رجل يقدر جيدًا مبتغاه: وسأتزوجك بعد شهر

ظلت عيناها ثابتة عليه.. ثبات لم يتأثر لا بالجملة ولا النظرة التي اختلفت وأخذت طابعًا ذكوريًا منتفخ بالثقة.. والاقتناص!

تمتمت وهي تستقيم لترحل: إذا وافقت..

ثم ضاقت عيناها بابتسامةٍ أخرى لم يراها حينها وهمست لنفسها تلك المرة: ستندم!

روتين يومها تبدَّل.. أصبحت تستيقظ في الصباح الباكر، الباكر جدًا حتى قبل شروق الشمس،توقظ مريم في السادسة وتخرج معها قبل أن تستفيق خالتها.. وما أن تستقل ابنتها حافلة المدرسة تتوجه هي نحو مقهى بسيط لتناول إفطارها بالخارج.

أصبحت تتحاشى الوقت المنفرد مع خالتها، فالأم تحن.. تفكر وتتأمل وتبرر إن لزم الأمر،والقصة تبدأ وتنتهي مع اسم وائل،والتفاصيل مضحكة حد الألم، يشتاق!

يعطيها فرصة لتهدأ.. وآخر الأخبار مبهجة بشكل عظيم فهو يفكر في تسوية الأمور ليردها إلى عصمته!

وكأنها قد قدمت فروضِ الولاء والطاعة والندم..

آخر مرة انفجرت.. انفجرت حد تفكيرها في مغادرة السكن لشقة أخرى، ولكن.. حسابات كل مساء هي التي توقفها.

رغم أنها تأخذ راتب جيد بل أكثر مما تمنت بالفعل ولكن هذا الراتب لا يكفي تحمل إيجار شقة في تلك الفترة، مريم وأقساط المدرسة.. مصاريف المنزل خاصة أنها الآن لا تنتظر من خالتها أي مشاركة تحمل نكهة أمواله، وأخيرًا...

مواصلاتها ومصروفاتها الشخصية.

صاحبها شرودها حتى العمل في هذا اليوم، حتى أنه راقبها بحريةٍ أكثر فهي غير مدركة لأي تفاصيل تمر حولها.. تعمل معه قرابة أسبوع حتى الآن.. مثابرة وسريعة التعلم، جديتها في العمل تؤرقه فهو ينتظر لها أي هفوة والأسوء حماقتها.

لا يعلم هل هي امرأة حمقاء فعلًا لا تفهم مقصد نظراته نحوها أم تدعي الحماقة لطمع أكبر!

صدفة

صوته أخرجها من شرودها، كانت تجلس على طاولة الإجتماعات لتدون أهم الملاحظات بينه وبين فريق عمله.. وبعدها ستقوم بكتابة بعض المراسلات المهمة لشركات التوريد.

لقد تعلمت كل شيء سريعًا والعمل مع حاتم ليس سيئًا كما توقعت.

نظراته تقلقها بعض الشيء ولكنه لا ينفك أن ينشغل بأشياء أخرى ويتجاهلها تمامًا. ولكن اليوم هي أخطأت بحق.

تبعته نحو مكتبه وقد بدت علامات الغضب فوق وجهه، هي فعليًا شردت ولم تدون شيء.. قبل أن يتحدث وجدت نفسها تعترف قائلة: أنا آسفة سيد

حاتم.. لقد شردت ولم يكن يجب علي... فقط...

قاطعها وكان يوليها ظهره أمام مكتبه الخشبي: وقت العمل للعمل صدفة.

ردَّت بصوت خفيض: أعرف.. أكرر اعتذاري

استدار حينها وكانت هي تخفض رأسها ووجهها كله.. تشعر بالندم وهذا جيد فعلى الأقل سيصل سريعًا لمبتغاه لأنه بدأ يشعر بالملل!

ضم ذراعيه ونبرة الغضب المصطنع ما زالت حاضرة: لن يفيدني اعتذارك.. غدًا لدي مناقصة مهمة وبما أنك قصرتِ بعملك اليوم فستتأخرين قليلًا لتعوضي عن هذا!

رفعت عيناها في تردد: أتأخر.. ولكن أنا ظروفي لا تسمح

وانفعل هو حينها: ظروفك الشخصية ليست مشكلتي يا مدام.. تُنهي عملك كما يجب أو تتركيه ليس لدي وقت!

تبدلت ملامحها بشكل واضح.. تهديد بالفصل بشكل لم تتوقعه، عاد لمكتبه متصنعًا الإهتمام ببعض الأوراق ونبرة كاذبة لطمأنتها قليلًا: لن تتأخري كثيرًا.. ربما حتى التاسعة ولكن يجب أن أنتهي وفريق العمل من تلك المناقصة غدًا ولا مجال مكرر للشرود فهمتِ صدفة؟

وحركت رأسها بإيجاب لا تملك غيره في تلك اللحظة، هي لا تحبذ أن تتأخر على مريم والآن ستعود بعد موعد نومها.. أقنعت حالها أنها مجرد مرة وليس أكثر..

ستعوض عن شرودها بتلك الساعات الإضافية وستعوض مريم فيما بعد بلعبة غالية الثمن، وعادت حينها لحسابات راتبها من جديد..!

❁

خطوات زوجها ذاك اليوم كانت قاتلة.عاد مبكرًا ،فالساعة لم تكن

تجاوزت الخامسة بعد،، فهل للخيانة رائحة؟؟

كانت قد أنهت لتوها حمامًا ثالثًا وارتدت بلوزة بأكمام طويلة ورقبة عالية.

رمقته بحذر ولكنها اكتشفت أنه سيرحل مسرعًا عندما قال بنبرةٍ معتادة: الغداء سريعًا.. لدي موعد بعد ساعة.

وتنفست وقتها براحة..

ولكنها أيقنت في المساء أن خروجه عقاب.. فالآن هي فريسة أفكار وضرب قاسي من عقل يحلل خطاياها..

يحاسب بقسوة لا ترحم..

يُذّكرها بتفاصيل مخزية..

وخضوع أحقر..

وكانت تُقَبل جنا إبنتها الصغرى وتبكي وتعتذر..

وتراقب ملامحها وتلعن شعور مهين...

شعور للحظة ألجمها...

وصوت خانها..

وإرادة حرة لم تكن أهلًا لها..

ونامت من التعب وهاجمتها أنفاسه فاستيقظت مرتعدة وأيقنت أن لياليها ستكون كوابيس.. وجدت نفسها تخطو حافية نحو دورة المياه.. تبكي وتبكي وتضرب وجهها في النهاية!

أخبروها أن تلك لعنة وستوقظ شر العفاريت!

وهي في محاكاة أخرى من لعنة البشر.. المقص الحاد كان أمامها وكانت

يداها تأخذه بارتجاف وبنصف وعي....

والخصلات تسقط من شعرها.. أخرى وأخرى وهذا عقاب تملكه، ووقع بجانب قدميها الكثير وعاقبت نفسها وتكفر ذنبها بأجمل ما تمتلك فالتاج تساقط والآن يتعدى باستحياء جيدها ولا يصل لكتفيها!

ولعنت نفسها بالمرآة لأنها الآن تبدو أصغر!!

وزوجها..

لاحظ هروب خصلاتها بعد أسبوع كامل!

كانت أهدأ واعتادت أن تنفرد ببكاءها في دورة المياه، تهاتفها نهى وتجيب بحذر وتخبرها أنها مريضة وبلامبالاة لا تهتم نهى فتستريح....

شعور الذنب مزعج، أي حمل تواجه..؟؟

وما ذنب وجنة جنا لتقبلها وتبكي؟؟

وما الحل؟؟

كرهت عملها وربما فسدت أشيائها هناك ولكن قبلها فسد ما هو أعظم.

وما كادت أن تحصل على شبه سلام حتى بعث لها برسالة..

«أريد أن أراكِ غدًا.. لا مجال للهروب نادية فالأمر مهم»

❁

مر أكثر من ربع ساعة على ارتجافها حتى أن زوجها يطرق الباب لأنه يريد أن يستحم..

غسلت وجهها عشر مرات والدموع فاضحة وبعد تفكير مُهلك خرجت بقطرة عين طِبيَّة في قبضتها وأخبرته أنها تعاني من الحساسية.

وكان يعرف أنها كاذبة ولكنه لم يكن يمتلك وقت للإستفسار فمشاكل

النساء لا تنتهي..

أما هي....فوسادتها كانت تحمل أسوء خيالات..

ربما صور..

ابتزاز...

نهى تعلم...

زوجها يعلم...

العالم كله يعلم...............

لقد عراها أمام العالم أجمع. واتخذت قرارًا بالتجاهل....!

وفي الصباح قررت مقابلته وحاولت أن تأخذ حرصها فاشترطت مكان عام وأخبرها بحدَّة أنه لا يجوز وإن رآها أحد معارفها لن يمتلك حل...

وحينها رضخت مُجبرة...

وكانت قد أصبحت امرأة أخرى...

وتحتمي بسكين..

وتتذكر البُقعة بجانب الموقد وتبكي..

دخل بخطوات بطيئة يتأملها.. يا إلهي وكأنها فقدت خمسة كيلو جرامات بأيام معدودة وترتجف منذ الأزل...

همس برقة...

نادية

رفعت عيناها ترمقه بجنون وبيدها السكين...

فتنهد بنبرةٍ دافئة: نادية..

ضمت ركبتيها وبارتجاف ونبرة صوت غليظة سألته: ماذا تريد؟

اقترب أكثر فرفعت السكين، ضم حاجبيه وتنهد: توقفي عن لوم نفسك نادية

ضحكة ساخرة مرت فوق شفتيها وعيناها كانت زائغة وبدت وكأنها لا تراه،

أكمل وهو يقترب خطوة أخرى: أشعر بآلامك.. تذبحني

سخرية أخرى منها ولفظ مبعثر استجمعته أخيرًا: أهكذا ستبدأ مساومتك؟؟؟

بدا متعجبًا بمهارة: مساومة؟؟ أهكذا تفسرين اشتهائي نادية؟؟

تبدلت ملامحها.. خوف ثم زمجرة دفاع: اخرس

اقترب أكثر وبإصرار: أشتهيك نادية

انكمشت وتشبثت بالسكين المرتجف وخرج صوتها مرتعشًا وحادًا: ابتعد عني

وقف بثبات: لن أقترب سوى برضاك

تنفست ببطءٍ لتوجز بعبارةٍ ظنتها أخيرة: أهذا كل ما لديك؟

ظل ينظر نحوها ويسحب رويدًا رويدًا ضعف: لا أفكر بسواه

بدت بعيناها عبرة: لست مثلكم!

ضعفها الآن يبدأ حديث.. جلس أمامها أرضًا فوق ركبتيه: من نحن؟

تلعثمت تصبر نفسها: أنت ونهى ومن يشبهكم

ضحكته لم تكن ظاهرة بل نبرته هي الهادئة بشكل لا يوصف: رغبتنا حقيقة نادية وأنا لا أشتهي جمع اسمي بامرأةٍ غيرك!

رفعت عيناها.. حمراء تكرهه وتضعف: أنت شيطان سليم

أومأ موافقًا: الشياطين تعشق الحوريات.

تركت السكين.. ضمت رأسها: أنا لست حورية.. أنا أم.

أمال رأسه ليواجهها: أراكِ امرأة

نفت بحركةِ رأسٍ غاضبة: اخرج سليم

لمعت عيناه بقوة اقتناص لا تقبل هروب مكرر لفريسة: أشعر بالقلق عليك نادية.. لا تأكلي أو تشربي شيئًاكررت دون أن تسمعه: اخرج

استقام، سأعد لك قهوة بالحليب

تكرر هي دون وعي: اخرج

رفع ذقنها نحوه وبتملك وإصرار: لن أخرج حتى تشربي البعض.. أعدها أو تعدينها أنتِ حتى تكوني أكثر اطمئنانًاواستقامت بعد وهلة وتوجهت نحو علبة القهوة لتعد القليل، لتفيق ويخرج هو من حياتها للأبد.

وكانت مسترخية

بغرابة!

فحملها يهمس لها ولنفسه: - أنتِ أجبن من اتخاذ الخطوة نادية... وأنا فقط أساعدك!

الفصل الثامن

مسترخية

وبغرابة!

محمولة بين ذراعي رجل غريب، نحو غرفة..

غرفة راقبت فيها خطيئة من قبل والآن يبدو أنها ستختبرها..

«أنتِ أجبن من اتخاذ الخطوة نادية.. وأنا فقط أساعدك..»

لم تكن تعلم أنها بصحبة مسحوق سحري، تظن أن خضوعها إرادة..

ما هذا الخذلان يا نادية..؟؟

من أنتِ؟؟

رفعت يدها في دفعة ضعيفة لا تحسب، حتى أن وعيها بصدره العاري كان مشوشًا.. حاولت دفعه من جديد دون جدوى وضوء الغرفة يؤلم عيناها..

همست بأسوء لفظ وكأن حتى لسانها يخون: النور

ولم يجيب ولن يجيب.. كان متمرسًا يُلقِن تلميذة بها نضوج!

يلقي تعاويذ حتى يضمن عودتها ودون مسحوق يساعد... يهيء لنفسه تجربة جديدة من صنع يديه ويسلك مسار الشياطين بحق فهم من يقدرون سر المتعة..

سيلقنها المتعة ويعلمها ألا تستغني عنه أبدًا!

وبعد وقت ليس بقليل تنفس بانتصار، وتركها ليجذب لفافة تبغ، ظلت متجمدة مكانها ربما لعشر دقائق تنظر نحو فراغ يحوي ظله وظل الدقائق الفائتة.

لا بكاء ولا انهيار..

لا شيء!

فقط بؤبؤين متحجرين فوق صفحة وجهها التي فيما يبدو فقدتها أيضًا وسط العاصفة فلم تعد قادرة على استخدام أي تعبير تتذكره ولو حتى لمحة حزن!

عاد ليجدها قد جذبت شرشف واستدرات لنوم!

أغمضت عيناها دون سبات وعندها فقط أطفأ الضوء.

وابتسم لأنه لاحظ للتو أنها قصت شعرها.. وطبع فوق ظهرها قبلة، وهمسَ منتصراً: الآن تدركين فتنة الظهر العاري!

الذنب..

لأول مرة مرفوض

وفي الثانية مبرر...

وتلو ذلك مكرر!

وبهذا الصباح استيقظت في صمت بعد ساعة، كان هو ما زال هناك لم يرحل.. أسندها برقة كي تصل لدورة المياه وتحصل على حمامًا دافئًا وذهب ليعد لها بعض الشاي.

كانت المياه تصفعها على جسدها وتُذَكِّرها.. وتلك المرة هي لا تملك رفاهية اللوم. فركت عيناها بتوتر ولم تدرك أن لها بالحمام أكثر من نصف ساعة إلّا عندما سمعت طرقاته على الباب فانتهت مسرعة.

كانت خصلاتها القصيرة مبللة وترتدي مئزرًا ثقيلًا من القطن وتجلس على الفراش في حسرة تراقب بعض تمزقات ملابسها وتفكر كيف ستعود للمنزل هكذا!!

جاورها وناولها كوب شاي مع شريحة جبن أعدها بنفسه ثم همس وهو يتأملها: سأرتدي ملابسي وأنزل لأبتاع لك ملابس أخرى وتستطيعين إخبار زوجك أنها تلفت من تمزق مواصلات أو ما شابه..

نطقت بجفاء: لن يُلاحظ

ابتسم وملس فوق رأسها بتملك: أنتِ جميلة نادية

استدارت له ببطء تتفحصه، ألا يجب!

تتأمل كل إنش من تفاصيل وجهه وتدرك كم أصبح لها قريبًا...عشيقًا!!

الآن هي امرأة بعشيق..

تركت الطعام ودفنت وجهها بألم بين كفيها منخرطة في بكاء مرير.. ربت فوق ظهرها ثم جذبها لترقد فوق صدره يداوي: ابكي نادية! الدموع راحة

أكملت بكاء.. نشيج. وضمها له أكثر: أنا من أفهمك نادية

من بين أسنانها نطقت تصك فوقهما: أنت السبب

اعتصر رأسها المبلل فوق صدره: أنا أشتهي جسدك.. في الرغبة لا ملام

كانت تتنفس بصعوبة، ضمها أكثر ليكمل: الإنسان حيوان راغب نادية وبريق النفس لا يتحمل عقاب..

عندها رفع رأسها نحوه ليهديها قبلات صغيرة متفرقة فوق شفتيها.. كانت متصلبة كحجرٍ باكي وهو يكرر بين كل قبلة وأخرى: أتعاقبين نفسك لأنك صادقة نادية.. لأنك على طبيعتك!

بدأت تتنفس بغضبٍ ولكن دون حراك وهو يضغط ويضرب بمطارقه فوق كل سندان: كوني قوية وواجهي ما تريدين القيام به.. كوني كريمة مع نفسك نادية هي تستحق!

وتتنفس أكثر وتتوه أكثر وهو لا يتوانى: دعي جانبًا كل الأفكار نادية.. الأفكار تقتل المتعة!

ولم يخرج لشراء الملابس وتلك المرة لم يكن في جوفها خديعة قهوة!!

وسأتزوجك بعد شهر!

الذكر...

عاش الملك.. عاش الملك..

وكأن كل رجل دكتاتور بالفطرة.. لا تذكر كم من الوقت ظلت تقود سيارتها دون هدى حتى وجدت نفسها تعود للمنزل، الجو كان هادئًا.. ثناء بالمطبخ على ما يبدو تعد طعامًا ما ودارين منعزلة في غرفتها مع بعض الموسيقى.

أغلقت الباب بحرصٍ فلم يكن لها طاقة بالحوار مع أي أحد ولكنه حرص لم يكتمل..

هَنا..

كان صوت ثناء التي على ما يبدو كانت تنتظرها.. مواجهة مع تلك المرأة التي أحبتها كأنها أمها تمامًا، مواجهة لم تكن تود أن تختبرها..

ابتسمت ثناء بعدما لمحت رجفة التردد بعيناها، هَنا القوية مع الجميع ولكن هي تدرك مواطن ضعفها جيدًا.. استدارت لتعود للمطبخ وهي تُكمل بحميمية معتادة: تعالي معي حبيبتي أحتاج لمساعدتك.

مع خطوتها الأولى للمطبخ أيقنت أن ثناء أعدت لها طعامها المفضل، صينية المعكرونة بالبشاميل.. ابتسمت وهي تفكر في زوجة عمها الطيبة، هكذا هي دومًا تسترضيهم بوجبتهم المفضلة.

أجلستها ثناء على الطاولة الصغيرة وكانت قد أعدت لها كوبًا ساخنًا من مشروب اليانسون الساخن.. تبدلت ملامح هَنا بتذمر طفولي: لا أحبه..

ولكن ثناء دفعت الكوب نحوها وكأنها لم تستمع لشيء.. بل زادت بنبرةٍ آمرة: اشربيه فهو مهدىء رائع وأنت لا تنامين بشكلٍ جيد..

جذبت هَنا الكوب لتأخذ رشفة وعيناها تتوجهان نحو المرأة الطيبة.. تشعر أنها ستستمع لما يخص زياد.. لمَ لا تود حقًا أن تسمعه!

ابتسمت ثناء بغموضٍ ثم توجهت للموقد لتُنهي إعداد صلصة البشاميل وفجأة نادت هَنا: تعالي حبيبتي

توقفت هَنا بجانبها لا تدرك مغزى تلك اللحظات وثناء تُكمل بحالميةِ الذكريات: عمك كان يحب تلك الوصفة.. أتعلمين يا هَنا المرأة حينما تعد الطعام لرجل تحبه يخرج بشكلٍ آخر.. نكهة مختلفة لا تضاهيها خبرات محترفي الطبخ.. نكهة خاصة تشبه طحن أوراق الزهور في جو ربيعي هاديء وبشكلٍ ما يتم خلطها ببعض التوابل والبصل فتصبح سحرية!

كانت الصلصة قد بدأت تتخذ سماكتها المعتادة وثناء تضيف إليها نكهة سرية من التوابل لا يعرفها أحد غيرها بالعالم..

مزحت هَنا بابتسامةٍ موجوعة: أهي خلطة الحب؟؟

استدارت لها ثناء وقد أدمعت عيناها لحظة: لأنكِ حبيبتي.. كما زياد ودارين أنت حبيبتي يا هَنا

وقبل أن تنطق هَنا بشيء أكملت على الفور: وأعرف أنك لا تريدينه.. لا تريدين ابني يا هَنا بقدر رغبته هو فيكِ

شحب وجهها لا تنكر، الآن الأم تواجهها برفضها القوي لكل ما يخص ابنها.. هي ربما لا تمتلك مشاعر الحب نحو آخر ولكن حتمًا تمتلك مشاعر رفضه.

استدارت تود رحيل وربما هروب.. وتركتها ثناء، تركتها تبتعد لتختلي بنفسها كما تريد ولكن كان يجب أن تُسمعها جملة واحدة...

الجملة الأخيرة.....

«مهما كان قرارك حبيبتي سأدعمك فيه.. لأنني ببساطة أثق بك»

وليست كل الثقة أمرٌ مريح، بالعكس فهي أشبه بالعهد الذي يتخذه الجميع عليك بُغية حبل نجاة تتحكم به أنت وحدك.

دارين بحالمية تفضحها ابتسامة تخبر القاصي والداني أن أحمد ربما قال لها صباح الخير...

زياد بلا مسؤولية لا تدرك سوى أنه يريدها وانتهى الأمر، وكأن أمه وأخته وإرث أبيه الذي قد يبدده في سداد ديونه مجرد هوامش على دفتر رغباته.. وتبقى ثناء.. المرأة التي قرأت الجواب بعيناها قبل أن تلفظه، قبل أن تقولها على مائدة الغداء وزياد يبتلع أول قضمة من طبقها المفضل..

سأتزوج بثائر الرويدي!

النساء دراميات بالفطرة!

يخونها زوجها تبكي..

تخونه تبكي!

وحدها تبكي..

مرفوضة تبكي..

ومرغوبة تبكي!

والرغبة توازي العشق.. الوهج، والشغف!

وبساطة هناك شيء آخر لا يبتعد عن هؤلاء كثيرًا واسمه.. الشهوة!

وحيدة..

الجميع يغادر واحد تلو آخر وهو يستبقيها بجدول أعمال لا ينتهي.. بل أن الوقت قارب على التاسعة وهو ما زال يأمر بأطنان من الورق.

نظراتها نحو الوقت زادت.. ارتبكت وقررت أن تطلب الرحيل، ونظراته هو كانت قد بدأت تتخذ منحنى آخر.. منحنى يدركه هو تمامًا وقد نفذ صبره.

شفتيها تحركتا لتطلب المغادرة.. وفي عرفه ووعيه وما يجول بخاطره كانت شفتيها تتحرك ببطء، كل ما فيها يتحرك ببطء وهو سيحرص على أن تمر الليلة بكل دقيقة مستحقة!

باشمهندس حاتم.. لقد تأخرت

تقولها على استحياء.. تردد انقلب لوجسٍ حينما لمحت نظرته، ملامحه جامدة ويبدو وكأنه لم يستمع إليها فقط ينظر نحوها بنهم..

أغبى امرأة ستفسر تلك النظرة..

استقامت فجأة ووجنتيها قد انفجرتا احمرارًا، وليست كل حمرة خجل.. هناك شيئًا اسمه القلق...

الخوف..

الرعب!

عيناها انتفضتا برعبٍ حينما تحرك من مكانه.. ترك مقعد مكتبه وبدا وكأنه وثب أمامها تمامًا ليمنعها من المرور، هل تدرك تلك اللحظة التي ينقض فيها النمر على فريسته.. أنت تجلس هناك وتتابع وثائق ما عن عالم الغابات والغزالة تتحرك ببطء غير مدركة للإقتناص...

وحينما تركض يكون الوقت قد فات..

ولحظة الإفتراس ببساطة ستغمض عيناك، ولكن هُنا المشاهدة أمر واجب!

والكلمات ليس لها مكان.. يتم استبدالها بأشياء أخرى أكثر تأثيرًا، جذب.. دفع.. صرخة.. صفعة..

وليست منها بل منه!

في الإفتراس ليست هناك قوانين، ولا أخلاق..

البقاء للأقوى،،

في مرحلةٍ ما كانت قد توقفت عن الصراخ.. هجوم جسدي... دفاع جسدي، امرأة بجسدٍ ضعيف ورجل وظيفته في الحياة تنمية جسده!

أنفاسها تهرب منها وشفتيها تبتعدان عن مراده بكل سبيل ممكن وإن نجت شفتيها فصوت تمزق ملابسها كان شرارة الخطر التي لا بعدها رجعة..

كان يقيدها من الخلف تمامًا.. وشاحها ملقى بجانب ما وخصلاتها تناثرت فوق وجهها ووجهه، نصف بلوزتها ممزقة تقريبًا وهو يهمس بفحيح سيء الرائحة فوق أذنها تمامًا: اهدئي كي لا تؤذي نفسك!

بيساطة هكذا.. تهدأ ويمر الأمر.. مع محاولته التالية لتقبيل جيدها زمجرت بصرخة أخيرة.. رفعها عن الأرض قليلًا واستدار بها وحينها رفعت قدمها لتضرب سطح المكتب فارتد رأسها نحو أنفه ليتركها رغمًا عنه من فرط الألم..

فرط الغضب.. الصراخ.. التوعد والإقتراب ومحاولتها الفاشلة للهروب مجددًاوفرط الدماء!

ماذا حدث؟؟

كيف حدث؟؟

لم يعد يهم..

سقط على الأرض وبيدها مرمدة كريستالية مخضبة بدماءه.. وصوت أجش ظهر من العدم لتصطدم عيناها بعينين سوداويتين رمقت كل ما فيها بذهول والنبرة أخبرتها أن تهرب: من أنتِ؟؟

❁

ليلة رائعة.. أم ليلة غريبة؟؟؟

توقف بسيارته أمام مقر الشركة، أخبرته أخته أن حاتم سيسهر في المكتب لبعض العمل..

جيد...

هكذا تمتم لنفسه وهو يخرج من جيب قميصه لفافة تبغ نفث دخانها بضيق، فهناك الكثير من الأمور العالقة التي يحتاج لإنهاءها مع ابن أخته المدلل.

أمور عالقة!

الكلمة ترن بسخرية داخل عقله، فبشكلٍ ما هو يحيا بتلك الأمور.. العالقة!!

أخرج من تابلوه السيارة صورة فتاة جميلة، شقراء.. عيون بلون فيروزي مميز وابتسامة تذيب القلب.

أسند رأسه على مقعد السيارة وسنوات زواجه الثمان تمر أمام عقله كشريط سينيمائي قديم.

ثمان سنوات استقر فيها في باريس ليفتتح فرعًا مهمًا لشركته هناك ويترك هذا المقر لحاتم ليديره، كل شيء يبدو مثالي للغاية.. ربما مثالي لدرجة مملة لفظتها زوجته قبلًا منه، لا مشاعر.. لا كراهية!

لا شيء.. مجرد زواج وانتهى كما أخبرته بفرنسيتها الراقية..

عاد ليرمق صورة لارا بابتسامةٍ غامضة، بعد أسبوعان ستتم عامها السادس وأخته تصرخ بضحكاتٍ متتالية وهي تستمع لفرنسية الفتاة التي لا تفقه من العربية شيئًا تقريبًا وعيناها تخبره أنه تأخر في العودة كثيرًا..

فرك جبهته وأشعل لفافة أخرى.. الآن يجب أن تعود الأمور لنصابها وأولها حاتم الذي على ما يبدو بدأ يعيث بشركته فسادًا كما أخبره وحذره عاصم موظفه الوفي ومنذ سنوات.. حينما ارتفعت عيناه نحو المرآة شعر أنه يرى رجل مختلف عن هذا الذي سافر قبل ثمان سنوات بشعلةِ طاقة تلتهم النجاح لا غيره.. ويبدو أنه التهمه حد التخمة فملامحه تنضب بقسوة اكتسبها من جدية السنوات التي سيطرت حتى على انفعالات وجهه.

التوت شفتيه بسخرية لاذعة من خلف دخان تبغه.. ثم ترك السيارة ليصعد نحو ما هو أهم من الذكريات.

المكان مظلم سوى من ضوء الغرفة.. خطواته تتجه ببطءٍ لصوت يبدو وكأنه عراك.. حاتم ملقى على الأرض فاقد الوعي وامرأة بثيابٍ شبه ممزقة تنظر نحوه في هلع..

تركت المرمدة من يدها لتسقط على الأرض وعيناها ترتجفان بنظرةٍ مرتعبة.. أخبره عاصم أن حاتم تخطى كل الحدود ولكن حد المتعة بامرأة وسط شركته!!

من أنتِ؟

سؤال مباغت.. هجوم.. إتهام ربما....

لا فارق...وجدت نفسها تتخطاه كي تهرب، تتعثر.. تترك اللحظة إن استطاعت. شعرت بقبضته تحيط بذراعها بعنف، أعادها خطوتان للوراء لترتد بقوة حتى أن خصلات شعرها ضربت صدره وتناثرت فغطت نصف وجهها تقريبًا، وجدت نفسها محتجزة قيد عينين ثاقبتين تحمل ألف اتهام والآخر ملقى على الأرض بقطرات دماءه..

عيناها تحجرتا دون جواب.. تنظر له ولجسد حاتم وشفتيها تعجز عن النطق، وكأنها بحالة صدمة.. شعرها متناثر حول وجنتيها، وصدرها يعلو صعودًا وهبوطًا أما ضربات قلبها فتخطت الحد المسموح.

ولكن.. في قانون الغاب الوحشية هي آفة الجميع!

مهاجم.. وفريسة.. ومُنقذ!

الخطوة التالية جذبها بخشونة أكبر وزمجرته تسبقه والغضب سينفجر فوق رأس الجميع: ماذا يحدث هنا؟

حينها بدأ التحجُّر في التصدُّع!

عيناها تُفرز العبرات ببطء وذراعها يُجاهد للتخلص من قيده الغليظ.. تنتفض بُغية الهروب وفي المقابل صلابته قاسية تنوي التحقق والترصد والمحاسبة إن لزم الأمر.

وكما بدأ الأمر بنذل انتهى به!

مجرد تأوه من الملقى على الأرض الذي على ما يبدو. كان قد بدأ أن يستفيق فجذب انتباهه للحظة لتتراخى قبضته عن معصمها وحينها وجدت نفسها ببساطة تهرب!

مرت ربع ساعة.. عشر دقائق.... لم يحصي..

أخرج من مبردة المكتب زجاجة مياه قذفها له.. وضعها حاتم فوق رأسه وقد تغضنت ملامحه من الألم ولهاثه يسأل دون صبر: أين هي؟!

كانت ملامح عز جامدة بشكل مخيف، وتلك هي المعضلة.. حاتم يسأل عنها ليتحاشى التفسير لخاله الذي ظهر من العدم فوق رأسه في أسوء توقيت ممكن.

تحركت خطوات عز نحو المكتب ليجلس بهدوءٍ ثم حرك بضعة أوراق كانت قد تناثرت على مايبدو من المعركة، نطق حاتم على الفور: اغواء النساء وفي النهاية تفتعل دور الضحية.. هل تصدق يا خالي؟؟

حينها وحينها فقط انفلت منه أول انفجار ليخترق زعيقه جدران الشركة أجمع: أنا هنا لست الخال.. أنا المهندس عز الدين صاحب تلك المؤسسة وأنت مجرد موظف تخطى كل الحدود.

انقلب وجه حاتم وتلعثم وهو يجذب مِنديلًا تلو آخر فوق رأسه: أنا هو الضحية هنا.. أنت رأيتني غارق في دمائي لقد قامت تلك الموظفة...

ضرب عز قبضته فوق المكتب ليرفع عينيه نحوه بشراسة أخرسته تمامًا وصوته ربما أقل حدة ولكن يحمل نبرة لا رجعة في جديتها: لا وقت لدي لتفاصيل غرامياتك.. حاتم أنت مرفود وتلك الأخرى أيضًا..

مرت ربع ساعة.. نصف.. لم تحصي!

كانت تجلس متقوقعة على أرض دورة المياه الخاصة بالشركة، حينما فكرت بالهروب أيقنت أشياء بسيطة.. صغيرة وعادية جدًا ومُبكية حد قلة الحيلة..

وشاحها وحقيبتها ما زالا في غرفة المكتب.. ملابسها ممزقة بشكل يستحيل معه الخروج هكذا فبلوزتها العلوية فقدت أكمامها تقريبًا وأول زرين.. ببساطة عري!

كرمشت بلوزتها بألم لتخفي أعلى نهديها وتقوست شفتيها ببكاءٍ مرير.. بكاء مجددًا لتكتمل الصورة ففوق كل ملابس ممزقة عينان محمرتين من الحسرة.

كانت أنفاسها قد هدأت قليلًا.. بل هدأت تمامًا فهي ببساطة لا تستطيع أن تأخذ شهيق لتجد زفير الحياة!

ابتلعت ريقها بضعفٍ وملست بارتجاف فوق رقبتها وعيناها لا تتذكران سوى مريم، مريم ووائل وحاتم وتلك الدوامة التي تضيق وتضيق حد الاختناق.

حد الضعف..

وربما اليأس، وجدت نفسها تهمس.. مجرد همس مخنوق لا تمتلك سواه: يا رب..

ثم بكت من جديد..

مرت نصف ساعة.. الآن تحصي!

عقلها عاد للعمل بشكل مؤقت، فكرت أن كلا الرجلين ربما قد غادرا الآن وكل ما تحتاجه أن تأخذ حقيبتها وترحل، لا تطمع بدفاع أو هجوم..

لا تطمع بشيء..

هي فقط تود الهروب من قانون الغاب هذا وبأي ثمن.

حاولت أن تُمَلّس خصلات رأسها قدر الإمكان كي لا تلفت الانتباه.. مسحت عبراتها بقسوة ألهبت وجنتيها وتشبثت بالبحث عن حقيبتها والوشاح علّها فقط تجد ستر ذراعيها حتى متجر الملابس في الشارع المقابل.

المكان كان يبدو أهدأ.. لا أثر لشيءٍ وخاصةً هذا ال «حاتم».

خطت ببطء لتجد المكتب فارغًا وحقيبتها ملقاه كما هي في أحد الجوانب ويجاورها الوشاح، تظن أن الأمر سهل.. لا بل الأمر غاية في الصعوبة..أنفاسها الآن تخترق أذنيها وتشعر بتعرق مؤلم يجتاحها دون رحمة.. تختنق وتخنتق بالغرفة وذكريات ما كان سيحدث وسينهي عليها إلى الأبد.. جذبت الحقيبة بانفعال ولفت الوشاح فوق ذراعيها وحينما استدارت ارتطمت به.. تراجعت للخلف وكان نظرها مشوشًا..كان هو من جديد، أشاحت وجهها عنه وبدا نظرها كأنها تبحث عن الآخر.. كأنها ترتعب لمجرد فكرة أن يكون حاتم ما زال هناك.

لا يُنكر أن عيناها بريئة.. بل كل ملامحها تحمل براءة من نكهة خاصة، خصلاتها منكهة بلون طبيعي مميز وبغض النظر عن لون عيناها فلها رموش بُنيَّة وكأنها خيوط من القهوة..

قطب حاجبيه وتجاهل النظر إليها بدوره رغم أنه تمعن!

لقد طردته..

نبرتُه كانت أجشة وواضحة حد قسوة رجل يملك القرار، استدارت لا تبالي وحاجبيها مضمومان بألم ومرت لتتخطاه.. تلك المرة أوقفها بإشارة، لم يلمسها حرك يديه باستهانة وقد انتبهت لتوها أنه يمسك ببطاقتها الشخصية!

اهتزت عيناها في فزع وحينها لمحت ابتسامة هازئة على طرف شفتيه وهو يترك لها البطاقة على المكتب ويسبقها في الرحيل دون اهتمام : وأنتِ لا أود رؤية وجهك هنا مرة أخرى..

الفصل التاسع

هو يريد أن يكون الأول وهي تريد أن تكون الأخيرة...

تلك هي معضلة كل حب!

وكان هو يثق أنه الأول.. الأخير والواحد والمالك والآمر والناهي، وهي.. كانت تتمنى!

المرأة عندما تعشق تنفلت قدمها داخل بحيرة ناعمة دون قاع، تظن أنها تدرك السباحة.. تحل خصلاتها وتترك جسدها وفق أهواء المياه، ببساطة تنصهر لا تبالي.

المرأة عندما تعشق تضع معشوقها في مرتبةٍ خرافية، كل ما يفعله خطير وحتى إن ناولها محرمة ورقية!

رفع بصره نحوها.. ارتشف الشاي ببطءٍ أو بسرعةٍ أو حتى أسقطته فوق ملابسه فهي على استعداد أن تكتب قصيدة..

هو ببساطة عالمي في كل أحواله...

دارين

والآن ينطق باسمها، يبتسم لها ويقترب منها ورمقها وهو يشرب الشاي سبع مرات.. بالله عليكم كيف ستقاومه الفتاة!!

نعم..

ردَّتها ببحةٍ، وسعالٍ.. وتردد وحماقة ووجنتين احمرتا منذ وجوده، تحركت شفته السفلى ببطءٍ لتشكل ابتسامة.. لا بل إعوجاج ثعلبي هادىء لا يحتاج لفخ

كي ينال دجاجة، فهي ببساطة تتوجه نحوه بكل رضى.

خطوة أخرى نحوها وأصبحت المسافة بينهما بقياس احترافي خمسة سنتيمترات، لا شيء تقريبًا.. مسافة تبقيك حد التوتر وحد تمييز عطره بشكل واضح، أيًا كان العطر فهو اختلط به فأصبح لا يقاوم.

ما حدث بعد ذلك.. هي لا تتذكره تمامًا، متى عرض وكيف وافقت لا يهم.

الآن هي تجلس معه بمقهى نيلي يبعد عن الجامعة بمسافةٍ قليلة، يمشي جوارها تمامًا وكأنها تخصه، اختار البقعة.. اختار الطاولة.. واختار لها عصير البرتقال وطلب هو القهوة، كان الجو ربيعيًا يميل للحرارة.. وكان هو يرتدي قميصًا مقلمًا بلون رمادي فاتح فوق سروال كلاسيكي أنيق، استغنى عن العوينات وهو عادة ما يفعل كلما أراد أن يطيل النظر لها والآن هو ينظر بكل حرية.. بل امتلاك فكأنما هو ينظر لامرأته، بالأمس فاتح أمه بشأن الزواج.. بل ببساطة أخبرها فهو لم يعتدْ الجدال في أيٍ من قراراته، رحل الأب منذ زمن والحاصل وديعة بَنْكية بالكاد تكفي والباقي يتكفل هو بِه.

الرجل.. الرجل الوحيد.. الأخ الوحيد.. العائل...

المسميات تتكرر والنتيجة واحدة، والهائمة أمامه ستقبل بأي شيء.. يكفيها هو.. أليس هذا بشيءٍ مغري.. مثير، مشبع؟؟

كانت قد أنهت على العصير كله برشفةٍ واحدة، ابتلعته بتوتر مؤلم للرأس ولا تنكر أن تعرق أناملها أصبح ظاهرًا للعيان، ابتسم.. ذات الابتسامة.. ذات الإعوجاج الثعلبي الهاديء بل الواثق.

ترك قهوته وتحركت أصابعه بشكل ديناميكي يعرف هدفه لتجد نفسها محتجزة بين دفئه، اليد صوب اليد والأصابع الغليظة تحتضن تلك الضعيفة وإبهامه يمر بشكل دائري فوق كفها كي يهديء من روع تعرقه.

انتفضت لتجد نفسها تسحب يدها بسرعةٍ وتمررها بعشوائية فوق خصلات شعرها.. هربت الكلمات.. بل هرب التلعثم..

لا شيء.. فعْلِيا لا تمتلك حتى قُدْرة النظر نحوه، مال برأسه بمكرٍ لينطق أخيرًا: تبدين جميلة وأنتِ خجول.

هذا كثير....

عقلها يردد

وهو أيضًا يردد: ناعمة كأوراق الزهور، لم ألمس نعومة مثل يديك دارين.

هذا ليس كثير.. هذا أكثر من الكثير بل يفوقه بل يقتله دون رحمة..

عقلها يفقد السيطرة!

وفي النهاية وضع هو كلمة النهاية..

دارين أريد أن أتزوجك.

❁

الزواج....

نظام اجتماعي ما، رجل وامرأة.. اختيار محسوب.. زفاف.. قبلة راقية فوق الجبهة.. قبلات أخرى لا تمت للرقي بصلة، وفي النهاية عائلة.

الأمر بسيط فلمَ يعقدونه؟؟

منذ ثلاث سنوات اختارها.. كانت ترشيح أبيه، جميلة.. عائلة.. التيمة المكررة بكل الزيجات.

لم تكن فيها ميزة خاصة وربما هو لم يرى فيها ميزة خاصة ولكنها لم تكن تشبهه، سنة تلو أخرى ولا شيء فيها يقترب منه ولو بالحد الأدنى.

وفي النهاية راوغته في أحقيته بأن يكون أب، وليتها رفضتها بجرأة الرحيل.. بل ما زالت تراوغ!

كانت توليه ظهرها منشغلة بحديثٍ آخر بالهاتف.. لا يحتاج لأن يخمن فهو إما تحديد موعدًا لجلسة بخار حار أو لقاء نميمة معتاد.. لاشيء مثمر.

قالها لنفسه وشفتيه تتحركان بسخريةٍ فوق كوب قهوته البارد، تلك الخادمة خاصتها لا تجيد شيئًا على الإطلاق.

جذب سترته دون أن يتناول إفطاره وتحركت خطواته ليرحل دون أن يستدير نحوها لتلمحه هي فتنهي مكالمتها على عجالة وتتحرك خلفه منبهةٍ: ثائر.. انتظر....

وقبل أن يستدير كانت تتحدث عن طلبات لا تنضب، تبرع ما لجمعية خيرية.. تذاكر سفرة باريس من أجل تسوق آخر ولو مكرر، انشغاله بالعمل وعدم حضوره آخر مناسبة تخص أختها الكبرى.. كان يستدير ببطءٍ وهو يلمح ملامحها الملونة التي تبدلت فوق حياته كفصول السنة، بهجة ربيعية وصيفية وتشبث بالخريف وهو ببساطة أيقن أنه يفضل الشتاء!

بأمطاره وعواصفه ورموشه السوداء الطويلة فوق شفتين متذمرتين بلون وردي بسيط، ابتسم وهَنا تقتحم خياله من بين نبرة زوجته الشاكية.. المكررة.. المتمسكة به قدر رغبته هو في الرحيل.

دار بنظره في القصر وكأنه يمسحه بنظرةٍ أخيرة قبل أن ينظر نحوها مقاطعًا بقنبلته التي حان وقت رميها وبكل هدوءٍ ممكن: لقد قررت أن أتزوج....

❀

سيد ثائر..

لا شيء!

كان يسند رأسه فوق المقعد وحول رأسه تلتف سماعات أذن ضخمة، يغمض عينيه وتتحرك يده مع الإيقاع.. ويبتسم!

فتح عينيه فجأة ليشرد قليلًا في ملامح سكرتيرته المتخوفة، فتاة مترددة ما زالت في طور تدريبي لا ينتهي ويبدو أنها لن تجيد سواه.

صرفها بإشارة يد معناها واضح....

«الغي كل مواعيدي»

بل كل الإتصالات، زوجته تحاول.. حماه يراوغ وبات يهدد.

فكيف يهين بنت الحسب والسطوة بل كيف يفكر حتى بهذا الأمر؟؟؟

لا أحد يفهم أنه قرر أن يتخلص من الأمر برمته....

قرر أن يطلقها..

وخلال عشرة أيام قد يحدث الكثير.. بل ربما كل شيء، ترك لها القصر فهو لم يكن يمكث بِهِ كثيرًا على أيةِ حال.. قبلة فوق اليد وابتسامة منتصرة وتمني بحياة أخرى أفضل!

إتفاق طلاق.. إتفاق زواج!

رحلت شقراء....حلَّت سمراء....

ونظام اجتماعي ما يسمى زواج ولكن تلك المرة وفق شروطه،

وإن كانت تلك حقبة هَنا فسيبقى هو.. الثائر!

آه من تلك العشرة أيام.. يحدث الكثير....

قد تنجب العاقر وتهرب الثيب.. وببساطة قد تصبح امرأة عادية... خائنة....

تدفق الأفكار يختار دومًا طريقه الخاص، مياه تجري.. بحر ثائر أو حتى هادئ.. وفراغ.

كانت تجلي الصحون ببطءٍ، فهناك وبتلك البُقعة بالمنزل لا يلاحظها أحد.. كلٌ في ليلاه!

وخاصة هو.. يتناول طعامه وينفرد بهاتف وربما بنوم وإن لم يكن فنشرة إخبارية وجريدة.. رائع فالآن بدأت تبحث عن لوم. ولكن ألا تستحق؟؟

ألا تستحق انتباهه؟؟؟

أفكاره..؟؟؟

اهتمامه؟؟؟

أستستجدي أن يعاملها كامرأة؟؟؟

كـــ.. سليم..؟؟

شفتيها الآن مضبوطتان بجرم اسمه وفي منزلها...

مملكتها البعيدة عن..

مرة أخرى هي تفكر، فلسفة الذنب مجهدة لا محالة..

السارق يعتاد بعد أول مرة...

والقاتل الأنفس تتلخص عنده بذاتِ العقاب....

و......

لا تستطيع أن تنطق الكلمة

بكت

وبصوتٍ.. وكل هذا أمام الصحون..

نُطقها مستحيل وفعلها أصبح حقيقة!

و.........

واعتادت الملجأ الآمن...

هناك كل ما حولها يحمل نكهة مختلفة.. الأشياء أصبحت تحمل مذاق!

الثواني تمر ببطءٍ والدقائق ذات قيمة، وعلَّمها أن تغمض عيناها وعقلها معًا.. أن تكتفي به في سرقات الجنون خاصتهما دون تفسير أو تبرير.

الخطيئة لا تبرر....

والاحتياج لا يفسر...

والرغبة حقيقة لا يجوز معها غوص برمال.. ستطفو بنهاية الأمر!

كان يتذوق طبق مميز أعدَّته، إفطار متأخر لهما سويًا..

سألته دون ترتيب: كيف نهى؟

كانت ما زالت بنصف ملابسها وفوقهم مئزر الطبخ خاصتها، ضحك بخبثٍ ثم أخرج سيجارة وسألها: تغارين؟

توقفت لوهلة مع سؤاله..

تغار!

كانت الغيرة هي آخر ما قد يقفز لعقلها، هي قلقة.. متوجسة.. خائفة أن يكتشف أحد الأمر ويدق جدران المعبد فوق متعتها المحرمة.

تأملته.. له بعالمه كثيرات...نهى وغيرها ويخبرها كل يوم أنها مميزة وهي تصدق فقط لأنه علَّمها أن تغمض عيناها وعقلها وحتمًا هي لا تغار!

وفوق جسدها نسج هو خيوطًا لعاشق بامتياز.. كان يشعر بانتصار كلَّمَا نالها..

ربما لأنها تنازلت من أجله هو فقط..

ربما لأنه من شكلَها...

ربما لأنها مختلفة ودافئة وخائفة ونادمة ومستمرة.

أشياء كثيرة لا يعلم لها تفسير...

يقال أن كل سارق يود أن يوشم غنيمته باسمهِ للأبد، أي سرقة تلك التي تبقى في الخفاء وأي متعة!

الأمر يبدأ بتملك بوقتٍ ليس حينه.. وربما نقش وردة فوق جسدها تخبر الآخر أنه موجود..

أي شيء يؤكد به الملكية التي لا يستحقها....

ومن أفكاره نشز صوتها: لا أغار.. أنا قلقة ليس أكثر.

تنهد ليبتسم تلك المرة ببرود وازى نبرة مماثلة: لا تقلقي...

أومأت رأسها بتفهم وخلعت مئزرها لتكمل ارتداء ملابسها، جذب معصمها: إلى أين؟؟

ببديهية أجابت: لقد سرقنا الوقت.. يجب أن أرحل..

لم يحل معصمها، رمقته بدهشة فردد بثبات: أريدك

رفعت حاجبيها: تمزح كعادتك سليم.. انتهى وقتنا المستقطع عزيزي..

ولم تكمل عبارتها، سحبها خلفه بقسوة!

نادية.. قلت لكِ أريدك..

الأمر يستدعي أن تغضب.

ولكن لا...

لم تكن غاضبة أبدًا بل على العكس كانت راغبة!

تركت ليديه حرية التصرف في ملابسها، تركت له حرية العبث في عالمها.

أول أمس اجتاحها ذنب فبكت كثيرًا بدورة المياه حتى أنها بدأت تعتقد أنها قريبًا ستتلبس شياطين الإنس والجن سويًا..

خرجت بقرارٍ مختلف لترتدي عريٍ ما وتندس بجانب زوجها، ترددت في البداية فرغم سنين زواجها لم تعتاد أبدًا أن تطلبه ولكن ألم تتغير!

وهو لم يتغير..

استدار..

لم يبالي بما ترتديه...

لم يعلق...

لم ينوه...

لم يرغب..

كان ديناميكيًا كعادته وربما تلك المرة كان أكثر من المعتاد، وفعليًا بكت أثناء العلاقة ولم يلحظ.....

وهرولت في يومها الثاني نحو سليم...

وسليم الآن يتمرد على وقته ويطلب أكثر...

يا للسعادة......

استقامت وقد أدركت أنها تخطت الوقت المسموح وبأكثر من ساعة.. امتدت يدها لتسحب قميصها فأوقفها بكسل!

استدارت غير مصدقة: سليم..

بدا وسيمًا بابتسامة جانبية هادئة: ربما أطمع بتناول غداء...

قطبت جبينها في يأسٍ : أنت مجنون!

اعتدل بدوره ليجذب قميصه ويشعل سيجارة، همست هي: أنت تدخن كثيرًا...

ردَّ هو بسخريةٍ: أنا بكل شيءٍ كثير....

تجاهلت تلميحه لتكمل ارتداء ملابسها، كانت سريعة في غضون دقيقتان انتهت. هرس هو باقي السيجارة في مرمدةٍ جانبه ثم ضيّق عينيه نحوها في نظرة بدت غير راضية، لمحته فوجلت للحظة قبل أن تجيب قبل أن يحاول: أولادي سليم..

مرر هو سبابته ببطء فوق مرمدته ليجيبها بشرود: أفهم نادية.. أفهم أكثر منك...

اقتربت منه لتطبع قبلة دافئة فوق خده الأيسر: أراك غدًا...

وفجأة دون مقدمات جذبها بقسوةٍ.. أزاح وشاحها بعنف وطبع فوق رقبتها قبلة قاسية..قبلة محترف...

قبلة أراد بها أن تترك أثرًا لا يحمل تفسير سواها!!

❁

عشرة أيام....!

ألم أخبركم أن عشرة أيام يتبدل بها الكثير..؟؟؟

كانت شاردة تراقب عدة أطفال يلعبون الكرة، يصرخ هذا ويتذمر ذاك وفي النهاية يبتاعون عصير القصب بأُلفةٍ.

صرخت مريم من فوق رأسها: أمي أريد العصير

وكانت استدارتها تحمل كل معنى سوى أنها استمعت للطلب من الأساس، تحمل ليلة مظلمة عادت فيها بثياب شبه ممزقة وتسريح مهين.. خطوات ضعيفة قادتها نحو أول متجر ملابس رأته، المالكة رمقتها باحتقار والبائعة رمقتها بشفقةٍ وابتاعت مالًا تذكر ثمنه وألقت بنفسها داخل أول سيارة أجرة لتعود.

تعود لمنزلها.. تعود لدفء مريم.. بل تعود لأمان هذا الشارع الصغير الذي تقطنه، كانت تبكي وعقلها يدمرها بتصورات هي الأسوء...

ماذا لو لم تنجو؟؟

ماذا لو نالها؟؟

ماذا لو كان الآخر مثله؟؟

ماذا لو تقاسماها؟؟؟

وثاني ليلة كانت مرتجفة، حرارتها عالية وتعاني مرضًا أرقدها لمدة أسبوع، ومن نفسها راضية قررت أن تساعدها بطلب إجازة وارتعبت هي من معرفة راضية بالأمر.

لم تكن تود أن تنساه فقط، بل تود أن تخفيه.. تمحيه إن استطاعت من الذاكرة كي تستمر..

ماما.. عصير!

أخرجتها مريم مجددًا من شرودها، ولكن العبرات ما زالت موجودة.. لمحت ظل خالتها حينها يقترب منهم ببطءٍ فانكمشت أكثر داخل جلبابها الوردي الطويل.. الجو حار ولكن هي متخفية داخل تلك الملابس الواسعة والأكمام الطويلة وتحبس خصلاتها في ربطةٍ مستديرة قاسية.

صدفة حبيبتي أود أن أتحدث معك قليلًا.

بشكل ما بدت هي كضيفة شرف ليس لها حق الاعتراض، مثل وائل تمامًا حينما قرر الزواج دون أن يُشرِكها في الأمر.. أو حتى يخبرها فترفض أو تقبل كما الحق البشري البسيط.

والخالة.. آه من الخالة...

كانت متعاطفة معها في البداية.. تواسي.. تهدد.. ومع كل مكالمة مطولة مع الحبيب صارت تبرر!

صدفة هل يعجبك حالك.. بنات الأصول لسن حمل مشقة العمل يا ابنتي، صدفة تركناك لتهدئي لفترة ولكن هذا الوضع لا يصح أن يستمر!

تركناك!

الآن أصبحت الخالة تحارب في جبهة وائل.. وحيدها، حتى خدعة الحيادية لم تعد موجودة.

ابنتي.. أخطأ وائل نعم ولكن تلك ليست نهاية العالم، هل سنعترض على شريعة الله يا صدفة..؟؟

الرجل له مثنى وثلاث ورباع.. هو كان يجب أن يخبرك ولكنه لم يفعل لشدة حبه لكِ يا ابنتي.. أهذا جزاؤه لأنه خاف على مشاعرك؟؟

عتلة قوية من الحديد الصلد تسقط فوق رأسها، ضربات تلو أخرى لا ترحم.. الخالة لا ترحم، الخالة تحمل شعور الأنثى أن أمرًا ما حدث بالعمل.. أن صدفة لم تعد تحتمل..

أنها ستندم قريبًا كما أجزم وائل..

كانت ترفع عينيها وداخلها عبرات، لسانها لا ينطق بشيء والخالة.. عادت تهدهد..

تحتضن وتهتم ولسانها ينطق بقلقٍ واتهام: هل ضايقك أحدهم صدفة، آه حبيبتي هل نالك أحد بتحرش كتلك التي نسمع عنها في الطريق؟؟

بنفي مرتبك هزت رأسها مسرعة، وصوت متهدج لا يستطيع المرور من الحلق: لا شيء خالتي.. أنا فقط مريضة.

ربتت الخالة فوق خصلاتها لتنطق مجددًا بحنو: أنت صغيرة صدفة وجميلة، إن لم يكن اليوم فغدًا سيطمع بك أحدهم..

أشاحت ببصرها ترفض الحوار وربما الذكرى ولكن الخالة كانت قد نوت، خططت لأيام مع وحيدها وحان وقت التنفيذ والضعف بشكلٍ ما؛هو بيئة مثالية لتزرع أيًا كان ما تود حصده.

وائل سيجن صدفة.. سيجن بالتأكيد لو اقترب منك رجل.

السيرة أرجفتها، هل هذا طبيعي.. أن تكره رجل كانت بفترةٍ ما تحبه، أن ترتعد هربًا من سيرة زوجها. ولكن الخالة لا تبالي.. أحاطتها بذراعيها، عادت لتكمل باقي الحكاية وربما الإتفاق..

لتعود صدفة لزوجها، لتنتهي حقبة التمرد ونواجه الواقع بنواقصه.. لتدرك أنها لن تستطيع المرور من عدسة الدنيا وحيدة.

وتذمرت الخالة فجأة لتظهر غضبًا مكتومًا: لا تستمعي لتلك المرأة راضية، صدقيني من داخلها تتمنى لو يعاملها هذا الرجل كزوجة.

ومن وسط هذا الحديث والكثير والقليل، صورة حاتم.. ملابسها الممزقة.. خروجها المهين.. وجدت شفتيها تتمتم دون وعي: موافقة.

❁

كانت الساعة قد جاوزت العاشرة مساءًا، أسند مرفقيه على المكتب وقد

ترك لسبابتيه حرية التصرف بجبهته.. حركات دائرية صغيرة قد تساعد في تقليل هذا الصداع الذي لم تفلح المسكنات وأربع فناجين قهوة في السيطرة عليه.

تحتاج الراحة

ابتسم وهو يلمح صديقه عاصم يدلف للمكتب ويحمل بين كفيه لفافة من الشطائر، أخرج هو لفافة تبغ وهو يضحك ماكرًا: أنت من تحتاج الراحة أيها العجوز.

ثم نفث دخانه بشبه مزاح، هكذا علمته الحياة.. المزاح ليس له موقع والمشاعر غالبًا ما تعيدنا للوراء، حتى تهاونه بشأن حق ابن اخته وعدم مراقبته بشكل جيد كاد أن يوصله للقاع فحاتم له عدة أخطاء كارثية له أكثر من أسبوع يرمم نواتجها.

أخرج عاصم شريحة ساخنة من الدجاج ليناولها لصديقه ثم تابع بجدية: حذرتك عز الدين.. حذرتك كثيرًاأطفأ عز الدين السيجارة في المرمدة بجانبه ثم تناول قضمة دون شهية وذاكرة أخرى تمر بعقله، المرمدة بيدها.. خصلاتها المنثورة.. شفتيها المرتجفتان وبكاؤها وحاتم الملقى على الأرض. زفر بضيق وهو يجاهد لإخراج صورة تلك المرأة من عقله.. هو لم يظلمها.. هو لا يبالي لتخرج تلك وغيرها من الصورة ويؤسس شركته كما يجب.

مَن مِن الموظفين كان يعمل معه مؤخرًا؟؟

الكلمات هكذا دومًا، تتآمر علينا.. تناقض العقل والأفكار وتخرج من تلك النقطة الداكنة داخل قلوبنا.. تلك النقطة التي لن نفهمها أبدًا.

كان عاصم مستمتعًا بشريحة الجمبري الحارة خاصته، أجاب دون اهتمام: بضعة مهندسين وسكرتيرته الشمطاء وتلك يجب أن تصرفها فورًا.

دون وعي وجد نفسه ينطق: صدفة

استدار له عاصم باستغراب وقد ترك شريحته ليسأل في اهتمام وينفي أيضًا في اهتمام: لا ليست صدفة.. وأنت كيف تعرف صدفة هي جديدة و..

قاطعه عز الدين على الفور: لمحت ملفها فوق مكتبه ليلة وصولي ليس أكثر ولفت نظري لأنه كان الوحيد

زفر عاصم وتبدلت ملامحه بضيق: ابن اختك عديم المسؤولية يا عز، لقد طلب ملفها منذ أسبوعين أو أكثر حتى أن الفتاة كانت مرتبكة وخافت أن يؤثر هذا على عملها.. هي تحتاج هذا العمل بشدة، صدفة موظفة حسنة ليس لها شأن بنواقص حاتم أشعر بالذنب لأنني تركتها تعمل معه. لاحظ عاصم حينها شرود صديقه، بل غامت ملامحه بشكلٍ لا يفهمه.. بل هل هو يفهم عز من الأساس، هذا العائد بأثقال لا يفقهها وينتفض الموظفين فقط لمروره بينهم متصورين أنه سيسرح الجميع بجرةِ قلم.

عاد عاصم ليسأل في اهتمام: عز هل صرفتها.. هل رأيت صدفة أو..

نظر له دون ملامح ليعود ويملس فوق جبهته من جديد ثم تحركت شفتيه بهمسٍ صارم: لا تسألني عن التفاصيل.. فقط أعدها!

ولم يقل أكثر.. بل حتى لم يقرب شريحة الدجاج، عاد لتبغه المحترق.

❀

هل حقًا تُبدِّل عشرة أيام الكثير، هل تعبث بالتفاصيل.. هل تخرج من قلبك حب امرأة وتستبدلها بأخرى؟؟

سأتزوج ثائر الرويدي

قالتها ببساطة، وأكمل هو طبقه بذات البساطة.. ثم رحل..

كانت هي متسمرة مكانها فوق المائدة وهي تلمح اقترابه، همسه..
كبرياءه وشفتيه تقولها بكل كراهية: مبارك يا ابنة العم

ليلتها لم يعد للمنزل، استأجر قارب ما وأبحر وحده يشق النيل المظلم.. يراقب السماء بسكون ويتذكر كل لمحة منها نحوه...كل مزحة.. كل سخرية.. كل غضب.

أكرهك هَنا.. أكرهك قدر هروبك مني.. أكرهك قدر..........

وانقطعت كلماته.. بترها كما يجب أن يبتر هذا التعلق المريض بشأن امرأة لم تشعر يومًا به.. ولن تشعر...

وهمس من جديد لنفسه: مبارك هَنا

وعاد ثاني ليلة، مع شروق الشمس والجميع نائم سواها.. هي تستيقظ مبكرة، يعلم مواعيدها بل يعلم متى ستتوجه لدورة المياه.

قاطعها.. اعترض طريقها وتلك المرة لن تكون هناك أوراق لتتناثر ولاعشق ممنوع ينوي اختباره... تجولت عيناه عليها في انتهاكٍ أخير ثم ناولها ما لم تفهمه، مجرد حقيبة بلاستيكية وهمس ساخر يأخذ به حقه منها: هدية زواجك!

الفصل العاشر

القبول..

ما أن تقبل.. توافق.. تخرج منك تلك الكلمة.. نعم، فهو إيعاز بالتنازلات!

زوجة ثانية.. عفوًا زوجة أولى، بل هي ستصبح ثانية.. دعونا لا ندقق في تلك التفاصيل المملة، المهم أن نتحاشى خراب البيوت.

تكررها الخالة، وتنتقل في البيت كالفراشة سعيدة بإنجازها الذي تحقق.. وتراقبهم هي من بعيد كضيف شرف، مفعول به لن يرتقي لمرتبة فاعل وربما قريبًا تزول عنها الصفة أيضًا.

سعيدة.. حزينة.. غاضبة.. متفائلة.. منفجرة، لا شيء.. وكأنها أصبحت بلا شعور تتحرك بين جدران المنزل كشبح فقد خاصية الوجود، تراقب الهاتف وعقلها يبلور كلمات تتكرر عن زواجها وطلاقها والرد والحل والعقد والندم!

نعم الندم.. فالنادم الوحيد في تلك القصة يجب أن يكون هي، كانت لحظة جنونية.. أرادت أن تجيب فيها على الهاتف.. أن تحادثه.. تنفجر به..

تغضب كما يحق لكل الإناث، بل ترفضه مجددًا وتستعيد كرامتها التي بُعثرت مرارًا تحت أقدامهم جميعًا ولكن حين أجابت.. حين اتخذت القرار لم يكون هو...

كانت قشة...

ولا نعرف هل ستقصم ظهر البعير أم تنتشل غريق ضاقت به كل السبل؟؟؟

فقط أعدها..

تلك الكلمة التي نطقها عز بكل تصميم ممكن، كان عقله شاردًا وقد أعدت له زوجته مشروب القرفة الساخن مع بعض الحلوى.. يشعر أن خلف رحيل صدفة ما هو أكبر من مجرد تسريح خاطيء من عز الدين، تسريح لم يجد به أي ورقة أو توقيع.. تسريح إن حدث فيجب أنه كان مباشرًا!!!

مرر أصابعه فوق الرقم الذي أخذه من ملف صباحًا، شعور بالذنب يتلحفه لأنه وافق على عملها مع حاتم، يشعر بشكلٍ ما أنه سلمها إليه دون حماية أو حتى دون محاولة لذلك، ولكن يعود عقله لينبهه أن الأمر ليس بذنبه وصلاحيات حاتم كانت أكثر منه بمراحل كما أنها امرأة ناضجة وتستطيع حماية نفسها.

شرع في طلب الرقم ليُكمل ما انتواه.. خطته البسيطة لضمان عودتها، خطته التي بناها على بضعة توقعات يتمناها خاطئة.

وكما توقع الأمر لم يكن صعبًا، تلعثمت صدفة أمام طلبه بل لومه المكرر بأن العمل ليس تكية نتركها وقتما نشاء، وأنها يجب أن تحضر للشركة لتخليص بضعة مستحقات مالية قبل أن تترك وظيفتها كي لا يضطر مكتب شئون الموظفين لرفع شكوى لمكتب العمل.

نعم كان قاسيًا وهذا ليس بطبعه ولكنه كان يجب أن يعيدها للشركة، يتحدث معها وجهًا لوجه.. وثاني صباح ظهرت، تقف أمام مكتبه مترددة كتلك المرة التي جاءته فيها بعد أن طلبها حاتم. زفر بضيقٍ ما لبث أن بدله بابتسامة مشجعة وهو يقول: تفضلي صدفة .

لاحظ شحوب ملامحها على الفور، كانت أخرى غير تلك المتلهفة على العمل المتشبثة به بكل طاقة.. لم ترفع عينيها نحوه، طلب لها عصير الليمون فارتشفت منه القليل وظلت على حالها منتظرة باقي حديثه.

خلع عويناته وترك مكتبه ليجلس على الكرسي المقابل لها تمامًا، يشعر أنها كابنته ففارق العمر لا شيء تقريبًا.. ولا يتمنى أبدًا أن تكون ابنته بهذا

الموقف.

تنحنح بجديةٍ فرفعت رأسها نحوه وتلك المرة ابتسم مطمئنًا: افتقدناك بالعمل يا ابنتي

تشوشت أفكارها للحظة، حينما زجرها بالهاتف توقعت الأسوء، بل تخيلت أن هذا الرجل الذي طرد حاتم قد ضرها بشكلٍ آخر، بضررٍ أكبر!

عاد عاصم ليطرق على الحديد ساخنًا: تغيرت أمور كثيرة صدفة، المهندس عز الدين عاد من الخارج لتولي شؤون الشركة والمهندس حاتم ترك العمل وتتم فلترة فريقه كله ولا يصح أن تتركي العمل بتلك الظروف، سيظن البعض أنك ضمن فريق حاتم وهؤلاء عليهم أقاويل كثيرة.

لاحظ أن شفتيها تحاول أن تنطق بالكثير ربما ولكن لا شيء.. عيناها زائغة تدور حولها ولا تفهم ما يحدث، بالأمس كان قاسيًا واليوم يناديها ابنتي.. ألا يعرف أنها طُردت كمذنبة بل محترفة بالذنب، ألا يدرك أنها فوق غرفة موازية لتلك تمامًا كادت أن تفقد...

وانقطعت أفكارها لتغمض عينيها بألم، بل بقسوة كي تمنع أفكارها من الشرود نحو العودة.

خرج صوتها ضعيفًا بعد جهد: أنا آسفة سيد عاصم أنا لا أستطيع..

ثم توقفت كلماتها وشعرت بحلقها جاف تمامًا، جفاف كهذا الذي يمنع خروج الكلمات بل يقف بطريقها كسد منيع يأبى الجواب.

ارتشفت القليل من العصير لتتابع ببحة: ظروفي الآن لا تسمح

أومأ عاصم برأسه ليبدو متفهمًا وارتشف هو القليل من قهوته ومتابعته تلك المرة كانت جادة: ظروفك سيئة منذ البداية صدفة والآن هل ستستسلمين لها أم تمسكين الدفة في محاولة لتطويعها مثلنا جميعًا؟؟

رفعت رأسها وقد بدت مرتبكة، ارتباك يسمح له أن يتابع ويسيطرِ رجل له خبرة: لقد ظننت أنك مختلفة، امرأة وحيدة وطفلتها تسحق الظروف تحت قدميها وتثابر كما لم أرى أي شخص من قبل.. امرأة رغم ضعف بنيتها رغم الهشاشة المرتسمة عليها الآن تحمل في داخلها قوة ربما تفوق عزيمة رجل مثلي... امرأة لها إرادة..

عينيها توسعتا قليلًا، تشعر الآن أن راضية أخبرته عن ظروفها بأكثر مما تظن.. عيناها غاضبة وقلبها ممتن لراضية وكلماته، ولكن أن تعود..

قاطعها وهو يعلم أنها تفكر: - القرار قرارك صدفة، تُكملي الحرب التي بدأتِها يوم قررتِ الخروج للحياة منفردة أو تعودي مثلما كنتِ.. ستلقني ابنتك درس، إما الاستسلام أو المثابرة.

واستقام ليعود لمكتبه، تبدلت ملامح اهتمامه وعاد ليرتدي عويناته بكلمة واحدة: وفقك الله يا إبنتي

وتركها تذهب.. ترك لها الآن القرار.

❁

كان يحادث أحد الموظفين بجدية وبين أنامله اليمنى تحترق لفافة تبغ كما هي العادة، يمسك الملف بيديه ويصدر بضعة تعليمات ويطلب الرسومات الهندسية فوق مكتبه على الفور وتوقفت فجأة كلماته..

كانت تقف أمام باب المصعد ويبدو أنها شردت فالمصعد جاء أربع مرات وهي لم تقربه، رغم اختلافها البين عن الليلة التي رآها فيها إلا أنه ميزها على الفور.. فهذا الوجه لا يتكرر في الحياة سوى مرة واحدة.

لا يعلم متى صرف موظفه وظل بمكانه مستندًا على الحائط يراقبها.. كانت ترتدي وشاحًا ضخمًا بلون أخضر تبدو وكأنها ارتدته على عُجالة فغاب

رأسها الصغير داخله. وتنورتها واسعة تتدرج ألوانها بين الأسود والأخضر وتخفي حتى قدميها الصغيرتين ولا يوجد بمظهرها نقطة ضوء سوى قميصها الأبيض الفضفاض ووسط كل هذه الفوضى هي تبدو جميلة.. وجهها ينبض بحيرة لم يرى مثلها من قبل، الآن تفوت المصعد للمرة الخامسة وبتدقيق بسيط لانفعالات وجهها يدرك أنها لا ترى المصعد من الأساس.

حاجباها مقبوضان وتعض على شفتيها على ما يبدو بمائة فكرة، أنفاسها تبدو سريعة والوجه تمر فوق صفحته أحداث مبهمة هو لا يعلمها ولكن يبدو أنها تضحك وتغضب وتمرر الهواء لرئتيها ببطء وترفع عينيها نحو السماء وتتخذ ألف قرار في دقيقة واحدة.

وأخيرًا رأت المصعد، توجهت نحوه ببالون الأفكار الضخم حول رأسها وهو فكر للحظة أن يتخذ معها نفس المصعد.. تفكير لحظي مر على خير والحمد لله فهو يعلم أنه لو حادثها بأي شكل فهي لن تعود أبدًا، وهو يود عودتها.. استمرارها بعملها كما كانت فقط ليتخلص من هذا الشعور المزعج بالذنب.

نعم مجرد شعور مكرر بالذنب لا أكثر..

وابتسم ساخرًا وهو يعود نحو مكتبه فهو يكره اللون الأخضر!

مختار..

الفتى السمين بملامحه القبيحة وشاربه الخفيف علامة طور المراهقة البشع في الذكور، أنت ذكر أنت قوي...

أنت ذكر... أنت مخيف

وكان مختار سخيفًا شأنه شأن عصبة الشباب وقتها حيث يمضون تسكعهم المسائي بجوار كشك سجائر رخيص يقع على بعد شارعين من منزلها..

لا تعلم لَمَ تذكرته الآن وهي تمسك بالغلالة، هدية ابن عمها المبجل!

بل تذكرت كيف كانت تتحاشى الفتيات المرور من طريق مختار كي لا ينالها لفظ قبيح والأسوء اقتراب مهين ليضحك الباقون بمتعة.

كيف كان يقف متبجحًا بطريق كل فتاة كذكر غوريلا ضخم يود أن يثبت قوته أمام حفنة مهتاجة من القرود عله يعوض نقص عقله ويثبت أنه شيء...

مجرد شيء!

قالتها بشموخ لصديقتها التي تصغرها بأربعة أعوام، بل أصرت أنها ستمر من أمامه وقطيعه غير مبالية بشيء.. توترت صدفة وأمسكت بيدها كي تمنعها من المحاولة: لا هَنا.. دعينا نتخذ الطريق الآخر

استدارت وقد طالت جديلتها السوداء وقتها حتى الخصر ثم تركت صدفة لتتحرك بإصرار: لا، لن أهرب صدفة.. لن أهرب

وما حدث بعدها ظل الحي يتحدث عنه لسنوات، كيف جذبت صدفة من يدها ومرت أمام المتبجح بعد أن رمقته بنظرة تحدي.. كيف اقترب منها بكل عبثه القميء وكيف استدارت هي بكل جرأة كي تهديه قبضة قوية حطمت أنفه بكسرٍ مضاعف!

كيف حدث هرج ومرج واقترب منها متوعدًا بكسر رأسها وحينها انتفض رجال الحي أخيرًا وتم منعه هو وأصدقاءه من التسكع في هذا المكان ومضايقة الفتيات مجددًا.

وكيف غضب زياد وغضبت ثناء وتمت معاقبتها بالإحتجاز بالمنزل لمدة أسبوع كامل.. ولكنها كانت سعيدة...

كانت هي كما تود أن تكون دومًا، كما واجهت ثائر من أجل دارين وكما وافقت على الزيجة ليس فقط من أجل حماية من هي بمثابة أختها كما هدد ولكن لأنها أبدًا لا تهرب.

لأنها قررت أن تلقنه درسًا وتجعله يندم على اختياره هذا، على لعبة البيادق التي لا يجيد الرجال مثله غيرها فيضع أنثى مكان أخرى ويقرر استبدال نساءه كما يبدل ملابسه بين قديم وجديد وله حق الإحتفاظ بالكل!

ولكن مع هذا كله لم تواجه زياد، تركته ينفذ بجلده بعد أن ترك لها هدية أقل ما يقال عنها مهينة، بل حقيرة تشبه ملخص رخيص لرواية كل تفاصيلها اشتهاء رجل لامرأة وكيف ستتقن هي اغواءه!

تصلبت قبضتها على الغلالة ولم تشعر بشيءٍ إلا بعد أن مزقتها تمامًا، وإن نجح زياد بشيء فهو نجح في تأجيج غضبها أكثر على هذا الرجل الذي اختزلها في رغبة ورحم يحتضن بذوره. في امرأة مناسبة لتكتمل الصورة حتى وإن ضاق بهما الكادر فيما بعد، الأمر سهل سيستبدلها بأخرى!

وكان لها موعد مع اتصال منه بعدها بليلتين، عملي هو لحدٌ غامض.. يخبرها أنه سيرسل لها سيارة كي تختار معه تصاميم الفيلا خاصتهم ورفضت هي بسخريةٍ: لا أهتم

كان يبتسم برضى وهو يحرك قلمه بشكل دائري مبهم فوق مكتبه، سألها مجددًا ونبرته تلك المرة تهمس: معنى هذا أنك ستقبلين بذوقي؟

السخرية كانت ما زالت تمتلك شفتيها، الخطيب الرائع يهمس.. الآن يود أن يحول تلك المهزلة لحديث رومانسي ساذج، أجابته وهي منشغلة بإرسال بريد إلكتروني هام: نعم ثائر.. قبلت بك سأقبل بذوقك ما المعضلة؟؟

ضم حاجبيه في قسوة وقد ترك قلمه ودوائره الغير منتظمة لتتخذ نبرته منحنى آخر أكثر خشونة: حاذري أسلوبك معي هَنا.. معي تفكرين مرتين قبل النطق

تركت المراسلات وقد جذبت خشونته انتباهها، سخريتها تحولت لانتصار فقط لأنها أغضبته ونبرتها هي كانت هادئة وواثقة لا تبالي: أنا أفكر مرة واحدة وما أقوله لا أندم عليه أبدًاواثقة؟

على الدوام..

اخترتك ذكية لا مغرورة

ربما أسأت الإختيار إذًا!

ضحك.. ضحك بقوة مليء شدقيه وعاد لها بعد الضحكة: قديمة جدًا تلك اللعبة.. أتصورك الآن في زيارتي القادمة ترتدين ثيابًا مضحكة وتلطخين وجهك بمساحيق رخيصة كي تثيري ذعري

سخريته أغضبتها.. حتى أنها استقامت بتحفز وهي تجيبه: رغم أنني لست بتلك الحماقة ولكن هل سيشكل هذا فارق؟؟

وحينها تحولت سخريته لابتسامة ماكرة وهو يجيبها بذات الهمس ولكن بحروفٍ واضحة قدر ثقل الكلمات: ببساطة لا.. لأنني أريدك.

وصمتت هي، الثائر كحال كل رجل يلقي بدفة الحوار نحو شيئًا آخر.. نحو التملك والإشتهاء والرواية الرخيصة التي لم يقرأها، وربما نحو العائلة والزوجة الكاملة والطفل والوريث والمملكة التي عليها هو سلطان.

صمتت حتى حين..

❁

من الجيد أن يسألك أحدهم....

أي نوع تفضل من الموسيقى قبل أن يهديك اسطوانة؟؟

أي طعام تشتهي؟؟

أي وجهة تود الهروب إليها؟؟

وربما كيف عزيزتي تفضلين أن أقبِّلك؟؟

تكره قُبلة الجيد بكل ما يخصها، بكل توابعها..

فليعتبرها امرأة مجنونة ولكن صرخاتها كانت حاسمة..

«لا تكررها»

وتغادره مرة تلو أخرى وهي أكثر حنكة، بحقيبتها قلم صغير يخفي كل عيوب اعتداءاته بمهارة..وعلى مائدة أسرتها ابتسامتها باهتة لا تحمل سوى ثلجية زوجة حسنة العشرة.

ألا يصفها زوجها بذلك للجميع ولها إذا ما أراد فجأة حديثًا وديًا.

نهى ليست حسنة العشرة!

بل هي امرأة متمردة مجنونة مزعجة لزوجها كزامور قطار وتأبى أن تنجب طفل ومع هذا يتحملها..

وخانته..

وسؤال يدوي بجوفها كالعاصفة، تود أن تسأل نهى لماذا خانته؟؟

تود أن تحصل بجنون على تفاصيل.. أم ربما ذرائع.

وصلت صديقتها على عجالة إلى المقهى.. هناك تسلم نادية طلبيات محددة وربما تنفرد هناك بهدوء كوب قهوة.

صاحبة المكان أرملة في الخامسة والأربعون تقدس مجهود كل أنثى وتقدره جيدًا.

كانت امرأة ثاقبة الرؤية، أول ما رأت نادية وجدت بها الزوجة المتفانية الملول..

تبحث عن مصدر رزق وسلوان، وكان سحرها لا يوصف وأصبحت كعكاتها هي أفضل ما يقدمه المكان.. ونعم طعامها إن بقيَ على مذاقه ولكن تبدلت نادية..

بها شيء ما يختلف...

بريق غامض لا يخفى على امرأةٍ مثلها... وصداقة غير مسؤولة بمومس شرعية كنهى!

زفرت نهى بضيقٍ وهي تضع حقيبتها: ما سر العجلة نادية.. ما الأمر المهم؟

ظلت نادية تمرر سبابتها على حافة كوب القهوة مثله..

ما هذا؟؟

أستبدأ في اكتساب عاداته، رنة صوت نهى المتعجلة هاجمتها مرة أخرى وهي تكرر سؤالها في غير صبر: ماذا هناك؟؟

بنبرة يابسة تحركت شفتيها، تسأل.. تستفسر.. تبرر!

لمَ تخونيه نهى؟

المكان العام خانق للتعبير، بل تعابير.. برقت عينا نهى لتطحن منديل مسكين بأظافرها وتجز على أسنانها بغيظ: أنا هنا لاستجواب بليد!..

أغمضت نادية عيناها لِتُكمل بدورها دون صبر: أجيبي نهى.. اللعنة أجيبي على السؤال!

بهتت ملامح نهى.. بدت داخل عقلها تصورات.

هل ظهر سليم..؟؟

هل استيقظ ضمير نادية مرة أخرى؟؟

تجولت ببصرها بحثًا عن النادل لتطلب شيئًا ما وأحرقت أنفاسها بسيجارة.

كانت متوترة ليس من كلمات جواب ستسرده ولكن من سبب السؤال.

بعد فترة صمت وجيزة ابتسمت بأسى: ربما اعتدت

كان آخر جواب تتصوره نادية وكان الأصدق!

قول الحق شاءت أم أبت..

أرجعت نهى رأسها للخلف.. بدت أكثر أريحية ومستعدة للإسترسال: المرة الأولى هي الأصعب.. يأتي الأمر دون تخطيط رغم أنني كنت أتجاهل المقدمات.

لم تشعر نهى أن نادية بدأت تدمع.. خلايا عيناها تُكوِّن عبرات... كانت ذاكرتها تعود بها لثلاث سنوات مضت.. لحياة حافلة بمناسبات وزيارات وصفقات وعشاء عملٍ ما وفتنتها التي يفتخر بها زوجها أمام الجميع..

أمام الصديق.. خمسيني وثلاثيني.. أهناك مجال للمفاضلة..؟؟

نظراته كانت واضحة وبعد عدة مقابلات تخطى للتلميح المستتر ببراعة.

في أمسيةٍ ما ومع انشغال زوجها بمهاترات عملٍ جذبها بأحد الأركان ولم يكن الأمر كقبلة شغوف برواية رومانسية بل كان يتحرش بها دون رادع ولم تصرخ...لم تقاوم بجدية!

ولم ترفض سهرتها التالية برفقته.... ولم تتردد في قبول الدعوة الأكثر جرأة لها وحدها... ولم يتمكن منها الندم طويلًا!

تضحك بتحكم وهي تلمح تأثر الطيِّبة نادية، تشج نبرتها رقة ملامحها وهي تردد بغلظة: كانت تجربة رائعة.. وبما أنني اعتدتها فلم أمانع أن أكررها.

وهنا توقف الحديث.. الكلمات الآن مهترئة ولا جدوى من تكرارها، وإن أرادت نادية محاسبتها.. محاكمتها.. التنكيل بها أم ربما الهروب من رفقتها كنقيصة.

لا تبالي.....

وقبل أن ترحل أهدتها همس أخير....

- سليم الخامس!

ولو لديها تلك الحاسة التي تتفاخر بها الإناث لسمعت دقات طبول بقلب نادية... لعلمت أن النقيصة بنادية...

الخزي بنادية...

والفاحشة فاعل ومفعول بجسد نادية.....

نادية التي وجدت نفسها بنهى قبل ثلاث سنوات، وجدت آخر جواب تريد سماعه...

وجدت الحقيقة....

و كانت نهى تحتفظ لنفسها باعتراف آخر..

أستُخبرها أنها بدأت تمل سليم، أن شرارة اللقاء بدأت تخبو مرة بعد أخرى.. أن الأمر بدأ يتطور لحماقة وروتين بارد بين جسدين...؟؟

تركته وتوجهت للمرآة، عدلت خصلاتها وارتدت مئزرًا حريريًا لتعد مشروب ما.. تمدد هو على الفراش مرة أخرى غير مباليًا بها ولكنه أحرق سيجارة ورسم فوق خيوط دخانه صورة نادية...

ابتسم وهو يتذكر زعيقها الحاد متنمرة على قبلته، ومظهر الغاوية التي اتخذته بعد ذلك بغلالةٍ سوداء كي تراضيه!

خفتت ابتسامته وغاص بجنون أحاسيس تنتابه.. لسعادة تتمكن منه ليس لخضوعِ منها وليس لجسدها الملفوف بغلالَة وليس لجرأتها المترددة نحوه.

هي حاولت استرضاءه!

زفرة نهى الحارة بجانبه نبهته أنها ما تزال هناك، ضربت ساقيها بساقه لتمازحه بغيظ: لم أعد فتاتك المفضلة؟؟

رفع أحد حاجبيه ساخرًا: هل تبالي؟؟

لوت شفتيها لتتجرع مشروبها وتجيب دون اكتراث: لا..

ضحك بصدق تلك المرة فرمقته هي بخبث: من تكون؟

تعجَّب!

اعتدل ليحاورها بتركيزٍ أفضل: ما هذا السؤال؟

لم تبدل هي موضعها.. بل تجرعت آخر المشروب لتمسح قطراته من فوق شفتيها باستهتارٍ متابعة: سليم.. أعلم أن هناك أخرى

ضحك هو نصف ضحكة ليستهزأ بغرور: أخريات..

ضيقت هي عيناها توازي تباهيه: سليم لا تكفيه امرأة واحدة

أمال هو رأسه يتأملها لينطق ببطءٍ: وهل يكفيكِ رجل واحد نهى؟؟؟

ضحكت بمجون حتى أدمعت عيناها وهربت لتجلب مشروب آخر لكلامهما وتضرب كأسيهما: أنت تفهمني

تجرع البعض من مشروبه: نحن فقط نشعر بالملل ليس أكثر

تثاءبت هي بكسل واضح: الحظ معنا.. أنا سأبتعد قليلًابدا عند تلك النقطة مهتمًا، سألها بفضول: لماذا؟

لوت شفتيها: أسافر مع زوجي.. رحلة عمل مطولة والدب العجوز لا يحتمل الوحدة.

تندر بملامحه قبل صوته: مسكين

اقتربت هي منه بشفتيها لتتدلل: ستفتقدني؟

وابتسم هو بشغف خلاصه منها: أكيد

ورحلت راضية ببريق أنثى تهديها رغبتهُ اكتمال...وعاد هو لتصوراتٍ أخرى أكثر جرأة بشأن نادية.

نادية التي كانت تجلس فوق أريكتها بهذا الوقت تتشبث بدفء كوب نعناع دافء، شاردة لا تبالي بمحتوى البرنامج الزاعق الذي يتابعه زوجها وغارقة بدوامتها الخاصة من المبررات.

فالمبررات خديعة عقل.. والخديعة واحدة.. والأسس واحدة.. فالشيطان ليس ماهرًا بالتجديد.. وحقيقة نهى تؤلمها.. تقتلها.. وتتذكر هي جملة.. هجوم أتقنته فوق مسامعها من قبل......

«لن تلوثيني»

وتشعر أنها الآن ملوثة أكثر منها... لا ترتقي لأن تكون نهى.. فنهى تخون رجل ولكن هي تخاطر بأولادها مع كل لحظة متعة.. وقررت أن تمتنع عنه.. أن تهرب وتغلق هاتفها وتقاطع ملجأها الآمن بسببه..

❀

الصورة أمامها تمثل أجمل لحظات العمر، ربما ينقصها فقط كادر يجمعهما مع ورود وأنامله تحتضن أناملها على موقع اجتماعي ما..

وهو يجلس أمام والدتها بقميص كلاسيكي مقلم ويُعَدِّل من وضع عويناته في ارتباك وهي نسيت أن تضع السكر في الشاي وزجرتها أمها وضحك هو بغمزة عين وعقاب خاص!

مهلًا..

تلك ليست دارين وأحمد لم يصل لتلك المرحلة بعد، هو ما زال يقبع في

الحظيرة كديك شركسي نادر يتقن فخ الدجاجة، والدجاجة أصابها إغماء متكرر فقط لأنه غازلها بشبه نظرة وباقي الدجاجات حولها يحركن الهواء من فرط العشق الذي كاد أن يحرق الحظيرة بمن فيها..

كانت هي تراقب ثائر الذي على ما يبدو تخلى عن بدلته الرسمية وحضر لمنزلهم مساءًا في زيارةٍ مفاجآة لخطيبته!

الأمر رومانسي حد الشوكولاه المحشوة الملفوفة خصيصًا بشكل اسمها، كم هي حمقاء هَناء حتى أنها تجاوره بجلسة ملول وكأنها تنتظر دورها بعيادة طبيب أسنان جشع..

ثناء تتقن ضيافة الرجل وهو يتحدث بحرفية عن تفاصيل القادم وموعد الزفاف وعقد القران ومنزلهم الذي سينتهي منه قريبًا.

ياله من أمرٍ رائع...

ياله من أمرٍ ممل!

برطمت هنا وهي تحاول أن تصنع له أسوء قهوة في التاريخ، طلب منها قهوة تركية بتركيز بن قوي والقليل جدًا من السكر.. قهوته مملة مثله..

وكررتها وتابعت ودارين تراقبها بضحكةٍ مكتومة..

ممل.. ويتحدث عن أشياء مملة تشبهه ومهر وعقد ومؤخر صداق وزفاف وثوب.

زفرت بضيق لتستدير بقمة غضبها لدارين التي قالت لها في براءة: أشعر أنه يحبك...

أغمضت عيناها وهي تقبض بأناملها بقسوة فوق فنجان القهوة حتى كادت أن تكسره: ابتعدي عن وجهي دارين الآن.. فقط راقبيه بحالمية مثلما كنتِ تفعلين منذ قليل فلربما يظن أنه سوبر مان ويطير وأستريح...

ابتعدت دارين عن هَنا المنفجرة وهي تكتم ضحكاتها وتراقب القهوة السيئة المذاق وهي تتحرك معها نحو الثائر الممل وتفاصيل أخرى لا تنتهي، تفاصيل توقفت مع إصرارها هي على زواجٍ دون زفاف.. اعترضت ثناء وأكمل الثائر القهوة غير مباليًا بطعمها وأضافت هي بثقةٍ: لا زفاف.. ولا ثوب أبيض أنا لا أهتم بتلك المظاهر

استدار لها وقد بدا أنها استفزت غضبه بشكلٍ واضح: لا يهمني الزفاف، فقد عشت تلك الضوضاء من قبل ولكن... عروس ترفض الثوب؟؟

قاطعته ثناء ملطفة: سنعقد القران وندعو بعض أصدقاءنا المقربين وباقي العائلة وعائلتك أيضًا يا بني

قاطعها هو بأدب: لي القليل من الأقرباء، فكما تعلمون رحل الوالد وقبله أمي وليس لي أخوة.. سأدعو المتاح منهم ونعقد القران هنا بمنزل العروس ثم تغادر معي بثوبها الأبيض وأنا ابتعته من أجلها بالفعل.

ورمقها حينها بنظرة صارمة أنهت النقاش والزيارة المفاجأة ومخزون الشوكولاه الذي إلتهمته دارين في المساء وهي تحاول أن تتخيل شكل الثوب الذي ابتاعه ثائر..

أما هَنا فآخر همها كان تفاصيل الثوب، كانت تفكر بتلك العريضة الهائلة من التحكمات التي تتسرب لعالمها بقيد ورقة زواج تبيح له حتى ابتياع ملابسها..

تفكر في ثناء التي بكت بعد رحيله لأن ابنتها الكبرى لن تحظى بزفاف طبيعي وربما لأن ابنها ليس العريس وربما لاصفرار وجهه حين أيقن زيارة ثائر وهروبه بحجة موعد وهمي ما..

للحظة.. مجرد لحظة شعرت بالشفقة من أجله ولكنها تبخرت حين تذكرت هديته القيمة والغلالة، تلك التي قطع بها آخر شعرة حتى ولو عاد بمعجزة ما إلى

مكانته كأخ كما اعتبرته دومًا.

❁

فيروز تغني........

كان الزمان و كان في دكانة بالفي

و بنيات و صبيان نيجي نلعب عا المي

يبقى حنا السكران قاعد خلف الدكان

بغني و تحزن بنت الجيران

اوعى تنسيني و تذكري حنا السكران

ورأسه مستند على جذع خشبي رخيص يراقب عدة نجمات غير موجودة، المركب متهالك طلب من سائقه التخلي عن ضوءه وضوضاءه والتسلل ببطء نحو سواد النيل.. كان الوقت قد قارب على الثالثة بعد منتصف الليل والقاهرة توشك أن تنهي صيفها وخريفها سريعًا وتعدو نحو الشتاء.

المراكب الصغيرة تفقد بريقها شهرًا تلو الآخر وانتهت الأفراح والرحلات النيلية الرخيصة وبقي هو وهذا الوجه الأسمر المجعد لرجل ارتضى أن يأخذ باقي أجرته من محوق بني له مفعول السحر.

زفر دخان سيجارته الملغمة كما يلقبها أصدقاءه وسارع لعد نجمتين أخريتين ظهرتا سريعًا واختفيتا كما الباقي، مسحوقه البني رائع فالنشوة تلك المرة مختلفة وإن كانت لن تمنحه النسيان وسيظل ثائر هو الرجل الذي أحضره هو إليها بنفسه ولكن..

إنها فيروز.. صوتها جميل تلك الليلة، ممتع وقوي ويخترق عقله لا أذنيه..

حلوة ببيت الجيران راحت بليلة عيد

وانهدت الدكان و اتعمر بيت جديد

و بعدو حنا السكران على حيطان النسيان

عم بيصور بنت الجيران

وانتهت القصة وسترحل هي قريبًا، فيروز لا تكذب!

قالها للرجل المجعد جانبه وعيناه محمرتان من الضحك، احمرار ودموع وهذيان ونشوة تغيب..

هذا المسحوق البني الرخيص مغشوش على الأرجح، أنهى سيجارته ليلقي ما تبقى منها في مياه النيل بعبث ويعود ليبحث عن النجمات الهارية وكأنها أبت العودة مع رحيل صوت فيروز ودخانه المثير.

كل شيء يعود لموقعه والرجل العجوز ملَّ الرحلة ويعود به نحو البر وهي ستتزوج رغمًا عنه والعبث أنه سيكون وكيلها بنفسه!

عاد ليسند رأسه وشروق الشمس يقترب منه بشكلٍ غامض، جرعته تلك المرة تسبب له هلاوس جديدة حتى أنه يظن أن العجوز كائن غير موجود من الأساس وأنه يتجول بالمركب وحده.

كل هذا توقف حينما سمع صراخ حاد بدأ يخترق أذنيه ليجبره رغمًا عنه على الإستفاقة!

«غريق»!!!

الفصل الحادي عشر

بتلك البقعة الهادئة على ضفاف النيل وبين قاطني الجزيرة الأكثر هدوءًا بالقاهرة اعتادت هي الإستيقاظ مبكرًا لتقوم بجولة ركضها الصباحية، لا شيء يتغير.. نفس الوجوه وربما نفس الأحداث تمر بها كل يوم.

كوب اللبن البارد.. ابتسامة سريعة للعجوز صاحب الكشك الخشبي على ناصية الشارع.. ومرور بمرسى المراكب المزعجة طوال الليل ثم إفطار شهي يحرص أبيها على إعداده بنفسه..

كانت قد مرت نصف ساعة وتمكن التعرق منها فتوقفت تستريح وقد اقتربت عائدة للمنزل، سيارتها تصفها جوار مرأب السيارات المجاور ويبدو أن السائس قد بدأ بتنظيفها بالفعل.. منظر المياه مع شروق الشمس رائع.. لفت انتباهها وتحاشت النظر نحو المراكب النيلية الصغيرة المتناثرة في الأسفل بعد صخب لياليهم الذي لا ينتهي وفجأة صراخ شق السكون..

غريق!

الصوت جذب انتباهها.. بحثت بعيناها بين المياه لتجد شابًا أحمق أسقط نفسه فيما يبدو من أحد المراكب دون وعي، صرخة قوية من مراهق لم يتعدى الثالثة عشر وفتاة صغيرة بجانبه تراقب.. الوقت مبكرًا جدًا ليتواجد أحد ويبدو أن صاحب تلك الخردة المسماة قارب ترك هذا الأحمق ورحل!

الوقت لم يسعفها لتفكر أكثر، وجدت نفسها تتخطى السور سريعًا وتقذف بنفسها في المياه لتستخرج هذا الرجل الذي قارب على الغرق ويبدو أنه لتوِهِ الآن بدأ يدرك!!

أساطير النيل كثيرة، دور البطولة لها مع التماسيح وأكثر الخلطات خبرة تعطيك مقابلة مباشرة مع العروس الفرعونية!!

غريق!

الصوت بداية استفاقة والماء بداية الصدمة، حينما حاول فتح عينيه اكتشف أن استنشاق الهواء كارثة فالماء تقريبًا يحيط به من كل جانب، ضرب ذراعيه بعشوائية متوقعة فما استنشقه بساعات الليل أفقد لديه كل قدرة على المحاولة، ويبدو أن نهايته ستكون وجبة شهية لأسماك محظوظة أو ربما عروس البحر!

بل عروس النيل!

التشوش الآن مثير للشفقة، ويشعر بأنفاس امرأة.. ذراع ما تجاهد لسحبه، عبق أنثوي وشُباب!

تشبث أخيرًا بحافة السور وكانت عيناه دون رؤية واضحة فقط همهمات بعض المارة ومراهق يصرخ فرحًا بنجاته وخصلات كستنائية قصيرة ابتلت بفعل محاولة إنقاذه..

لم تكن عروس النيل إذًا.. استفاقته وازت ابتسامة واسعة ومحاولة لفك طلاسم منقذته.. بشرة خمرية صافية وخصلات كستنائية فاتحة مربوطة بشكل ذيل حصان مبتل بفضله.. بلوزة بيضاء قطنية قصيرة فوق سروال أسود رياضي قاسي بجيوب عدة!

كان قد اعتدل بنصف جلسة وناوله المراهق منشفةٍ ما وجلست الصغيرة بجانبه تعدل من خصلات شعره، وصوت رجل عجوز من الجمع المتوقف يضرب كفوفه ويظن أنه منتحرًا، كانت أنفاسه قد بدأت تنتظم نوعًا ما حينما استشعر قربها منه.. أخفضت رأسها لتوازي جلسته وسألته بجدية: أنت بخير؟؟

لا ينكر أنها أجفلته، كانت تحادثه بتركيز وعيناها تتفحصه بشكل مريب..

الآن ملامحها تتضح أكثر، حاجبان متناسقان بشكل هلالي وعينان لهما بريق زيتوني قاتم.. ليس بواضح ولكنه جميل.

أنف دقيق وجبهة عريضة بعض الشيء فوق ذقن دائري ناعم...

ابتسم بثقة ذكورية بعد أن أخذ وقته في تفحصها كما يجب ثم حرك رأسه في امتنان، أو هكذا كان يظن فيبدو أن تركيزه لم يعد إليه بالكامل.. شعر بيدها تسنده قليلًا ليستقيم وتابعت وهي تتفحص عيناه أكثر: كيف سقطت؟؟

ضم حاجبيه وبدا كأنه يحاول أن يتذكر، ليحرك كتفيه بعدها في حيرة ثم اقترب منها بمكرٍ ليهديها ابتسامة لم تخيب ظنه من قبل: المهم أنكِ منقذتي..

صمتت قليلًا فيما يبدو لمحاولة استيعاب مغازلته خاصة أنه كاد يغرق منذ دقائق عدة، فكت ربطة شعرها لتحركه وتساعد على جفافه أكثر ثم جمعته في جديلة سريعة على جانب كتفيها وتابعت دون اكتراث: جيد.. ما رأيك أن نأخذ القهوة سويًا، سيارتي هناك...

نظر لهيئته المشعثة وملابسه المبتلة بازدراء ولسان حاله يقول أن مظهره لا يصلح سوى لكوب من الحمص الدافيء على قارعة الطريق وحينها ابتسمت هي ساخرة: لا تقلق.. ستجف

وتحركت هي برشاقة نحو سيارتها وبدت ملابسها بشكل ما تجف بسرعة خيالية عكسه تمامًا، المَرة القادمة حين ينوي الغرق سيحرص على ارتداء نسيج مضاد للمياه!

تخلص من أفكار مزحته التي يضحك عليها وحده ووجد نفسه يتبعها لسيارة بيضاء رياضية صغيرة.. كانت هي سريعة الحركة ففتحت الشنطة الخلفية للسيارة واستخرجت منها سترة ما ارتدتها فوق بلوزتها المبتلة وزجاجة مياه شربت منها القليل، وكان هو ما زال يراقبها بحماس يخبره أن يومه سيكون مختلف... مختلف جدًا!

مختلف بقدر احمرار عينيه وقلة تركيزه الواضحة رؤيا العين، حتى لم يدرك عدد النجمات فوق السترة التي ارتدتها.. ابتسامتها الغير مفهومة واقترابها منه ومن يديه المستندة على حاجز السيارة..

يبدأ هو تعارف بسيط وتختمه هي بواقع أبسط...

زياد.. زياد المهدي، رجل أعمال!

وثقة في وسامته التي لم تخيب مع أغلب النساء...

فدوى الرائد.. ملازم أول

وثاني الجملة وازت أصفاد حديدية ظهرت من العدم لتحتضن رسغه..

وباقي الجملة مع رأسه الذي دفعته ليركب جوارها بالسيارة: والقهوة سنشربها في قسم الشرطة..

والتهمة لا تحتاج لنصف تركيز أكثر كي يدركها تلك المرة..

«تعاطي...!»

شريحة متوسطة وكوب ساخن من الشاي ووحدة فوق طاولة، منذ عادت وهي تتحاشى الجميع.. علاقات محدودة وسلام فاتر وحديث جانبي تختص به راضية وابتسامة ممتنة لعاصم.

وفقط..

والذاكرة قد تعود بها نحو أسبوعان، نحو قرار جاهدت لتأخذه وجاهدت لتنصر مريم ولكن كانت المعضلة كيف!

تعيش بكنفه تعيسة أم تبتعد مع شرف المحاولة..

حينها كان وقت الظهيرة والمؤذن بالمسجد القريب يبدأ الله أكبر وخالتها يبدو أنها ستفوت موعد صلاة الظهر بفضل الغالي وائل والحوار مُهين.. مهين لدرجة أنها أسقطت شنطة بلاستيكية ممتلئة بالعصائر كانت قد أحضرتها لمريم وأسقطت معها كل فكرة وقرار بالعودة.

الأم تدلل.. وتعد.. وتبيح كل محظور أرادته كرامتها، هي المخططة.. وهي التي باعت وهجرت واتخذت القرار.

والآن هي من تسعى للعودة!

والغضنفر يفاوض.. والرجل ينتصر والأنثى تتنازل،

والصوت رغم ارتعاشه، رغم الإرتجافة والضيق والتيه والحاجة كان حاسمًا.. بل كان ممتعًا بدرجة مذاق السكر الذائب في فاكهة تعشقها، كان الارتياح الذي لم تفهمه إلا حين قالتها: لن أعود خالتي.. أُفَضِّل أن أحيا نادمة

وسمعها هو على بعد آلاف الأميال من الهاتف، سَمع كل حرف وكأنها أمامه..

وكوب الشاي ما زال ساخنًا وهي تشربه ملتهبًا.. كيف تحتمل مذاقه هو يفضل شايه دافئًا فلا هي بسخونةٍ ولا برودة، فقط مذاق دافيء ممتِع ودون سكر.

اليوم هي ترتدي اللون البني، لا بأس به.. بلوزة كريمية وتنورة بدرجات متفاوتة ومتماشية بأناقة مع الوشاح، وبالأمس لاحظ أن ابتسامتها تحمل غمَّازة.. ليست فقط الابتسامة بل كل انحناء مثير بشفتيها يجتذب تلك الغمَّازة الممتعة.

رفع حاجبه الأيسر وابتعد عن النافذة ليوقن أن مراقبته لها هذا اليوم تعدت الحدود تمامًا، ما هذا؟؟

بداية سيئة.. شعر بالذنب وأعادها وانتهى الأمر، حتى أنه من وقت عودتها تجاهلها تمامًا ويغيظه أنها فعلت الأمر ذاته.. فهي تتحاشى المرور من أمام مكتبه.

ولا تحادث تقريبًا سوى تلك المرأة راضية وبالطبع عاصم.. يكاد يكون الآن أبيها الروحي!

لوى شفتيه في غيظٍ ثم عاد لارتشاف الشاي الذي فيما يبدو قد غادر الدفء نحو برودة خريفية تشبه الطقس حوله، كان موعد استراحة الموظفين قد قارب على الإنتهاء ولديه هو بضعة مراسلات مهمة أخرتها السكرتيرة المتواضعة الخبرات الذي عيَّنها على عُجالة بعدما طرد مساعدة حاتم.

أخرج بضعة أوراق من مكتبه متذكرًا أنه يريد أن يناقشها مع عاصم وبدلًا من استدعاءه قرر هو التوجه لمكتبه.. هناك تمامًا يمر بمكتبها وتتحاشى هي النظر نحوه دافنة رأسها الصغير بين كومة أوراق.

كانت خطواته سريعة وكان مكتبها فارغًا، أيقن أنها لم تعد من ساعة الغداء بعد وحينما استدار مجددًا لغرفة عاصم كانت هي بمواجهته.

أجفلها كما أجفلته تمامًا.. يبدو أنها تأخرت لسببٍ ما وكانت تتحرك مسرعة بدورها، خطوتان نحو الخلف وشفتيها تتحركان بانحناء رافض لوجوده بشكل واضح وتلك الغمازة تستفزه.. تظهر مجددًا حتى مع الضيق لرؤيته وهذا ليس بعدل.

توقف أمامها مباشرة بمعاندةٍ بحتة وحينها فوجيء أنها تخطته تمامًا لتأخذ الجانب الأيمن من الممر وتتحرك مسرعة بحاجبين منقبضين وشفتين فقدتا الإنحناءة وحتمًا الغمازة..

هروب طفولي لا يليق بها.. أم ربما يليق، يليق أكثر من اللازم!

ظل بمكانه وعيناه تتحركان معها.. تتابعانها حتى تخطته وعادت لمكتبها وبعدها بساعة واحدة طلبها بمكتبه..

❁

منذ عادت وهي تتحاشى النظر نحوه تمامًا، لو كان الأمر بيديها لرفضت العودة فقط بسببه ولكن قراراتها لا تُتَخذ بتلك الرفاهية..

في خلال الأيام الفائتة عرفت الكثير عنه..

عز الدين.......

صاحب الشركة وخال حاتم الذي تركه لسنوات يعيث بالشركة فسادًا، تقول راضية أنه كان يعيش بأوروبا وزوجته فرنسية ووالدة حاتم هي أخته الكبرى ويقدرها كثيرًا، ليس بصغير السن ولا بكبير أيضًا فيبدو أنه تخطى لتوه حاجز الأربعين.

الموظفين يخافونه وهو يربك الجميع بتلك النظرة الثاقبة التي تبلور الخطأ قبل الصواب.. تظهره على السطح وتفنده ولا تتشبث بغيره.

قاسي!

قالتها مرة لنفسها حين لمحت بكاء سكرتيرته الجديدة التي فيما يبدو تتحمل أخطاء من قبلها دون ذنب ووجبة إفطاره وغداءه توبيخها!

نظرت نحو الهاتف والفتاة الضعيفة تخبرها أن المدير يطلبها.. تشعر أن الموقف تكرر من قبل مع اختلاف بسيط ،بل اختلاف جوهري..

هو ليس بحاتم وهي لم تعد لقمة سائغة..

وإن شعرت بالخطر فتلك المرة سترحل

جدار الثقة كان هشًا، استشعر هو هذا على الفور وقت رؤيتها، تتشبث بثقة واهية تخبره أنها لا تبالي ولا تخاف مواجهته ومن داخلها هي مرتعدة..

أشار لها بيديه لتتخذ مقعدًا، لاحظت أن المكتب تغير تصميمه تمامًا.. المكتب استبدله بآخر واسع على طراز كلاسيكي قديم، وفي جانب الغرفة طاولة واسعة للإجتماعات على ما يبدو وأريكة جلدية على الجانب الآخر مع طاولة قهوة صغيرة الحجم. ابتعلت ريقها وكانت تنظر لنقوش السجاد تحت قدميها.. الطاولة الصغيرة بين المقعدين وباقي كوب شاي لم يشربه أحد وربما تفاصيل حذاءها ونقوش تنورتها.

أي شيء سواه....

على النقيض كان هو تلك المرة يتأملها عن قرب، رمشت أهدابها عدة مرات وضمت شفتيها في توترٍ ملحوظ. وراقبت تفاصيل نقوش سجادته التي يكرهها ويبدو أنها الآن تحفظها عن ظهر قلب.

تنحنح هو للحظة فأجبرها على النظر نحوه، كما يقول عنه الموظفين عيناه ثاقبة بشكل مرنك، ولمَ الموظفين؟؟

هي اختبرت كل هذا من قبل وبذات الغرفة، عادت بنظرها سريعًا مرة أخرى نحو سجادته البشعة.. ما تلك النقوش؟!؟

كيف يطلق الرجل على نفسه مهندس ويبتاع ذوقًا كهذا؟؟

لم تعد تفهم على ما هي غاضبة... منه؟؟

أم من السجادة؟؟

أم من الموقف برمته؟؟

حينما رفعت عيناها نحوه تلك المرة كانت أكثر جدية من قبل..

تواجه..لا تهرب

تخبره بعيناها أن الحوار لا داعي له، ليتركها لعملها ويهتم بشأنه.

أخرج لفافة تبغ حرقها ببطء مقصود ثم ضيق حاجبيه مجددًا وخرج صوته بشكل أجش: هل تعلمين تلك المقولة عن الإنطباع الأول؟؟

زمّت شفتيها وبدت تفكر في مقصده، الآن هو يجتذبها بذكاءٍ لمنطقةِ حواره.. لا هروب ولا عينان ستحيدان عن سيطرته.

تابع وهو ينفث دخان تبغه بعمليةٍ تامة: يُقال أن الإنطباعات الأولى تدوم للأبد وأنا كنت مؤمن بهذا....

هدأت ملامحها قليلًا وبدا كأنها تنتظر باقي حديثه، صوته قوي ولكنه يحمل دفئًا خاصًا يجبرك على الإنصات.. يحرق التبغ بقدر أنفاسه وهذا مزعج فهي لا تحتمل رائحة النيكوتين بأنواعه، وضعت أناملها فوق شفتيها وبدا كأنها تسعل ببطء ولكنه لم ينتبه.. اعتدل بمقعده ليسند رأسه في أريحية وهو يستكمل: ولكنني كنت مخطئًا!

جذب انتباهها فنسيت السعال وسببه، عيناها بنية بلون فاتح مريح.. ملاءم تمامًا لذوق ملابسها اليوم. وكأن الغرفة تغرق في قدح دافئ وكريمي من القهوة.. شرودها أمتع حواسه ولو لديها الجرأة على مواجهة عيناه لوقتٍ أطول من ثلاث ثوانٍ تهرب بعدهم على الدوام لأيقنت أنه شارد بكل تفصيلة في ملامحها، العينان فقط فمظهره العام اتخذ شكلًا عمليًا وهو يتمم كلماته: كلانا أخذ انطباعًا خاطئًا وأرى أننا يجب أن نتخطى تلك النقطة.

الآن تعود الابتسامة لشفتيها، مترددة ولكن موجودة.. تومأ برأسها موافقة وكأنها قررت أن تكون عملية بدورها أيضًا..

وداخلها مخاوف واضحة من أي تقارب أكثر...

توماً لتهرب من المكتب والغرفة وتنهي تلك المواجهة وتعود لعملها وتنهى الأمر..

رفع عيناه ينظر نحوها في غموض ولكنها نظرة أهدتها راحة: بداية جديدة؟؟؟

ابتسامتها تلك المرة كانت أوسع.. تشبه ابتسامة طفلة مترددة في قبول هدية معلمتها الجديدة، ظهر صوتها أخيرًا: بداية جديدة..

وتركها لتخرج، وبداخل كل منهما راحة غامضة.. تهديك انهاء راقي لمشكلة سابقة وفي أثرها تأتي بداية مشوشة لكلاهما..

❁

زفاف.....!

ببساطة زفاف.. رسميًا بعد دقائق معدودة ستصبح زوجة ثائر الرويدي.

الأمور تبدو تقليدية بشكل باهت، ثناء أصرت على احتفال رسمي حتى ولو بين جدران المنزل.. وتبرج وليلة حناء صاخبة وثوب اختاره زوجها المستقبلي بنفسه.

ألم تقل أنها لا تريد ثوب زفاف، ولم يكن هو لديه هوس بالأبيض ولكن اختياره صاحب صافرةْ إعجاب طويلة من دارين التي فيما يبدو تنبهر بكل ما يخص الزواج حتى باقة الورد الغير متناسقة..

ولكن الثوب..

يحمل بصمة ثائر!

فضي بتدرجات مختلفة يندرج بشكل انسيابي على جسدها.. صدر مطرز مقفول تمامًا من مقدمة الرقبة ولكنه ينحسر عن كتفيها بشكل انسيابي راقي، الظهر مطرز كالصدر تمامًا ولكنه مفتوح بقطع طولي مطرز وماكر يظهر ولا يظهر

حسب زاوية النظر...

كيف سيتركها ترتدي هذا؟؟

زفرت وهي ترفع عيناها لتشاهد نفسها في المرآة، أتقنت خبيرة التجميل رسم عيناها بظلال متدرجة من الأسود والفضي ونثرت حول شفتيها لون وردي هادىء. خصلاتها كانت مسترسلة بعد أن رفعتها قليلًا بفضل تاج ماسي رقيق وتركت شعرها ينسدل حتى خصرها مخفيًا ظهرها كله...

كانت جميلة.. جميلة بليلة تتمناها كل عروس...

حينما انتبهت لدارين وجدت أن تأثير مظهرها عليها ربما يكون أكثر من ثائر نفسه، حركت هَنا حاجبيها في يأس: أرجوك دارين لا تبكي

وكأنها ستتوقف!

انتفضت دارين لتتوجه نحوها وتحتضنها بقسوة ومن بين بكاءها شبه كلمات: تبدين رائعة.. يا إلهي لا أصدق أنك ستغادرين المنزل، هذا الثائر خطفك من بيننا.

وبتلك اللحظة كانت تلمح بوجه دارين الغضب.. الحزن الذي تتجاهله منذ أراد ثائر هَنا، الخجل من تضحية ابنة عمها بقبول الرجل التي هربت هي من زيجته لولعها بالآخر...

ولكن ثائر جيد.. بل وهمي.. بل أكثر من رائع...

هكذا تصر دارين، تفكر وتبرر وتتمنى.

ابتسمت هنا لتحتضن دارين بدورها وهي تغمز لها بمشاكسة: لن تتخلصوا مني بسهولة ها..

وكانت تمنع البكاء بدورها، تمنع تلك الرهبة التي تملكتها في لحظة ضعف مشروعة لكل أنثى..

رهبة الوجود بين جدران رجل غريب عنها...!

وعلى بعد جدارين فقط كانت المياه تصفع جسده، عيناه مغمضة تفكر أفكار عدة وذاكرته تعود لهذا الصباح فوق سطح المركب...

غريق!

ضحك ساخرًا وهو يتذكر تلك المتباهية التي احتجزته في سيارتها وعادت بهيئة مختلفة تمامًا عن الخادعة وقتما أنقذته، تنورة رسمية قصيرة وسترة داكنة تعبر عن رتبتها الوظيفية وكاب الشرطة المكرر وخصلاتها مكومة تحته علها تبدو كرجل!

حتى العطر كان كلاسيكيًا وصارمًا بشكل مثير للشفقة، تركته في قسم الشرطة لضابط ما ورحلت ولولا أنه فقد بمحض الصدفة ما تبقى من مسحوقه البني الثمين في مياه النيل لما تركه الضابط يرحل أبدًا..

زفر وهو يسخر من نفسه.. ها هو يغوص بكل فكرة غير مهمة عله ينسى أن الليلة زواج هَنا.. بعد قليل سيجلس بمواجهة ثائر الرويدي متقمصًا دورًا فاشلًا كأخ.

دقائق إجبارية موجعة ولكن عليه أن يخوضها.. عليه أن يدرك أنه فقدها تمامًا والصك سيتم توقيعه الليلة.

زوجتك إياها

قبلت

رواية بسيطة تنتهي بزغاريد وتهاني وابتسامة رجولية جافة صافح به صهره، كما أراد تمامًا... والفارق كان بسيطًا....

العروس!

وكانت تبدو خرافية.. ولكن النظرة لم تعد من حقه الآن، تراجع وهو يلمح ثائر متوجهًا نحو زوجته.. كانت متوترة بشكل واضح، لفتيات صغيرات السن والخبرة قد تبدو قوية..ولكن لرجل مثل ثائر، كان يعلم أنها مرتعبة حد سجين يقتادوه لوجهة غير معلومة.. ألم يكن هذا اختيارها؟؟

فهي حتى الآن لم تشاهد المنزل.

تنفست بتوتر وهو يسحب يدها.. يقف جانبها ملتقطًا بعض الصور التذكارية ويده تجد طريقها نحو شق الثوب الخفي... ليست متعة نظر، كانت متعة لمس!

شفتيها تحركتا بغيظ: ما كل تلك الصور، ستغضب زوجتك...

وكانت ساخرة تلك المرة.. أول مرة تذكر زوجته، بما أنها أصبحت زوجة فيحق لها ذكر الأخرى إذًا..

وسخر هو أكثر: أي زوجة؟

ونظر نحوها بدهشة مصطنعة ليهديها دهشة حقيقية: لقد طلقتها..

وأحاط خصرها بكلتا يديه وشفتيه تهمسان بأذنها مع آخر صورة: إبتهجي حبيبتي.. أنت زوجة بدوام كامل!

❁

أهو مباح؟؟؟

أن نكره قيد لنتعلق بآخر...؟؟

أم أن المرأة كائن منصاع بطبعه والإختيار يكمن في القيود.. ناعمة كانت أو خشنة؟؟

مثيرة هي طبيعة الإحتياج....

بالأمس اتخذت قرار هجرانه، ستقطع كل سبيل وستودع ملجأها الآمن...

وبدلت رأيها برسالة!

نص من حروف مبعثرة وزعتها بإتقان...

يؤكد

يشتت

يعد

ويمهد

ويغوي

وتأجل القرار!

ليس ملغي ولكن هو قرار مؤجل..

ترتيب مريح

بخديعة عقل ورضى ضمير!

حتى وإن ظل مؤجلًا للأبد

وبصباحٍ ما... دللته.. وبقطع كرز مغموسة بالشوكولاة سألته: مهمل أنت بعملك

ضحك هو ملتهمًا الكرز وكل ما يطاله فمه: أنت أهم..

ثم اضجع مختالًا..

وصاحب العمل يحاسِب لا يحاسَب..

رفعت حاجبيها دهشة فأكمل بهمس يقترب: تجهلين عني الكثير

وهو محق!

ربما تجهل عنه وعن ما تخطو إليه الكثير..عما كانت وماذا ستصبح؟؟

وبليلةٍ أخرى طلبها زوجها وبغير موعد..

وشعرت بالضيق..

واختنقت.. وبكت.. بكت كثيرًا..

ولاحظ هو فاستدار للنوم.. وللتفكير...

وهي كانت غائبة عن الأفكار وربما غائبة من غيبوبة أصبحت تحيا وتموت بها كل ليلة...

غيبوبة شغف.. لحظات شغف..

وبأقصاها ربما لا ندرك أن الزمن يدور، وعرض الأمس نحن اليوم بأبطاله..

وهي فوق فراش..

تتمنع كعادتها بالبداية ولكن هو يملك كل المفاتيح.. متمرس بعزفه ويتقن اجتياح الطوفان...

ودون إنذار شعرت بقبضة قاسية تمتلك قلبها..

حاسة متأخرة لامرأة خائنة..

شهقت.. سليم كفى!

ولكن لا اكتفاء.. يمتص شهيقها ورحيقها وهواء رئتيها..

يمتص عالمها بأكمله... ويهديها بطولة لا يدرك أنها مسجلة!

على واجهة كاميرا بيد امرأة أخرى...

امرأة تفكر... امرأة كانت معها البداية

وبيدها النهاية..

نهى!!!

الفصل الثاني عشر

«حين يحب الرجل امرأة يهديها وردة، وحين يتزوجها يسترد وردته وفوقها هي!»

وهو لم يحبها ولم يهدِها تلك الوردة، أرسل العديد بشكل رسمي والتوقيع بند امتلاك.. وملكية الزواج تبدأ مع اليوم الأول، الساعة الأولى بل بتلك اللحظات التي تدخل فيها نحو العُش..

أسموه عش الزوجية والعش هو اختراع دائري يحيط بك من كل الجهات، وكأنه دون منفذ!

كانت تتنفس بتوتر، لم تنطق بكلمة واحدة طوال الطريق حتى لم تسأله إن كانوا متوجهين للمنزل أم لفندق ما لاستكمال الرفاهية؟؟

تلقت جوابها حينما توقف بها أمام المنزل، كانت فيلا صغيرة تكاد تكون أشبه بمنزل على الطراز الكلاسيكي، المكان هاديء فهو اختار أحد الأحياء المتفرقة على أطراف القاهرة ولاحظت وجود حارس هزيل يقف على البوابة الخارجية للتجمع السكني وفقط، الفيلا دون حارس.

انتبهت لباب السيارة يُفتح وهو يمد لها يديه بأناقة ويجيبها بصوتٍ خشن دون أن تسأل: أنا أفضل الخصوصية

تجاهلت الرد عليه ومرت ببصرها على الحديقة قبل الدخول للفيلا، حديقة صغيرة بالكاد تكفي لصف السيارة وعلى جانبيها بضعة ورود، وفي الداخل كانت الصدمة..

نعم أخبرته أنها لا تهتم...

«قبلت ذوقك..سأقبل بذوقك ثائر ما المعضلة»

تتذكر الجملة جيدًا والآن هل يبدو أنه يعاندها؟؟ أم أنه رجل ذو مزاجية قاتمة؟؟

كانت الجدران مطلية بلون بني قاتم يحمل في بعض الجوانب تدرجات فاتحة لا تفيد بشيء، اللوحات على الحائط الأمامي ثلاثة وكلها قاتمة أيضًا تحمل إضاءات خفيفة فوقها لأجل محاولة الرؤية وكانت جميعها عصرية بأشكالَ فن تشكيلي غير مفهوم.

في الجانب الأيمن كانت هناك طاولة طعام أبانوسية ضخمة تكفي أكثر من عشرة أشخاص أما الجانب الأيسر فيحوي غرفة معيشة بأريكة مخملية كبيرة أمام شاشة تلفاز تتعدى الخمسون إنش.

أكثر ما أغضبها الإضاءة فهي غير موجودة تقريبًا، خافتة قدر إيذاء الأعين أو نقص المتعة بكتاب.. لاحظت أنه يتوجه لرفوف خشبية تحوي مشغل أقراص معدني وبضعة كتب متناثرة وكان سيفاجأها لو أنه أدار بعض الموسيقى الرومانسية!

كان!

هو فقط أضاء بضعة أنوار إضافية لم تكن تمثل شيء تقريبًا، ابتسم بشراسة وهو يراقب ملامحها التائهة بين ظلامه ليباغتها باقتراب متملك من الخلف وهمسه يوازي خشونة: يبدو أن ذوقي لم يعجبك؟؟

كانت تشعر بابتسامته دون رؤيتها، استدارت نحوه غير مدركة لقانون حساب هندسي غاية في البساطة، فالمسافة بين شفتيهما لا تتعدى إنشان تقريبًا.. شعر بها تبتعد ولكنه منع حركتها بتملك استحقاقي فوق خصرها،أغمضت

عينيها وضمت حاجبيها بجدية ثم تابعت: أنا أكره الألوان القاتمة

فتحت عينيها بعدها متحدية فتفاجأت باندهاشه ليهمس بعدها بصدق: غريب ظننتها تليق بك..

تنفست ببطءٍ قبل أن تزيح يديه ونجحت تلك المرة ثم ابتعدت عنه متجولةٍ في المكان مُكملة بعملية: لا بأس.. في الصباح سيكون المكان منيرًا ربما أكثر من اللازم فهناك العديد من النوافذ.

ثم استدارت نحوه تسأله بلامبالاة: أم أنك أيضًا لا تحب ضوء الشمس؟؟

لوى شفتيه بمكر قبل أن يتحرك نحوها وتلك المرة جذب خصرها نحوه من جديد وبنوايا أوضح: ستكتشفين الكثير عني لاحقًا.دفعت صدره لتتملص من قيده مجددًا وتتوجه بهروب غير مخطط نحو الدرج: الغرف فوق؟؟

تبعها ببطءٍ ورغمًا عنه كان يراقب صعودها بشقاوةٍ وهو يجيب: غرفة واحدة.. الثانية لن أجهزها إلا حينما يأتي الطفل.

والطفل كان يشدد عليها.. هل يذكرها أم يضع القواعد والخطوط والقيود لزيجته بها أم هو مجرد لفظ عرضي يزعجها بقدر اللحظات القادمة؟؟

توقفت في حيرة فوقف خلفها تمامًا يشير للثلاث غرفة العلوية.. غرفة الطفل.. غرفة المعيشة.. وغرفة النوم

وتلك فتح بابها في دعوة للدخول، قبل أن تخطو بتردد شعرت بذراعه يمتد تحت ركبيها وفي لحظةٍ كانت محمولة!

والآن تأتيها حمرة خجل مزعجة، أدارت وجهها في تذمر: أنزلني ثائر

ولكنه لم يبدو أنه استمع لها، تقدم بخطواتٍ بطيئة حتى وصل بها للفراش وهمسه يحمل بعض السخرية: هذا تقليد حبيبتي

شعر بوصول توترها للذروة، ربما تكون تلك اللحظات هي الأكثر متعة في زيجته معها.. تمردها الآن لا شيء تقريبًا.

مرر سبابته فوق كتفها ببطء وقبل أن تعترض مجددًا ودعها ببساطة: سأغير ملابسي بالغرفة الملحقة.. خذي راحتك

شهيق.. زفير.. شهيق.. أطول زفير في العالم

أخيرًا رحل، هل تمر كل عروس بتلك اللحظات المدمرة.. توجهت للمرآة لتخلع تاجها ببطء، زينتها كما هي تقريبًا لم تتبدل حتى ملمع الشفاة مازال يحافظ على رونقه.. نظرت نحو باب الغرفة التي توجه نحوها لم تفهم معنى غرفة ملحقة ولكن يبدو أنها غرفة صغيرة لتبديل الملابس أو ما شابه.

لمَ لم يترك لها هي الغرفة الملحقة ربما حينها نالت حرية إيصاد الباب، تجولت حولها وأغاظها عدم وجود حمام ملحق بالغرفة ثم توجهت لخزانة الملابس وأغلقتها بعد خمس دقائق فثناء لم تحضر جميع ملابسها بعد واكتفت بوضع بعض الملابس المنزلية والقطنية الخفيفة. ضربت قدمها بغيظ وتذكرت أنها تود الذهاب للعمل بعد غد والآن ملابسها غير موجودة. مررت أصابعها في خصلاتها ببطء وهي ترتب أفكارها ثم توجهت نحو حقيبتها اللامعة الصغيرة.. تلك التي أحضرت بها أهم شيء نوت عليه مع موافقتها على تلك الزيجة.

كانت تجلس على طرف الفراش وقد تناثرت خصلاتها بعشوائية فوق كتفيها، لم تبدل ملابسها وهذا جيد... هو يود استكشاف ثوبه! عيناه لمحت أناملها وهي تأخذ شريط حبوب رفيع من حقيبتها، تُخرج الحبة وتُقَربها من فمها دون تردد، صوته أجفلها للحظة وهو يقترب منها بقسوةٍ مباغتة: ما هذا؟

كان يشك.. بل هو واثق فزوجته كانت تتعاطى تلك الحبوب وهي أجابت بكل لامبالاة ممكنة وتمرد استعادته في ثوانٍ: حبوب منع الحمل!

ربما مرت دقيقة كاملة دون حوار، ملامحه مبهمة لا تستطيع أن تستنبط

منها شيء.. فقط ينظر نحوها دون حراك وهي ما زالت ممسكة بغنيمتها.

أغمضت عيناها وفركت أناملها بالحبة الصغيرة ببطء، للحظة كانت ستعطيه تفسير ولكن لا.. هو يظن أنه ببساطة يختار ويأمر وينتهك ويقرر ويزرع بذوره هو فقط... وهي خارج الإطار، مجرد رحم حاضن يعجبه!

عادت لعينيها الشراسة وهي تواجهه وكانت متبادلة، اقترب منها خطوتان ليرفع جسدها نحوه بحركة واحدة.. جذب ذراعها فقربها نحوه بقانون ملك العُش، فالذكر نال القوة ويستغلها كما قانون الطبيعة.

سيطر على أناملها رغمًا عنها وجذب حبة الدواء ليقلبها بين أصابعه بغضب مكتوم قبل أن يرفع بصره نحوها فجأة ويدفع الحبة بقسوة نحو شفتيها.

ودَّت بغضب أن تبعد يديه ولكن تحكمه كان أقوى منها، أتبصقها لأنه فقط هو من أعطاها لها ولكنها ابتلعتها بمعاندة أكبر ولم تحيد نظرها عنه ولم ترتجف ولم تحاول الهروب رغم أنها من داخلها كانت تشعر بالرعب.

قيد أنامله فوق ذراعها تؤلم، نظرته تؤلم وشفتيه تهمس بقساوةٍ تؤلم: سأعاقبك لاحقًا واكتسح شفتيها بقُبلةٍ وكانت أيضًا تؤلم.

❁

كانت الساعة قد قاربت على التاسعة صباحًا، لا تصدق في النهاية أنها نامت.. شعرت بذراعه يتوسد خصرها على مدار الساعات السابقة والآن هو اختفى تقريبًا.. رتبت خصلاتها بيديها في جديلة عشوائية وبصرها يبحث عن ثوبها المسكين حتى وجدته ملقى على الأرض في أحد جوانب الغرفة.

ليلة زفاف مثالية، نالها كما أراد تمامًا ورغم أنها واجهته غير مبالية بشأن الحبوب إلا أنها تشعر أنه هو من خرج من تلك الجولة منتصرًا.

ملست جيدها ببطءٍ وأغمضت عيناها والمحاولة فاشلة لتنسى الليلة السابقة، وكأن الزواج هذا صك كتابي ليكون هو كما يريد.. وكأن لحظة الحقيقة غريزة ولحظة الغريزة حقيقة والعالم لا يشبه ورود دارين، والشهوة لا تقترن بالحب كما تخدعنا الروايات.

هو أراد وهي رضخت!

هو جهز العُش وهي كانت الحلوى!

هو زرع بذوره وهي لن تحرثها!

وهذا هو انتصارها الوحيد...!!!

قهوة!

كما اختفى فجأة ظهر فجأة، رفعت طرف الشرشف فوق جسدها ورمقته بضيق وهو يبدو بكامل نشاطه!

يحيط جسده بمنشفة سوداء ويجفف خصلات رأسه على ما يبدو بعد حمام منعش ويتوجه ببساطة نحو ماكينة القهوة!

نعم هو يضع ماكينة قهوة بجانب فراشه مباشرة، ظلت تراقبه بذهول وهو يصب قهوته السوداء في قدحٍ زجاجي شفاف بإطارٍ معدني لامع، قدح عملي للغاية وبشكلٍ ما.... يشبهه..

استدار نحوها بابتسامة لا مبالية وهو يُكمل قهوته: أُفضلها سوداء وخفيفة في الصباح

أسندت رأسها على الفراش في يأس مناقض لحالته المنتعشة وهو يخرج كتابًا ما ويقرأ بعض صفحاته مع قهوته الساخنة، منتبهًا بكل حواسه للسطور أمامه وكأنه يعيد بناء نفسه في ساعات الليل فيستيقظ رجلًا آخر بطاقة نشاط تتعدى النسب المسموحة.

نظر نحوها في مكرٍ ثم همس من بين رشفات قهوته باستهزاء: ألن تأخذي حمامًا، تبدين في فوضى حبيبتي؟؟؟

جزت فوق أسنانها في غيظٍ مكتوم وفتحت عيناها وكان هو قد عاد لقراءة كتابه وكأنه لم يقل شيء، بل وكأنها غير موجودة..

قررت تجاهله بدورها وفكت جديلتها لتبعثر خصلاتها لتبدو أسوء قبل أن تجذب من يديه قدح قهوته الزجاجي لترتشف جرعة كبيرة ساخنة دفعة واحدة وتبتسم له ببرود ثم تتحرك بشرشفها الفوضوي بحثًا عن دورة المياه.

ورغم متعة مراقبة منظر كهذا لن يتحقق في العمر سوى مرة إلَّا أنه آثر متعة أكبر.. وقبل أن تترك الفراش شعرت بذراعه يسد طريقها وهمسه واضح قدر قانون الزواج وتفاصيله.

ما زالت الفوضى غير مكتملة، دعينا ننهيها كما يجب.

وكانت جولة انتصار أخرى وقانون الغريزة في صالحه.

ذكر وأنثى وعُش..

❀

بهجة الصباح تشبه امرأة جميلة ابتاعت لوجنتيها فرحة الورد أما الليل فهو امرأة فاتنة.

وهذا الصباح هي كانت سعيدة، ربما لم تشعر بتلك السعادة منذ وقت.. تلك الراحة.

منذ أيام فقط قررت وقف القطيعة بينها وبين خالتها وعلى غير المتوقع انهارت المرأة ببكاء، لم تصدق صدفة نفسها وهي تستقبل عبرات العجوز المشتاقة لعودة ما كان.. تحشرجت نبرة سميحة وهي تبرر: لا أستطيع أن أصدق صدفة، أنتم عائلتي وبشكلٍ ما.. انفرطت

ولم تنطق صدفة حينها بشيء، فقط احتضنتها مستنشقة عبق أمها الراحلة، وبعدها بشكلٍ ما هدأت الأمور كثيرًا.. سميحة منشغلة بمريم والمنزل وتتحاشى ذكر وائل وهو أيضًا اختفى باتصالاته وربما خالتها هي من توقفت عن ذكرها.

أوصلت مريم لتستقل باصها المدرسي ثم اتخذت طريقها ببطءٍ كما تفعل، أدمنت ربما تلك التمشية الصباحية فالوقت يكون مبكرًا لتحتله الضوضاء وعبق الهواء ما زال يحتفظ بنقاوته.

والنقاوة تشبه ندى زهرة تبدأ يوم جديد، زهور حمراء عادية جدًا وربما أقل من عادية، تمسكها يد سمراء متسخة لمراهق يبدأ رزقه.

وصدق من قال أن السعادة مرض معدي، هي سعيدة والمراهق سعيد بمن ابتعات منه كل وروده، ضحكت وهي تعض فوق شفتيها ثم أخذت واحدة ووضعتها في حقيبتها من أجل مريم وتركت الباقي فوق مكتبها.

وهي عادة تصل للعمل مبكرة قبل الموعد بنصف ساعة.. تتناول إفطارًا خفيفًا وتتصفح الجريدة بهدوءٍ حتى يصل الموظفين تباعًا، عادة عاصم يكون أول الوافدين ثم تظهر نشوى السكرتيرة الباكية في محاولةٍ يائسة منها للبدء باكرًا كي ترضي مديرها المتذمر!

هو لا يأتي سوى بعد العاشرة، تلمحه وهو يتحرك بجوار موظف ما وعيناه ما زالت تشتهي نوم.

يبدو أنه من الكائنات الليلية، وتُلَمِح نشوى بهذا فهي ترحل بأعجوبةٍ في السابعة مساءً ويكون هو ما زال بالمكتب محتجزًا معه مهندس أو اثنان من أجل أعمال لا تنتهي..

ونشوى تشتكي منه بل تشعر صدفة أنها تأتي مبكرًا فقط لكي تفرغ معها في دقائق تلك الشكوى فهو يزعق بها بسبب وبدون ويرى أنها لا تصلح للعمل أبدًا، وبكت حينها نشوى مجددًا: سيستبدلني.

رقّت صدفة لحالها فربتت على كتفها مشجعة: لا تخافي الأمر سهل.. أنا كنت مثلك لا أعرف شيء

حركت نشوى رأسها في حزن: أنت ذكية صدفة أنا طُردت من عملي السابق ولن أحتمل تسريح آخر بتلك السرعة

زفرت صدفة في ضيق مشفقة على حالها ورغم هذا هي لا تستطيع أن تلوم عز الدين فأخطاء نشوى فادحة وكادت أن تكلف الشركة مبلغًا وقدره في الأسبوع الفائت بسبب خطأ إملائي في مناقصة شراء مهمة. تنهدت ثم رفعت كتفيها بحل لا تملك غيره: حسنًا سأساعدك.. أستطيع أن أساعدك ببعض المراسلات فليس لدي عمل متكدس.

ابتهجت نشوى بفرحة غريق وجد طوق نجاة ولم تشعر صدفة بها إلا وهي تحتضنها بقوة وتأخذ وردة حمراء من فوق مكتبها لتنال بهجة صباح بدورها. ومن بعدها توالى الموظفين وتوالت الورود!

أعطت هي راضية وردة ووضعت واحدة فوق مكتب عاصم والباقي تناوبوا تباعًا فوق مكتبها بتحية صباحية ووردة مبتهجين من الفكرة التي لم ترتب هي لها تقريبًا.ولكن المقولة صحيحة....

السعادة مرض معدي..

❁

اليوم هو يشعر بصداع قاتل، ابتلع حبتين من المسكن مع قهوة ثقيلة ثم عاد برأسه إلى الوراء لكي يريح عينيه قليلًا فهو لم ينل من النوم سوى ثلاث ساعات وبشكل متقطع.

صوت همهمة في الخارج أزعجه قليلًا، عادة نشوى تعمل في صمت وأخطاءها قاتلة فما بال الصحبة والثرثرة إذاً؟؟

استقام من فوق مقعده وهو ينوي قتلها إن استطاع تلك المرة وفتح الباب وعيناه لا تعبر سوى عن هذا حتى لمحها..

لقد تحاشاها فعليًا في الأيام السابقة هي وغمازتها، ألم يخبرها أنها ستكون بداية جديدة.. بداية أراد أن ينهي بها هذا الاهتمام الغير مفهوم.

ونجح لحد ما.. ولكن ها هي الآن بغرفة مكتبه تبتسم ببراءة مغلفة بوشاح وردي تلك المرة، استبدلت التنورة على ما يبدو بثوب فضفاض هادىء الألوان وفوقه سترة بسيطة من خامة الجينز.. تلك الملابس تظهرها نحيلة فالسترة تظهر استدارة كتفيها الصغيرين والثوب يظهر رقة خصر لو اشتدت ذراعه فوقه قد ينكسر!

رفع حاجبيه متعجبًا من جنوح أفكاره تلك المرة وعاد بنظره من جديد نحو ابتسامتها، ابتسامة مشبعة فيكفيك أن تراها لتبدأ يومًا جميلًا...

ابتسامة.. بساطتها تكمن في تأثيرها فهي ببساطة ستجعلك تبتسم!

ولكنه أخفى ابتسامته سريعًا وغلفها بقناع من القسوة وهو يتوجه بحديثه نحو نشوى بجدية صارمة: هل أنهيتي ما طلبته منك؟؟

لا تنكر أنه أجفلها، لقد كانت تساعد نشوى بتركيز عالٍ حتى أنها لم تنتبه لوجوده ولا للحظة خروجه من مكتبه.. صمتت وهي تراقب تلعثم نشوى المسكينة وهي تجيبه بتردد: حالًا.. باقي القليل فقط

حينما استدارت له وجدت أنه لم يكن ينظر نحو نشوى كان ينظر نحوها هي، تلك النظرة الثابتة حد الإرباك.. أخفضت عينيها على الفور وهي تحرك القلم بين يديها بتوتر ونظرت نحو نشوى التي كانت قد استقامت تُجهز أوراقًا لم تنتهي، استقامت بدورها لترحل ولكن جاءه صوته الخشن لها تلك المرة وبنبرة آمرة: أريدك بمكتبي صدفة..

للحظة شعرت بالندم على مساعدتها لنشوى، الآن عليها أن تدخل لتلك الغرفة وللسجادة القبيحة ولنظرات عيناه المربكة، فهو حينما ينظر يكون كل تركيزه للعينين أمامه، لا يحيد ولا يرمش ولا يترجم أي معنى واضح...

هو اختراق وفقط..

تنحنحت وهي تدلف نحو غرفة المكتب فجاءها صوته خشنًا من بين بعض أوراق نشوى الغير مكتملة: أغلقي الباب خلفك.

تنفست بتوتر قبل أن تغلق الباب وتتوجه نحو المكتب، وبمجرد أن اقتربت من المقعد المقابل جاءت نبرته آمرة من جديد: لا تجلسي! تعالي هنا انظري

كان يشير لبضعة أوراق على مكتبه، اقتربت بحذر فجاورته مضطرة وهي تنظر نحو الأوراق تحاول أن تفهم.. كانت عدة أوراق متفرقة عن بيانات مناقصة مهمة مع شركة كبرى ونشوى ستقوم بترتيب تلك البيانات وطبعها مجددًا.

والأخطاء مستفزة!

ابتعلت صدفة ريقها وقد فهمت ما يقصده، أشار لها بيديه لتجلس ثم زفر أمام أوراقه بيأس: سأستبدلها.

وجدت نفسها تنطق فجأة: سأساعدها

ربما مرت لحظة.. بل بالضبط ثلاث ثوانٍ قبل أن يرفع نظره نحوها بمكرٍ: كما حاولتي اليوم؟؟

توردت وجنتيها فبدت مرتبكة ولكنها ردَّت بثباتٍ: نعم.. لدي وقت والفتاة تحتاج لمن يدربها

ظل على نظرته نحوها دون انقطاع فأجبرها على أن تخفض بصرها، تساعدها ربما ولكنها لن تكون سكرتيرته.. لن يحدث.

ابتسم هو باستمتاع وكأن أفكارها مسموعة ثم تابع: حسناً.. ساعديها وإن لم تتحسن في شهر سأحاسبك أنتِ!

ضمت حاجبيها تفكر في كلماته وحينها أخرج هو أحد سجائره كالمعتاد ليشعلها ويكمل: ستأخذين وظيفتها وهذا قد يكون أسوء عقاب!

لا تعلم هل هذا مزاح أم كلام جِدي ولكن هيئته ليست مازحة على الإطلاق، ابتلعت ريقها لتستقيم وتجيبه مسرعة دون تفكير: سأبذل جهدي.

كانت تجمع الأوراق المتناثرة فوق مكتبه وعلى ما يبدو دون تركيز، ظل يراقبها لدقيقة مستمتعًا بمظهرها المتعجل وحركة شفتيها المتذمرتين بالغمَّازة المسيطرة على انتباهه، حينما تحركت مستديرة أوقعت ورقة ووقتما عادت لجذبها من جديد خرجت نبرته بشكلٍ مفاجيء: لمَ لا توجد فوق مكتبي وردة؟؟

فتحت فاهها قليلًا وقد بدت لا تفهم فتابع هو بلامبالاة وقد انتهى من سيجارته وطحنها في مرمدته: الجميع أخذ الورود سواي، هذا ليس بعدل!

الآن ابتسم فأيقنت أنه يمزح، القاسي يمزح.. هذا جديد!

حركت كتفيها لتجيب بتوتر وبكلمات متسارعة وجدية تامة: لقد ابتعت البعض في الصباح وأخذها الموظفون تباعًا، الأمر غير مرتب.

كانت ترد وداخلها تقسم أنها لن تحضر أي ورود مجددًا، فالشركة انقلبت لمراهقين يبتغون بهجة وكأنها هي من اخترعتها.. وربما لأنه هو من يسألها الآن ويحاور ويمزح ويربكها ويطلب الورود وسط تلوث دخانه هذا!

ودون أن تنتظر منه كلمة أخرى خرجت.. بالأحرى هربت، ورغمًا عنها وحتى دون أن تدرك تشكلت فوق شفتيها ابتسامة.

«الورود لها أشواك ونحن لا ندركها إلا بعد فوات اللحظة...»

الوهم.. والشغف.. والتيه.. والصرخة.....

ولا أحد يعلم صرختها أيقظت من، هل أيقظت تيهه ليدرك أن الأخرى تسجل لحظاته أم أيقظت الأخرى لتهرب أم أيقظت غفلتها هي..؟؟

وتفاصيل ما حدث تمر في مخيلتها كشريط سينمائي رخيص، نهى تسب وتلعن وتتبجح وهي تبكي وهو يزأر..

وتركها تنتحب ليسحب الأخرى خلفه...

هي تتوعد...

وهو يعاقب..

والنهاية صوت صفعة!

جذبت ملابسها لتتعثر بمهانة نحو دورة المياه، ارتدتها لتهرب حتى دون محاولة لسماعه ولا تعلم متى خرجت نهى وكيف.

وبمنزلها كانت تضحك صغيرتها.. ترسم لها وردة وتكرر: أحبك ماما وتبكي.. ماما تبكي لأنها ستفقد عالمها الملول قريبًا، وزفر زوجها من طبيعتها النكدة المكررة مؤخرًا!

وابتسمت تراضيه خوفًا من القادم.. وسليم يرسل لها برسائل نصية تتجاهلها منذ أسبوع.. وكأن التجاهل سيجدي!

ونهى تتجاهلها بقصدٍ خبيث.. موجع.

نهى تزور كوابيسها..

نهى توقظها من سبات لا تناله..

نهى تخبر الجميع وتوزع عريها..

وجزع آخر امتلكها، ليس من زوج أو ابن.. بل من هؤلاء.. من أغراب

سينتهكون لحمها دون رادع.. من صورة مقززة نسفت بكل لحظة متعة قضتها مع سليم..

تكره نهى...تكره سليم...

وتكره.. نادية.......

وسليم لا يتهاون.. بأي شيء..

سليم الخطيئة والنجاة.. سليم المتعة المحرمة..

سليم القيد الآخر..

نفذ سليم وقرر سليم وجاء سليم.. أمام منزلها بصبيحة يوم عادي!

وظلت أكثر من عشر دقائق متسمرة أمام الباب لا هي تحركت ولا هي واجهت.. وترك لها ورقة...

عقد..

نجاة..

امتلاك لملجأها الآمن ببيع وشراء وخروج نهى تمامًا من الصورة بل ومحو تهديدها أيضًا.....!

ولا سبيل سوى ملاقاته.. سوى رؤيته من جديد.. سوى تشبث بما قدمه لها من حلول.....

بما قدمه من قيود...

وهناك كان يبدو مختلفًا.. وكأنها الآن فقط تشاهده من زاويةٍ أخرى.. زاوية عدسة رخيصة تحويها وإياه والمتعة للجميع!

وابتسم هو بنفسٍ راضية وخطت هي نحو ملجأها بخواءٍ.. بثقلِ خطيئة أصبحت تفترس أنفاسها فلا تنال نوم ليل ولا هنيئة نهار، والنهار عنده يوازي الليل طالما هناك هي ونشوة..

ولاحظت أنه رتب لأمسيته بالفعل، تخلص من قميصه واستبدله بمئزر حريري مفتوح فوق سروال قصير.. يرتشف مشروب روحي وكأنه بعدسة الحقيقة الآن لا شيء يخفيه.

يُدخن سيجارًا ويرسم فوق الفراش بملابس ابتاعها لها قوس نصر!

رحلت نهى وللأبد ولن تستطيع أن تتوعد بشبه اقتراب، كمن يعيش في بيتٍ من زجاج أحجاره ورقية دون معنى وشفتيه تهمس بانتصار : حبيبتي

وكانت قد اعتادتها منه وتعلم أنها لا تحمل أي معنى، ويكمل: أستحق جائزة أليس كذلك..

ولا ينتظر، ولا يبالي بمعاني عيناها.. يقترب ويحل وشاحها ببطءٍ وهي كالصنم.. متصلبة بضياع، واستفاقت فقط عندما استشعرت فوق مقدمة رقبتها أشواك.. كل ما يرد منه أشواك.. أنفاسه بها عفن!

والأمر بتفاصيله مقزز.. وانتفضت تبتعد، ترفض حتى النظر لغرفة النوم، لا ترى سوى تلك العدسة وتلك الصورة وهي وهو في كل العيون.

ومع رجفتها طاف بعينيه إحمرارًا..

ولكن نبرته ما زالت دافئة: ما بك؟؟

وأغلقت أزرار قميصها باضطراب وظلت ترتب خصلاتها المشعثة وتطوف بحثًا عن الوشاح وكانت تبكي فلا تراه ولا ترى شيء وظل يكرر سؤاله بنبرة أكثر حدة فصرخت هي بانهيار: كفى..

وتهاوت على الأرض..هناك بجانب طاولة المطبخ حيث كان معها لأول مرة وأصابتها رجفة قارصة فأحاطت نفسها بذراعيها ترتعش وتهذي.. نعم هو يراها تهذي...

تندم ولكن تلك المرة دون رجعة....

تذكر بزوجها محاسن!

تخبره كم هي حقيرة وكم هو أحقر...

وتنسف كل شيء في لحظة ويليق بها في تلك اللحظة وشاح أخضر فهي تبحث عن توبةٍ ما وتود أن تخرج من الحكاية بثوبٍ قديسة!

وكانت قد هدأت.. تركها تُخرج كل ما في جعبتها ولكن هذا فقط ما سيتركه، هو الآن لا يسرق معها متعة.. هو يمتلك وبقسوة...

وجاورها وأخرج هاتفه وعرض على بصرها ما سجلته نهى!

يفتخر وتخجل.. ينتشي وتشمئز.. يهدد ولا تفهم!

وبدت بها قوة زائفة، واستقامت: انتهينا

وظنت أنها ستبتعد.. ستحيا مع مجرد ندم.. ستحظى بمجرد ندم!

وكانت بضع خطوات حتى شعرت بغلظة قبضته تجذبها من ذراعها، ولا صراخها باسمه يجدي ولا سبابها يجدي وفوق الفراش حتى توسلها لن يجدي..

ولم تمتلك رفاهية الصراخ.. والرفض والنبش والركل والضرب انتهى بصفعة!

وفلسفته تشبههُ تمامًا، عابثة قدر الإيذاء...

سأهدي ضميرك قلة الحيلة نادية!

وأدركت الآن أن قيده أقسى ودون اختيار..

ودون متعة!

وحتمًا دون نجاة.

❁

«هناك نساء قدرهن ورود الحب وأخريات قدرهن التمني! »

ورغم أنه لم يأتيها بالورد ولم يتمم عبارته نحوها بتفاصيل الحب والهيام إلا أنه يكفي أنه جاء.

نعم جاء أحمد ويجلس بمنزلهم في سيناريو عرض زواج رسمي مبهر، يرتدي قميصًا رماديًا بخطوط سوداء عريضة وأحضر لها الشوكولاه على شكل قلوب صغيرة.. أمه تجاوره ولا تتحدث كثيرًا وثناء ترحب به والأمر يحوي تفاصيل مادية كثيرة يناقشها هو ببراعة. تنهدت وهي تنظر نحو أمها بتوسل لم يغبْ عنها طوال الأيام السابقة: لا تثقلي عليه أمي..

ولم تثقلْ عليه ثناء بالفعل ولكنها لم تشعر بهذا المجهود الذهني مع ثائر، فهذا يتحدث كل تفصيلة بورقة وقلم وسيناريو ممل قدر مقاعد طاولة غداءه والتكرار منها أراحه في النهاية: نشتري رجل.

الجملة الدارجة في كل زيجة، وسيظل اكتشاف الرجل مجازفة لا تظهر إلا بعد توقيع العقد وملحقاته..

تنهدت براحة أخيرًا وأخته الصغرى تتقن زغرودة ممتعة، هَنا حاضرة وتبتسم بتحفظ وزياد غائب في اعتراض دون معنى وهو لها الآن بكل شكل ممكن.

وابتسامتها تفضح لهفتها نحوه وهو يعلم كم تلك اللهفة، وأناملها ترتجف بين أنامله الغليظة وهو يحيطها بقيد ذهبي أنيق وسوار مشابه..

وأصبحت رسميًا عروسه...

والشوكولاه توازي خلفية موسيقة ممتعة والمطربة تشدو بما تخجل هي قوله

«أكثر من روحي بحبك»

وصوته يأتيها من الهاتف بلحنٍ ذكوري أنيق: هل تأكلين الشوكولاه

الآن؟؟؟

وتوقفت بحلقها وابتلعتها مسرعة في سذاجةِ طفلة: لا.. نعم

وهمس هو بشراسة: لا تكذبي علي مجددًاوأومأت دون حراك والهاتف ملتصق بأذنيها، أول محادثة معه كزوج مستقبلي وحقًا هي مُهلكة.

ومع تنفسها الواضح كانت ثقته في منتهاها: بعد شهرين فقط ستكونين بمنزلي.

وابتسمت وتوردت وجنتيها في خجل وهو يدرك تلك الحُمرة دون رؤيتها، ويزيد ويتابع ويسن سيطرته: منزلي دارين ولي وحدي..

قانون الورود محيِّر ، فلا العبق دائم ولا الشوك غائب..

الفصل الثالث عشر

"يجب على كل امرأة أن تعمل جاهدة كي تُنجح زواجها، وإن فشل ستكون هي الخاسرة!"

كانت مستلقية فوق الفراش تراقب بشرود نقوش السقف البارزة، اختار هو مصباحًا واحدًا كلاسيكيًا في منتصف الغرفة ولا تنكر أن بصمة ألوانه القاتمة احتلت السقف أيضًا، مضى الآن على زواجهما شهر وعشرة أيام.. أصبحت تدرك عنه تفاصيل خاصة، خاصة جدًا كإدراك كل امرأة برجلها.

ولا تنكر أن الأمر يزعجها، أن يكون قريبًا منها لهذا الحد.. تستيقظ على صوت ماكينة قهوته وحفيف أوراق كتابه وهي لا تعلم متى يستيقظ، كانت تظن أنها تستيقظ مبكرة حتى عاشرته، وبيوم ما ضبطت المنبه خاصتها لوقتٍ أبكر ما قبل الشروق ووجدته في الحمام يأخذ حمامه الصباحي في نشاط.

وأغضبها الأمر وخمنت أنه ربما لا ينام أبدًا وسيطر الهاجس عليها فأصابها الأرق وكانت متوترة من الأساس فهو يحتضنها من الخلف في قيد لا تحبذه وتصيبها ذراعه الخشنة بالخجل، والخجل عندها مشروع فهي حتى الآن لم تعتاده بعد وظنت في البداية أنها قد تسمع له شخير وأرادت هذا كي تنفر منه أكثر ولكنه كان هادئ النوم فتكاد لا تسمع منه سوى صوت تنفس بسيط مع رائحته الممزوجة بعطره الخشبي الثقيل، والعطر يخترق أنفها ويخترقها معه كما صوته وكلماته وموعد غداءه المقدس وطريقة تقبيله لها، كل شيء حولها أصبح يخصه..

وكأن الزواج هو وظيفة ممتدة دون راحة، أو كما أخبرها..

تنفست ببطءٍ وهي تحاول أن تجهز حالها لهذا اليوم المزدحم، فاليوم عُرس دارين والعاشقة تطير فرحًا حتى أنها لا تبالي بموسم الإمتحانات القادم بعد عدة أشهر.. وخالفت هَنا ثناء في موعد الزواج بل في التسرع الغير مبرر منه قبلها ولكن ثناء أرادت ابنتها سعيدة.

ودارين كانت حقًا سعيدة وجميلة، جميلة بشكل يتعدى خياله بشأن من كان سيتزوج، واختار كلاهما زفافًا تقليديًا للغاية وأصرت دارين على أن تصبغ خصلات شعرها بدرجة مختلفة ورغم أنها أصبحت تبدو كعروس باربي الملونة إلا أنها كانت مبهرة.

وكانت قاعة الزفاف واسعة ودخلت دارين في زفة صاخبة تبعتها رقصة هادئة كما القانون، هي بين ذراعيه والبنات تقف متمنية تلك اللحظة، وكان هو وسيمًا وطويلًا يفوقها بثلاثون سنتيمتر تقريبًا وارتدت حذاء عالي وكانت تظن أنها هكذا ستكون مناسبة للقبلة وربما يحملها ويدور بها كما تشاهد على شاشات التلفاز والهواتف ولكنه كان كلاسيكيًا كعادته.

اكتفى بقبلةٍ دافئة فوق الجبهة وأخرى فوق ظهر اليد وهمس بصوتٍ أجش بعد أن تمعن فتنتها الظاهرة من ثوبها المكشوف: سنكمل القبلات في المنزل.

وتوردت وأسعفتها الموسيقى الصاخبة فالتفَّت حولها الفتيات للرقص وأهداها هو البهجة كما كل عروس، فكان زفافًا مثاليًا....

إنه مُدَّعي!

قالها وقد استند بوجهه على كف يده فأصبح إصبعه الأوسط في مواجهة شفتيه تقريبًا واستندت ذقنه على ابهامه، كانا جالسين بطاولة جانبية هادئة نوعًا ما فهو لا يحبذ هذا الصخب وكانت تتركه من حين لآخر لتهتم بدارين فتلكزها ثناء بعبارة واحدة لا غيرها: عودي لزوجك!

استدارت له وقد غلبت عليها الدهشة: ماذا قلت؟

ارتشف القليل من قهوته الثقيلة كالعادة والتي نبه النادل الشاب على تفاصيل إعدادها بقسوة: أقول أنه مُدَّعي.

كان يشير نحو أحمد وقد التوت شفتيه بابتسامةٍ ساخرة، ضمَّت حاجبيها في غضب معاند: لمَ تقول شيئًا مثل هذا؟؟

تابع هو بشكل بديهي: الابتسامة.. النظرة.. تمرير كل ما تفعله ولا يرضى عنه بداية من الثوب المكشوف حتى الرقصات المتتالية التي يقوم بها على مضض، هو سيتغاضى حتى يحظى بليلة زفاف مُشبعة وصدقيني هي ستمنحها له، وستظل تمنح وتمنح حتى يمل!

احمر وجهها ولم تعد مدركة لأي تلميح تفهم، هل يلمزها بالكلمات قاصدًا أم أن تفسيره حقيقي وضوح الشمس فهي نفسها لا تستريح لأحمد هذا ولكنها دارين المهووسة به. غضبها وجهته نحو ثائر لتعترض بشكل حاد: وأنت عرفت كل هذا من نظرة عينه؟!

رفع كتفيه في تهكم وهو يستكمل قهوته دون أن ينظر نحوها: الحنكة ليست رفاهية للجميع..

الآن تشعر أن الموسيقى الصاخبة أفضل مائة مرة من هذا الحوار، ولكن هيهات... هي لا تهرب من حوار معه.. إن بدأ فليحتمل.

تهكمت هي ببردٍ مباشر: أرى أنك لا تحتمل صوت الموسيقى.. أخبرتك أنه لم يكن عليك المجيء

رفع عينيه نحوها في نظرةٍ مباشرة بدت مخيفة لوهلة: أول ظهور لنا كزوجين أمام عائلتك ولا تهتمين؟؟

هناك نساء تقاتل لهذا..

رفعت كتفيها وهي تجذب فنجان قهوته لتحركه بين أناملها في لامبالاة ثم رفعت عيناها نحوه في نظرةٍ مماثلة وابتسامة جافة: ابتهج حبيبي فزوجتك مختلفة..

❁

كانت السيارة تشق الأسفلت مسرعة والوقت قد تعدى الثانية صباحًا، راقبت الطريق من نافذتها متجاهلة الحديث معه.. ففي اللحظة التي لمحت فيها تبدل ملامح وجهه وشعرت أنها ستكون منتصرة خرجت تلك الحمقاء من تحت الأرض لتطلب منهم رقصة!

في البداية تلجم لسانها وودت أن تطحن الفتاة البريئة بعد أن تنتف شعرها المجدول بعناية صديقة تنتظر الزفاف ولكن كان هو الأسرع بإشارةٍ واحدة من إصبعه معناها لا...

بل تحمل ألف معنى، لا وقطعًا واذهبي من هنا وأنا لست برجلٍ سيرقص رقصة سخيفة مع زوجته.. والطريف هي لا تشتهي تلك الرقصة من قريب أو بعيد فهي لم ترقص في زفافها الغبي كي ترقص في زفاف دارين.

ولكن المغيظ أنه هو من رفض..

كان قد وصل وبدأ يصف السيارة ببطءٍ حينما نطقت أخيرًا بعد أن تغلب حنقها عليها وتبعثر: أنت رقصت مع دارين!

بدا غير مستوعبًا ما تقوله، ضم حاجبيه مستفسرًا بقلة صبر: ماذا؟

تابعت في غيظ: أنت بحفلك الكبير راقصت دارين، وحينما تأتي فتاة حمقاء تدعوك لتراقص زوجتك ترفض..

ظل ينظر نحوها بشكل ثابت دون جواب فغادرت السيارة وسبقته للمنزل وهي في قمة غضبها، ابتسم بمكر قبل أن يغلق الباب خلفه ونطق بآخر ما تود

أن تسمعه: تغارين..؟؟

برقت عيناها في دهشة لتنفي بحدة: أنت تعلم أنني لا أغار..

توجه لمقبس النور ليضيء بعض الضوء الخافت وهو يتابع دون أن يستدير لها: من حقك أن تغاري فأنا زوجك.

كتفت ذراعيها فبدت متحفزة للعراك أكثر من النقاش: أنا أحاورك ثائر، أنت لا ترفض الرقص ولكن ترفضه مع زوجتك.. ازدواجي مثل كل رجل.

على عكسها كان هو هادئًا، أخرج هاتفه يتفحص بعض الرسائل ليجيبها دون اكتراث: بالنسبة لي الأمر يختلف.

ثم رفع رأسه نحوها بنظرةٍ مباشرة: أرى أن ثقافة الرقص بين الرجل وزوجته تتخذ شكلًا أكثر حميمية.

فتحت فمها لا تصدقه فخرجت نبرتها مستنكرة: أنت لا تُلَمِّح..

حرك كتفيه كعادته: وما المشكلة.. أليس من حقي كرجل أن ترقص لي زوجتي؟؟؟

يجزم الآن أن وجنتيها احمرتا بعض الشيء، النقاش بات ممتع، ترك هاتفه ليبتسم بثقة بينما هي تزأر بشكلٍ واضح: لا ليس من حقك.. أنا لست سلعة توظفها كيفما تشاء، تريد الرقص ربما كان يجدر بك العودة لعصر الجواري.

كانت تتحدث بشكل سريع وكلمات متلاحقة حتى أنها لم تلحظ أنه اقترب منها بشكل واضح، بل عطره الخشبي القاتم مثل منزله بات قريبًا بدوره وبالتأكيد همسه وهو يتابع باستمتاع وأنامله تمر فوق ذقنها: حينها كنت سأجعلك جاريتي المفضلة.

الإحمرار الآن غاضب.. ضيقت عيناها لتتحداه بجواب سريع: كنت سأكون زنوبيا.

حسنًا لا ينكر أنها مختلفة.. آخر جواب توقعه،

لمعت عيناه واقترب أكثر: ولكن زنوبيا قتلت زوجها.

أجابته بثقة: الأمر ليس مؤكد.

قاطعها: فعلت المستحيل من أجل العرش.

تهكمت: حال الرجال في السلطة.

أردف ببطء: ولكنها في النهاية هُزمت.

وأردفت هي بإصرار: هناك مهزوم يخرج للتاريخ منتصرًا.ظل صامتًا لوهلة قبل أن تتحرك سبابته ببطءٍ فوق وجنتيها ليهمس ببطءٍ قاتل: وفي حبوب منع الحمل انتصارك هَنا؟؟

ولم تجبه، ظلت ثابتة كالحجر حتى أنها لم تبدي تأثرًا من لمسته التي اقتربت من عنقها تلك المرة.. نظراته نحوها كانت وحشية وكأنه يخبرها أن عقابها لم يحن بعد. ابتلعت ريقها قبل أن ترفع رأسها في شموخ: انتصار مؤقت.

ظل على نظرته نحوها قبل أن يضم شفتيه فبدا مفكرًا ولكنه في الحقيقة لم يكن يفكر، كل قراراته جاهزة ومحسوبة من وقت رؤيته لها وهي تبتلع الحبة.. من وقتها أدرك أنها لا تريد الطفل منه وربما لا تريد الطفل من الأساس.

وهو لن ينجب للعالم طفل لا تريده أمه.

وقبل أن يبتعد عنها طبع فوق شفتيها قبلة باردة، مجرد قبلة اعتيادية جافة دون معنى وبعدها ابتعد وصوته يخرج ساخرًا مع خطواته: تصبحين على خير حبيبتي.. أو أخبرك تصبحين على انتصار!

ليلة الزفاف...

معركة كل رجل وحلم كل فتاة...

والزفاف عند المرأة يتلخص في ثوبٍ أبيض..

أما الرجل فأفكاره تتمحور غالبًا حول النقاط الحمراء فوق الثوب بفضله!

وشعرت دارين أنها فوق سحابة، بل تطير من رهبة وجودها معه وأنها قد تتوه بإغماءة مع أول قبلة. ولم تنل ليلتها رفاهية الإغماء بل بدأ الأمر بلهفته التي وصلت مداها بعد أن أخذت وقتًا كارثيًا في خلع الفستان واستبداله بثوبٍ طويل للصلاة.

الأمر يبدو جميلًا والبداية حقًا مشوقة ولكن الصلاة تأتي من القلب أولًا، وحينما انتهت كان هو قد انتهى، فلم تشعر سوى بيديه التي تجذبها نحو غرفة النوم وقد بدأ فعليًا في خلع ملابسه!

وكانت واقعة الزفاف..!

بعدها نام هو بعمقٍ فغاب عن الشعور بها وكانت هي تجاوره عارية على طرف الفراش تبكي دون صوت، حتى أنها خافت أن تجذب الشرشف لتداري جسدها فيستيقظ.. تفكر في خبراتها المتواضعة التي ربما لم تكتسبها من أحد عن تفاصيل تلك الليلة.

ثناء آثرت الصمت وأهدتها نصائح غير مفهومة وهَنا ناقمة على الزيجة ككل وتتحاشى كل ما يذكرها أنها زوجة لثائر.

أما الصديقات فخبراتهم جاءت من روايات رومانسية رخيصة وكتب الزفاف المنتشرة على الأرصفة وكلها دون فائدة.

الواقع يؤلم..

والليلة مكررة ومستمرة ومغلفة بعزلة هو اختارها بقوانينه، واختار الفندق الهادئ على شاطيء المدينة الساحلية واختار موعد النوم والإستيقاظ ولون الغلالة ونكهة حمرة الشفاة.

وقبلهم جميعًا اختارها هي، وفي عُرف الحب هذا يكفي!

«النهاية قد تكون بداية..»

تُمسك بكوب الشاي وتجاور نشوى في محادثةٍ صباحية، عادة نشوى تميل للثرثرة وتجاهد صدفة كي تبقيها على جدول العمل ولكن نشوى تتشبث بتلك الثرثرة الصباحية كتشبثها بوجود صدفة جوارها أمام قوانين عز ورغم مرور شهر وأكثر ورغم تحسن نشوى الملموس إلا أن احتياجها لصدفة لم ينتهي ويبدو أنه لن ينتهي أبدًا..

منقذتي.

هكذا كانت تناديها نشوى وتتابع وهي تفحص عدة أوراق طلب منها عز كتابتها على الفور ليلة أمس وهي لم تنجز منها حرفًا بل أنها ما زالت تثرثر وتلك المرة بشأنه ورغم هروب صدفة من الثرثرة إلا أنها تلك المرة انتبهت، تحكي نشوى عن رؤيتها له قرب منزلها برفقةِ طفلة وعلى ما يبدو أنها ابنته.. وتضحك نشوى متابعة: شقراء مشاكسة، اه.. لا تتخيلي منظره يا صدفة وهو يتحرك جوارها كالتائه، يمسك حقيبتها ويجاهد لحشر علبة غذاءها التي أخرجتها مرارًا وفي النهاية ارتكز على ركبتيه كي يعيد ربط حذاءها والشياطين تقفز فوق رأسه.

ضحكت نشوى بصوت عالٍ بعد أن ألقت بغنيمتها، ابتسمت صدفة قليلًا فرغم شماتة نشوى الواضحة به إلا أنها تحاول أن تتخيل هيئته وهو حائر مع تلك الصغيرة المدللة على ما يبدو.

تابعت نشوى في تحفز: لقد شعرت بالجوع

فتحت صدفة فاهها: مجددًا!

قطبت نشوى حاجبيها في تذمر: الكلام يرهقني.

وتركتها نشوى لتحضر شريحة ما من كافيتريا الشركة، تنهدت صدفة وقادتها الثرثرة عن عز وابنته نحو مريم، بالأمس حفظت مريم غنوة جديدة بالمدرسة وأصرت على صدفة أن ترددها معها.

ورددتها.. رددتها ورددتها حتى حفظتها وبكت، وشعرت أنها أم سخيفة درامية تبكي كلما ضحكت مريم أو رقصت أو حتى نامت وتوقفت أن تسأل عنه..

مر أكثر من ثلاث أشهر، رسميًا أصبحت خارج نطاق العدة وأصبح هو رجل بدرجة غريب جدًا، وهي معتادة.. بل هي مرتاحة فوق التصور لهذا الترتيب.

ولكن مريم..

ما ذنب مريم لتحرم من الأب، ما بالها مجرد وسيلة في عالمه وليست غاية.

واكتشفت أنها ستبكي مجددًا فأغمضت عيناها تمنع البكاء، تتوسل مريم في أعماقها ألا تغضب منها وتدعو الله أن تكون على المسار الصحيح وابتسمت وعادت للحن مريم وأغنيتها البسيطة وبدأت تدندنه.

❀

يستيقظ في السادسة صباحًا، لقد اقتربت نهاية العالم!

وبتلك الساعة الصباحية نهاية العالم قد تبدو أمرًا ترفيهيًا!!

لارا تصرخ.. لارا تبكي.. ولارا تمزق شعرها بالفرشاة، خبط رأسه بيأس في الجدار وهو يفكر جديًا أن يأخذ بنصيحة أخته ويحضر مربية، رغم أن

النصيحة لم تكن هكذا تمامًا فقد طلبت منه ببساطة أن يتزوج!

ابتسم ساخرًا وهو يعود لشعر لارا الأشقر وخصلاتها المتشابكة بفعل عفريتٍ ما وعقله يقوده للحل الأكثر منطقية وهي المربية، فلا منطق أن يحضر مربية ليتزوجها!

ومأساته اكتملت بعدم وجود مكان شاغر بحافلة المدرسة، فأصبحت المغامرة مكتملة..

ترك سيارته ومن مساحة المرآب أيقن أنه تقريبًا أول من حضر من الموظفين، لوى شفتيه في امتعاض وتوجه للمصعد ممنيًا نفسه بكوب قهوةٍ ثقيل بمكتبه وربما استرخاء هادىء..

هادىء؟؟

بوشاح كريمي أملس وثوب فضفاض بدرجة مماثلة تحت سترة زرقاء، وهي.. تغني،،

شفتيها تتمتم ورأسها يتحرك في تناغم موازي للحن لا يسمعه وعيناها مغمضة تسبح في عالم آخر، ببساطة المشهد قاتل..

ونسيَ بشأن القهوة وبشأن صراخ لارا فوق رأسه وبشأن براكين العالم أجمع إن وجدت وبقيت هي..

وعينيها..

فتحت عينيها فجأة لتصطدم بوجهه، عيناه ترتكزان عليها.. وحاجبيه الثقيلان يترجمان شعور مربك.

وقانون النظرة قاسي فهي كل معنى محتمل دون دليل، والاهتمام نظرة والغضب والهروب والشغف والخطيئة نظرة، وتوترت عيناها فأخفضتهما واستقامت وتَوَرَّدَت وجنتاها وظهرت معهما الغمَّازة رغم الغضب..

وطفقت تجمع أوراقًا غير مرتبة وتنوي الرحيل وإن كان هو يسد الباب بجسده..

رمقته بهروبٍ سريع في إشارةٍ واضحة لرغبتها بالمرور ولكنه لم يبالي، خرج صوته ليجاور هجوم عيناه: أين نشوى؟

والسؤال بريء، هو يبحث عن سكرتيرته المتكاسلة.. الآن عيناها لا تنظر له وتجيب بنبرة متسارعة وكأن النبرة أيضًا ليست له: نشوى.. نشوى.. ذهبت..

وحتمًا هذا الإرتباك له.

شفتيه انفرجتا بشبه ابتسامة، كانت غير مكتملة فلا القسوة انتصرت ولا الثقة تمكنت.. كانت خليطًا متجانسًا من الاثنين. ولم يعطيها فرصة الجواب أو حتى الهروب

حسنًا.. تعالي أنتِ

للحظة ودت أن ترحل، لها ما يكفي من الحرج اليوم ولكنه تحرك بعمليةٍ مناقضة لعينيه منذ دقيقة واحدة وجلس فوق مكتبه وفتح حاسوبه وبدأ يمليها بعض المهام العاجلة.

في لحظة تحول لشخصٍ آخر.. عاد المدير الصارم، عمل وجدية ومعاملة رسمية مطمئنة..

كانت ترددها لنفسها، تكررها.. تحفظها عن ظهر قلب وتتناسى بشأن النظرة، النظرة قانون خطير، يحمل كل مجازفة ممكنة..

وهي ليست بحمل مجازفة أخرى!!

وفي منزلها.. ومع مريم وأغنيتها ولحن المدرسة الجديد كانت الحروف تأخذ مسارًا آخر....

«عاد بابا»

أن يقتلنا الاعتياد بتفاصيل مكررة مقبول، أن تغادرنا المتعة مع قسوة الزمن.. مباح.. ولكن أن نفقدها مع وسخ الخطيئة فهذا هو العبث!

لا شيء..

صنم هي مع الزوج ومنحوتة متألمة مع العشيق.. تلك لعنتها إذًا..

تحيا ببقايا إنسانة.. اختفت متع الحياة واحدة تلو أخرى فلا للطعام مذاق ولا القبلات لها مذاق.. وحتى ضحكة أولادها باتت تخشى أن تفقدها.. باتت تدرك أنها المتعة الحقيقية التي لم تقدرها يومًا!

وكوابيسها تحمل أنفاس سليم، ظلام ليلها بات يحوي وجهه وزرقة عيناه باتت تقلق مضجعها بليالِ كمد لا تنتهي.. عالمها أضحى رسائل نصية، أمر يبدأ بحروف وينتهي شفاهية..

تعالي حالًا..

وترتبك وتتنصل بحجج واهية حتى بالمساء، وتذهب خوفًا لا شوقًا.. وتجده هناك بجانب الفراش يرمقها بنظرات مُبهمة، ولا تعير عقلها جهد الفهم فالأمر لا يستحق.

الأمر يتلخص بأمر آخر بل عدة أوامر وهي لا تملك سوى أن تنفذ.. تهمس وتلبي.. وتساير وفي النهاية تصطنع نشوة كي يرحمها ويتركها ترحل..

نعم...

الإعتياد أصبح مملًا بتفاصيله وهذا قاتلًا فهي تدفع بجانبه وزر خطيئة..

وفي مساءٍ ما طلب منها أن تأتي، كانت الثامنة مساءًا وابنتها الكبرى لديها اختبار والصغرى مريضة وانسلَّت الغرفة بهاتف وصرخت..

رفضت ولعنت وتمردت وجاء هذره قاسيًا: أنتِ اخترتِ أن تكوني ملكي.. تحملي

ولم تكن اختارت.. ألم يغويها هو.. يسعى خلفها.. ألم يحاول اغتصابها وِأعطته هي بعدها ما طلب بنفسٍ راضية.

نفس راضية...!

كررتها لحالها.. أربع مرات وضحك هو بهمس شيطان يليق به، وناقض كل ثوابت أوتادها بأرض متعتهم فيما سبق.. وكرر همسه بنبرة أكثر دفئًا: اشتقت لك.

ومن بين عبراتها توسلت: أرجوك.. فقط اتركني.

ولم يتردد.. ولم يرِقْ.. ولم تكن نبرته هادئة.. بل كانت مؤَكِدة: لا أريد.

وصمتت هي دهرًا.. وعبر الهاتف تصله أنفاسها، وهي أول ما جذبه إليها، تلك المرتعدة أمام كل ما يخصه.

أول مرة حينما رأته مع نهى لمع الهلع بعيناها وكأنها لم ترى رجلًا من قبل وأول مرة حينما فاجآها باجتياحه كانت تشهق رعبًا وفزعًا وخوفًا من ضعفها قبلًا منه وكل مرة هي معه يشتّم هذا العبق الملهم..

الضعف.. الخوف..

والندم وهذا ممتع!

بموعدنا غدًا.....

وغدًا وغدًا وغدًا......

واستمرت

واللقاءات يومية لا تحيد ولا تؤجَل ولا تتوانى..عن أي شيء وكل شيء..

ورغم الشغف.. رغم إضاءة خافتة وهمسه الذي عاد واطلالتها المختلفة فقط في عيناه، إلا أنها أصبحت أشبه بظل.

أم أن الظل حضر وتملكها منذ سنوات وشبحه لا يطل مع زوجها فقط بل أيضًا مع سليم؟؟

لا مذاق...

لا شيء..

حتى الشعور بالقرف لم يعد موجودًا...

هي فقط تترك نفسها له بلا شعور...

ضاقت عيناها في غضبٍ وكانت حواء العارية فوق فراش دون محاولة حتى لجذب ستار، وتنفس سلِيم هواءها مع عبق تبغه ورغم أنها لا تبالي إلا أن امتلاكها يشعره برضا..

وربما قهرها...

لأنها رفضت.. تجرأت ورفضت بعد أن اختبرت المذاق، وربما ملّت!

والملل ليس من حق النساء.. هي العنصر المتلقي والراضخ دومًا، طبيعة الحياة وقانون الخليقة... فكيف تتجرأ وتطالب بحقٍ هو من قاموس الرجل؟؟

الملل..

هو ملّ نهى وقبلها وفاء وقبلها نادين وهناك صغيرة مراهقة كانت تتحفظ على عذريتها فملّها أيضًا..

وقبلهن كثيرات ونادية في صف انتظار حتى يمل، هكذا القاعدة ولن تشرخ بمللها هي أولًا..!

جاورها وجذب قميص له ليضعه فوقها، ليس سترًا ولكنه رأى أنها هكذا

تبدو

أفضل!

وكانت هي ثلجية.. ترضخ دون اعتراض...

عبق ضعفها وخوفها وترددها لم يعد له أثرًا.. كانت تتحول ل «نهى» أخرى ولكن دون الشغف....الشغف يمتلكه هو!

وبعد أن انتهى ومع خطواتها المعتادة نحو الحمام لتزيح كل لحظة معه بمياة باردة لمحت جروح شفتيها.. وكانت بيِّنة ومستفزة ومقصودة. حتى أنها خرجت على الفور ترتجف من صقيع المياه متلحفة بمنشفة قصيرة وتصرخ بشفتيها المدمومتين: لماذا؟

ولم يكن رده سوى رفع كلا حاجبيه في لامبالاة وإشارة عين فهمتها دون تفسير

إشارة قاسية من زرقةٍ تزين ليل وجهه وتُناقض لامبالاة حاجبيه..

أمر واجب النفاذ وهي لم تعد تمتلك رفاهية القرار....

أغمضت عيناها تتحرك نحوه في انقياد.. إذعان يجب أن يكون راغب!

لهفة وخوف وتردد وشجن وعبرات وقهر وعقاب..

هي تختبر أسوء عقاب قد تمر به امرأة ومن جلاد اختارته طوعًا.. وكانت له تدلل كما يريد وكما يجب الدلال أن يكون.

حتى ينتهي حتى يمَّل هو.. وكل ما كانت تفكر فيه كيف ستبرر كارثة شفتيها؟؟

❀

«القانون واحد....الفتاة تتزوج وترحل.. ببساطة يأخذها رجل، ويصبح

كل شيء..»

وشعرت ثناء بالوحدة وكأن بهجة البيت اختفت في ستون يومًا، وليلة زفاف هَنا بكت وقبلّتها ودَعَتْ لها بالخير وليلة زفاف دارين ندمت وودت لو انتظرت قليلًا على زواج ابنتها الصغيرة.

والوحدة اكتملت الآن بوجود شبح، زياد اللاموجود...

هكذا سيكون المسمى، ترك ذقنه تنمو فتبدلت ملامحه.. وتبدلت رائحة تبغه وباتت ثقيلة غير محتملة وثناء تعلم عن مغامرات هذيانه وتصرخ وتلعن وتبكي وتدعو له بالصلاح.. وتكررها بشكل مكرر وغير مفهوم: لا تحرق قلبي يا زياد

وهو دوَّامته ممتدة ترقص فوق فِراشه وبهجة البيت اختفت حين غادرت هَنا، كان صباحه منكهًا بمشاكستها.. حتى الطعام كان أمامها يختلف.

أغمض عيناه وعاد بذاكرته لرحلة القارب، كاد يغرق.

«لا تحرق قلبي يا زياد»

هل تمتلك أمه حدسًا متأخرًا، والتوت شفتيه بسخريةٍ من بين دخانه وشعر أنه يود النوم.. الغفوة لفترة زمنية طويلة لربما حينها يستيقظ آخر.

وفعل العكس تمامًا.. ترك جسده للماء البارد وتجرع عصير البرتقال على دفعةٍ واحدة وخرج لركض صباحي!

ومقابلة مؤجلة حان وقتها..

وكانت ترتدي سروالًا رماديًا تلك المرة، السترة وردية وبأكمام طويلة فالصقيع اقترب وخصلاتها مربوطة ولا تتخطى كتفيها.. توقفت أخيرًا لتلتقط أنفاسها فلها أكثر من ساعة تركض ولكنها كانت تحتاج لتمرين مكثف، كانت منثنية بجذعها للأمام وقد ارتكز كلا كفيها فوق ركبتيها في راحة مؤقتة وحينها

لمحت حذاء رجل.

حذاء رياضي نوعًا ما ولكنه كان يرتدي سروالًا قاسيًا من الجينز فوق قميص مفتوح مناقض لبرودة الجو، وملامحٌ ليست بغريبة عليها..

رفعت رأسها في محاولةٍ لتذكره وحينها ابتسم لها بيأسٍ مصطنع: حطمتي قلبي.

ضمت حاجبيها تفسر: ماذا؟!

اقترب منها خطوة أخرى وحينها همس بجانب أذنيها بسخريةٍ مقصودة: هل تقودين معجبينك كلهم للسجن ملازم فدوى ثم تسقطينهم من الذاكرة؟

تذكرته.. نعم الأشقر الغارق المنتشي بجرعة زائدة، هو فقط يبدو أطول وبذقن نامية بعض الشيء وكأنه يلتمس بها رجولة.

رفعت قدمها اليسرى فوق صخرة مجاورة لتعيد ربط حذاءها لتنحني شفتيها باستهزاء: تذكرتك.. هل تود العودة مجددًا ليخرجك الرقيب أمجد؟؟

رفع حاجبيه ببراءة: والتهمة؟؟

ويديه تعبثان بجيوب بنطاله الفارغة..

ضيقت عيناها في قسوة: أستطيع أن أتدبر الأمر.

ملامحه اصطنعت دهشة: تستغلين نفوذك حضرة الملازم؟؟

كانت قد أنهت ربط حذاءها، حركت رأسها دون اكتراث: نعم..

كتم ابتسامته ثم تابع: حسنًا رغم قسوتك وظلمكِ وعدم تذكرك لي أنا أود أن أشكرك، ففي النهاية أنتِ أنقذتي حياتي.

لم يبدو على ملامحها أي تأثر، انتظرت حتى انتهى من خطبته القصيرة ثم ردَّت وهي تتخطاه لتكمل جولة ركضها: جيد.. المرة القادمة افقد وعيك على البر.

ولم تلاحظ عيناه التي تأملتها بروية وقراره القادم يداعب رأسه بشكل مثير، هو يحتاج لمشاكسة صباحية!!

الفصل الرابع عشر

"إذا أردت أن تفهم شخص، احفظ عاداته الصباحية.."

قهوة مُرَّة وساخنة، مذياع خفيض بصوتِ فيروز.. كوب من اللبن الساخن من أجل طفلة أو معركة لا منتهية مع خصلات مشعثة.

وربما زجاجة مياه وركض..

توقفت لوهلة تراقب السماء ثم أعادت ربط حذاءها مرتين، هي تفعل ذلك في الآونة الأخيرة.. تربط حذاءها بتمهل وأكثر من مرة وتركض لمدة ساعة غير منقطعة وفي النهاية تتجرع مياهها كرجلٍ عطش ثم تصعد بتعرقها للمنزل من جديد.

حينما رفعت عيناها بعدما انتهت من ربط الحذاء السخيف لمحته، بوجهٍ أوضح وذقن هذه المرة حليق ومعهم ابتسامة غير مفهومة..

المنتشي عاد مجددًا..!

وإن كانت سخرت بسرها فابتسامته تبدو وكأنه قرأ أفكارها تمامًا، رفع كلتا يديه ليتحدث بجدية ممازحة: نظيف.

ضيقت عيناها وقد فهمت تلميحة: أو تجرؤ..

ثم تخطته وكأنه غير موجود، بعد أربع أو خمس خطوات لاحظت أنه يركض جوارها.. يركض ويرتدي ملابس رياضية ثمينة ويبدو بشكل واضح أنه لجأ لجرعة فيتامينات صباحية، توقفت لتستدير نحوه وقد تحولت لامبالاتها لغضب: ماذا؟

كتم ابتسامته: ماذا؟؟

رفعت سبابتها في وجهه بتحذيرٍ جاد: أنت كف عن إزعاجي وابحث عن شيء مفيد تفعله.

عاد خطوتان للخلف وقد تحركت عيناه بدهشة ماكرة: وهل يجرؤ أحد على إزعاجك حضرة الملازم؟؟

ثم ضم رسغيه بتلميح لأصفادها الحديدية قبل أن تتحرك شفتيه بابتسامة جانبية مراوغة. ضيقت عيناها بغيظ قبل أن تقترب هي منه لاغية الخطوتان، لم تقل شيء اكتفت بنظرة محذرة وتابعت الركض وهو جانبها تمامًا!

لا ينكر أنه يجاهد الآن ليلاحقها، أكثر مسافة ركضها بحياته ربما خمسة كيلو مترات ويشعر الآن أنه أكل بقدميه عشرين.

هل تنتقم تلك الفتاة منه أم لديها مخزون فائض من الطاقة؟؟

كانت الساعة قد اقتربت من الثامنة ويشعر أن بائع الشاي على الطريق المجاور يسخر من تعرقه ونشاطها، بل يسمعها.. نعم سخرية عيناه تخبره ما يهذي به الرجل عن قوتها وتواضع مهامه!

الآن ضربات القلب تسابقه.. ستتوقف، سيتوقف قلبه تمامًا وسيموت بجرعة نشاط غبية مثلها.. لم يشعر بنفسه إلا وهو يمسك ذراعها ليوقفها بيد ويده الأخرى مرتكزة على ركبتيه وكان قد أمال جذعه بزاوية قائمة في محاولة للتنفس، استدارت له وقد أيقنت أنه انتهى تقريبًا.. التوت شفتيها بمكرٍ قبل أن تميل برأسها لتسأله في براءةٍ: ما بك؟

كانت أنفاسه ما زالت عالية وأنقذ قلبه تقريبًا ولكن صوته خرج متحشرجًا: انتظري.

زفرت دون صبر: هل سوف تموت الآن؟؟

رفع عينيه نحوها في يأس وبعدها علت نبرة صوته شاكية: حسبي الله ونعم الوكيل.

كان يرفع سبابته وقد بدا كعجوز باكية تلعن زوجها السكير: يا إلهي سيتوقف قلبي.

ثم جلس على الأرض وقد بدا منظره مثيرًا لبعض المارة: سأموت بسببك، سأموت وأنا لم أتزوج بعد.

ضحكت مراهقتان بطريقهن للمدرسة وقد أظهرتا إعجابهن بوسامته ثم ضرب عجوز آخر كفيه في تعجب على الرجولة التي رحلت مع جيله، كتمت ضحكتها ثم كتفت ذراعيها هازئة لتميل نحوه ويهمسٍ منتصر تلك المرة: لا أعتقد أنني سأراك مجددًاثم تركته وتابعت ركض..

وفي اليوم التالي ظهر مجددًا، لم تصدق نفسها حينما رأته أمام البناية، لقد ركضت به أكثر من ساعة ونصف بالأمس.. تخطته وقد كتمت غيظها ولكن حركة قدميه ويديه الغريبة جذبتا انتباهها: ماذا تفعل؟!

أجابها وقد بدا مستغرقًا في حركاته بجدية: تمارين هوائية، لكي أحضر جسدي.

ضمت حاجبيها بتعجب ثم حركت فمها بلامبالاة وتركته فلحقها مسرعًا: لقد عادت لي الفتاتان بالأمس هل تصدقين، أرادتا أن..

توقفت فجأة لتستدير له بغضب: إن كنت ستركض جواري فالتزم الصمت.. وإن تباكيت كامرأة عجوز مجددًا أنا لن أتوقف لإنقاذك.

وكانت سبابتها تحذر قبل صوتها بوجهه، رفع كلتا يديه في استسلام ولكن قبل أن تتحرك سبقها هو وهمس هو تلك المرة وبانتصار: سنرى من سيتوقف أولًا..

نزلة برد...!

ثائر العظيم يمرض، وكأنه مصنف كآلة بشرية مثل الجميع، منذ أسابيع فقط اعتقدت أنه لا ينام وبعدها ظنت أن أم محروس تدس في طعامه أعشابًا سحرية من الطاقة والآن هو مصاب بالحمى ويهذي.. من وجهة نظر شيطانية بحتة الأمر ممتع، فتح عينيه فرمق خيالها يتحرك بنشاط حوله في الغرفة، كانت ترتدي حلة نسائية بيضاء بتنورة قصيرة فوق حذاء أبيض شاهق يضرب أرض الغرفة دون رحمة.

جمال صباحي وصداع قاتل، فليوقف أحدهم تلك المرأة!

وضع يده على جبهته يتحسسها بألم زاد عن حده حين حاول أن يستقيم من الفراش وحينها شعر بعطرٍ هادىء به نكهة من ثمار الخوخ والكمثرى يخترق أنفه وصوتها المتذمر يناقض العطر تمامًا وهي تعيده إلى الخلف ليستريح مجددًا: الطبيب أمر بملازمتك للفراش.

حرك رأسه في محاولة لإستيعاب ما تقوله، هو لا يذكر أنه ذهب للطبيب من الأساس وبالطبع لا يذكر تحامله على نفسه بالعمل ليلة الأمس وعودته مترنحًا بفضل الحمى التي هاجمته أثناء قيادته للسيارة بطريق العودة.

كانت هي حينها تمسك بحبة الدواء اليومية، تقربها من فمها وتبتلعها في معاندة مُكَرَّرة تخبره أنها أبدًا لن تحمل منه طفل.

من يراها من بعيد سيظنها طفلة صغيرة تأخذ دواءً مرًا وترتدي منامة بيت مضحكة بلون أصفر.. سروال قصير يصل لمنتصف الركبة وبلوزة دون أكمام عليها رسومات منوعة لحلوى الايس كريم...

هذه منامة مضحكة.

وكانت تلك هي عبارته وقتما ظهر بباب الغرفة، كانت هي قد ابتلعت الحبة وأوقعت رغمًا عنها باقي الشريط فارتكزت بركبتيها تبحث عنه تحت ظلام الفراش، وحينها هاجمها صوته الساخر، فانتفضت خجلة لتستقيم على الفور ووجهها محمر تحاول تفسير كلماته: ماذا؟

رفع حاجبيه بشكل بديهي رغم تعب عيناه الواضح ثم استرخى بجسده على أقرب مقعد وهو يشير لها بتفكير بدا جدي: أنت تمتلكين مؤخرة كبيرة!

لا تعلم هل القتل مباح في تلك الحالات، أم أن حوادث تقطيع الأزواج لم تأتي من فراغ بنهاية الأمر.. كانت تضم قبضتيها في غيظ وهي تقترب منه ولسانها يحذر قبل أن يهذر: ماذا تقول؟

أمال رأسه قليلًا ومالت منه ابتسامة جانبية ماكرة رغم أن عيناه كانتا نصف مفتوحتين: اخلعيها.. تلك المنامة تجعلك سمينة...اخلعيها فورًا!

هل سيقول ما هو أسوء؟؟

هكذا كان عقلها يحادثها وهي تقترب منه تنوي الفتك به والتهامه مع شورية أم محروس الثقيلةِ النكهة ولكنه حينها عاد برأسه إلى الوراء وأغمض عيناه فبدا وكأنه يحدث نفسه: أنتِ حقًا جميلة.. أنا أحب نعومة جسدك هَنا وأحب نكهة.......

لم تشعر بنفسها إلا وهي تقاطعه وتضع كفها فوق شفتيه وحينها شعرت بسخونة قاسية ربما تتعدى الواحد وأربعون درجة...حسنًا ثائر العظيم مريض... ثائر العظيم يهذي...!

استفاق مجددًا على برودة كفها وهي تتحسس جبهته لتقول بعدها وهي تدس في فمه حبوبًا ما دون أن تسأله: الطبيب جاءك بالأمس وأوصى بملازمتك الفراش ليومين كاملين، تلك الحمى تحتاج الراحة ثائر.

حمى.. طبيب.. راحة...

أزاح يدها التي كانت تحاول وضع ميزان الحرارة في فمه وضم حاجبيه متسائلًا بغضب: أي طبيب؟؟

استقامت تجيبه دون اكتراث وهي تضع هاتفها النقال في حقيبة يدها: أنت مصاب بالحمى ثائر.. استرخي واستريح وأنا سأعود من العمل مبكرة ساعة،

الآن أغضبته أكثر، تظنه طفل وتمارس دور أم منشغلة أم ماذا؟؟

رفع جسده في محاولةٍ للنهوض ولكنه فوجيء بهروب قوته تمامًا فاعتدل وزفر بقلة صبر: أين أم محروس.. أحتاج لقهوة ثقيلة حالًا؟؟؟

حركت كتفيها باستهانة: أعطيتها إجازة.

حرك رأسه دون استيعاب: ماذا؟!

حركتْ كتفيها في براءة: تلك الحمى مُعدية ثائر، المرأة لديها أطفال.

كانت خصلاته قد بدأت تتعرق بفضل المسكنات التي يبتلعها منذ الأمس، فرك رأسه بتعب وهو يرمق خيالها الأبيض النشيط بشكل مثير للغيظ قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة حانقة: كم أنت رحيمة القلب حبيبتي!

ابتسمت هي ابتسامة واسعة: أعرف.

ثم توجهت للخطيئة الكبرى.. حافظة القهوة خاصته.. قدحه الزجاجي وسائل غبي بلون مثير للتقزز...

لقد وضعت لك حساء الخضروات هُنا.. ستشربه طوال اليوم وأنا لن أتأخر ودواءك موعده بعد ساعة وضعته لك هنا على مقربةٍ منك.

هناك حالات للقتل مبتكرة، مثل الزوج الذي رمى زوجته من الشرفة لأنها استبدلت قهوته بالحساء!

الآن هو مشعث الشعر ويرتدي فوق ملابس نومه مئزرًا غبيًا لتدفئته، ألم حلقه الغير محتمل أجبره أن يأخذ منها القدح ليصب أي شيء بجوفه كي يستطيع النهوض والانتقام منها أول أولوياته.. وفجأة دفء قوي اجتاح جبهته، مالت بجذعها نحوه واقتربت شفتيها منه لتطبع قبلة دافئة فوق تعرق رأسه لتضم بعدها حاجبيها في جدية تامة: لا قهوة اليوم.. تلك أوامر الطبيب.

وظنت أو تظن أو تريد الظن أنه ضعيف، كانت قبضته قد تملكت من خصرها حينما حاولت أن تستقيم مجددًا فجمدها لوهلة قبل أن يهمس فوق أذنيها ببطء مقصود: ربما أحتاجك هُنا معي ألست بمريض يستحق العناية؟!

أزاحت يديه ببطء قبل أن تبتسم بثقة ولكن دون أن تتحرك: حبيبي لا تكن طفلًا إنها مجرد نزلة برد!

وسحبت حقيبتها قبل أن تودعه بتلويحٍ جاد وتذهب لعملها بكل بساطة، أو ربما بشكل عملي ويشبهه تمامًا..

❁

«رجعوني عينيك لأيامي اللي راحوا»

«علموني أندم على الماضي وجراحه»

أم كلثوم تغني.. جو عائلي هادىء بل يكاد يكون مثالي.

أعدت سميحة البطاطا الساخنة رغم أن الشتاء لم يدقّ أبوابه بعد، واستقر وائل على المقعد الواسع في مواجهة التلفاز وكوب الشاي الملتهب بيده وتحت

قدميه تجلس مريم في سعادة تلعب بدميةٍ غريبة.. نعم هذا أول ما استشعرته حين رأت الدمية.

كانت دمية غريبة لا تشبه الدمى التي تفضلها مريم، دمية لها لون شعر برتقالي صارخ مع ثوب قصير لامع بلون بنفسجي، عيون واسعة مخيفة وحجم كبير يكاد يقارب مريم طولًا..

رفعت عيناها نحو الجميع في الوقت الذي صرخت فيه مريم ببهجةٍ: عاد بابا!

نعم ببساطة عاد ويرتشف الشاي ويرتدي بيجامة بيتية مُقلّمة وأمه تعد البطاطا، ظلت عيناها صامتة لوهلة حينما رفع عيناه نحوها، كانت نظرته هادئة.. بل راضية وكأنه لم يتغير شيء!

نظرة مطمئنة تشبه وجه أمه المتوقد من حرارة الفرن وواثقة قدر جيتار خورشيد وهو يشدو بمعزوفته خلف صوت الست..

هل الرجل كائن مغرور بطبعه، أم أن الأمر منوط بضعفِ النساء؟؟

تحركت شفتيها بصلابةٍ دون أن تتبدل نظرتها:

السلام عليكم

وخطواتها قادتها نحو غرفتها،

صدفة.

لم يكن صوته، كانت خالتها التي غلبت نبرة الحنان عليها وهي تتابع بكل بساطة ممكنة: تعالي لتتناولي عشائك حبيبتي.

وبكل جفاءٍ ممكن ولا بديل لها غيره جاوبت: لست جائعة.

وتلك المرة كان هروبًا، أرادت أن تغلق على نفسها باب الغرفة: أن تختفي مبتعدة عنهم وأن تكبح نفسها من الانفجار أمام نظرته الباردة.

عاد بابا

عاد وائل

ولكنه غادر عالمها هي ودون رجعة....

وكما توقعت نامت مريم بحضن أبيها تلك الليلة، وطرقت سميحة باباها في منتصف الليل بوجهٍ غاضب قبل أن تناولها قطعة ساخنة من البطاطا وكوب شاي وخلاصة القول أن وائل جاء ليمكث عدة أيام معهم والحوار يعيد فتح باب تجاهد لإغلاقه، أمّا ما يصح وما لا يصح فكل الثوابت تنهار أمام رغبة سميحة في عودتها لوائل.

في تلك الليلة تحديدًا شعرت بالوحدة، خواء يود أن يستدعي أمها.. أبيها.. أو حتى أخ أكبر ترتمي بين ذراعيه وتبكي.

كانت صلاة الفجر قد اقتربت ونومها المتقطع اختفى تماما فنالت استيقاظ كامل، وضعت فوق جسدها روبًا طويلا وتوجهت نحو دورة المياه كي تتوضأ وتصلي ولكن قبل أن تصل أوقفها صوت هامس يشاء القدر أنها تحفظه جيدًا..

فهو صوت زوجها.. السابق

أفتقدك.

هكذا ببساطة، أفتقدك وذراعه يمتد بين جداري الممر ليقطع طريقها.. أفتقدك وعيناه ناعستان بشكل حميمي مستهلك. أفتقدك وتعود المياه لمنابعها حتى وإن اختنقت بها من بُعد...

أشاحت ببصرها عنه لتجيب في جمود لا يقبل جدال: وأنا لا أفتقدك وائل.

ابتسم بثقةٍ برر بها اقتراب اكثر: كاذبة.

ابتعد.

كانت نبرتها تلك المرة صارمة، هل يهذي أم جنْ أم أن غروره يمنعه من رؤية أنها أبدًا لن تكون من حقه مجددًا؟؟؟

بدت عيناه مستغربة تلك المرة..

صدفة.. هل نسيتي وائل؟ ببساطة هكذا!

عيناها هي كانت بذات الجمود لم تتبدل..

وتابع هو بذات الحميمية والهمس...

أحبك أنتِ.. وعالمي أنتِ وأم أولادي أنتِ و..

وجدت نفسها تقاطعه وخانها جمودها فكاد ينقلب لانهيار: اخرس. ألا تفهم؟؟ اخرس... لا أود سماعك، انتهى كل شيء وائل كل شيء ولا مجال للعودة...

وحينها وجدت نفسها تتحرك رغمًا عنها في اتجاهه، تبدلت نظرته الهادئة وباتت أكثر قسوة وفحيحه كان موجعًا يوازي تطاوله بلمسها رغم أنها لا تخصه.

لقد تركتك كي تهدئي وتعيدي حساباتك ولكن أنا لن أصبر كثيرًا صدفة هل تفهمين؟

أغمضت عيناها وأشاحت وجهها مبتعدة عن أنفاسه ولكنه لم يترك ذراعها، تابع وهو يقربها نحوه أكثر: ابنتي ستتربى بيننا صدفة وعاجلًا أم آجلًا ستعودين لزوجك وستنتهي حقبة التمرد تلك.

وازى كلمته الأخيرة بابتسامة خبيثة ليترك ذراعها ويمرر سبابته فوق شفتيها ببطءٍ ثم تركها تمر ،وتفجرت شياطينه حينما سمع صوت استفراغها بدورة المياه وكأن السبب لمسته..!

عيناها تبدو مجهدة وكأنها لم تنلْ النوم لليلتين متتاليتين، تحادث نشوى دون تركيز وتركت شايها باردًا وفي النهاية غابت الغمَّازة!

ضمَّ قبضته في غيظ قبل أن يعود لارتداء نظارة القراءة خاصته ويدفن رأسه بين أوراقه.

الآن يراقبها من خلف زجاج مكتبه والمسافة أمتار قليلة، هذا الأمر بات خطيرًا ويؤثر على الصحة العامة.. قطب جبينه وتظاهر بالاهتمام بأوراقه.. والآن هي تبكي.

يا الله ما هذا اليوم؟؟

تبكي وتفرك أنفها الصغير بمحرمة وردية ويبدو أن نشوى تحايلها كي تفرغ ما في جعبتها ولكنها صامدة كالصنم ترفض فيما يبدو مشاركة ما يؤرقها مع أيًا كان.

وفجأة ودون تفكير وجد نفسه يرفع سماعة الهاتف ويطلبها هي وليست نشوى

صدفة تعالي حالًا!

هذا ما ينقصها، أن تدخل لمكتبه باكية.. هي لا تود تذكُّر آخر بكاء لها بتلك الغرفة، تنفست ببطءٍ حوالي ٤ مرات وتأكدت أن عيناها جافة بتأكيد كاذب من نشوى قبل أن تخطو نحو مكتبه.. كان هو يتصفح عدة أوراق بجدية تامة وكالمعتاد أملاها بعض الملاحظات الهامة جدًا والتي لا تحتمل التأخير حتى ولو كانت تبكي خلف باب مكتبه ثم رفع بصره فجأة نحوها فارتبكت عيناها لوهلة قبل أن تفاجأها العبرات السخيفة.

صغيرة وسخيفة وتظهر دون رحمة كما نظرته نحوها تماما...

استقامت مسرعة تود الهروب ولكنه أوقفها بنبرة ثابتة: هل أنت بخير؟

أخفضت بصرها لتجيب بشكل فوري.

نعم.

لم يُحد بصره عنها، تابع بذات النبرة: لا تبدين بخير.

أنا بخير.

كانت تجيب بنفي متعجل كاذب، النفي المتعجل كاذب. الأمر لا يحتاج لخبير فما بالها برجلٍ مثله...

لوى شفتيه ببطء قبل أن يلتقط لفافة تبغ أحرق دخانها سريعا ثم تابع بقسوة: ما دمت بخير فلتنهي تلك الأوراق في دقائق فليس لدي وقت لأخطاء نشوى.

رفعت بصرها في غيظٍ قضى على العبرات لوهلة قبل أن ترد بتذمر: حاضر

هكذا ببساطة نفذت أوامره فقط لتهرب من أمامه، ولم تكن تعلم أنه سيرى تلك العبرات التي انهمرت أكثر فور خروجها من مكتبه وتلك المرة مع ارتعاشة شفتان تمكران دون قصد لظهور الغمازة الغائبة....

وهذا ليس بعدل!!

❁

«التفاصيل المملة»

كل زواج يحمل تلك التفاصيل المملة، هكذا تقول ثناء وهكذا ينصحنها الصديقات والمتمردة الوحيدة هَنا.

وهَنا لا تفهم لأنها لم تجرب ولأن ثائر رجل وحيد لا يوجد بعالمه سوى هي وعمله ولأنه ببساطة ليس لديه أم.

محظوظة..

ليس لديه ثلاث أخوات من أجلهن ستبتدع الهجرة للمجرات...

وأحمد هو بطل عائلته، فإن كانت تظن أنها عاشقة لتراب قدميه فما تفعله أمه حتمًا يتخطى كل تصورات العشق. وماما شوقية، وهكذا تناديها.. هي امرأة نشيطة تستيقظ من الصباح الباكر وتظل على حالةِ انفعال دائم بالمنزل حتى منتصف الليل.

وانفعال ماما شوقية يتخطى مجهودها البدني والذهني أيضًا، فهو كإعصار قاتل يصيب الجميع فتأمر تلك بإعداد صنف ما من الطعام والأخرى ستتولى شأن الكي أما الثالثة فتقوم بإزالة الأتربة من فوق خزانة قديمة، ويجلس أحمد في الشرفة مع كوب شاي هاديء وقطعة من الكيك، وتلك المرة انضمت رابعة لقافلة شوقية التي لا تنام.. زوجته...

وبداية كل زواج تأتي بعد الشهر الخادع وإلا لماذا أسموه شهر العسل؟؟؟

ولا تقول دارين أن كل ما تلاه كان بصلًا بالمعنى الدارج ولكنه كان شيئًا آخر غير توقعاتها تمامًا.

أحمد رجل منظم قدر الإختناق فهو يصحو بموعد ويغفو بموعد وبدا أنه من واجبها كزوجة أن تفعل المثل.

بل يجب أن تستيقظ قبله وتعد إفطاره وحمامه وملابسه.. تودعه بقبلة وتستقبله بمنزل مرتب ونظيف وغداء شهي...

أمر بسيط... مكرر.... يومي...

وتفويته غير قابل للغفران!!

وبصباح جعلته شوقية مملًا خرج مع أمر قابل النفاذ بالذهاب لأمه فهناك عزيمةِ ما والحضور إجباري، وتكاسلت بأحقية بشرية مكررة لكن في أي عالم سوى عالمه.

يومها وبعد أن انتهت العزيمة وعاد للمنزل بوجهٍ غاضب لزوجته التي لا تنفذ مطالبه وبعد هجوم حاد منه ومحاولةٍ منها للرد.. الصراخ وربما الزعيق والتذمر ولفظ غير مقبولٌ من زوجة مِيزتها الأولى الطاعة.

تعبت أحمد، طلبات أمك لا تنتهي....

اسمها والدتك يا...

والتكملة سباپ!!

والصدمة لجّمتها فوجدت نفسها ترفض.. تصرخ أكثر وتلعن وتشتكي من تحكمات الوالدة والأخت والزوج الذي لا يرحم وهو ينعتها بالمدللة الحمقاء!

يتذمر من الطعام الغير مطهو والملابس الغير منسقة والمنزل الذي تتركه بإهمال ،

العراك بات يشبه التفاصيل المملة التي استحدثها بعالمها الوردي...

أرادت عشق وهو يحتاج لمأكل ومشرب وملبس وزوجة خرساء إلًا من لفظ نعم...

فقدت الميزة...

تفقد الميزة...

وتصرخ بوجههِ والزعيق استحقاق ذكوري بحت في كل زيجة، وكان يجب أن ينتهي الأمر.. ينتهي العراك بالشكل الذي يرضيه وربما الشكل الذي تستحقه...

وانتهى الأمر بصفعة!

القاعدة تقول أن ما يمكن اخفاؤه مباح!

هي اعتادت هذا منذ عرفت سليم..

ولكن هذا اليوم وعلى مائدة الغداء وأمام صمته وهاتفه وحلته الأنيقة وجريدته كيف ستخفي شفتيها..؟؟

كانت تأكل ببطء يوازي حركة أناملها بتردد فوقهما، يلاحظ.. نعم..

وكيف لن يلاحظ رجل جروح شفتي زوجته وتورم لم تحظى به يومًا!

ولأول مرة منذ زيجة استمرت خمسة عشر عامًا يهديها تحديق.. وزاد ارتباكها كلص يود إخفاء آثار الجريمة حتى توقفت اللقيمات بحلقها تأبى المرور..

تأبى الراحة مثلها تمامًا.. ولم تكن تنظر نحوه وربما هي لا تعي متى توقفت عن النظر نحوه..

هل الآن أم منذ عرفت سليم أم ربما منذ أعوام.. منذ أن توقف هو عن النظر إليها.. منذ أن تحولت لماكينة تغدو وتجيء دون أن تستوقف أنفاسها أحد، منذ استنبطت بعيناه أنها لا شيء..

أنها غير موجودة لأنها ببساطة موجودة!!

وارتجفت يدها الممسكة بالصحن تتأهب لرحيل بقبضته المشعرة فوق معصمها.. ليوقفها بنظرةٍ صارمة أرعشتها ويأمرها بنبرةٍ غليظة: اتبعيني للغرفة..!

حاجبيه منقبضان ونظرته صاعقة، وهي تخافه بل ترتجف منه رعبًا.. وتلك المرة هي ليست مترددة بطلب ولا تود نقود تشبك أصابعها عشر مرات قبل طلبها...

هي تخونه..

وخطواتها للغرفة تصور لها سيناريوهات مقبضة، شكوك.. صعقة.. خزي وألم ومواجهة وإيذاء حد الموت.

حتى أنها لم تلحظ أنه ينظر نحوها بتهكم.. بل ابتلعت ريقها بجزع لأنه أغلق الباب كي يتفادى الأبناء زعيقه..

انكمشت واقفة بجانب خزانة ملابسها كمن ينتظر عقاب وزاد ارتعادها مع خطواته نحوها ليرفع إبهامه نحو شفتيها وهو يهذر بقسوة: ما هذا؟؟

كذبة.. تحتاج لكذبة وأعدت واحدة بالفعل ولكن نظرته نحوها ترعبها فتوقف الكلام، تابع هو بنقرةٍ أكثر قسوة يعيد سؤاله: ما هذا نادية؟؟

وكان يزعق.. وأنقذها أنه أكمل زعيقه، نعم أنقذها.. فزوجها يعتقد أنها وقعت ضحية لجنون جلسة تجميل...

المرأة المجنونة تود أن تعطي شفتيها امتلاءً!

كان يزعق بغضبٍ ويتحرك بعشوائية داخل الغرفة وقد بدأ يحل ربطة عنقه بشراسة بيِّنة.. يبتعد عنها ثم يقترب فجأة ويزأر بصوت هامس بالغ الغيظ: هل تظنين نفسك شابة يا مدام.. تهيني نفسك بقرار أحمق كهذا؟؟

ألا تحترمين سنك يا أم الأولاد؟؟

الآن هي كلها مرتجفة حتى العبرات بعيناها وهو لم يتوقف بل يزيد ويكرر ويتوعد ويهين..

أنتِ امرأة حمقاء لو أردت زوجة من محترفي الإثارة ما اخترتك!

وفي النهاية خرج وسحب هاتفه وسترته ليتركها بكلمةٍ أخيرة: غدًا تتخلصين من هذا الهراء وعقابك لم يبدأ بعد..

ورحل..

قرر وفكر ودبر وأيقن وتهاوت هي منكمشة على الأرض جانب الفراش تبتسم بقهر..

للحظة ودت أن تصفعه بالحقيقة.. تخبرها أنه أحمق وأن تلك الجروح بفضل رجل غيره!

أن هناك آخر غيره..

الفصل الخامس عشر

الزواج مثل البطيخة...

وهو رجل لا يلقي اعتبارًا لهذا المثل، فهو لا يترك شيئًا للحظ وخاصة بتلك الزيجة.. أما هي فلا تحب البطيخ من الأساس ورغم هذا تبتلع بذوره.

تعارك وخرج...

مشكلة كل بيت!

ووصف الحقيقة صفعها ووغادر ليريح أعصابه!

وهي لا تتذكر كم مر عليها من الوقت في بكاءٍ ومتى توجهت نحو حقيبتها لتلملم بضعة ملابس وتهرب باكية لبيت أمها، وهناك لم تعقِّب ثناء بشيء.. كانت شفتيها ترتجف بحسرة وتحجرت بعيناها ببضع عبرات بترتها قبل أن تنفجر الينابيع وقامت بتحضير العشاء.

وثناء وحيدة منذ تزوجت دارين وقبلها هَنا فزياد موجود ولا موجود وحينما عاد بهذا المساء ووجد أخته تحبس نفسها بغرفتها مع أنين لم يسأل ولم يكترث بتوضيح أمه فقط رمق باب الغرفة بقسوة وكأنه يسطر فوقه تلك الكلمات التي نصفع بها كل أنثى...

اختيارها.. جلْبَتُها.. تستحق!

واستحقاقها كان سبعة أيام ولم يختزْ هو الرقم سبعة لحكمة أفلاطونية مجهولة أو لفلسفة كونية لا نعرفها.

أحمد ليس بهذا العمق!

الأمر ببساطة كان يخص عمله وحينما انتهى انشغاله تذكرها، وكانت ثناء قد تعمدت عدم الاتصال به أو بعائلته وتشبثت بمقولةٍ أنتِ ببيتك مكرمة معززة وبالطبع ببيت أمها لا توجد صفعات وبين تفاصيل حرقة ثناء وغضبها المكتوم ضعفت هي بعد أربعة أيام.

وكانت رسالتها نصية بحروف كثيرة الأخطاء ولكنه استنبط منها المهم وارتسمت على شفتيه ابتسامة ثقة...

«هُنتُ عليك»

نعم.. الزواج مثل البطيخة!

ولكن النساء هن صاحبات الخبرة الأقل فيما يخص الفواكه!

وحضر صاحب العصمة، ولم يكن معه ورود فالورود لا تليق به.. يكفي أنه يحضر بنفسه.

يرتدي ملابس لها ألوان واضحة وبالأخص الأبيض والأسود، أليست تلك هي الحياة.. أمر وطاعة؟؟

وهي زوجة تفتقد الطاعة!

هكذا بدأ حديثه وقاعدته، هاجِم قبل أن يُطالبَكَ أحدهم بدفاع، ونثر بها عدة عيوب خرافية بل هو رجل مسكين لأنه يتحمل كل هذا الدلال.

ولم تعقب ثناء على لغوهِ وتشبثت بعدم أحقيته في ضرب ابنتها مهما حدث، وتشبثت برجلٍ غائب وبأنها لم تخبرهُ وبأنه حين سيعلم سيفجر الدنيا، وابتلعها على مضض وتغاضى حتى يعيدها معه لبيته، ولم يعتذر ولكنه وعد بعدم التكرار مع شرط ذكوري خالص يرى أن المرأة هي سبب كوارث العالم.

«ألا تستفزه»

وعادت وكانت تود العودة وأعطته ثناء فرصة بل أعطت ابنتها فرصة كي لا تعود مطلقة بعد زواجها بشهرٍ واحد.. وكانت تكتم بكاءها في السيارة إلا من حشرجاتٍ خفيفة لم يعقِّب عليها، وحينما أغلق الباب ارتجفت..

تخافه.. نعم..

تحبه.. أكثر مما يجب...

اقترب منها ليطبع قبلة دافئة فوق كتفها فاستدارت وعيناها نفس الكلمة...

«هانت عليه»

تأمل وجهها ببطء ثم أحاط رأسها بيديه ليجذبها نحوه بقُبلةٍ، بداية.. نهاية.. لا فارق

فعدد العراكات الزوجية التي تنتهي بلقاء في الفراش مُبهرة..

والقاعدة تقول كل عراك نتاجه طفل!!

❀

عقابك لم يبدأ بعد...!

كعادته يلقي ما في جعبته ويغادر، والمرأة كائن مستقبِل.. أليست تلك طبيعة الحياة؟؟

ومر اليوم ككل يوم.. ولكنها وقت النوم هجرت فراشه!

سبقته فكانت تدرك عقابه..

هو لا يبتكر بإيذاءه.. يهذر ويزعق ويهين ويهجرها ويملي قرارت غالبًا ما تتلخص في منعها عن كل شيءٍ يرضيها...

أصدقاء.. أهل.. جيران..

أي صحبة تفسدها على حدِ تعبيره وتفسد سلامه النفسي واستقرار عائلته!

وكما ظن أنها ضحية حماقة تجميلية ظن أنها أصلحت ما أفسدته وكان يتجاهلها دون حديث..

دون كلمة واحدة..

ينام ويصحو ويأكل ويرحل متجاوزًا ظلها وكأنها غير مرئية،

يعاقب.. يروض.. يعيد تشكيلها وفق قواعده.. يقسو على ضلعه الأعوج..

وكل هذا الوقت.. كل تلك الأيام وإباء هذا العقاب كانت كل صباح ترى سليم..

بل قصَّت ما حدث عليه وضحكت.. ضحكت حتى أدمعت ولأول مرة تتحدث نادية عن الآخر...

نبرتها تكره الآخر بل أصبحت غير متشبعة بندم خيانته ولكنها تخافه.. يقشعر بدنها لمجرد فكرة أنه قد يعلم.. ولا يدري كيف خرجت منه الكلمات ليهمس من بين دخان تبغه: اطلبي الطلاق!

وسادت فترة صمت.. هي لم تنبس بشيء وهو ظل يدخن بشراهة، وفجأة أسندت رأسها فوق صدره...

أول مرة تفعلها وكان الأمر غريبًا عليه...

حتى أن صدره انتفض قليلًا وشعر بالندم لأنه طلبها لتوه.. أن تترك زوجها!

وربما تتفرغ له..

وكان هذا مقبضًا بشكل لا يفهمه.

همست تقطع أفكاره: لقد تطلقنا من قبل

لم يستوعب واستدار مندهشًا.. أجفلته..

تابعت بنفس الهمس الهادىء وكأنها تقص حكاية ما قبل النوم: كان عراكًا مكررًا بسبب أمي.. كنت صغيرة بطفل واحد وكان يزعق بشدة أخافتني وعندما نطق بكلمة الطلاق وجدت نفسي أخرج من المنزل متعثرة وأعادني أبواي له بعد شهر واحد..

بدت نبرتها منكسرة.. وكأنها تتذكر أسوء ما مرت به، تنهد هو بضيقٍ وتابعت هي بنفس الشرود والهمس: والآن كلما لمَّح بها أهرب لغرفتي قبل أن يكمل..

تنهدت وهربت منها دمعة لتختم بجملةٍ أخيرة: لو طلبت منه الطلاق سيفعلها لن يتمسك بي..

وجد نفسه يهمهم بحماقةٍ أخرى: أتحبينه؟؟

فعلًا حماقة.. السؤال والفكرة..

هل ستخون امرأة رجل يملك قلبها..؟؟

لم تجبه.. ابتعدت عنه بنفورٍ لتمسد رقبتها بقسوة.. وملامح وجهها كانت منقبضة

ولكن مع هذا جميلة بشكل خاص..

نادية امرأة جميلة متناسقة الملامح وبها دفءٍ غامض.. تفتقد الثقة بنفسها بشكلٍ واضح ولا ينكر أنه استغل هذا وبحقارة!!

ولكن هو غير نادم..

أسيندم على رفقة امرأة اشتهاها.. منذ متى وبأي زمان ومكان سيتبدل سليم؟؟

وهل امرأة مترددة مثل نادية هي من ستبدله؟؟

جذب معصمها نحوه من جديد.. همس برقةٍ: نادية تنفسي ببطءٍ.

وأطاعته.. كانت تحتاج لهذا.. قربه.. همسه.. واهتمامه، كانت تحتاجه..

وحينما استدارت قبَّلها برقة.. لأول مرة يقبلها بتلك الرقة حتى أنها ارتبكت فأيقن وندم وعاد لرغبته المعتادة..

وبشكل ما هذا أراحها، ومن جديد عادت لدوامتها معه غير مبالية بناقوس الأفكار..

❁

ثائر العظيم يعود....

وعادت هي ليلتها من العمل مع دقات الساعة الخامسة ووجدته يجلس بغرفةِ مكتبه السفلية بنشاط وعلى ما يبدو يُجري عدة محادثات عمل من المنزل، حسنًا.. الطبيب قال يومان وهو قضى على فيروساته في ساعتين!

وضعت أكياس الطعام جانبًا ورمقته بإعجاب ولكن بلمحةِ سخرية: رائع.. أرى أن مفعول الشوربة كان ممتاز...

جيد.. عادت لقَدَرِها!

لقد استغرق الأمر منه ساعة ليستفيق بعض الشيء ثم أرسل في طلب مسكن قوي من الصيدلية المجاورة وقبلهم قهوة ساخنة من مقهى مجاور.

لم تسعفه قدرته بعدها على مغادرة المنزل ولكنه هاتف سكرتيرته لترسل إليه بعض الأوراق المهمة وقضى نصف ساعة أمام غسالة الأطباق في محاولةٍ لتعقيم كوبه من آثار حساءها المقيت.

رفع بصره نحوها ليرمقها بلا اكتراث ثم عاد لأوراقه، كان يرتدي ثيابًا منزلية ثقيلة بعض الشيء وفوق عيناه عوينات قاسية الإطار يبدو أنه يستخدمها بالقراءة أحيانًا، ارتسمت فوق شفتيها ابتسامة ماكرة بعد أن انتهت من تأمله ثم اقتربت بنبرةٍ تدعي البراءة: أنت غاضب بسبب القهوة أم أن الحساء سيء

الطعم؟؟

بشع

خرجت منه سريعة وبشكل عفوي تمامًا ليُكمل بعدها دون أن يحيد نظره عن أوراقه: أسوأ حساء تذوقته بحياتي.

ضمت حاجبيها لتفكر بجدية، هي لم تتعمد أن تزيد ملح أو تفقده تمامًا ولم تتذوقها أيضًا.

رفعت كتفيها بلا اهتمام: أنا لم أتذوقه وأرى أنك وجدت قهوتك في النهاية

حينها استقام فجأة ليقترب منها بشكل مباغت لا تنكر أنه أفزعها للحظة قبل أن يستكمل بهمسٍ محذر: هناك قواعد في عالم ثائر الرويدي لا تتغير أبدًا ولن تكوني أنتِ صاحبة السبق يا هَنا..!

غادر الفزع وحل الغضب ورغم أن ملامحها ثابتة إلا أن شفتاها تحركتا بحدة: أنا لا أسعى لهذا التغيير ثائر ولا أهتم.

واستدارت لتتركه فأعادها بذراع واحدة لتصطدم بصدره رغمًا عنها، رفعت عيناها نحوه في غضب وتابع هو بقسوةٍ تتخطاه: الاهتمام أحد أوجه المرأة الخمسة، لا توجد امرأة لا تهتم.

لم تحاول التملص منه، هي ليست ضعيفة لتهرب.. لمعت عيناها في تحدي: إذًا هذا الوجه من المرأة ليس من اهتماماتي.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة: الأمر ليس بيدك، هو يطفو على السطح رغمًا عنك.

تمكن منها الغيظ فخلصت ذراعها من قيده ولكنها لم تبتعد.. تابعت متحدية وهي تكتف ذراعيها: حقًا؟؟ كيف إذًا؟!

اتسعت ابتسامته وزادها بالثقة وهو يقترب منها أكثر ليمرر سبابته فوق

وجهها، كل تمريرة بكلمة..

فوق عيناها.. الإهتمام..

ووجنتيها.. الخجل..

قُرب شفتيها.. الشغف..

وعلى جيدها.. الوهج..

ثم غادر إصبعه ببطءٍ حتى قلبها غير متجاهلًا ارتجافها لينطق الأخيرة ببطء: الضعف

هل استمر الصمت كثيرًا بعدها، هل أحصت هي الدقائق أم حفظها هو بترتيب عقارب ساعته، لا يهم..

ومع عينيها ووجنتيها وشفتيها ووهج جيدها أزاحت إصبعه من فوق قلبها بعنف خرج صوتها معاندًا: ليس بضعف.لمعت عيناه بقسوة: ضعف جميل.. هذا من نعومة حواء.

ابتعدت خطوات لتمر بإصبعها فوق أوراق عمله ثم أردفت بثبات: لست أنا.

تحركت شفتيه ببطء وكأنه فضَّل أن يبتلع كلماته مع ابتسامةٍ مكتومة ثم توجه لمقعد مكتبه ليجلس فوقه باسترخاء: أتعلمين؟؟؟ بعد هذا اليوم وهذا النقاش أعتقد أنني بحاجة لتدليكٍ هادىء.

أغمض عينيه رغم شدة رغبته في هذا الوقت في رؤية وجهها ولكن نبرتها كانت كافية: ريض قدميك حتى النادي الصحي المجاور.. أنت تعلم التدليك ليس من أوجه المرأة الخمس.

ثم تحركت مغادرة قبل أن تعود للخلف خطوتان لتسأله باستهزاء: نسيت.. من صاحب تلك المقولة؟؟

ردَّ بديناميكية دون أن يفتح عيناه: أي مقولة؟

ابتسمت بمشاكسة: أوجه المرأة الخمس!

والسخرية تطال حديثها ولكنها غادرتها مع عيناه التي تأملتها فجأة وهو يجيبها بكل تواضع ممكن: ثائر الرويدي!

"وقتما تصفعك الدنيا تتوه أنت في خضم الأزمة فتنسى دون قصد حقك في الوجع."

أسندت رأسها على نافذةِ الحافلة السياحية تراقب ركض الطريق والذكريات تحوم رغمًا عنها، وفي حالتها الذكرى لا تهرب فالواقع يتلكأ حولها بقسوةٍ.. منذ ثلاثة أيام وقبل أن تخلد للنوم مبكرة كعادتها سمعت صوته يعلو فوق صوت أمه وكلِ الغرض أن تسمع هي..

أن تسمع صدفة التي تمردت وكابرت وأصرت على الفراق..

أن تختبر زهدها عنده بحقيقة أخرى، فالزوج السابق قرر العودة لوطنه مع حرمه المصون بل وابتاع لها شقة بحي فاخرٍ بعيد وسيتقي الله كما العدل ويقسم وقته بين البيتين!

وكأن عودتها أمر مسّلم والوقت بأمره..

وجدت نفسها تتشبث بنزهة جاءت من السماء ورحلة سياحية ليوم واحد نظمتها الشركة، دفعت النقود وألبست مريم ملابسها مبكرة لتخبرهم بكلمة واحدة عن وجهتها قبل أن تخرج.

وكانت مريم سعيدة تضحك كفتاة تماثلها عمرًا وتأكل شرائح المربى

التي أعدتها لها، والطريق لم يكن طويل وربما هي لم تشعر به لأنها شردته كله.. الوجهة كانت فندق سياحي راقي يقع على شاطيء البحر الأحمر بمنطقة العين السخنة والاسم من الوصف فرغم برودة الجو التي اقتربت إلَّا أن المكان ينعم بدفءٍ ممتع، فتنزه الأطفال على الشاطيء واختاروا اللعب بالرمال أما الأغلبية فجلست تستمتع بالشمس والهواء، نظرت حولها ولنشوى التي تشبثت بقبعة صيفية ونظارة سوداء ضخمة كي تمنع كل محاولة للشمس من الاقتراب فضحكت رغمًا عنها: حبيبتي استفيدي من ضوء الشمس.

ضيقت نشوى عيناها في غيظٍ: سهل عليك القول فأنت تلمعين تحت ضوءها كالزهور أما أنا أصاب بالإسمرار من ضوء اللمبة.

ضاقت عيناها حتى كادت أن تدمع من فرط الضحك، آه لو يتوقف الزمن عند تلك اللحظات ولا تعود لهذا المنزل!

ومع تذبذب أفكارها اصطدمت به.. كان يجلس في مواجهتها مباشرةً ولكن بمسافة تقدر بخمسة أمتار، عيناه موجهة نحوها دون انقطاع.

ينظر..؟؟ لا لا بالطبع لا ينظر، هي مجرد مصادفة!

نفضت أفكارها وانتبهت لنشوى وتذمرها ولمريم وللرمل والبحر وضوء الشمس وهو ما زال ينظر!

ارتبكت.. توردت رغمًا عنها.. تجرعت المياه ولامت أفكارها فهو ينظر خلفها.. بجانبها وربما يتأمل قبعة نشوى وفعليًا هو ثابت لا يحيد..

حسنًا هي لا تنظر نحوه، بل هو نفسه لا ينظر نحوها.. هي تتخيل وربما هي تحتاج للطعام أو كوب شاي ساخن لتركيز أفضل وتوترت عيناها للمرة الأخيرة وكان هو ما زال ينظر..

خسرت!!

للمرة الخامسة...

وضحك عاصم ملء شدقيه وهو يطيح بِمُلك عز المجبل في أفضل لعبة شطرنج على مر التاريخ، هو يهزمه ودون رحمة.

انتبه عز للوحة اللعب التي حرك عاصم كل قطعها تقريبًا ليزفر مع دخان تبغه بغيظ: حظك أنني مجهد.

ابتسم عاصم بمكر وهو يعيد ترتيب القطع: أرح عينيك!

ترك عز سيجارته لينتبه حينها لعاصم وقد ضم حاجبيه نافيًا التهمة: ماذا؟

رمقه عاصم بجدية لتأتي نبرته تلك المرة باهتمام صديق: أنت لا تحب الرحلات.

زفر عز وعاد لتبغه مجددًا: أنت تمتلك الكثير من الخيال.. أو الفراغ.

وحينها رفع عيناه لمرة أخيرة.. سيراقب لون عيناها في ضوء الشمس فهي تحمل تفاصيل مذهلة ولكن تبدلت نظرته على الفور لغضبٍ فهي قد اختفت عن ناظره والفضل لثرثرة عاصم..

وبالفعل هي هربت من محيط عيناه، أخذت مريم وبضع أطفال وتوجهت نحو منطقة اللعب لتقص لهم حكاية، أو تهرب معهم بحكاية!

عن أميرة وقصر وورود.. وزوجة أب قاسية تود لها الموت ولا بديل، والأميرة ناعمة كأوراق الأزهار في الصباح ولتلك الأميرة حكاية مع الورود فقد كانت تحادثها وتعطيها الطعام والمياه وبشكلٍ ما في رحلتها الطويلة عادت الأميرة أجمل وفقدت زوجة الأب صوابها حتى سقطت من برجها العتيد.

والأطفال تطلب المزيد وجميلة هي الحكاية والأجمل بحة صوتها مع كل كلمة وغمازتها التي لم تفارق وجنتها منذ بداية الحوار، في تلك اللحظة فقط يحق له أن يستبدل نفسه بهؤلاء الأطفال.. يستريح برأسه فوق ساقها ويسمع

بدوره حكاية وربما لن يهتم بالتفاصيل ولكن صوتها يكفي.

توقفت فجأة وقد استشعرت عبقه ومن نظرة طفلة شقراء علمت أنه يقف خلفها تمامًا، ابتلعت ريقها واستقامت الطفلة بفرح لتحتضن جذعه: بابا

حينها استقامت بدورها تستدير وقد تشبثت بيدها مريم، كان كما وصفته نشوى من قبل.. يرتدي قميصًا ملونًا فوق سروال من خامة الجينز ولحيته بادرة بتشذيب أنيق ومع هذا كله لفافة تبغه التي لا تفارقه وعيناه بتلك النظرة الثاقبة والمستمرة دون انقطاع.

ابتسمت بتردد لتحييه بصمتٍ فخرج صوته هو رخيمًا: لارا.. ابنتي

ابنته.. كيف لم تتكهن!

الشقراء التي حكت عنها نشوى، ابتسمت للفتاة ثم حادثتها بدفءٍ: أَعَجبتك الحكاية؟؟

الفتاة تملك نفس عيناه، ذات القسوة والتمعن والتفحص الثاقب.. ومع هذا كله تمتمه لم تفهمها: Je ne sais pas

ارتبكت عيناها فرفعتها نحوه مضطرة ليفسر هو: هي ضعيفة بالعربية

بدت مستغربة: ولكنها كانت مستمتعة كباقي الأطفال!

حينها أنزل هو الطفلة لتركض مع مريم نحو أرجوحة مجاورة وهمس مع نظرة ماكرة: ربما أحبت صوتك.

انقبضت ملامحها لتبتعد خطوتان وفجأة خرج صوتها مرتبكًا ولكن بحدة: تلك منطقة أطفال.

وكانت تشير بذراعيها نحو الأرجوحات المتعددة، ضم حاجبيه لا يفهم فتابعت بعدما نظرت نحو عيناه للحظة واحدة.. فقط لحظة: آسفة أنت تدخن وهذا ضار.. يجب أن تبتعد عن محيط الأطفال.

كانت وجنتاها تنبضان بصبغة وردية هادئة وغمازتها تومض حسب ما تنطق من حروف.. ومع هذا كله أناملها تشير للأطفال بارتباك، دهس لفافة تبغه ببطء قبل أن يميل ثغره بدهاء: يبدو أنكِ أيضًا تكرهين رائحة التبغ.

رفعت عيناها نحوه بجدية ولكن لم تستمر فقد أخفضتها مسرعة: نعم.. هو خانق.

ترك بقعته ليجاورها فأصبح بجانبها بدل من أن يكون مقابلًا لها، وجه نظرته للبحر وتحدث بنبرةٍ خفيضة في رداءٍ جاد: ربما يجب عليكي أن تعتاديها..

ثم تحرك بخطواته مبتعدًا وهو يشعل لفافة أخرى..

❁

إلا أنت...

يبدو أن السائق مغرم بصوتِ نجاة، ومع ظلمة الطريق نامت مريم وتوجهت نشوى للمقاعد الخلفية لتنال نومًا مريحًا وكان هو يحادث السائق بأمرٍ ما وابنته تلعب بجهاز إلكتروني في مقعد خلفها.. لقد تحاشته تقريبًا بقية اليوم وهو لم يقترب بنظراته وكأنه يهديها هدنة!

عادت لمراقبة الطريق وتقبيل جبهة مريم المستغرقة في النوم وقد غابت عن الواقع حولها وانشغلت بتفاصيل ابنتها.

فليحفظها الله، ولتبقى لها مريم دون الحياة.. تواجه نفسها أن ما يبقيها قوية هي مريم.. أن عائلتها مريم وبهجتها الوحيدة مريم.

ولا تعلم هل كانت تهمس بأفكارها أم أن قبلاتها فوق رأس الصغيرة ووجنتيها وثغرها تترجم.. انتبهت على صوته: هل تسمحين؟

وكان يشير للمقعد المجاور لها، هل تسمحين؟؟ أومأت ربما بلا شيء وجلس هو على طرف المقعد يتابع حديثه مع السائق فمقعدها الأقرب، هي مصادفة ليس أكثر..

انكمشت أكثر لتحفظ مسافة مناسبة بينهما وهو يملك كتف عريض تشعر الآن أنه يحتل مساحة المقعد كله وأصابها التوتر فانكمشت أكثر حتى همهمت مريم دون وعي حينما لمس رأسها النافذة، ظل هو على حاله يحادث السائق وينبهه لطريقٍ مختصر قادم حيث أن الطريق الرئيسي مغلق ويشعر بهروبها بجانبه..

حتمًا هربت الغمَّازة!

وظلت هاربة حتى وصلوا وبدأ الجميع بالترجل من الحافلة بما فيهم نشوى التي فقدت نظرها فلم تلمحها محتجزة خلف جسده دون قوة ولا حيلة، هو يحي الجميع ويتأكد أن الجميع غادر ونادته مرتان ولم يسمع حتى أنها في النهاية اضطرت أن تنقر بأناملها فوق كتفه ليسمح لها بالمرور..

استدار نحوها وقد بدا مندهشًا وكأنه نسي أمرها تمامًا فأشارت بيدها كي تمر وكانت مريم ما زالت نائمة على كتفها، مد ذراعه فجأة فأجفلها وقبل أن تستوعب كان قد أخذ منها الطفلة.. علقت حقيبتها وتمتمت مسرعة:

شكرًاثم مدت يدها لتأخذ الفتاة ولكنه تحرك أمامها متابعًا بجدية: اتركيها وأحضري لارا فهي مستيقظة.

نزل من الحافلة دون أن يسمع ردَّها وحينها استدارت للفتاة فوجدتها تجلس ببساطة ونشاط رغم أن الوقت قارب على الحادية عشر وتعلق خلف ظهرها حقيبتها الوردية.. أخذت بيد الفتاة ونبرتها تسبقها مع ترجلها من الحافلة

ولكنه قاطعها: سأوصلك.

تلفتت حولها وقد كان الجميع بدأ في المغادرة بالفعل فرفضت بتوتر: لا.. أشكرك.. أنا سآخذ سيارة أجرة.

وعيناها تقول أكثر.. تقول أنه لا يصح وتود أن تأخذ ابنتها وتهرب من عيناه بوضوح حتى الغمازة قتلتها..

ضمَّ حاجبيه بغضبٍ ثم تابع دون أن ينظر نحوها: لن تعودي وحدك بهذا الوقت.. وأنا لست صغير يا صدفة سأوصلك بسيارة أجرة.

وقبل أن تجيب كان بالفعل قد أوقف السيارة لتركب لارا وهي وحينها فقط ناولها صغيرتها النائمة في ملكوتٍ آخر، ولم تنطق طوال الطريق سوى بالعنوان الذي أملاه للسائق وحينما شاكسها الفضول لترفع عيناها نحو مرآة السيارة وجدته قد أغمض عيناه مسترخيًا بشبه نوم.

واستيقظت ابنتها قرب المنزل، ترجلت من السيارة مسرعة بتمتمةٍ خافتة: شكرًا.

واستدارت بعدما سمعت صوت رحيلهم فلمحت صغيرته تلوح لمريم، وابتسمت لتهديه دون قصد غمازتها تلك المرة.

الآن تبدو مفيدة المرآة!

وقبل أن تدخل للشقة وبعدما قبلت وجنة مريم الدافئة سألتها: سعيدة مريم؟؟

وحينها قبلت مريم وجنة أمها المتوردة لتنطق ابتسامتها ببراءة: ماما سعيدة.

ولكن لم تكن كلمة مريم هي نهاية الليلة، كان هناك آخر ينتظرهن في مواجهة الباب ونبرته رفيعة تتشبث بفاصلة حوار لا يريده أن ينتهي أبدًا...

أهلًا يا هانم!

الفصل السادس عشر

هانم؟؟

ولم يكن يعلم اللفظ الذي قدر له أن ينحدر من أصول تركية مغولية مرورًا بالعصر العباسي حتى أروقة النساء في عصر الخديوي، ومع عراقة القاهرة في الخمسينات وقبلة الممثل الوسيم فوق ظهر يد الرقيقة فاتن حمامة أنه سينتهي بين شفتي رجل يرتدي تريننج شتوي أزرق بخطوط برتقالية متهكمًا من زوجته..

عفوًا.... من كانت زوجته!

وحقيقة، لا أحد يعلم متى سقط اللفظ من قاموس التهذيب في المجتمع المصري والتصق بشكل غامض بسخرية كل رجل من أنثى داخل محرابه.

أم ربما تسلل إلينا من رأسمالية لم نفهمها أو سُنَّةٌ أحد القضاة مع قانون بيت الطاعة!

ولكن هُنا وفي الألفية الثانية لا يوجد بيت طاعة وصدفة ليست زوجته وحتمًا ليست هانم!!

قالتها ببساطة وهي تُدخل مريم إلى غرفتها لتستدير بعد أن ابتلعت غضبها ولكن بشراسة: لست هانم..

تهكمه كان ما زال مرتسمًا على شفتيه، شفتين رفيعتين ورديتين ربما أكثر من اللازم لرجل، شعر قصير خشن لم تنل مريم منه شيئًا والحمد لله ولكنه كان وسيمًا.. ملونًا بعيون خضراء فاتحة لم تنلها مريم أيضًا.. ضيق عيناه بغضب ليعلو صوته تلك المرة أكثر: معك حق.. فالسيدة المحترمة لا تعود لمنزلها في

هذا.......

وكانت الصفعة وليست بيدها بل كلمات.. صراخ وغضب انفجر مع بداية كانت: اخرس

والتَتِمة لا تقل عنفًا: أنا محترمة رغمًا عنك

وكل ما أدركته سميحة التي استيقظت من نومها مهرولة على صوت ابنها وطليقته، وصدفة التي تهدد بإصبعها أمام أنف متعجرف يخص ابنها ومريم تقف باكية وراء باب موارب تراقب المشهد في صمت..

وحينما انسحبت صدفة وأغلقت الباب لتحتضن ابنتها وتقدم هو من جديد للحاجز المغلق ينادي مريم بوجهٍ أزرق يبغى الانتقام جاءه صوت الصغيرة منهيًا الليلة: سأنام مع ماما..

بل منهيًا اللعبة، فالفتاة لأمها!

والأم لم تنم تلك الليلة، ولم تبك.. ظلت تراقب وجه مريم وتغرقه بالقبلات وتهمس بندمها فوق أذنين صغيرتين لن تسمعها.. تقدم اعتذار غير مفهوم، ربما عن الغضب وعن الصرخة وعن الطرف اللعين وربما عن اختيارها لوائل.

نامت صدفة في النهاية بعد أن أنهكها البكاء وأحلامها تشدو العودة للماضي علَّها تختار آخر.. وتلك كانت المرة الأولى التي يغزو فيها الآخر عالمها!

❁

واستيقظت مبكرة كالعادة، أوصلت مريم لحافلة مدرستها ورأت الفتى بائع الورود يقف على مقربة من مقر الشركة.

واليوم.. هل لن تبتاع بهجة؟؟

ولكن ذكرى طلبه لواحدة هاجمتها فقطبت حاجبيها وعقلها يحثها على أسوء معاملة في العالم.. أسوء هروب.. فنشوى الكسولة أخذت اليوم عطلة، أي

أنها عالقة معه وحدها.. وتمنت لو يختفي بدوره ولكنه ظهر مبكرًا عن العادة وكان يرتدي حلة رمادية قاتمة مع ربطة عنق زرقاء بلون البحر تمامًا.. يحادث شخص ما في الهاتف يلقي إليها التحية بإيماءةٍ صامتة ولم يسأل عن نشوى.

وبعد ساعة طلب منها ملف مناقصة لوزاة التجارة وظلت لأكثر من عشر دقائق تبحث عنه، اختفى تمامًا وكأنه غير موجود رغم أنها راجعته بنفسها أول أمس.. هاتفت نشوى التي كانت نائمة على ما يبدو أسفل الفراش وفتحت خمسة أدراج دفعة واحدة ووجدت ميدالية فضية كانت قد فقدتها منذ أيام وأشياء كثيرة متناثرة تخص نشوى..

وجدت كل شيء تقريبًا إلا الملف الأحمق، كانت ترتكز على ركبتيها وهي تحاول في آخر خزانة حتى تصلبت مع صوته الذي ظهر من العدم: أرجو ألا تكون أوراقي في تلك الخزانة المهترئة؟؟

انتفضت فجأة لتجده واقفًا أمام المكتب مباشرة، يبدو أكثر أريحية حيث أنه تخلص من سترته وربطة عنقه واكتفى بقميصه السماوي الهادىء فوق بنطاله الأنيق.. ذقنه تبدو مشذبة عن يوم أمس وبها بضعة شعيرات بيضاء خفيفة ويبتسم وبين يديه قدح قهوة ولا تعلم ما سر انتباهها لكل تلك التفاصيل!

تحدثت فجأة وبشكل سريع: لا.. لا أنا كنت أبحث عن..

وبدا عليها أنها تفكر للحظة قبل أن تظهر من بين يديها ميدالية فضية صغيرة،

كنت أبحث عن تلك.

ضم حاجبيه في جدية ثم رفع عيناه نحوها مجددًا: حسنًا سأُوقّع الملف الآن وبعدها ترسليه على الفور مجددًا للوزارة.

وأخذ الأوراق ببساطة من فوق سطح المكتب، طوال الوقت كان الملف فوق سطح المكتب!

وفي غرفة مكتبه كان يستمع بوضوح لصوت تنفسها، بل عبق تنفسها ورغم أنها امرأة لا تبالغ في نثر العطور إلا أن عبقها الهادئ سيطر عليه تمامًا في تلك اللحظة..

فقرر الهروب منه: تُشبهك!

وخرجت الكلمة بشكل عفوي، وربما أوراقه تحمل شيئًا يشبه حروفها.. وربما هي تتخيل!!

لا...هي لا تشرد بخيالات بل هي تعلم تمامًا أنه يتحدث عن مريم، أنه ترك الأوراق وتوقيعه وكل ما يخص العمل ويحادثها بأمر شخصي.

وابتعلت ريقها وعيناها تكذب.. تدَّعي عدم الفهم، الآن هي تتوتر لكلماته.. تفكر في مغزاها وتودُّ ببساطة أن تهرب ولكن دون أن تحاول.

لم تتمكن من رؤية ابتسامته فهو ما زال قابعًا على أوراقه، توقيعه يمر بسلاسة وهو يرتشف القهوة بيده الأخرى واليوم لا تبغ.. لا تبغ تعتاده!

خرجت من شرودها مع استدارته، يناولها الأوراق وقبلهما تلك النظرة التي تجمد العالم حولها تمامًا، أغلقت عيناها بتوتر بيِّن وهمهمت بلا شيء تقريبًا وتحركت خطوتان لترحل.. خطوتان لم تكتملا فصوته جاء دافئًا يُكمِل جملته التي تجاهلتها.

تشبهك.. ولكن دون الغمَّازة.

ولا تدرك أن عينيها ارتفعت بارقة نحوه وأنه راقب بهما تفاصيل مجهدة عليه كرجل ينزلق رغمًا عنه، أنهما بلون البرتقال الصيفي المسكر مدموج بشمس الغروب وأن أهدابها البُنِّية توازي لون القهوة على الطاولة وأن تلك الغمازة ما

زالت تومض تحت وجنتها من أجله وأن القاسي توتر بدوره.. تلعثم.. أخرج لفافة تبغ.. نفث دخانها مسرعًا.. وراقب احمرارها وهي تبتسم وتنسحب وتغلق خلفها الباب لتستند عليه مع تنهيدة هي نفسها لا تفهم فحواها!

هل تعلم أن هناك دراسة أفادت أن سبعون بالمائة من النساء يقْبَلن ضرب الأزواج، بل تسعى أخريات لتبريره؟؟

هل تعلم أن المادة 209 من نص قانون الأحوال الشخصية تسن على إباحة تأديب المرأة من قبل الزوج تأديبًا خفيفًا على كل معصية لم يرد بشأنها حق مقرر ولا يجوز له أن يضربها ضربًا فاحشًا ولو بحق؟؟

هل تعلم أن المادة 242 من قانون العقوبات تنص بالحبس مدة لا تزيد عن عام وغرامة لا تقل عن عشرة جنيهات لكل حادثة تعدي بضربٍ لم يصل لحد الجسامة؟؟

هل تعلم أن الزوجة مستثناة من هذا القانون بوجوب المادة 60 التي تنص على أن أحكام قانون العقوبات لا تسري على من ارتكبها بنية سليمة بمقتضى الشريعة الإسلامية؟؟

هل تعلم أن الشريعة الإسلامية لم تُبح الضرب المبرح للزوجة بما فيه التعنيف على الوجه والسب والقذف ولم يؤخذ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه ضرب زوجاته أبدًا وأن ذكر ضرب النساء في القرآن الكريم كان بموضع واحد فقط يخص النشوز وأجمع العلماء أن القصد به اللوم لا الإيذاء كالضرب الخفيف أو الضرب بالسواك؟؟

هل تعلم ما هو النشوز؟؟؟؟

حسنًا دعنا منك أنت الآن أو أنتِ ولكن دارين لا تعلم. دارين لا تفهم لما تبرق عيني أحمد مع العراك ويفاجأها بصفعة، لا تفهم لمَ كُلًما نسيت عدد ملاعق السكر أو أتلفت بالغسيل قميصه الثمين تصطدم أذنيها بسباب.. ولم تكن تملك الشجاعة لتصرخ مجددًا!!

كانت تسد أذنيها وتبكي بدورة المياه، تقول لنفسها أنه رجل حاد المزاج.. تبرر هيجانه بتحكم غير حاضر للغضب بل تتذكر زميلة من المدرسة الثانوية كانت تأتي متورمة الوجه بفضل أبيها..

حسنًا هناك رجال يضربون زوجاتهم، وهو واحد منهم..

وغادر هو لعمله قبل أن تنهي نوبة بكاؤها المعتادة، وخرجت هي لتراقب تحت عينيها هالات سوداء.. تشعر أنها ذبلت كأزهار مهجورة تجف كل الصباح على عكس وتيرة الحياة وتزدهر في المساء بأصباغ ملونة إذا ما أرادها. وهو عندما يريدها يكون حنونًا.. يتحول فتخرج من بين شفتيه ألفاظ حميمية ويهديها القبلات دون انقطاع ولا تدرك هي أنها أصبحت تغوص في بؤرته وكأنها وحل.. تنتظر تلك الهمسات وتدمنها وتسعى خلفها فقط ليكون هو حنون.

وتعلمت أن تسترضي ماما «شوقية» وأيقنت أن بهجته من رضاها فباتت تحت قدميها وفي خضم كل تلك المحاولات نسيت بشأن جامعتها كما نسي هو ولكنه تذكر أن يلومها حينما ظهرت النتائج مبشرة!

بل تذكر أن يصفعها وبقوة أكبر تلك المرة فزوجة المحاضر العبقري رسبت..

❁

اختلف منزل ثناء.. اختلف منزل الشامية...

دارين العروس عادت غاضبة مجددًا بعد الشهر الثاني، وتلك المرة الصفعة تترك علامات وتورم أزرق مستدير يجاور العين.

وانفجرت ثناء وزعقت تسب وتلعن وتمرر الثلج فوق وجه ابنتها وبشكلٍ غامض لم تخبر زياد ولا تعلم هي هل أخفت الأمر عنه خوفًا من تهور قد يصيبه دفاعًا عن شقيقته أم هربًا من احتمالية أنه لن يفعل شيء!

وزياد يومه لا يتغير، يستيقظ مبكرًا مع عصير البرتقال ويغادر المنزل دون فطور.. يركض مع فدوى اللتي لا تراه ولا يبدو عليها أنها تستمع للغوه، وكم هو رائع أن تجد لنفسك رفيقًا لا يستمع.. ستظل تهذر وتهذر وتلقي بكل ما في جعبتك دون انتظار ردة فعل أو حتى أحكام..

تحدث عن كل شيء تقريبًا، عن زواج دارين وهروب هَنا وقيد ثائر وشركته التي لم يعد يقربها فبات إفلاسه رغم كل شيء وشيك.. تحدث عن أمه وعن عصير البرتقال ووصفتها الشامية لورق العنب البارد واحمرار وجنتيها مع قدوم الشتاء تحت وشاحها الوردي المزركش مع كوب القرفة الساخن وبرامج التلفاز.

ابتسامة ساخرة وجدت لشفتيه طريقًا ولكنها لم تكتمل، فعلى ما يبدو أن رفيقته الغير مبالية كانت تنصت من البداية.. تنصت كل يوم وكل دقيقة وكل ذرة صداع رأس من هذا الرجل المتباكي جوارها دون دعوة حتى توقفت فجأة لتستدير نحوه بضجر نفذ صبره: أين تظن نفسك.. ببرنامج أريد حلًا؟؟

جد لنفسك صفحة تواصل اجتماعي انتحب بها وتوقف عن إزعاجي!

قالتها وببساطة أكملت ركضها تتخطاه دهشته التي ألجمته لدقائق قبل أن يلحق بها مبديًا اعتراضه: أنتِ دون قلب أتعلمين هذا..؟؟ أنتِ جامدة دون مشاعر تمامًا...

كانت قد قاربت على الوصول لمنزلها.. توقفت وقد فاض الكيل منه تمامًا: وأنت شاب أحمق متباكي فشل حتى في الحفاظ على إرث أبيه، جد لنفسك شيئًا مفيدًا تفعله أو حتى وظيفة تناسب قدراتك.

تخطته مجددًا ولكنها بتلك اللحظة لم تدرك أنها أشعلت ثورة غضبه، هكذا تراه النساء.. تراه هَنا..

مجرد أحمق ضعيف بإمكانيات محدودة، لم يشعر بنفسه إلا وهو يقبض فوق ذراعها ليعيدها خطوتان فجأة للوراء حتى أنها كادت أن تتعثر.. خطوتان وتعثر لم يكتمل، هجوم لم يكتمل،.فأي فاقد لعقله يهاجم ضابط شرطة؟؟

❀

فوزي الشربيني...

هل تعلمون تلك المقولة التي تردد أن سن الشباب يبدأ من بعد الستون؟؟

حسنًا هي وُجدت من أجل هذا الرجل...

حياته طوال عمره كانت البحر وزرقته، هو قبطان اعتاد نسيم هواء العالم... تزوج ابنة العم الهادئة الملامح ورغم أن ملامحها كانت أقل من المعتاد إلا أنها في عينيه كانت أجمل نساء الدنيا.

أنجب منها ثلاث أبناء، الأكبر عادل وهذا اختار البحر كأبيه والتمس بين أمواجه هجرة، والأوسط فادي وهو يهوى الأرقام وصداعها الغريب فوجد ضالته ببنك استثماري أنيق، أما الأصغر.... فدوى!

الشقية التي علَّمها أخويها فنون المصارعة من سن سبع سنوات وفي النهاية اختارت كلية الشرطة رغمًا عنه محاربةً أنوثتها.. مرت بثغره ابتسامة حزينة حينما تذكر رحيل زوجته منذ ست سنوات، كان حادث سيارة غبي تسبب فيه شاب أحمق يدخن السجائر المحشوة.. رحلت زوجته فجأة ورحلت معها بهجة

فدوى، صارت تحمل بداخلها غضب العالم أجمع وملعون بدعوة أم غاضبة من يسوقه الحظ لاختباره.

كانت قد بدأ ينثر البضع من بِشر الليمون فوق طبق الجبن البارد حينما سمع صرخة حارس العقار وهو يتوسل على ما يبدو أو يستغيث، والكلمات غير مفهومة ولكن الرؤية من نافذته واضحة لا تقبل جدال.. ابنته تمسك بتلابيب شاب مسكين وتوجه سلاحها نحو رأسه!!

آخر ما يتذكره هو محاولته.. مجرد محاولة وندم عليها والله العظيم، وهكذا قال للعجوز المبتسم أمامه ولا يشبهها وكيس الثلج فوق رأسه الذي اصطدم على ما يبدو بفوهة السلاح، وهي كانت تجلس فوق المقعد بوضع عكسي تنظر نحوه بشر..

هي ليست متبلدة المشاعر.. هي شريرة بالفطرة!

ويبدو أن صوته كان عاليًا وتجاهله الرجل لينظر نحو ابنته في لوم فما كان منها إلّا أنها أخرجت سلاحها مجددًا لتضغط على سر خزنة الذخيرة فتخرج فارغة: انظر..إنه حتى ليس محشوًا

لم تتبدل نظرة فوزي بل لامها تلك المرة بجدية: فدوى هذا ليس عذرًا.

جحظت عيناها مدافعة عن نفسها بعنف: لقد هاجمني.

نظر فوزي نحو زياد بملامح مشفقة ليتابع بعدم اقتناع: هذا لا يبدو عليه أنه يستطيع إيذاء دجاجة.

ثم تابع وقد تبدلت ملامحه بتفكير ذكر غاضب على أنثاه الأهم: وإن فعل أنت تعلمين ماذا تفعلين، ضغطة قوية هنا..

وأشار بسبابته على بقعة معينة برقبته ثم تابع: سيفقد أنفاسه لبضع ثوانٍ قبل أن تقيدي حركته تمامًا.

جذبت شريحة من الخبز لتقضمها بشهيةٍ عادية وتجيب: هذا لن يحتمل..

كان يجلس بينهما غير مصدقًا.. هذا منزل مجانين وهو عالق في المنتصف تمامًا، استقام فجأة وكيس الثلج ما زال فوق رأسه ولكن لم تسعفه أي كلمات، ابتسم فوزي بحنكة قبل أن يوجه نحوه الحديث: اجلس يا..

أكملت هي في تهكم: زياد.

تابع أبيها غير مبالي: اجلس يا زياد.. فدوى ستذهب لعملها بعد قليل وأنا أحتاج لمن يشاركني القهوة.

وشعر أنه لا يمتلك فرصة لمحاولة الرفض أمَّا هي فرحلت ناقمة أكثر فالآن المنتشي يصادق والدها..

❀

«لا توجد على وجه الأرض امرأة دون أسرار!!»

كانت تقف في منتصف مطبخها تمامًا، تمسك بمضرب يدوي صغير وتخفق البيض من أجل كعك الليمون.. هو لم يتصور من قبل أنه قد يفضِّل أي شيء بهذا المذاق. فالليمون يمثل بالنسبة إليه مشروب فقير النكهة والعواطف، ورجل وامرأة وطاولة جانبية بمقهى قديم مع عواطف مبتذلة.

ارتشف القليل من قهوته قبل أن يعيد رأسه إلى الوراء ويراقبها بابتسامة غامضة، أصبح يأتي مبكرًا كي يراقبها وهي تطهو.. فبكل تلك التفاصيل يكمن ما يثيره!

رفعت بصرها نحوه في تساؤل ويديها لم تترك خفق البيض..

ما بك تبدو اليوم غريبًا؟؟

أجاب بلا تفكير:

مشاكل عمل.

شردت هي لوهلة قبل أن تبتسم بسخرية متسائلة: أنا لا أعرف ما هو عملك.. هل....

قاطعها فجأة وهو يتابع شرب قهوته بلا اكتراث..

لدي شركة شحن جوي.

أها

رددتها بشرود وعادت لخفق البيض، تكرر وتكرر دون وعي وكأنما أفسدته...

تابع وهو يتأمل ذراعيها العاريان تحت بلوزة قطنية خفيفة

لو لديك اي شيء تودين إرساله أنا بالخدمة.

كان يبتسم بسخريةٍ مماثلة أمّا هي فتخلت عن سخريتها لتتحول لتهكم مرير.

لا بالداخل ولا بالخارج.

البيض تجلد.. بات لا يصلح لشيء تقريبًا ولكنها ستضيفه لخلطة الكعك، ما فائدة أن يكون المذاق كاملًا.. مثالي دون هفوة، تقليدي بلا تغيير!!

ابتسمت مجددًا والمرارة توازي قطع الليمون الأخضر التي اختارتها..

تلك الكعكة سيكون مذاقها مريع

همس هو وقد ترك قهوته واقترب منها: ربما مختلف

كان قد بدأ ينثر فوق كتفيها قبلات خفيفة.. متناثرة.. رقيقة لا تحتمل المقاومة، ولكنها ارتجفت كانت تشعر بضيق خانق يسيطر عليها ولم يكن منه ولا من قبلاته..

كان من أفكار تهاجمها بشأنه، تقتحم جدران منزلها الدافيء.. لوم بات تبرير..

وقت مستقطع بات دائم..

والأسوء مقارنة!

وليست مقارنة جنسية بحتة.. ليتها كانت كذلك، بل مقارنة معنوية مؤلمة..

عن كوب شاي يعده من أجلها، شريحة يقضمها خلفها في مناوشة.. مقعد يسحبه لها كي تجلس ونظرة تهديها ثقة!

استدارت له وكان هو قد قرر أن يعمق قبلاته، نفس الوتيرة ستقودها معه لنهاية واحدة.. نهاية مكررة!

جرعة فأخرى وأخرى، وكلما استمرت كلما نالت النشوة منقوصة!

ولكنها تظل رغم كل شيء نشوة..

قلم تبرج رخيص...!

هل يمثل الأمر بداية أم نهاية؟؟

أم الأسوء؛ وهو الحصار في عذاب المنتصف..؟؟

❁

أخبرتهم ثناء أنها ستعد شايًا تركيًا مخمّراً، أما الحالمة فانكشمت في بيجامة وردية تهرب من نظرات أختها الكبرى..

دارين الحالمة بشعر معقوص دون ترتيب وعينان غائمتان بذكريات غير مفهومة، عينان ملونتان بقلم تبرج مرتجف فشل في إخفاء الحقيقة.. العار! يضربك؟!

صرخت بها هَنا بعدما سحبتها عنوة لغرفتها لتذيل آثار الإخفاء المتواضعة..

والزرقة حول عيناها لَعِينة، لقد مر يومان وقسوتها لم تختفي بعد..

أخفضت رأسها وانفجر بها البكاء وكأنها هي من تزيده حزنًا.. تبكي حظها..

تبكي ضعفها...

تبكي حبها....!

ه

والشياطين احتلت هَنا في تلك اللحظة، تسب وتلعن وتتوعد وتقتل إن لزم الغضب.. وانتفضت على صوتها ثناء..

والأسوء هو انتفاض باب الشقة بطرقاته، جاء الأستاذ.. لقدره!

وودت ثناء لو لم تفتح الباب حينها، زياد غير موجود ولا فارق ولكن هَنا مجنونة.. والنقاش واللوم والحق والمستحق والسب إن أمكن أصبح غير متاح، فلم يكد يخطو بقدميه عتبة المنزل حتى عاد للخلف مرغمًا..

بالأحرى دُفع...

والحقيقة ضُرِب!

وتجمدت ثناء وهي تلمح مقدمة قميص أحمد بين يدي هَنا وقبضتها تقابل أنفه!

وقبل أن تستكمل شفتيها الانتقام بوصلة سُباب جامح كان همسٌ آخر قد اخترق الفوضى...

غضب ودهشة وصدمة واسمها بين شفتيه بأمر واجب النفاذ!

هَنا..

كان يقف على مقدمة الدرج وكلٍ ما في محيط عينيه زوجته تمسك بتلابيب رجل، رجل يحيط معصمها بقسوة كي يتخلص منها ويهذي بسباب.. خطوته الثانية استحوذت على رقبة الآخر قبل أن يدفعه بقسوة نحو الحائط

فأسقط عويناته وكاد أن يهديه خلع كتف، بل خلع الكتف سيكون من نصيبها هي وهو يسحبها خلفه دون أن ينبس بشفة والغضب الآن أصبح يخصه وحده! الثائر..

جلست في السيارة وأنفاسها تحمل ألوان الغضب، حقير يضرب أختها وزوج يملي سيطرته فيسحبها كالقطيع.. وهو يحمل نيران الغضب، وكان ينقصه فقط أن تنطق.. أن تحاول....

ولن تسكت هَنا!!

كيف..

وكفى، أوقف السيارة فجأة فكادت أن تصدم رأسها بالتابلوه الأمامي وزعيقه هو التتمة.

هل تظنين نفسك بطلة بحلبة مصارعة، أم أنك لستِ في ذمة رجل؟!

شفتيها تستعدان بنطق ولكنه قاطعها مكملًا بشراسة:

ماذا لو كان ضربك بدوره، تحرش بك أو دفعك أيتها الغبية..؟؟

تجمدت الكلمات فوق شفتيها ولكنها ثابرت مدافعة...

الحقير يضربها هل تفهم؟؟ يضرب دارين؟؟

كلماتها لم تخفف غضبه، بتلك اللحظة هو لا يرى دارين ولا تفاصيل زيجتها الفاشلة.. بتلك اللحظة غضبه أعمى وبشكل لا يشبهه!

ضرب بقبضته فوق المقود بعنف أفزعها..

رائع وأنت رجل البيت أم ماذا؟

تراجعت لوهلة قبل أن تتنمر عيناها بغضبٍ مكتوم، نعم هي رجل البيت.. تزوجته لأنها رجل البيت...

والسخرية أيضًا مكتومة، والسيارة تتحرك من جديد وبأمر غير مقابل للمفاوضة والتوقيع ثائر...

لا خروج من المنزل دون إذني..!

الفصل السابع عشر

تعددت الزيجات.. والقرف واحد!

والشكوى لم تكن من وائل الذي جاور سميحة في وجود صباحي بات مكررًا وهي تعد من أجله صينية البطاطس، فالزوجة الثانية على حد تعبيره.. جنة.

والغريب أن صدفة لم تترك لعقلها العنان لتخيلات المرأة الأخرى، حتى أنها ببساطة مسحت من رأسها ملامحها.. ولكن هو بعد أن اختفى لأسبوع واحد رجع بخبره الأكثر أهمية، بل بات يحفر بسكين حاد فوق جدران المنزل تلك الملامح.

وسميحة سعيدة ومريم تضحك فرحة بلعبة جديدة ودغدغة وهو.. عاد!

عاد تلك المرة بلا رجعة!

ولا تنكر أن السخرية هاجمت شفتيها حتى كادت أن تدمع، فمنذ شهور فقط كانت تستعطفه للعودة.. ويرفض هو متحججًا بضيق الحال.

هذا الضيق الذي منعه من أن يبتاع لها مسكن مستقل كأي امرأة.. مملكة لم تجرؤ يومًا على المطالبة بها والآن هي تشاهد تقديمها لأخرى.

وائل عاد.. الغالي عاد وابتاع للجديدة شقة فاخرة بأحد الأحياء البعيدة ويا للحظ سيوزع وقته بين البيتين!

ماذا؟!

كانت تقف مقابلة سميحة فاغرة فاهها وحتى لم تكمل تصفيف شعر مريم بعد، وبشرة سميحة متغضنة.. بل قاسية بقدر قسوة شفتيها وهي تبررِ حقها كأم أما هي فعاجلًا أم آجلًا ستعود..

يومها لم تذهب للعمل.. أوصلت مريم لحافلتها وعادت تجر قدميها دون أية قدرة على المجادلة والغريب أنه ظهر بعد لغو أمه بساعة واحدة وكأنه اتفاق.. يقدم ويبرر وينثر أوراقًا مهترئة عن حقه ومستحقه وزوجته التي تود أن تقابلها!

أشتاقك صدفة.

لَمْ الشمل واجب.

لولا أنها حامل لطلقتها من أجلك!

بدأت اللعبة أم ربما انتهت، وهي الطرف الشرير بالحكاية فالزوجة الثانية مسكينة بل تبكي خوفًا لأن الأولى لن تقبل سوى بطلاقها!

لم ينل منها رد ولم ينل انفجار، كل ما أدركه عبرة تسللت بخبثٍ من بين جفنيها وأوقفت هي يديه بحدة حينما حاول أن يمسحها، غادر بابتسامة أخبرتها أنه اقترب مما يود حتى وإن أجبرها، ووجدت هي نجاتها بهاتف...

رقم غاب عن عالمها منذ زمن والآن هي في أمس الحاجة..

صوت جرس طويل، ونبرتها لم تختلف رغم مضي السنوات...

كيف حالك هَنا؟؟

❁

تفاصيل المحادثة تتكرر بعقلها رغم مرور ثلاث ساعات.. صوت هَنا الذي صرخ فجأة حتى خيِّل إليها أنها سقطت من فوق الفراش، وبعدها تلقت بصدر رحب السِّباب.. الكثير منه.

ابتسمت صدفة بعد أن أفرغت الثائرة شحنتها: أفتقدك.

تستحقين يا نذلة، أنا لا أفتقدك.

وتُرددها هَنا ومن داخلها هي سعيدة، بل تقفز بمرح غاب عنها طيلة الأيام الفائتة مع فرمان زوجها الغالي.. أسقطته من ذاكرتها فورًا لتعود للمرتجفة على الهاتف: أود رؤيتك صدفة.. فورًا!

وجاءها الصوت الرقيق بتشبث فهمته على الفور: أحتاج رؤيتك هَنا.. أحتاجك بشدة..

وكتمت البكاء وحددت هَنا الموعد بصرامة بعد ثلاث ساعات فقط لا غير، كانت تجلس على طاولة جانبية بمقهى صغير يقرب من مقر عملها.. حددت لصدفة العنوان وشَكَّت أن المسكينة ستصل بسهولة فهي تقريبًا لا تغادر المنزل سوى بمحيطها القريب جدًا كما تذكر.

وتذكر أيضًا تعثُّر خطواتها بثوبِ زفافٍ واسع يوم عقد قرانها على ابن الخالة.. وباتت بعدها بشهور قليلة ببطنٍ منتفخ وزيارات أقل نحو الحي القديم.. زيارات اختفت تمامًا بعدما توفت أمها وانقطع الود مع معارك الحياة..

صدفة.. رقيقة كما هي..

ابتسمت هَنا وهي تلمح دخولها المقهى مع عينيها الحائرة بحثًا عنها، ترتدي تنورة واسعة بنقوش رمادية هادئة فوق بلوزة بيضاء محتشمة.. وشاحها الفيروزي الشاحب يناسب بشرتها الصافية ونادل شاب يبتسم لها في رغبةٍ قوية للمساعدة..

حسنًا صدفة يبدو أن السنوات كانت كريمة معك أكثر مني!

استدارت صدفة على عجل لتلمح الابتسامة فوق شفتين كانتا دومًا القذائف النارية، هل نشعر حقًا بقدر اشتياقنا للغائبين وقتما نراهم؟؟

دون كلمة واحدة وجدت هَنا نفسها محاصرة بين ذراعي صدفة الرقيقين اللذان عانقتاها بقوة.. قبل أن تنطق بصوتٍ مُجهد: يا إلهي كم أفتقدك.

رفعت هَنا أحد حاجبيها بغيظٍ ماكر: أنا كما أنا بمنزل الشامية، أنت من ابتعدتي يا نذلة..

ضحكت صدفة وهي تجذب مقعدًا لتستريح بتنهيدة ساخرة: لم يخبرونا بعقد الزواج أنه امتلاك كامل..

كان بعيني هَنا فضول واضح ولكنها أجلته، أما بعيني صدفة كانت هَنا قوية كما اعتادتها، فاتنة بشموخ يليق بامرأة مثلها.. امرأة على الأرجح حققت كل ما تتمنى.

أحضر النادل لصدفة عصير البرتقال الطازج مع ابتسامة التصقت بشفتيه على ما يبدو، سخرت هنا بمناوشة وهي تُكمل قهوتها: لديك معجب..

حاولت صدفة أن تبتسم ولكن خرجت ابتسامتها مشوهة، لديها معجب!

وكان لديها زوج وبيت ويقين كاذب بالأمان بين ذراعيه، وحتى ما تسعى الآن لامتلاكه يُصِر هو على اختطافه منها وكأن دورها أن لا يكون لديها شيء.

مع شرودها الذي طال خرجت نبرة هَنا مباشِرة تلك المرة: صدفة.. ما بك؟

وحينها تنهدت صدفة وعيناها متعلقة بالطريق والسيارات المسرعة ولسانها أخذ الدور لينطق وحده: سأخبرك بكل شيء.

❁

أن تحتاج لنصيحة فهذا أمر وارد ولكن ماذا عن احتياجك لقوة.. دعم؟؟

هي لم تكن تبحث عن نصيحة، هي اتخذت قرارها وبلا رجعة ولكنها كانت تحتاج القوة.. السد المنيع الذي سيحول بينها وبين كل الضغوطات الفائتة والمنتظرة.

القرار الذي تخشى أن تتخذه وتعلم جيدًا أن من سيدفعها نحوه هي امرأة واحدة واسمها هَنا.

وحينما نظرت مجددًا نحو هاتفها ورقم الشركة الذي تكرر مرارًا وتجاهلته متوقعة أنها نشوى تستفسر عن غيابها دارت برأسها الأفكار عن خطوتها التالية وبحثها الذي سيكون عسيرًا دون شك عن مسكن جديد!

سأوصلك

قالتها هَنا بنبرةٍ قاطعة وهي تتوجه نحو باب سيارتها والصدمة ما زالت زائرة ثقيلة لوجهها، صدفة وزواجها وطلاقها وحربها التي لا تنتهي.. تحارب صدفة وائل.. تحارب سميحة وتحارب الحقير الذي حاول الاعتداء عليها..

تحارب المجتمع الذي لا يبالي بقهرها قدر مبالاته بواجهة حسنة المظهر والمسمى عائلة.

تظن صدفة أنها ضعيفة.. بل تظن أنها في احتياج ولا تعلم أنها الأقوى...

صدفة الأقوى بينهن جميعًا..

ووجدت هَنا نفسها تكرر الكلمة دون وعي رغم أن صدفة جاورتها في السيارة بالفعل: سأوصلك.

ابتسمت صدفة بهدوءٍ لتربت فوق يد صديقتها التي ارتجفت على المقود: أنا بخير.

وحينها استدارت لها هَنا وقد التمعت عيناها بعبرات مكتومة: وأنا تزوجت.. تزوجت برجلٍ لم أختاره!

وبين اعتراف وآخر وصمت مطبق أسندت قوانينه هَنا.. صرخ هاتف صدفة مجددًا وتلك المرة لم يكن أمامها سوى الرد...

تنوي أن تقول أنا قادمة يا نشوى ولكن الصوت الآخر يحمل فقدان صبر بلغ مداه ووثيقة قتلها إن لم تجبه تلك المرة: لمَ لا تجيبي على الهاتف؟؟

ثار جنونه...!

كانت تلك هي الكلمة التي استقبلتها بها نشوى وقت ما دلفت من الباب لتجد المسكينة تجلس يائسة بين كومة من الأوارق ولسانها يردد دون توقف: لقد ثار جنونه، طلب مني مهاتفتك أكثر من خمس مرات وفي السادسة أخذ الهاتف وفوق وجهه إبليس يرقص.. أنتِ هالكة صدفة وأنا معك!

اقتربت منها صدفة وكانت لم تلتقط أنفاسها بعد: ماذا حدث؟؟

رفعت نشوى يديها في غضب: تأخرتِ.. لا تتأخري مجددًا أرجوك.

بدا بعينيها ذهول وهي تنظر لفوضى الأوراق مع نشوى وكل ما يترجمه عقلها خطأ قاتل فعلته إحداهما، أو خسارة فادحة للشركة ولكن كل هذا لم يكتمل فصوت الباب القوي أنبأ عن ظهوره الصارم ليُتِمه بجملةٍ واحدة: أحضري تلك الأوراق واتبعيني حالًا.

كانت هيئته تبدو مجهدة، يرتدي قميصًا مقلمًا بخطوط رمادية رفيعة وتخلص فيما يبدو من قيد أول زرين على غير عادته.. لم تكن تعلم أنه شعر بالإختناق، اختناق تحول لغضب جنوني حينما اختفت تقريبًا لأكثر من ثلاث ساعات دون أن تجيب على الهاتف.

جذب لفافة تبغ نفث دخانها بحدة قبل أن يجلس على مقعده مستديرًا نحوها بتعبير حاسم: أين كنتِ؟

رفعت عيناها نحوه وقد توترت شفتيها بلا حديث، ما هذا السؤال؟؟

فليكف عن هذا السؤال وعن النظر نحوها، فليخيب ظنونها أفضل..

ابتلعت ريقها في تجاهل استفزه: تلك العقود تحتاج لمراجعة سريعة.. نصف ساعة وتكون جاهزة.

هي لم تختبر غضبه من قبل، هو نفسه لم يختبر غضبًا مثل هذا من قبل.. ضرب بقبضته على المكتب لتخرج نبرته زاعقة رغمًا عنها: لَمَ لم تجيبي على هاتفك؟؟

حينها تبدل هروبها لمواجهة، مواجهة قاسية وغليظة إن لزم الأمر: كان لدي أمر شخصي.

لا تنكر أن ما نالته بعدها هي لحظات قاتلة من الصمت، ظل ينظر نحوها بتعبير جامد وبعدها تحركت شفتيه بغلظة: في مواعيد العمل لا أمور شخصية.. أنت تعملين في أهم بقعة بتلك الشركة فكوني قدر مسؤوليتها وإلّا..

وما فائدة إلّا.. بل من أدرج «إلّا» بمصطلحات العربية كي ترسم على وجهها تلك الملامح، بل تلك الخيبة؟؟

والخيبة باءت من نصيبه حينما تعثرت بأسوء لفظٍ قد تقوله: آسفة.. في خلال أيام سأسلم لنشوى العمل كله وأعود لبقعتي السابقة فهي تناسبني أكثر!!

واستدارت بحسم لتخطو مبتعدة عن مداره وكانت عيناها شبه مغلقه فلم تدرك أنه وثب مسرعًا دون وعي حتى قطع طريق خروجها وعيناه تهذر قبل صوته: ماذا؟

توترت، هو قريب ولا يدرك أنه قريب أكثر مما يجب.. تراجعت للخلف وقد ابتغدت بعينيها عن نظرته: قلت أنني.....

قاطعها دون سماح بالمزيد: أنهي تلك الأوراق وسأعتبر أنني لم أسمع شيء...

وفاجأته.. لم تتحرك ولم تهرب بل رفعت رأسها في شموخ: لا.. أنا سأعود

للعمل الذي يناسبني فوقت تدريب نشوى انتهى بالفعل.

وكانت عيناها تنظر نحوه متحدية.. غبية ومتحدية وشفتيها ترتجف بلون وردي باهت واللعنة كل اللعنة على تلك الغمَّازة.

وحينما انتهت وتخطته همس بصوتٍ أجش: أستتركيني مع أخطاء نشوى؟؟

أجفلها، هذا الرجل يحمل تقلبات الأربع فصول في وقتٍ واحد.. تجمدت مكانها ولكن دون أن تستدير ودون أن تعقب فهو اختار التتمة وبذات الصوت ولكن بنبرة ماكرة: هذا ليس بعدل.

أنا..

توترت.. ضعفت واقتنص هو ضعفها بشراسة: أنتِ لست بخير

هربت هي بحدة: أنا بخير

وتابع هو هجومه: شعرنا بالقلق فلسنا معتادين على غيابك..

برقت عيناها بذعر قبل أن تبتلع ريقها مسرعة: آسفة..

وهمَّت لتهرب مجددًا ولكنها توقفت لتسأله بتردد: كنت أود ان أستفسر عن..

وتوقفت.. لن تسأله.. لن تستفسر منه هو بالذات وقبل أن تتحرك شفتيه باستفسار هربت وهي تُكمل: سأسأل الأستاذ عاصم!

ولم تعطه فرصة للرد.. ولكن هاتف عاصم هو من زعق برنينه بعد لحظات لتخرج الكلمات من شفتيه بتحذيرٍ حاسم: أيًا كان ما ستسألك صدفة عنه فلا توافق.

هل فكرتم من قبل في نظرة المرأة للحب.. كيف تراه.. تفهمه.. تتذوقه؟؟

هل تدركون أنكم أنتم من زرعتم في باطن عقلها الفكرة.. والقُبلة، والأمير الوسيم والحذاء والبرج والضفدع؟؟

أنتم من صورتم أن الزواج هو حلاوة النهاية وأنتم من اخترتم أن تُزينوا غرفتها بالقلوب الوردية، لذا توقفوا عن ذبحها قليلًا... لأن الجاني هو أنتم....!

وهي الآن أشبه برائد فضاء وجد نفسه منومًا داخل كبسولة، كل ما ظنه عن وجود القمر كان خرافة حتى أن القنوات الإخبارية تردد أنه مجرد طابق زجاجي.

وبكل بساطة مطلوب منه أن يكذب مواريثه، أن يوقن أن ما ظنه عشق مجرد أكذوبة.

وصوت يردد بكل جفاء: ثلاث أيام

كان يقف أمامها بقميص شبه ممزق وبعينيه أسوء نظرة اختبرتها قط، والمهلة ثلاث أيام تعود أو لا تعود أبدًا..

وقضت ليلتها مستيقظة، وانتظرت أن تخبرها أمها شيء.. أي شيء ولو نصيحة لا تنوي الاستماع إليها....

فهي كانت غارقة في احتمالية فقدانه، وحين أيقنت المعنى اختبرت الانهيار..

ومضى اليوم الأول والثاني وفي الثالث وضبت حقيبتها وعادت، استقلت سيارة أجرة بوقت الظهيرة وأخفت وجع عيناها بنظارة سوداء.. لم تكن تعلم أن للجفون هكذا تورم...

لم تكن تعلم كم تذبل المرأة من البكاء..

فقط كانت تعلم أنه غير موجود بالمنزل، فهي تحفظ مواعيد محاضراته..

ابتسامة مريرة مرت فوق وجهها فرغم أنها معه.. رغم قربها منه حد الشغف والقبلات والزواج إلا أن الفتاة الحالمة بعينيه فيما مضى كانت أسعد..

وكان عقلها وقلبها ولسانها يود أن يكررها مجددًا، يصرخ بوجهه.. يعاتبه كما قوانين القلوب....

«هُنت عليك»

ولكنها أصبحت دون معنى..

ولأول مرة في التاريخ تصيب بتوقع معه، عاد ورمقها بنظرة جافه قبل أن يتوجه لغرفته مبدلًا ملابسه وانفرد بنفسه مع حاسوبه الإلكتروني لوقت النوم.

لم يتناول طعام العشاء ولم يجاورها في الفراش.. بل بات ليلته بالغرفة الأخرى.

والليلة التي تلتها وتلتها وتلتها.. ولا يحتاج الأمر لذكاء أينشتاين كي تفهم، أو حتى بديهية رائد فضاء..

هي تُعاقَب..

ووتيرة الحياة تضع اللوم على المرأة، الإحتياج يخص المرأة والضعف سمة المرأة..

الخاسرة في المباراة هي المرأة....!

وكانت الليلة الرابعة،، ارتدت غلالة حريرية بلون فضي أنيق.. غلالة قصيرة بل أقصر غلالة على وجه الأرض... هكذا قرأت نصيحة بتجمع نسائي على شبكة تواصل، تدللت بالعطر ونكهة شفاة مُبتاعة وتوجهت حافية نحو فِراشه.. تهمس.. تدلل.. وتُدلك!

وكان مستيقظًا حينما شعر بأناملها تضغط فوق عنقه، تُربت بخجل فوق ظهره وتحاول بجهد أن تنثر بضعة قبلات قرب أذنيه...استدار لها فجأة مما

أريكها فاعتدلت جالسة ثم ضمت ركبتيها في توتر، نظر نحوها بتفحصٍ راضٍ ثم مرر أصابعه فوق وجهها ليتوقف عند شفتيها متابعًا..

لا تجبريني على القسوة دارين!

رفعت عيناها وقد ناوشها البكاء، مجرد مناوشة لا أكثر فحينها توحشت عيناه بنظرة صارمة أخافتها فحبست دموعها على الفور. تحركت أصابعه من جديد نحو عينيها ليتابع بنبرة هامسة ولكنها قاطعة:

المرأة العاقلة لا تخرج أسرار بيتها مهما حدث...

ثم اقترب منها ليطبع قبلة خفيفة مكان صفعته وأزاح القليل من خصلات شعرها ليلفه حول إصبعه الأوسط وبعينيه بريق مُلزِم: أبدًا دارين هل تفهمين؟

أومأت برأسها مسرعة وكأنها تود الخلاص، الخلاص من المعركة وربما الاستجواب والأسوء.. من هجرانه، ابتسم بتملك وجذب شفتيها نحوه وهمسه يستحلها كما يريد...

أنا اشتقتك أكثر..

ونامت سعيدة.. وتوجهت برسالة شكر في الصباح لصاحبات النصائح النارية ففي النهاية عاد لها زوجها كما كان وبأي ثمن.

المنزل الصامت..

ربما إن اخترت لنفسك فيلمًا مسليًا ستختار المنزل المسكون.. المضحك.. أو تبحث عن منزل الحب.

ولكن هذا منزل دون صوت، ويُصادف أنه منزلها.. وهي تشتاق منزل ثناء.. تشتاق رائحة القرفة المنكهة وتتبيلة البصل التي تؤذي عيناها، حماقة دارين وسخافة زياد...

تشتاق الفوضى..!

وليلة وصولهم للمنزل بعد فرمانه الأول نامت دون أن توجه له حديث ونسيت أن هذا سلاح مباح لكل الأطراف، فهو تجاهلها بدوره..

روتينِه مكرر وهي مثله، استيقاظ مبكر.. قهوة.. عمل.. غداء وحبوب منع الإنجاب ولقاء مِيزته الأكثر أهمية حتى الآن؛ أنه دون موعد...!

ورغم أنها كانت تنوي الرفض.. تريده وتخططه وتعاقب به إن لزم الأمر فهو لم يطلبه منذ حينها، والمرأة مصطلح شيِّق مثير.. مثير حد لعبة التوقعات..

فمن حروفها تجد الأم ومع الأم ينبع الحنان واللهفة والاحتياج...

وتجد مرآة وفيها يتلخص الجمال والفتنة والثقة..

والعجيب أن حروف «مُر» تترجم المرارة فهي وقتما تريد تُقدِّم نفسها شهية ووقتما تكره ستتجرعها بمرارة!

وهناك نوع ثالث.. تلك التي لا اقتنصت الحلو ولا توشحت بالمرارة، هي فطرية بقدر فاكهة استوائية غير مكتملةِ النضج بين أوراق شجرة.

تلك الثمرة التي تمثل الاختبار الأول، اللذوعة الأولى.. والفرط المثير إنْ ما أتقن أول قضمة، أمَّا إنْ أخفق فلا عزاء للقوانين.

فهو فرط غير مضمون العواقب....!

وكانت تقف أمام المرآة ترتدي تلك البيجامة المضحكة برسوم المثلجات.. تستدير وتنظر باهتمام نحو......

ولا ينكر أنه حينها ابتسم، فرغم أنه كان يهذي إلا أنه تذكر مقولته فيما بعد ويبدو أنها لم تنساها أبدًا. أجفلها حينما أغلق الباب بصوتٍ مسموع فاستدارت مُنزعجة ثم تسللت مسرعة لتخفي نفسها تحت الغطاء. اصطنع لامبالاة ثم جاورها وبيديه كتابٍ ما كالعادة.. ارتدي عويناته وأطفأ الضوء إلا من مصباح

صغير بجانبه وحينها خرج صوتها محتدًا: لو سمحت أطفىء النور أنا أودُّ النوم مبكرة.

ارتدِي قناع النوم.

من الممكن أن تقرأ بغرفة مكتبك.

أنا لا أنام سوى بطريقة من اثنين هَنا...القراءة أو الـ.........

ولم ينطق، فقط تفحصها بنظرةٍ موضحة قبل أن يلوي شفتيه بثقةٍ: ما خيارك؟

وبرقت عيناها ولا ينكر أنه أكسبها حُمرة، رغم أنها غاضبة ورغم أنه يُعاقِب إلَّا أن وقت اللقاء معها بأي صورة يحمل لذَّة...

لذة غامضة وغير مفهومة وتشبه فوضى ثمار الرمَّان في مطبخ أمه.

عاد لكتابه ولم يعلق، أما هي فأغمضت ببساطة عيناها ونامت في الضوء.

وبعملها قررت أن تبقى منشغلة، هي لا تفكر به ولا تهتم بردود أفعاله.. هي تعثرت بتلك الزيجة مضطرة ولا تنوي لها اكتمال.

وها هو يخبرها برسالة نصية أنه سيغيب لمدة أسبوع....

أحسن..

وخرجت منها غاضبة وهي ترمي بالهاتف، ربما تمكث عند ثناء.. وربما تجلس وحيدة بالمنزل وتُحدث به فوضى انتقامية.

وتذكرت فرمانه فنقرت فوق أزرار هاتفها بسخرية: وأوامر الخروج زوجي العزيز، هل ستوقعها لي على محادثة إلكترونية؟؟

ومرت عشر دقائق قبل أن يصلها ردِّه، وكانت واثقة أنها أغضبته.. لن تخرج دون علمه كما قليلات الحيلة، ستجبره على تغيير قراره.

وجاء ردُّه كما توقعت تمامًا: بإستثناء العمل، لا خروج من المنزل أبدًا!

وتلونت فوق شفتيها ابتسامة ماكرة وهي ترمق الهاتف وتحادث نفسها بإنتقامها الوشيك منه: جيد حبيبي.. سأشعر ببعض الفراغ.....!

ومن خطة صبيانية ترسمها بعقلها لمساعدها الشاب وهو يحمل بين يديه ثلة أوراق وتحذير قاسٍ من عميل منزعج عن تأخر تسليم المرحلة الثانية من المشروع، تركت اللهو وعادت لجديتها وهي تضع عويناتها القاسية لتسأله من بين الأوراق: من المسؤول عن التنفيذ أمجد؟؟

زفر الشاب وهو يحصي بعض الأسماء: المهندس يحيى

تابعت هي بنظرةٍفاحصة: ومن وقع بنود التسليم؟؟

أردف مسرعًا: علي، ولكن الخطأ ليس من عندنا، التأخير جاء من شركة الشحن وهاتفناهم عدة مرات ولكنهم يماطلون.

تركت الأوراق وحركت سبابتها بجدية: حسنًا أعطني رقم المسؤول هناك، سأحل هذا الأمر بنفسي.

ابتسم الشاب وهو يخرج من جيب سترته بطاقة بيضاء بحروف زرقاء كلاسيكية: هذا رقم المدير بنفسه، وماطلت سكرتيرته كي لا تحضره لي.

ابتسمت هَنا بلامبالاة لمجهوده الخرافي في لا شيء تقريبًا، ثم صرفته لتطلب الرقم وعيناها تتفحص الأوراق أمامها بجدية وهي تدون تفاصيل العقد بين الشركتين وقيمة الغرامة حتى جاءها صوت خشن على الطرف الآخر فتركت الأوراق لتبدأ بحرفية: مرحبًا سيد سليم...

الفصل الثامن عشر

غرفة صغيرة بشكلٍ ما تحمل رائحة مضللة، فالعبق خانق تضيع وسطه فتاة ضئيلة الحجم تختفي خلف مكتب معدني صغير ونصف وجهها عوينات ضخمة.

والباب المقابل أنيق.. بل راقي قدر الابتسامة الرصينة التي استقبلها بها وطريقة ارتشافه لقدح القهوة.. رجل يبدو بأواخر الثلاثينات، وجه مستطيل بعض الشيء وبشرة تميل للإسمرار مع فك قوي مستعرض تحت عينان تحملان زرقة واضحة. حلة أنيقة تشبه اهتمام زوجها الثائر بتفاصيل ربطة عنقه وكِياسة مُرحبِّة..

هَنا المهدي

قالتها بشكل سريع وهي تُخرج من حقيبتها بضعة أوراق تحوي تفاصيل العقود المبرمة وتابعت بجدية وازت اهتمامه: شركتكم تأخرت أكثر من المطلوب سيد سليم والآن نحن نواجه غرامة وعلى حسب معطيات العقد بيننا وبينك أنت من ستتحملها.

ضم حاجبيه بهدوءٍ مفكرًا ثم هاتف سكرتيرته بعد أن ارتشف مجددًا القليل من قهوته ببطء: أحضري لي ملف المجموعة المتحدة.

ثم رفع بصره نحوها بثقة: أعتذر أستاذة هَنا، لقد واجهتنا عدة مشاكل مؤخرًا في عمليات النقل الجوي ولكن كوني على ثقة أنها ستكون المرة الأخيرة.

أعتقد أنها ستكون المرة الأخيرة فعلًا سيد سليم ولكن في التعامل مع

شركتك.

ابتسم بحنكة وهو يأخذ من سكرتيرته ملف مزدحم ثم تابع وهو يمر بعينيه على الصفحات بحرفية: ستون يومًا بعد موعد التسليم.

نظرت نحوه بشراسة وهي تدرك مقصده: ماذا؟

عاد برأسه إلى الوراء ليتابع بحرفية تامة: العقد بيننا وبينكم ينص على تحملنا الغرامة اذا تأخرنا ستون يوماً.. مر منهم أربعة وخمسون.

علت نبرتها بغضبٍ واضح: نحن في وسط تسليم مشروع هام سيد سليم وعلى حسب جدول الشحن المُتَّبع كان يجب أن أتسلم منك الشحنة منذ شهر ثم..

قاطعها بصوتٍ مهذب: أنا لا أقول أنني لن أدفعها، أنا فقط أوضح تفاصيل العقد.. الشحنة ستصل غدًا وسأدفع الغرامة ليس هذا فقط..

هدأت ملامحها قليلًا وتابع هو: أتمنى أن تقبلي دعوة حفلنا البسيط الذي سنقيمه بعد عشرة أيام كمصالحة لعملاءنا الأكثر أهمية.

استقامت لتوميء بموافقة غير مكترثة وصافحته متعجلة بعد أن ناولها الدعوة.. رجل يبدو مهذب، مجرد رجل يمر على عالمها كغيره مائة مرة ولم تكن تعلم أن هذا الرجل بذاته مختلف!

بل سيكون أكثر من مختلف!

❁

لها أكثر من ساعتين تتحرك حافية، ولم تطهو شيء.. ارتشفت قهوة.. عصير.. وشاي ليمون مثلج، والطقس بارد يدفعها نحو وهج الموقد ولكنها اختارت ملعقة ممتلئة بالآيس كريم!

نكهة الفانيلا وفوقها بعض بِشر الليمون وتلفاز يثرثر بوصفات طعام

مبتكرة.. كانت الساعة قد قاربت على الحادية عشر، مرت بأصابعها فوق أزرار الهاتف تحادثه مجددًا ولكنه لم يجب.

هذا ثالث يوم لغيابه وأبلغها أول أمس برسالة نصية: «انشغال عمل»

عضت فوق شفتيها بضيق وتركيزها لا يخص المرأة المبتسمة على التلفاز بوصفة اليخنة..

منذ متى ينشغل سليم؟؟

ارتجفت عيناها، فدارت حدقتيها بضياع فشل من الهروب من حقيقةِ أنها تشتاقه، تفكر به.. تسعى خلفه في الخيال!

ببساطة تريده.. جرعتها المقننة من النشوة..

بل جرعتها المنفجرة!

ضاقت أنفاسها فاستقامت تدور في المكان بلا وعي حتى أنها لم تنهي المثلجات، تخللت أناملها خصلات شعرها بعنف لتدرك أن أفكارها توقفت تمامًا.. تجمدت.

لا ملامة، لا تردد.. ولا هروب....

هي فقط تحتاج سليم.. وجاءت الرسالة النصية مجددًا: «آسف.. لن أستطيع المجيء»

وغادرت المكان منفعلة، والتهمت ليلتها الكثير من الطعام والحلوى وتعارك معها زوجها على كل شيء ممكن.. فمذاق الطعام سيء وملابسه كانت متسخة أمّا المنزل فهو غير مرتب والأولاد ليسوا تحت السيطرة!

تعارك ونام وتركها بحالٍ أسوء...

وخطواتها ظلت حائرة على مدار اليومان التاليان دون وجهة حتى وصلتها منه رسالة..

وجدت خطواتها مسار!

خطوة.. اثنان.. ثلاثة، أدارت المفتاح في المزلاج ببطء.. تخلصت من وشاحها مع أول خطوة داخل المنزل..

تنورتها في الخطوة التالية..

بلوزتها القاتمة في الثالثة..

والباقي في الرابعة.....!

ومع الخامسة... ارتسمت فوق شفتيها ابتسامة وهي تنطق باسمه في دلال: سليم......

❁

ملعقة الفانيلا باتت أكثر ضخامة، لا تنكر أنها التهمت الكثير وشاركها هو في البعض، حتى أنه حملها وتحرك بها مبتعدًا عن المبرد كي تتوقف عن دس المثلجات بفمها، ضحكت وهي تضم ساقيها على الأريكة وتترك له حرية الاستلقاء جوارها: كفى سليم.. كان لدي طلبيات متأخرة ولم أُعد منها شيء.

مرت فوق شفتيه ابتسامة غامضة قبل أن يجذب احدى خصلات شعرها ليقربها نحوه: ربما علي الابتعاد مجددًا كي أختبر معك هذا الجنون!

جنون.. شغف.. نشوة.. وربما ثمالة...غابت ابتسامته تدريجيًا، أمَّا هي فكانت منتعشة، مستلقية بجانبه في راحة وحدقتيها تدوران مجددًا.. سعادة ممزوجة بضياعٍ....تنهدت براحة ثم أغمضت عيناها مستلقية على كتفه وحينها تابع هو بنبرةٍ هادئة وعيناه ما زالتا تراقبان ملامحها: حسنًا أيتها الشيف الكسولة.. أحتاج منك طلبية ضخمة...

جذب انتباهها فرفعت رأسها لتنظر نحوه باستغراب فأكمل: تورطت في إرضاء بعض العملاء والآن مطلوب مني في أقل من أسبوع أن أجهز حفلًا

وأحتاج بشدة لمن يتولى أمر الطعام.

لمح بعيناها تردد وحينها تبدلت ملامحه لقسوة تامة: الحفل صباحي نادية مثله كطلبيات المقهى لا فارق.

ولم يستنبط من ملامحها معنى ولكنه نال ردًا ثابتًا وواثقًا حد ظهورها على باب الغرفة هذا الصباح: سآتي.....، ولم تزد في الكلمات، أو كما العادة انتهى وقت الكلمات..

حسنًا.... انتهى العمل مستر ثائر!

ورغم شعورها في تلك اللحظة أنها تشبه ممثلة كوميدية شابة مع رباط رأس مضحك وسروال أحمر قصير تحت قميص فضفاض فاق ألوان قوس قزح إلا أنها تشعر بالانتصار..

حوائط برتقالية مبهجة.. أرائك متناثرة بألوان استوائية بين الأحمر والأخضر الزاهي وفوقهم وسادات ملونة بكل ما يمر بالخيال.. الحجرة أصبحت أشبه برداء بلياتشو.

مضغت قضمة كبيرة من شريحة الجبن الشيدر بالبسطرمة التي أعدتها لتوها ثم دارت ببصرها تتأمل لوحات ثائرها المسكينة التي كومتهم بأحد أركان غرفة مكتبه واستبدلتهم بلوحة ساخرة لقدح قهوة مجسم.

ابتسامة واسعة اقتحمت شفتيها ما لبثت أن تجمدت حينما لمحته مع استدارتها، كان لتوه قد وضع مفتاحه بالمزلاج ليخطو ببطءٍ تيبس مع صدمة أولى أبلغته أن هذا ليس بمنزله، وبالطبع الواقفة أمامه بسروالٍ بشع إن صح التعبير تحت قميص منتفخ بعشرة ألوان مزعجة وخف بيتي على شكل ثمرة!

من تلك؟؟!

ملامحه أعادت لها ثقة ابتسامتها لتحرك كلتا يديها في انفعال أنثوي كاذب: حبيبي.. ما رأيك؟؟؟

رفع حاجبه الأيسر متفكرًا.. تناديه حبيبي!

إذًا هناك كارثة...

والكارثة متجسدة أمامه، منزله تحول لقلب ثمرة قرع فاسدة.. حوائط بلون البصل وأرائك غير متناسقة وملتصقة بالحائط تمامًا وعلى ما يبدو قبل أن يجف الدهان. صورة مزعجة لقدح قهوة وشريحة بلون غريب تلتهمها بشهية..

أسند حقيبته على أحد الجوانب ثم رفع ذقنه بتعبير كاظم للغيظ من الدرجة الأولى فابتسمت ببراءة: شعرت بالملل.

لترفع بعدها كتفيها بسذاجة مصطنعة: أردت أن أفاجئك.

حك ذقنه ليقترب منها مفكرًا ومتحاشيًا شريحتها الفوضوية: هذا هو استقبالك لزوجك بعد غياب أسبوع سفر؟؟

ضمت حاجبيها فبدت وكأنها تفكر بدورها قبل أن تتوسع ابتسامتها مجددًا ولكن بمكرٍ واضح: حبيبي أنا مختلفة.

حينها كانت قد تخلصت من ربطة رأسها الغريبة وعاد شعرها الذي يعرفه للظهور مجددًا.. تخللت أنامله خصلات رأسه وهو يميل نحوها بمكرٍ: أنا رجل تقليدي.. غلالة شفافة كانت ستكفيني.

استدارت وقد بدا بعينيها الغضب الذي استثاره فتابع ساخرًا: حسنًا.. طالما لم تقتربي من ماكينة قهوتي ستبقين حية.

ثم خلع سترته وهو يصعد الدرج ويحرك أصابعه بأمر ثائري مكرر: سآخذ حمامًا دافئًا.. وحبيبتي ارتدي أي شيء خلاف هذا القميص فالعين تأكل.

ثم تركها مغتاظة وصعد لاسترخاء حمامه بدلًا من أن يقتلها.

وأصبح استقبال منزله برتقاليًا.. حسنًا، يحمد الله أنه لا يستضيف عملاءه بالمنزل ولكن هذا لا يمنع أنه أجبرها على حضور عشاء عمل..

هو يعلم أنها تكره تلك المقابلات ولا تجد نفسها في ثرثرة النساء الجانبية وتذمرهم من انشغال أزواجهم.. هي تسترق السمع لتفاصيل المهنة ومكسب العميل وكيف أبرموا عقود الصفقة ودور الشركة المنافسة في إفسادها.

هي تعشق تلك المناوشات وتعيشها وتستلذ بالنجاح مثله تمامًا ولكن كطرف فعال.. يوازيه وله الحق أن يتخطاه لا كطرف كل همه التهام الحساء ببطء كي لا تكسب وزنًا.

وكان حساءًا مسكر الطعم بنكهة صينية ولم تستسيغه ولكن هو ملل فوق جلسة المطعم السخيف، ورغم أن الموقع يتبع أحد الفنادق الشهيرة إلّا أن الطعام كان ماسخًا دون لذوعة بسطرمة!

ولا تدرك أنها ابتسمت، بل كتمت ضحكتها حتى اهتزت الملعقة بيدها وقبل أن تدرك أنها تحركت بشكل خاطيء كان الحساء كله قد انسكب فوق ساقيها.

استدار على صوت شهقتها الصغيرة ليجدها ضمت ركبتيها في تشنج وتحاول أن تمسح ما حل بثوبها بطرف المنشفة.. ثوب أسود أنيق بخيوط ماسية رفيعة على جانبيه كان قد ابتاعه لها في سفرته الأخيرة.. الحساء ساخنًا حد الإيذاء وعيناها ضمتهم بلحظة كي تكتم الألم وزوجة شريكه سألتها في قلقٍ: هل أنتِ بخير؟

لم تجبْ.. فقط أومأت برأسها مسرعة فالألم لم يكن محتملًا وحينها وضع هو منشفته على الطاولة بغضبٍ معتذرًا لضيفه وسحبها خلفه دون أن يفسر لها بكلمة.. أشار بإصبعه لنادل ما وبعدها وجدت نفسها معه في مصعد الغرف وتتوجه ببساطة نحو جناح علوي فخم..

فراش كبير وشاشة تلفاز مسطحة أمام أريكة بنية واسعة وخدمة غرف جاءت خلفه على الفور ببعض الثلج وعلبة إسعافات أولية.. أجلسها على الأريكة ثم ارتكز بركبتيه جانبها ليسحب بيده اليمنى قطعة ثلج ويرفع طرف ثوبها باليد الأخرى، توترت قبل أن تسأله مسرعة: ماذا تفعل؟

لم يجبها.. أزاح يدها وعاد لرفع الثوب ليمرر قطعة الثلج ببطء دوراني فوق ساقيها المحمرتين..

تراهما الآن.. بهما احمرارًا واضحًا نتاج السائل الملتهب ولا تنكر أن الألم قاسي.. ذاب الثلج بين حرارة يديه وساقيها وبدأت تشعر براحة مؤقتة، عادت لتمسك بطرف الثوب كي تعيده مجددًا ولكنه أوقفها فاستحوذ على طرف القماش ليبقيه مكانه وأخرج من علبة الإسعافات مرهم حروق فاتح اللون وبدأ بتمريره بأنامله فوق ساقيها باحترافية.. وببطء.

بطء زاد من توترها فكانت تضم ركبتيها بانفعال غير واعية لابتسامته الخافتة التي كانت تزيد مع كل ارتجافة منها.

حينما انتهى رفع لها بصره فجأة فحاولت أن تعيد الثوب لوضعه ولكنه أوقفها بصرامة: اتركيها عارية..

تمتمت: ماذا؟!

أغلق المرهم ثم استقام بجدية وكأنه غير متأثر بالمرة: يجب أن تتركي الجلد معرض للهواء.

ثم دخل لدورة المياه ليغسل يديه وعدل من هندامه سريعًا متابعًا بنبرةٍ متعجلة: سأغيب لبعض الوقت منهيًا العمل وأنتِ خذي راحتك.. فهذا الفندق مِلكي!

الآن استوعبت أوامره السريعة والغرفة السحرية، ضمت حاجبيها بضيق

لتجادله كما اعتادت: أنا بخير الآن.. فقط.......

اقترب منها فجأة فتوقفت كلماتها ولا تنكر أن ضربات قلبها خانتها فخرجت همستها مسرعة من بين أنفاسها: أفضل العودة للمنزل و..

قاطعها على الفور بأنامل تقترب وشيء ما دسه في فمها.. دواء مسكن للألم ابتلعته مع رشفة مياه وهمسه الثابت أمام شفتيها: سنبيت ليلتنا هُنا....

ثم تركها ليستكمل موعده ورغم أنه لم يغب سوى نصف ساعة إلا أنه حينما عاد وجدها غارقة في النوم أمام التلفاز كاشفة ساقيها للهواء كما أمرها تمامًا..

مرر أنامله ببطء على موضع الألم فوجده قد هدأ بشكل واضح كما ملامحها المسترخية التي لم تشعر بوجوده بجانبها، خلع سترته وقميصه واستلقى جوارها في نومٍ هاديء، هدوء لم يكتمل فهي استيقظت بعد ساعتين على قُبلاته.

لا توافق!

قالها لعاصم في لحظة غضب وكررها بعدها لثلاث أيام متتالية أما هي فلم تطلب شيء.

كتم عاصم ضحكته وهو يجيب السؤال المكرر، لا ينكر أن رؤية عز هكذا تشعره بالتسلية ولا ينكر أيضًا أنه يتمنى له امرأة رقيقة مثل صدفة..

لم تأتي ولم تطلب شيء.

زفر بضيقٍ ثم طحن لفافة تبغه السابعة منذ بداية اليوم في مرمدةٍ جانبية، لقد لمحها صباحًا كانت تحادث نشوى بصوتٍ خافت ثم توقفت حينما رأته.. طلب منها بعض الأوراق بضيق فأحضرتهم بحرفية تامة ولم تنظر مرة واحدة نحو عينيه.

وعيناها هي كانت مرهقة وكأنها لا تنال قسطًا كافيًا من النوم.. أسئلة عدة كانت تدور بعقله..

هل تنوي ترك العمل؟؟

هل تبحث عن بديل؟؟

هل تفكر بالعودة لزوجها؟؟

والاحتمال الأخير أثار غيظه، حتى أنه طلب عاصم مجددًا وبتلك اللحظة بالذات لم يتلقى ردا!

فقد كانت صدفة عنده..

❁

ماذا قلت؟!

لم تكد صدفة تغادر مكتبه حتى وجد عاصم عز أمامه وقد تصلبت ملامحه بجدية تامة، عيناه مرتكزة وكان يعلم أنه لا ينتظر الجواب.. بل ينتظر سؤالها هي، رفع عاصم يديه في قلة حيلة وقد بدت ملامحه مستاءة بشكلٍ ما: كما طلبت.. لم أوافق

استرخى في مقعده براحةٍ مؤقتة قبل أن يضم حاجبيه ويعود لعاصم باغتياظ: وماذا كانت تريد؟؟

حرك عاصم رأسه غير مصدقًا: كانت تريد اقتراض سلفة عز!

بهتت ملامحه لوهلة قبل أن يردد بصوتٍ خافت: ماذا؟

ولم يعط لعاصم فرصة للتعقيب، ضرب بقبضته على المكتب في غيظٍ: وأنت رفضت؟؟

أجاب عاصم بلا اكتراث مقصود: أنت طلبت!

جز عز فوق أسنانه يدرك دواخل صديقه: عاصم

وحينها خلع عاصم عويناته ليرفع بصره نحو عز بجدية تامة: ماذا تريد منها يا عز؟ أنت لست بصغير لتلك الملاحقة وهي سترتعب أكثر؟

زفر بضيقٍ وقد توترت عضلات جبهته فدلكها ببطءٍ ثم همس وكأنه يحادث نفسه: أنا أعرف ما أريد يتبقى أن تعرف هي!

ثم استدار ليرحل فتنهد عاصم لتخرج عبارته التي حبسها لتريح صديقه: أخبرتها أنها القوانين ولكن قد يتغير الأمر بموافقتك.

ثم تنحنح قبل أن يتابع: هي تبحث عن شقة.. لا تقلق لن تعود لزوجها...

ورغم أنه لم يلمحها إلا أن عاصم أيقن ما ارتسم على وجه صديقه في تلك اللحظة،

كانت الابتسامة..

❁

تشعر بالإنهاك.. لو كان هناك تعبير شامل لكل ما يحيط بها في تلك اللحظة فهو الإنهاك....

تستيقظ مع شروق الشمس لتدور بعيناها فوق صفحات الجرائد علّها تجد مطلبها، تستمع لتلميحات سميحة بنصف عقل كي لا تفقد صبرها كله وتدور في المناطق القريبة من عملها ومدرسة مريم علّها تسأجر مسكن مناسب.

ألهمتها نشوى منذ أيام بفكرة السُّلفة من الإدارة وبها تستطيع تدبر مبلغ التأمين الخاص بالإيجار وبعض الأثاث الضروري ولكن رد عاصم حطم أمانيها تمامًا، فحتى مع ما ستوفره من بيع مقتنياتها الذهبية لن تستطيع توفير نصف المبلغ.

لم تدرك أن نظراتها لها أكثر من نصف ساعة معلقة بباب مكتبه، وأنه

يراقبها من خلف زجاج غرفته مدركًا ترددها تمامًا..

مدركًا أنها تعلم أنه سيوافق بل وسيعطيها ما تود ليس لأنها موظفة مجتهدة بل لأنها صدفة، لأنها هي من يريد.

دون أن يحيد عيناه عنها ضغط على زر الهاتف ليراقب توترها وهي تجيب مسرعة وترفع عيناها من جديد نحو باب الغرفة مع صوته وهو يأمرها بالمجيء، ظلت تنظر لدقيقة حولها تحاول أن تتذكر ما إن كان طلب منها أوراق ولكنه بالفعل لم يطلب شيء، فقط قال بصوتٍ رخيم: تعالي صدفة.

طرقت الباب قبل أن تدخل وكان هو ينهي لفافة تبغه الخامسة عشر ربما، هذا الرجل يحرق أنفاسه دون رحمة.

قالتها لنفسها غير مدركة استياء نظراتها وهي تراقب رماد اللفافة فهاجمها صوته ببطء: نسيت أنك تختنقين من رائحة التبغ..

ابتلعت ريقها بابتسامة متحفظة ثم جلست على المقعد المقابل فأردف هو بشكلٍ سريع: عاصم أخبرني أنك..

قاطعته، ببساطة قاطعته مسرعة وكأنه ترفض مجرد احتمال موافقته: لا داعي للأمر أنا سأتدبر أمري وشكرًا و..

وما بعدها تلعثم، كانت تتلعثم وتودُّ الهروب وعزة نفسها ترفض أي مساعدة زائدة، بل أي مساعدة منه هو شخصيًا، حينما استقامت أوقفها هو بنبرةٍ حاسمة: صدفة!

رفعت بصرها نحوه ورغم حدة نظراته إلَّا أن على وجهها انتصر الضيق فتابع: القوانين لا تسمح بذلك إلا بعد فترة عمل محددة وهذا من المهندس عز الدين مدير الشركة ولكن أنا أعرف أصحاب بناية مميزة وبها ما يناسبك تمامًا وهذا من المهندس عز الدين وفقط......

كانت تود أن تقاطعه ولكنه أوقفها بنبرةٍ جادة ومسترسلة: البناية ممتازة وراقية وشركتنا هي من تولت التصميم والتنفيذ، كل السكان من العائلات المحترمة و..

قاطعته تلك المرة: أشكرك ولكن سأتدبر أمري.

وكأنها لم تقل شيئًا، أخرج خريطة مطوية ليفردها على المكتب أمامها ويثني جزءه ليضع علامة إكس فوق أحد البقع متابعًا بحرفية: المكان هنا، موقع ممتاز وقريب من الشركة بمسافة لا بأس بها.. الشقة صغيرة فهي كانت جزء مخصص لتصميم مزدوج وتم تغيير الفكرة فبالتالي هو لا يستطيع تأجيرها بسهولة وأنت لن تحتاجي مساحة لأكثر من غرفة ومعيشة على ما أعتقد.

حينها رغمًا عنها كان قد جذب انتباهها، المكان مناسب تمامًا والشقة كلما صغر حجمها كلما ناسبها السعر أكثر.. أخفضت رأسها في تفكير فتابع وهو يطوي الخريطة مجددًا دون أن يحيد نظره عنها: اذهبي هناك وقرري فيما بعد، صاحب البناية رجل طيب فقط أخبريه أنني من أخبرتك عنها ليهتم.

ناولها الخريطة فترددت قليلًا قبل أن تأخذها وتلوي شفتيها بعفوية هذا السحر المتمثل في سر جنونه، راقب رحيلها وعيناه تتوشح بنظرةِ رجل يعرف ما يريد تمامًا..

هل تظن أنها ببساطة هكذا ستهرب، فملعون إذًا هو وهي والغمَّازة.

❁

رباه والده على مقولةٍ واحدة...

«لا تحادث الغرباء»

والمضحك أن حياته لا ترسم طريق متعتها الآن مع أحد سواهم.

والأمر بدأ بمشاركة قهوة..

تحول الركض الصباحي لساعات ثرثرة بصحبة القبطان، وفوزي الشربيني رجل يستحق أن تحرق الوقت لأجله.. هو يشبه ذاك الغليون القديم الذي يحتفظ به في غرفة مكتبه ولا يدخنه، له لون أبيض مشبع بصفرةٍ هادئة مع حدود سمراء متقاطعة برسم منظم.. أهداه له رجل مكسيكي تعرَّف عليه في مدينة مراكش وكان وقتها شابًا لم يتخطى الخامسة والثلاثون ونصحه صديق بتجربة مطعم محلي صغير أخبروه أنه أفضل مكان لتناول اللحم المنكه بالبرقوق. ووقت التبغ ظهر المكسيكي من العدم وكان سمينًا له شارب بحجم سفينة الزجاجة ويدخن بشراهة ووقتها رفض فوزي المشاركة فبدا القبطان الوحيد على ظهر الأرض الذي لا يدخن، أهداه المكسيكي هذا الغليون وبرر أنه أبيض بنقاء الصباح والصباح لا يصلح للتبغ الجيد.

كان زياد يعشق حكايات فوزي، تسحبه ببطءٍ من عالمه السخيف ليسافر معه في كل المدن التي ارتحل إليها، بل كاد يصرخ جازمًا أنه أحمق بجدران مكتبه المتواضع ولربما كان الترحال هو دواءه في النهاية، ولم يملك الترحال فقرر امتلاك الحكايا....

تلك المرأة سأقتلها.. ثاني مرة تبيعني أوراق خس فاسدة

ابتسم زياد وهو يلمح القبطان الستيني بعويناته التي تدقق النظر في جودة أوراق الخس وكأنه يفند مقالًا سياسيًا، فقال بمزاح: أتوقع لها عقابًا عسيرًاثم حرك سبابتيه على شكل سلاح وكأنه يتذكر فدوى وانفعالها الجنوني عليه، وكأنها عائلة سِمَتها الجنون.. ابتسم فوزي لينظر نحوه من تحت نظارته وقد فهم تلميحه: بني، أنت لم تختبر بعد شيئًا من جنون الحياة!

غامت نظرته لتلتوي شفتيه بسخريةٍ ويخرج كل شيء فجأة: هل تظن؟؟

«أختي الصغرى زوجها يضربها ويخفون الأمر علي وكأن تدخلي سيفسد الأمر أكثر أما المرأة التي أحببتها تزوجت برجل لولاي ما كان علم أنها موجودة..

ههههه

وكانت ضحكة هازئة.. قاسية حد كراهيته للوضع برمته، شفتيه تحركتا باستهانة: هل تعلم أن ثائر كان سيكون زوجًا أفضل لدارين من هذا الأحمق، ثائر لم يكن ليضربها.. ربما حينها لم تكن لتهرب هَنا...

حبيبتك؟

قالها فوزي وقد استدار له باهتمام بعد أن ترك تشذيب أوراقه، ضاقت عيناه بقسوة: هي الآن تخص آخر..

ثم استقام يبغي الرحيل.. وربما الهروب كما يتقن وبجدارة.

أوقفه صوت القبطان بحزم:

لو ضرب رجل فدوى لقتلته.

وحينها استدار وبعينيه حزم أكبر.. ولكنه ساخر.. مستهزيء بكل الثوابت حوله، تابع فوزي وقد عاد لتشذيب أوراق الخس باهتمام أنيق: أنت أفضل من هذا.. كلنا نمر بلحظات مخزية ولكن يبقى الخيار نستمرّ أو نستفيق.

كتم ابتسامة مشوهة ليحي قبطانه بيدٍ واحدة قبل أن ينوي الرحيل، كانت هي قد عادت لتوها من الخارج.. أصبح صديق والدها الآن، يقضي معه وقت الظهيرة كله تقريبًا وتراه على الإفطار في بعض الأوقات، يحييها بابتسامة مهذبة ويتحاشى الحديث معها تمامًا.

كياسة لا تليق به.....

اقتربت من أبيها لتحييه بقبلة على وجنته فضحك لها فوزي وهو ينظر لأوراقه بفخر: سأعد لك أفضل طبق سلطة في العالم.

ضحكت وهي ترمق الصحن بشهية مصطنعة: وبعض اللحم المشوي سيكون إضافة رائعة.

رفع فوزي بصره نحو زياد الذي شرد على ما يبدو وهو يراقبهم ليتابع بنبرة آمرة: زياد أخرج شرائح اللحم من المبرد.. سأعلمك طريقة شوي الأضلع بحرفية طاهي فلبيني عجوز...

حرك شفتيه ليعتذر ولكن فوزي حرك سبابته أنه لا هروب وحينها ابتسمت هي بهدوء قبل أن تتخطاه محادثة أبيها: وأنا سأبدل ملابسي وأُحضر الطاولة ومن الأفضل أن تسرعوا لأنني جائعة.

هدوء لا يليق بها..

وكانت لحظات ممتعة رغم جمود فدوى...

ممتعة رغم أنها مع غرباء.. ممتعة لأنهم ببساطة لم يحاكموه.. يتهموه.. أو يوصموه بعار رجل ودَّ أن يبيع أخته.

وعيناها لاحقته في تلك اللحظة، ابتسامتها وبراءة أفكارها الوردية..

حبيبته الصغرى... دارين!

هي لا تستسيغ تلك الحفلات الإسترضائية، قررت عدم الذهاب وانشغلت بالفعل ببضعة أعمال مكررة ولكن اختناق الفكرة استحوذ عليها.

هي وثائر وليلة دون حبوب الحماية، من وقتها وهي تبحث بين مواقع طبية والكارثة أنها كانت قد نسيت تناولها الليلة التي سبقتها.. لم تفهم شيئًا مما قرأته وشعرت أنها في حاجة لاستشارة الطبيبة وربما في حاجة لنسيان الأمر برمته.

استقلت سيارتها ووجدت نفسها تصُف أمام الفندق المذكور في الدعوة، كان هناك الكثير من العملاء، فيبدو أن تأخيرات سليم هذا كانت خرافية.

انشغلت بهاتفها وسَّلم عليها هو بشخصه في اهتمام ثم اختفى مع مدعوينه..

المكان هاديء وهي تشعر بالملل فاستغرقت في مراقبة الوجوه، وعلى طرف القاعة الآخر كانت هناك امرأة أخرى هادئة الملامح، مرتجفة قدر شعورها بالندم للحضور وتحبس نفسها في زاوية جانبية متحاشية النظر نحو الجميع.

أجفلها همسه الذي اقترب خلفها فجأة: ما بك.. لن يتعرف عليك أحد؟؟

تنفست ببطءٍ: أعرف.

وتنفس هو بعصبية: وإن كان.. أنت هُنا في عمل نادية.

استدارت وقد تلونت نظرتها بتبرم غير مكتمل، تبرم بات بأقصاه حينما استشعرت دفء قبضته حول خصرها فجحظت عيناها ولكنه دفعها بخفة لغرفة صغيرة لا يستخدمها أحد.. أبعدت صدره عنها: سليم هل جننت؟؟

مرر أنامله فوق جبهتها ببطء: ششش لا تخافي.. لن يقترب أحد

أبعدت يده بيأس: سليم أود أن أرحل.. لقد استلمت طعامك وكل شيء على ما يرام

تابع تمرير أنامله بذات البطء وهو يحاول تخلل خصلاتها من تحت الوشاح: انتظرى ساعة وسنرحل سويًا..

أبعدت يده تلك المرة بإصرار: لا سليم.. سأغادر الآن.

وأوقفها هو بتملك لطيف حول فكِّها ليطبع فوق شفتيها قُبلة.. هادئة وسريعة ومستترة.

أو هكذا كانت تظن، فهناك عينان تابعتاها بذهول حتى وجدت نفسها تراقب الشغف من خلف باب شبه مغلق وشفتيها تتمتم غير مصدقة: نادية؟؟

الفصل التاسع عشر

لمَ؟!

هل يمر السؤال بعقلها من جديد.. هل تختبر لحظة أخرى فارقة؟؟

أبعدته.. كرهت أنفاسه.. وتعلقت عيناها بشبح من الماضي. للبعض قد تبدو اللحظة لا شيء.. وللبعض الآخر كل شيء..

ذهول أمام صدمة..

اختنقت هَنا، تراجعت للخلف كالمذعورة حتى تركت المكان ككل.. تعثرت بين خيالات بشر ودون أن تدرك وجدت نفسها ترتعش في سيارتها.

وتصلبت نادية.. تحولت في لحظات لمنحوتة شمعية صلدة، لا صوت.. لا تفسير.. لا دموع...

والنظرة متعلقة بباب الخطيئة ولكنها لا تملك الجرأة لتهرب!

بل عادت.. عادت بالذاكرة لأشهر، وحوار من القلب!

لمَ تخونيه نهى؟؟

اللعنة نهى أجيبي السؤال...

وجاوبت نهى..

اعتدت..!

هل تعرفيها؟

الآن عادت للواقع.. لوجوده ولقبلاته وللعري في أعين صديقة، لم تنظر نحوه.. كانت ما زالت هناك متعلقة بالباب، ترى هَنا واقفة رغم أنها رحلت ولم تكن بهيئة امرأة ناضجة بل كانت هَنا الطفلة، تبتسم لها في مرارة وتفرق جديلتها بمقص.. وشفتيها تنطقانها بقسوة...

قسوة لم تملك الجرأة يومًا على مواجهة نفسها بها...

«عاهرة»

ومرت نصف ساعة، أطول نصف ساعة في التاريخ.. امرأة متصلبة كقبضتيها على مقود السيارة، عيناها متجمدتين والأخرى هي الصورة الوحيدة في أفقهما...

والصورة تحوي قبلة.. انتهاك.. مشهد مقزز..

والبطلة لم تكن فقط صديقة الطفولة، بل كانت أخلاقها مثلًا أعلى...!

ومع ضيق أنفاسها مجددًا واشتعال غضب العالم أجمع ظهرت صاحبة النكسة وعينا هَنا في تلك اللحظة أخبرت نادية أنه لا تراجع..

ستجلس على منصة المحاكمة وستدلي باعترافات نهى..

تنفست ببطء.. زفير قاتل وشهيق لا يحمل راحة.. وقبضة هَنا زرقاء فوق المقود، أناملها تسجنه.. تخنقه وتحبسه وتوسعه ألمًا..

ليس زوجك!

نبرة ثقيلة.. خشنة وواقعية وتشبه المقص والجديلة، ابتسمت نادية بسخرية ولم تُجب.. استدارت تراقب الطريق والمارة من نافذة السيارة، تراقب ضوء الشمس المنحسر بفضل شتاءٍ بارد وصقيع حتى آخر العمر..

ليس زوجي.

جواب هادىء يشبه طقس ما قبل العاصفة..

من يكون؟

لا أحد!

لا أحد تسمحين له بتقبيلك؟؟

والصيغة بدت مشوهة كالحوار، فلا هو سؤال ولا استنتاج.. بل وقع ما بعد الصدمة، وصمتت نادية مجددًا، الجو بارد.. مؤلم للعظام.. مؤلم لامرأة تحتاج الدفء، واستدارت نحو هَنا وبعيناها نفس السخرية فلا هو ندم ولا خلاص ولا اعتراف...

تحبينه؟

أعاشره!

وصدمة تستوجب إغلاق الستار.. وملامح هَنا لا تستدعي كلمات تذكر، فقد أحرق القاضي تمثال العدالة وهشَّم عظامه وأخبر الجميع أن ثوابتهم كذبة.

وبكت البطلة.. وشفتاها ترتجفان باعتراف وليته ندم.. ليته بأس يحوي تراجع.

هي لا تملك رفاهية ذلك..

هي تطيح بالمرأة والميزان في رجفة صوت: نعم هَنا.. أنا أخون أسامة..

ثم استدارت وبدا لهَنا أن البكاء لحظتها دماء..

خيانة كاملة..

وفي قاعة العدالة الحكم ليس بالضرورة أن يكون منصفًا، الحكم ثقل رأس مُنهِك والقاضي ترك عباءته للجلاد وفشل في الدفاع عنها فهرب.. أسندت هَنا رأسها على مقعدها وكل أفكارها تتمحور في التواء شفتين، والعينان ترفض النظر والأنفاس تمثل حسرة والإلتواء هو خيبة الأمل.

صوت مقبض السيارة أخبرها أنها سترحل... استدارت نحوها بنبرة قاسية: هل الأمر يستحق؟

وتشبثت أنامل نادية بالباب النصف مفتوح وعيناها تمر فوق حصوات الطريق وكأنما تبتلعها لتزيد الغصَّة كما الرد تمامًا: لا!

وأوقفتها هَنا بتملك ذراع، مؤلم قدر تشبها بسبب أو حتى كذبة: ولمَ تستمرين؟

وعينا نادية تحجرت تواجه صديقتها بيأسٍ متَّهم لم يعد يبالي بدفاع: ولمَ أتوقف؟؟؟

وارتخت أنامل صاحبة الجديلة، سقط المقص وسقط الشرف.. والزعقة تحشرجت بشبه صراخ...

نادية هي من تشهق وتهرب وتصرخ دون صوت: أنتِ لن تفهمي أبدًا.. انسي تلك المقابلة.. انسي نادية لأنها لم تعد موجودة.

وتحركت مسرعة، بل تركت السيارة بالفعل ويدها ما زالت متشبثة بحافتها تضغط فوقها حد الإيذاء، ومع آخر خطوة رحيل تحركت شفتي هَنا بوداع... ببساطة لم تعد تحتمل أكثر...

اطلبي الطلاق.. ربما حينها تتوقفين عن خيانة نفسك.

وضغطت دواسة الوقود لتهرب وإن كان نتاج ذلك سحابة رمادية شوهت صديقتها أكثر.

❁

الزواج ليس راحة.. الزواج استعباد...

كانت المتحدثة امرأة خمسينية لها شعر أسود متفحم وشفتين قاتمتين دون حمرة وعلى ما يبدو لم تتزوج أبدًا.

الزواج شركة صغيرة أسسناها سويًا بالحب.

وتلك كانت ممثلة مغمورة شفتيها منتفختين لأسباب كثيرة وبهما دمج مجهول الأصباغ، تمرر أصابعها في خصلاتها المصبوغة حديثًا كل عشر ثوانٍ تقريبًا ويعلم الجميع أن آخر بند في تلك الشراكة المزعومة عنها وزوجها هذا المدعو الحب.

انكشمت في أريكتها الداكنة ولاحت فوق شفتيها الورديتين ابتسامة غير مكتملة.. ساخرة تُشبه بحد كبير زعيقه هذا المساء حينما طلبت منه أن تزور أمها، كانت قد استرجعت في عقلها أوامره العدة التي بات حفظها ثقيلًا قدر آخرها..

آخرها الذي بكت لأجله وتوسلت دون فائدة...

ممنوع عليها رؤية هَنا...!

وانتهى الجدال وانتهى النقاش لأنه يشتهي الراحة، وليلة الأمس ظنت أن مفتاح نجاتها في الاشتهاء فارتدت غلالة حمراء وصبغت شفتيها بلون يحبه..

شموع.. عشاء.. شبه إغواء...

وطلب تم رفضه وكأنه علم أنها تتحجج لترى هَنا...

وهكذا... أحمد 1 ، الغلالة 0 ،

ونام دون أن يقربها....

الزواج نظام اجتماعي فاشل...

كانت الخمسينية تزعق، أسنانها صفراء غير متناسبة مع لون شفتيها الصارمتين وكأنها دخنت الكثير والكثير من السجائر وبكت وصرخت ولعنت الأطلال لأنها لم تتزوج حبيبها ذو الشارب الرمادي ثم لعنت الزواج ككل.

الزواج هو نصف السعادة والحب نصفها الآخر.

الممثلة الحالمة ومعها يبدو أن الغلالة تُجدي.

أغلقت التلفاز وغاب الانحناء المتنكر في ابتسامة وجاورته على الفراش، شعرها معقوص دون اهتمام وجسدها ملتف بمنامة طويلة شتوية ولا تنوي بشفتيها حُمرة، ومنطقها عن الزواج بات مختلفًا تمامًا.

الزواج مراوغة.. ولكي تنجو اكذب...!

❁

روتينه بسيط وليس عليها سوى أن تحفظه تمامًا، تستيقظ في السابعة قبل موعده بساعة كاملة.. تحضر إفطاره وملبسه وساعته وكوب قهوة ثقيل، تتقن كي قميصه وتتوقف عن حرق بنطاله وماما شوقية تقول أن الزوجة الماهرة لا تترك عمل منزلها لآخرون.. أبدًا.

وربما يزعق معها.. مرة.. اثنتان.. ربما القهوة مذاقها سيء، وربما بنطاله متسخ ببقعة غير مرئية..

ربما أشياء كثيرة ولكن النتيجة واحدة دون تغيير..

زعيق.. وسبٌ وإن كانت محظوظة ستتجنب الصفعة!

ضعي القهوة على الطاولة.

كانت تشعر بصداعٍ قاتل، هاجمها الأرق ليلة أمس وبعده بنصف ساعة

بدأ البكاء وخافت أن توقظه فتسللت تبكي للشرفة حتى أرهقها البرد فنامت، ابتلعت حبتي مسكن على عُجالة وهي ترتشف بعض العصير كي لا تفقد توازنها ثم عادت لتجهز الإفطار مع محاولة ضبط القهوة.

كان ينهي آخر زر في قميصه وينثر عطره بتعجل متأففًا من ضيق وقته ومع محاولة ترتيبها للمائدة انتفضت مع زعقته الأولى بهذا الصباح..

متأخرة دارين كالعادة.. افعلي شيئًا مفيدًا ولو لمرة.

وقبل أن يقذف بفمه بعض اللقيمات صرخ جرس الباب مقاطعًا تأنيبه في سابقة أولى، بفضل زائر غير مرغوب فيه تمامًا..

وهي تهمس بابتسامة متوجسة: زياد؟؟

في حياة أخرى صدق الابتسامة، وابتسامة زياد كانت هادئة.. صافية ومسترخية وتعرف وجهتها تمامًا..

لكمة نحو وجه السافل!

هل جننت؟؟

كان زعيق أحمد قد بلغ مداه وهو يُمَلِس فوق فكه بغضبٍ إبليسي تعرفه تمامًا، عادت إلى الخلف خطوتان وقد ترقرقت عيناها بالدموع فنظر نحوها زياد نظرة جانبية سريعة دون أن يحرك جسده من أمام غريمه المهتاج ثم همس بنبرةٍ آمرة: لغرفتك دارين..

لم تجبه وظلت تحرك وجهها غير مصدقة والدموع تتساقط ولكن زعقته التالية أجبرتها على الهروب.

ولو كانت تعثرت أو تباطأت لدقيقة واحدة كانت ستلمح ذراع أخيها القوية وهي تلتف حول رقبة زوجها الحبيب، ربما زياد فارغ العقل كما يُطلق عليه ولكنه يتمتع ببنيان يتخطى طموح أحمد في حلبة قتال.

همس مظلم أكمل به تهديده: لو وضعت يدك عليها مجددًا ستندم أيها الحقير!

ومحاولة تملص نجحت في النهاية والأستاذ الجامعي يعدل من ملابسه وعيناه تترجم حقد غير مضمون العواقب: ما بيني وبين زوجتي لا يخصك.

تلونت شفتي زياد بابتسامة قاسية وخَطَا لِيقترب منه مجددًا وبصوت رغم خفوته إلَّا أنَّ التهديد واضح: حسنًا سأترجم لك الكلام بطريقةٍ أخرى.. لو اقتربت منها..لو آذيتها بأي صورة أيها البائس سأحطم وجهك.. سأفسد عالمك وسأفضحك دون هوادة وسأدمر واجهتك الكاذبة أمام الجميع وخُذها مني نصيحة.. أنا الفاشل.. أنا الطائش الذي يفكر في الأمر بعد تنفيذه وأنت لن تحب معاداة رجلٍ مثلي.

ومع كلمته الأخيرة كانت عيناها تتلصص.. ترتجف بعبرات متجمدة وتراقب نظرات أخيها الحادة نحو زوجها الذي لم يختلف بدوره، فقط ابتسامة واسعة.. قاسية ومشوهة وغامضة قدر نبرة صوتهِ وهو يستعد للرحيل!

كان بودي المكوث معك زياد ولكن لدي محاضرة في التاسعة.

ثم استدار نحو الغرفة بنصف حركة وكأنه يعي تلصصها: سأتركك في ضيافة أختك.. واثق أن لديكم الكثير لتثرثرون بشأنه.

وببساطة خرج.. خطواته رافقت خروجها المتردد من الغرفة وعيناها تحمل تخوف واحد: لماذا؟!

❁

أم محروس...

عجوز تعدت حاجز الستين، بشرة سمراء متغضنة.. شفتين رفيعتين مع وجه طولي يشبه شخصية قاسية في فيلمها الكارتوني المفضل وشعر يبدو رمادي

تكومه تحت وشاح. وأم محروس قليلة الكلام أو هكذا كانت تظن فهي تأتي للمنزل بوقت العاشرة صباحًا بعد ذهابهم للعمل.. تنظف وترتب وتعد لهم الغداء وترحل في العاشرة مساء.

ذات اليوم، وقائمة الغداء بشكل ما تُشبه الثائر فالطعام ليس حميميًا دافئًا كما اعتادت بمنزل ثناء ورغم أن المذاق طيب إلا أنه يفتقد البهجة.

واكتشفت أن البهجة موجودة وأن أم محروس ثرثارة تحشر الهاتف بين وشاحها وأذنها طوال الوقت وتحدث سيدات العالم أجمع وأن محروس هو ولدها الأكبر وأنجبت بعده سبعة وأنها تعمل في منزل ثائر وأهله من عمر الرابعة عشرة دون انقطاع.

تنهدت بسخريةٍ وهي تحاول إنهاء قهوتها والصداع إن أمكن.. لها أكثر من عشرة أيام تقضي صباحها مع حكاوي أم محروس، صوتها الصداح وكأنها تُحادث جمهورها في ملعب كرة قدم وليس هاتف فضي لا يتعدى الثلاث إنشات، عشرة أيام بعد قرارها الغير مفسر بأخذ أجازة.. لم يستطع مديرها الرفض فهي العروس التي عادت لعملها بعد ثلاث أيام فقط من الزفاف.

كان يراها مثابرة.. وكان يظنها مجنونة.

وهي وقَّعت أهم ورقة قبل أن تأخذ إجازتها الطويلة.. أنهت التعامل مع شركة الحقير، ومع ذكره كانت دقات قلبها تتقافز.. ترى نادية وترى اعتراف وعري وانتهاك وخيانة.

ارتجاج.... وكأن الثوابت انفجرت..

هربت مجددًا من أفكارها وقررت هذا الصباح أن تتخلى عن راديو أم محروس وتشاهد التلفاز، صوت وصورة.

كانت العجوز تقف جوار حوض الجلي وعلى ما يبدو تُعذِّب دجاجة، لا داعي لتصور ما ستفعله فالأمر معروف.. ستدق عظامها وتتبلها وتشويها مع بضعة خضروات وأرز.

وجبة أخرى مملة..

وكانت أفكارها بصوتٍ فاستدارت المرأة على الفور دون أن تفسر كلماتها تمامًا: سيدة هَنا.. هل تأمرين بشيء؟؟

تجمدت ملامحها قليلًا قبل أن تتحرك شفتيها بتفكير موازي: ملوخية.

ماذا؟!

سألت المرأة بدهشة ولكن هَنا تخطتها وكأنما انفجر بداخلها ينبوع طاقة: ستعدين ملوخية وأريد أيضًا الفراخ المحمرة في السمن والأرز بالشعيرية.

فتحت أم محروس فاهها لفترة ليست بهينة وهي تراقب مخدومتها الشابة بهيئة لا تنكر أنها تبدو مزرية، قميص فضفاض من حقبة غير معلومة.. بنطال منزلي منقوش وخف على شكل ثمرة..

خصلاتها كانت منسدلة حول وجهها وعيناها بها أرق واضح، ابتسمت المرأة بتردد وهي تترجم برأسها بدائل أخرى، فهذا الذي تطلبه لا يناسب ثائر أبدًا!

تنحنحت لتحاول.. مجرد محاولة باءت بالفشل فهَنا المتشبثة بكوب قهوتها تجولت بعينيها في المطبخ وكأنما تفكر: وربما أيضًا بعض فطائر اللحم.

ثم شردت لوهلة، ولأول مرة منذ عملت أم محروس في منزلها هي وثائر تلمح بنبرتها ضعف..

شردت عينا هَنا وكأنما تحادث نفسها: أريد طعامًا يشبه ثناء.. يشبه بيتي القديم وغرفة السطح وأربع فتيات قلوبهن وردية..

وابتسمت باشتياق..

نحو سعادة دارين..

ابتسامة صدفة..

نقاء نادية....

وقوة هَنا....!

❁

فراخ مُحَمَّرة محشوة.. طاجن خضراوات ثقيل النكهة، فطيرة الرقاق المحشوة باللحم.. أرز بالسمن والشعيرية والحساء الأخضر!

نظر للشوكة والسكين بيديه والطبق الفارغ وتشمير ذراعي أم محروس التي على ما يبدو قد حققت إنجازًا تاريخيًا في إفساد وجبته، رفع عينيه نحو زوجته التي لا تلازم المنزل فقط منذ عشرة أيام دون سبب واضح بل تعاني من أرق بالغ دمر ساعتها البيلوجية وخلايا مخها على ما يبدو والآن هي تأكل بشراهة مثيرة!

وكان قد لوى شفتيه بامتعاض مع سخرية لفظ مثيرة الذي مر بعقله، رفع حاجبه الأيسر وهو يراقب قطعة الدجاج المدهنة أمامه ثم نظر لأم محروس في غضبٍ فاختفت مسرعة وهي تتمتم: الغداء اليوم على ذوق السيدة هَنا.

تركها ليرمق الطبق بغيظ: واضح

الجميل أنها لم تلتفت له أبدًا.. كانت تلتهم وجبتها بنهم وتتلذذ بالحساء الأخضر الذي لم يستسيغه يومًا، حرك وجهه بيأس ثم بدأ بتقطيع المناسب من دجاجته مكتفيًا معها ببعض السلطة.. ليخرج صوتها أخيرًا بعد أن انتفخت بالكوليسترول: أنت لا تشبهني أبدًا

رفع عيناه نحوها بجدية وقد فهم أنها قررت أن تخرج من عزلتها أخيرًا: ماذا؟؟

حركت سبابتها تشير نحو طعامه: لا تشبهني.. أنت تأكل كفتاة مدللة.

تغاضى عن الهيئة المزرية والخف المضحك واضطرابها الغريب على مدار الأيام الفائتة وترك لها مساحة ولكن الآن سيقتلها.. بل سيريها ماذا ستفعل بها الفتاة المدللة، وضيق عيناه وقد ترك طعامه وبنبرة مغتاظة ردَّ وبحدة: هل اقتربت عادتك الشهرية؟؟

احمر وجهها لتفتح فمها باغتياظ أكثر من ثلاث مرات ثم تحدثت باعتراضٍ واضح: ماذا؟ ما دخل.....

قاطعها: أنت مضطربة.. غاضبة طوال الوقت.. تأكلين كثيرًا، وتحدثين نفسك بدورة المياه.. والآن هذا!

ثم أشار نحو الطعام، قاطعته بنفي معاند: هذا ليس له علاقة.

حرك كتفيه بلامبالاة وهو يضع فوطة طعامه على المائدة: أنا أعلم أن النساء يتوترن بقرب هذا الموعد.

ثم نهض ليتخطاها ولكنه مال ليقترب من أذنيها هامسًا: كما أن نهديك قد كبرا قليلًا!

استدارت بعيون جاحظة وقد غزا الاحمرار وجهها وحاجبيها قد تقوسا بغضبٍ وقبل أن ترد قال بصوتٍ خشن وازى رحيله: وفي المساء لنا نقاش بأمر الفتاة المدللة!

ولا يحتاج للإستدارة لرؤية وجهها.. ولكنه على الأقل يضمن أنها ربما تقضي ليلتها مستيقظة بجانب المسبح وهذا سيضمن له نومًا هادئًا!

❁

بعض القرارت تحتاج لأن تتخذها فورًا، أو كما يقال «لا تتردد»!

واتخذت قرارها وتجاهلت كل العواقب، تخوفها من مجتمع سيرهق مطلقة

تسكن وحدها.. تردد مريم.. ودموع سميحة.

كان صاحب العقار رجلًا طيبًا وعلمت أنه يسكن وزوجته وثلاث فتيات في أول طابق وهذا أراحها قليلًا، تساهل معها لأجل توصية عز ورغم رفضها المبدأ إلا أنها اضطرت أن تقتنص الفرصة.

كانت تحتاج للخروج من هذا المنزل.. وبأقصى سرعة.

الأيام مرَّت مرهقة، اتفاقات بشأن مدرسة مريم لتوصلها هي في الصباح الباكر وتعود الطفلة بالحافلة لمنزل سميحة حتى تمر لاصطحابها بعد الخامسة.

أنفقت كل مدخراتها التي باعتها على غرفة نوم وردية تناسب الطفلة وغرفة معيشة بسيطة والتلفاز والموقد وتنازلت عن الغسالة للشهر القادم.

زفرت براحة وهي تتفحص جدران الشقة وحاويات الألوان التي ابتاعتها هَنا..

سنقوم بنقش جدرانها سويًا، واستعدي لمفاجأة....!

كانت قد خلعت وشاحها وبدلت ملابسها ببنطال قديم من الجينز فوق بلوزة بيضاء هادئة وألبست مريم شورت قصير يشبه بنطالها ثم جمعت لها شعرها في جديلة وغطته بكيس بلاستيكي صغير وهي تهمس لها في شقاوة: سنمرح بالألوان قليلًا...

ضربت مريم كفيها في مرح: سنرسم؟؟

ضمت صدفة حاجبيها وكأنها تفكر بجدية: سنلون.. سنجعل غرفتك وردية..

ضحكت الفتاة بابتسامة واسعة ولم تشعر صدفة إلَّا وهي تحتضنها بشدة: أحبك ماما.

دمعت عينا صدفة لوهلة قبل أن تحيط وجه ابنتها بكفيها وبحة صوتها تخرج بحنو: وأنا أحبك يا روح ماما.

وقبل أن تحبس عبراتها دق جرس الباب لتتحول العبرات لانفعال كان أجمل بهجة، أخبرتها هَنا أنها ستحضر مفاجأة ولم تتصور أنها دارين.

لا أصدق

قالتها وهي تتوجه نحو الشقراء لتحتضنها بقوة ثم مسحت عبراتها التي أوشكت على الظهور: أحضرتي لمنزلي ملكة جمال.

ضحكت دارين بتأثر قبل أن تحتضنها مجددًا: يا إلهي كم أفتقدك

ثم تركتها لتتبدل ملامحها بحنو واضح وهي تنظر للطفلة خلفها: مريم؟

أومأت صدفة بابتسامة وتقدمت الصغيرة التي كانت عيناها متعلقة بهَنا بانبهار.. ضحكت دارين لتغمز لابنة عمها: يبدو أنها كثائر تفضل الشعر الأسود.

ضيقت صدفة عيناها بمكر وهي تنظر نحو هَنا: يبدو أنه فاتني الكثير من الأحداث

شزرت هَنا دارين بغيظ قبل أن تتركهما وتتجول في منتصف الشقة وهي تنظر للجدران باهتمام: هذه الجدران باهتة.. لا تقلقي سنُحَوِّلها تمامًا ثم غمزت لدارين التي ضحكت وقالت بمكر قبل أن تضع يدها على كتف صدفة التي شعرت أنها ستتوه مجددًا بعصابة منزل الشامية: لا تقلقي حبيبتي.. لقد حولت غرفة معيشة زوجها لرداء مهرج

ثم تركاها لكي يبدلا ملابسهن وهي مذهولة..

متى ترقص..؟؟

هل وقت الفرح أم الحزن أم أن تلك الإنحناءات تفريغ طاقة؟؟

كانت هَنا قد لفت شعرها بكيس بلاستيكي كصدفة وابنتها أما دارين فقد تركت لشقرتها الإسترسال فوق بلوزة وردية وبنطال قصير بلون أبيض، كانت مشرقة ربما ككلمات أغنية الزهور التي ترددها أصالة تسحب يد مريم من حين لآخر لتشاركها الرقص وتلكز هَنا كي تحاول، أما صدفة فاعترفت أنها فاشلة في هذا الأمر تمامًا!

ولكنها كانت لوحة جميلة.. تشبه الورود، تشبه صداقة قديمة كان يجب أن تعود للحياة مجددًا.. تشبه ثلاث نساء يُخرجن كل ما اعتمر بقلوبهن من وجعٍ وإن ترجموه على شكل رقص!

ضحكت صدفة حتى أدمعت وهي تمسك بجنبها الأيسر وتجلس على الأرض من التعب: أخبرتكن أنا فاشلة.

جاورتها هَنا وقد شعرت بالإجهاد بدورها ثم تابعت وهي تنظر بحقد نحو دارين: محترفة.

ثم أرجعت رأسها للوراء ضحكًا وهي تغيظ صدفة: هل رقصتي لزوجك من قبل..؟؟

لأنه لو فعلتي أعتقد أنني أعلم سبب الطلاق....

لكزتها صدفة بغضبٍ مصطنع بعدما كادت تدمع من الضحك ثم ملست فوق شعر ابنتها النائمة وهمست لدارين بشقاوةٍ: أنا أعتقد أن أحدهم محظوظ.

ضحكة دارين بدت ساخرة، حيث رفعت كتفيها بلا اكتراث: هو لم يطلب أبدًا.ثم توجهت نحو حقيبتها لتخرج بعض الطعام: لنستريح قليلًا.. أعددت لكم بعض الساندويتشات.

جذبت هَنا واحدًا فآخر وكانت تلتهم الطعام بسرعة وهي تتابع رسائل هاتفها فقاطعتها دارين بمشاكسة: لقد بدلك الزواج يا هَنا.. لو استمرت شهيتك

هكذا ستتحولين بشكلٍ ممتع!

ضحكت لها هَنا باغتياظ ثم تابعت تناول طعامها هاربة من كل فكرة، ربما هاربة من تفاصيل نادية التي تحمل عبئها وحدها وربما من هروب دارين من حقيقة أنها تخاف زوجها فباتت نجاتها في الكذب ومقابلتها من خلف ظهره.. وربما حياة صدفة التي تدوس فوق أول تحدياتها وعيناها تحبس خوفًا من القادم.

تنهدت دارين وشردت في ضوء الشمس وقد لاحظت صدفة أنها لم تقرب شريحتها، بعد لحظات من الصمت خرجت من هَنا مزحة مشوهة: أنتِ تحافظين على رشاقتك أم أنه أفسد شهيتك؟؟

نظرت صدفة نحوها بتوجس ثم رمقت دارين التي لوت شفتيها بسخريةٍ: ربما لست جائعة.

لم تصمت هَنا.. ومتى تصمت هَنا؟؟

الأمر روتيني ممل.

وكانت ساخرة بدورها، ملست صدفة فوق شعر ابنتها وفكرت في ألف حيلة كي تبدل الموضوع ولكن عقلها تجمد تمامًا.

تابعت هَنا: أتعلمين.. أعتقد أنه لو مات وهو في عمله سيخبرهم بصوته الأحمق.

«لا تعيدوني للمنزل قبل الرابعة.. أنا روتيني أحمق»

حركت دارين رأسها في يأسٍ ونهضت تلملم أشياءها لقرب موعد الرحيل: تكرهينه هَنا.. لا أحتاج لسماع المزيد، أنا أعلم هذا جيدًا.

وأخرجت ملابس سريعة لتضعها فوق ما ترتدي باستعجال.. استقامت هَنا بشكل سريع وتفاجأت صدفة بها تجذب دارين من ذراعها بعنف وهي تنطق

بوجع: عندما ذهبت إلى ثائر لم يكن فقط من أجل حبك الأفلاطوني لأحمد.. لقد كان لدي هاجس مخيف أنك ستتزوجين رجل يؤذيك!

ثم تركتها لتفرك رأسها بتعبٍ وأكملت: لم يكن ثائر.. لم يكن أبدًا ثائر.. كان من البداية أحمد.

تجمدت دارين، بل تصلبت ككل.. هل لذكر هَنا الحقيقة؟؟

ليس بشأن ثائر بل أحمد..

حاولت تخطيها لترحل ولكنها توقفت فجأة.. أي فكرة كانت تمر بعقلها لا أحد يعلم استدارت لتحتضن هَنا بقوة ثم همست قرب أذنها بصوتٍ مكتوم: أنا أحبه.

رفعت هَنا حاجبها في يأس: سأقتل نفسي.. أنتِ لا زلت رومانسية!

ضحكت دارين وهي تجذب رأسها العنيد لتقبله بقسوة: وأنت قدرك الثائر فإياكي أن تحاولي الهروب منه!

ثم تركتهم لتلحق بموعدها فالساعة قاربت على الثالثة وموعد زوجها المعتاد اقترب.. سيعود وسيجد طعامه ومنزله وابتسامتها وشموع وكذب ساعدها حتى الآن على تحاشي صفعاته.

نظرت صدفة لهَنا التي أسندت رأسها على ركبتيها في إجهاد: ستكون بخير!

خرجت من هَنا ضحكة هازئة وهي تتابع: يؤذيها صدفة.. يضربها وهي غبية متعلقة به بمرض، أنا خائفة..

ثم تنهدت لتكمل وعيناها تتذكر اعترافات نادية: خائفة ألا تستفيق إلَّا بعد فوات الأوان.

تعالي.

قالتها صدفة بحنان وقد تركت مساحة صغيرة فوق ساقيها لتضع رأس هَنا فوقهما ثم بدت في تدليك فروة رأسها ببطءٍ متابعة: أريحي عقلك قليلًا.. وبعدها أنا أود أن أسمع عن هذا الثائر.

ثم ضيقت عيناها في مشاكسة لتضم هَنا حاجبيها في يأس.. والأفكار تلتصق بشكل ما بالثائر وباحتمالية تأخر عادتها الشهرية!

❁

تم الأمر!

قالتها صاحبة الغمازة وهي تنظر حولها في فخر، سَاعدْنها الفتيات في إنهاء عمل يوم كامل وفي الصباح التالي وضعت أثاثها كله وامتلكت نفسها.

مكَانها.. كيانها.. حريتها...

وربما الجنون...

صرخت مريم في فرحٍ: غرفة وردية!

وكانت جميلة.. حوائط مدهونة بلون وردي هادىء مع رسومات انتقتها بعناية، خزانة مبهجة ومرآة على شكل زهرة وفراش متوسط سيكفيهما سويًا.

احتضنت ابنتها من الخلف ثم قبّلت جانب جيدها وهي تهمس بتنهيدةٍ دافئة: هذا منزلنا مريم...

ثم حركت عينيها بشقاوةٍ قبل أن تجذب الطفلة: هيا

ضحكت مريم لا تفهم: ماذا؟؟

وفوجئت الفتاة بجسد أمها الصغير يصعد فوق الفراش لتقفز!

مرة وأخرى فأخرى.....

هيا مريم.

حركت مريم كتفيها في براءةٍ: ولكن.. جدتي تقول هذا ممنوع

توقفت صدفة.. شردت ملامحها لوهلة قبل أن تستعيد ابتسامتها والشقاوة بعينيها تسبق العبرات: هذا مكاننا.. نحن من نحدد الممنوع ويحق لنا رفضه تمامًا

وتلك المرة كانت القفزات ثنائية، بين أنثى وطفلة..

تملكان أبسط مطالب في العالم... حياة.......!

الفصل العشرون

الرمّان.....

حين تنوي الإستئثار بثمرةِ رمان فلتعلم أن الأمر ليس سهلًا، فعليك أولًا انتقاء ثمرة ناضجة كي تحظى بهذا الفرط النبيذي القاتم.. أن تعاملها بحرصٍ كي لا تنال من غضبها فوضى.. وفي النهاية قد يحتاج البعض لنثرات السكر...!

سكر ماما.. أريد السكر.

صرخت مريم المتشبثة بسور الشرفة لا تنوي تركها أبدًا على ما يبدو.. اقتربت منها صدفة وقد أعدت لها طبق الرمان الذي تحبه وأضافت عليه السكر كرغبتها تمامًا، الطقس كان منعشًا يحمل رائحة تلك النسمات النقية بعد سقوط المطر.. تنفست صدفة ببطءٍ وعيناها تتجول في الحي الهادىء وسيارات المارة المصطفة على جانب الطريق تلمع بانعكاس نقي يرسم فوق هيكلها ظلال الشجر.

ماما انظري

أخرجتها مريم من تأملها لتلمح في شرفةٍ مجاورة عصفورة صغيرة بلون أخضر مبهج، كانت تحرك أجنحتها بانفعالٍ يصاحب زقزقة متحمسة لتلك العصفورة الرمادية، التي تناوشها من فوق السور. الرمادية تشتهي الطعام والماء وتلك الأرجوحة الملونة في وسط القفص أما الملونة فتشتهي الحرية.....

أريد واحدة أمي.. أرجوك

صرخت بها مريم بحماسٍ وعيناها متعلقة بالعصفورةِ الملونة.. مبهجة.. جميلة ومميزة ورغم هذا عينا صدفة كانت تتعلق بالرمادية..

ربما هي جائعة.. مكررة.. عادية! ولكنها حرة..

ابتسمت صدفة لمريم وشردت بهدوءٍ وهي تداعب فمها بحباتِ الرمان: ربما أبتاع لك واحدة يومًا ولكن لا أعدك بإغلاق القفص.

وضحكت الصغيرة.. ربما لا تفهم.. ربما لا تستوعب المعارك المشتعلة بعقل أمها.

ولكنها حتمًا ستدرك كل شيءٍ في موعده.

ومع ابتسامتها هي ونثرات السكر فوق طبق الرمان رفعت عيناها وليتها لم تفعل، كان يقف بشرفةِ قُبالتها تمامًا لا تفصلهم سوى بضعة أمتار على الأكثر.. بين أنامل يمناه قدح قهوة وعيناه تراقبانها بتمعن، ظلت متصلبة لأكثر من نصف دقيقة.. غابت عن شفتيها الغمازة وارتجفت حبات الرمان!

كان يرتدي قميصًا أزرق فوق بنطال كلاسيكي بلون رمادي مُتزِن، يرفع قدحه ببطءٍ والرشفة تليها ابتسامة وعيناه تُخبراها أنه هناك!

قريب.. ربما قريب أكثر مما يجب... ربما لو كانت علمت لهربت..

وابتسم مجددًا، وتلك المرة تحية.. واضحة ومباشرة وتخصها هي ولا تعلم أنه يناوش لينال الغمّازة...

وارتعشت يدها... وتبعثر الرمان....!

سكر؟!

لم تكن تعلم أن نشوى تسألها للمرة الرابعة وأن كوب الشاي خاصتها بات ثلجيًا وأنها في الأساس ابتلعت نصفه دون أن تعي أنه دون سكر.

وفي مواقف كتلك تضحك نشوى، تغمز لها والمزحة تشاكسها عن غياب عقل وأن التطور الطبيعي للشرود عند المرأة ظل رجل.

تركت الشاي ولم يكن لها رغبة لتناول إفطار وتعلم أنه بعد نصف ساعة هي على موعد معه.

وتوترت وابتلعت ريقها وحديثها لنفسها لائم..

ما المشكلة؟

هو اجتماع عمل.. مستثمر وفريق عمل لتقديم عرض هام وهي مسؤولة عن تنظيم جدول المقابلة.

باحتراف تام.. تجاوره على طاولة الاجتماعات ورداءها محتشم ربما أكثر من اللازم، تنورة فضاضة وقميص هادىء ووشاح تصر على جعلهِ أخضر، تقلب أوراقها بحرصٍ وتشير له بهمسٍ على التفاصيل المهمة، ومضطرة هي تقترب وتلاحظ أنه يرتدي ربطة عنق لا يتحملها وأن زر قميصه الأعلى مفكوك لا يبالي وأنه يرتدي عوينات خاصة للقراءة وأن ساعته فضية تحمل أربع توقيتات مختلفة وقدح الشاي بارد، ثلجي كما لم تعتاد أبدًا ولكنها هذا الصباح استساغته.

ولا تعلم أن شفتيها حينها لوهلةٍ ارتاحت، تمددت بمناوشةٍ تخبرها أنها تهتم وأن نبرة صوته تهديها راحة وأن عطره دافيء و حينها غافلتها الابتسامة واقتنص هو الغمَّازة.

صدفة

كان الجميع قد غادر والمستشمر سعيد والصفقة ناجحة وهو هناك قبالتها يخلع سترته ويحل ربطة العنق الخانقة ويشعل بشوقٍ سيجارة.

تنفس براحةٍ: عميل يكره التبغ.

لا تنكر أنها ابتسمت.. بل توسعت ضحكتها وهي تراقب سعادته بتبغه كسعادة مريم بقطعة الحلوى.

أومأت بتفهم تبعةُ توتر فهو قال صدفة واحتجزها بصدفة ولا يفعل شيء سوى معانقة دخانه..

تنحنحت فضم حاجبيه ببراءةٍ وكأنه يتذكر: آه.. أولًا أشكرك على ملاحاظاتك الهامة.. لقد كدت أنسى المفاوضة بشأن الشرط الجزائي..

أومأت مجددًا بلاشيء.. إذا انتهى فلترحل فورًا ولكنه لم ينتهي، أبدًا لن يفعل..

استراح بجسده فوق مقعده الدوار لترتخي عيناه قليلًا وهو يرسم دخان تبغه فوق السقف قبل أن يقتنصها مجددًا بنظرةٍ مباشرة: وثانيًا أنا جار هادىء جدًا لا أخرج لشرفتي سوى في مناسبات خاصة فلا داعي للهرب..

وسحابة دخانه تلك المرة متلاعبة، فكل متعة تبغ هي مناسبة خاصة..

ولكن الرسالة واضحة.. مباشرة ومسيطرة وستستأثر بأفكارها قدر عيناه..

لن يسمح لها بأن تهرب!

❁

مجنون؟

ربما..!

حلة رسمية أنيقة.. قميص كلاسيكي مقلم، ولا ربطة عنق وهذا جيد

فببساطة هي لا تناسبه.

كانت تستقل سيارتها حينما لمحته أمامها، يظهر فجأة ويختفي فجأة ويصادق أبيها فجأة وها هو الآن يختار مظهر حليق وسيم ويبتسم لها بتحيةٍ راقية!

لوت شفتيها ساخرة وحينها اقترب من نافذة السيارة ممازحًا: وأنا من راودني شعور كاذب بأنكِ ربما افتقدتي صُحبتي!

حركت فمها بلامبالاة: أنت قلتها شعور كاذب.

ابتسم بثقةٍ ثم سألها: القبطان بالمنزل؟؟

أومأت رأسها بلا اهتمام ثم أدارت مفتاح السيارة وكانت تظن أنه سيرحل إلا أنها فوجئت به يفتح الباب ليجاورها ببراءةٍ فالتفتت له متعجبة: ماذا؟!

حرك كتفيه بعفوية: ماذا؟

أمالت رأسها بغضبٍ فهمه من عيناها جيدًا فتابع قبل أن تنفجر أكثر: هناك مقهى في نهاية الطريق رائع.. سأدعوكِ لبعض القهوة.

ضمَّت قبضتها وبدت وكأنها تحصي شيئًا وحينها توسعت ابتسامته حينما فهمِ أنها تعد من واحد لعشرة لكي تتحكم في غضبها...

فتحت عيناها في غيظٍ ولسان حالها يتوعد أبيها الثرثار ثم حركت كَفَّها بشكل أفقي تصرفه: اشربها مع أبي..

لوى فمه مشاكسًا: ما زال الوقت مبكرًا لهذا عزيزتي.

لم يكتمل تهكمه فحينها عاد جسده إلى الوراء رغمًا عنه حينما تحركت بسيارتها فجأة وبسرعةٍ تتخطى المسموح يا حضرة الملازم!

وكان يكررها بسخرية وهو رجل متهور بالخليقة فلن تربكه السرعة، ارتدت نظارتها الشمسية لتحادثه دون اهتمام: لنأخذها في قسم الشرطة.. أنا لا أحبذ

المقاهي.

أخرج هاتفه يدعي عمل شيء ليحادثها بذات اللامبالاة: يبدو لي مكانًا رومانسيًا

ثم استدار نحوها ليغيظها أكثر: ذكرتيني بمسلسل فكاهي حديث.. تناولا الشاي حينها في لجنة!

فتحت فاهها في غيظٍ وقد استوعبت تشبيهه ولكنها لم تخفف من سرعتها ولم تنظر نحوه مجددًا رغم أنه أكثر الكائنات إزعاجًا على وجه الأرض، تحرك في مقعده أكثر من ثلاثون مرة وعدل من هندامه أمام المرآة كفتاةٍ غبية وأخيرًا امتدت يده لمذياع السيارة ليغير المحطة التي دعاها مملة ثم أغلقه ببساطةٍ ليخرج من سترته اسطوانة رقمية قام بتشغيلها دون إذن وكأنها سيارة أبيه، وهكذا قالت هي دون تجميل أو حتى مجاملة: سيارة أبيك؟؟؟

وردَّ هو بهدوءٍ استفزها أكثر: بل سيارة أبيكِ.

ولم يعقب ترك الموسيقى تصدو وأراح رأسه يسمع بكل ابتهاج، وكان يعلم أنها كما انطلقت فجأة ستتوقف فجأة ولهذا ثبَّتَ حزام أمانه جيدًا، استدارت له وقد أربكتها الغمغمات إن صح التعبير لكلمات أغنية لا تمت لأي لغة بصلة..

ما..؟

ولم تُكمل، كانت مرتبكة تحاول أن تفهم تلك الفوضى ولكنه جاوبها بهدوءٍ يناقض الإيقاع فوق أذنيه...

أغنيتي المفضلة.

كانت على وضعها ترمقه بملامح لن ينساها طيلة حياته، توليفة من الغضب والغيظ والدهشة ومحاولة فهم هذا الشيء الذي يهذي بشبه كلمات ولكنه لحن جيد..

ممتع.

وقالها حينها بهدوءٍ أكثر ثم تابع: اللحن ممتع.

ثم حرك رأسه يدنن مع الكلمات وكأنه يحفظها والابتسامة منفرجة بشفيته في تناغم كامل، وكان يود أن يريحها ولكن مشاكستها متعة أخرى فناوشها بعيناه مجددًا: أهديك كلماتها.. هي بشكلٍ ما تترجم شعوري...

وكانت القاضية، الشعور الوحيد الذي تعلمه هي أنها قد تجذبه الآن من شعره وتقذفه خارج سيارتها...!

ومجددًا واحد اثنان.. خمسون....

وكفها كرر صرفه بثلاث حركات وغيظ مكتوم أخبره أن قواعد السلامة تقول كفى!

- ارحل

وحينما ترجل من السيارة وتحركت لم يعلم أنها لم تغلق الأغنية..

❁

وقود.. فرامل

وقود.. فرامل

الأمر ليس بمعضلةٍ دارين ولا توجد سيارات وردية!

ضحكت هَنا وهي تستمتع لثرثرة دارين التي على ما يبدو قررت تذكر كل قواعد تعليم القيادة التي لقنتها لها من قبل...

والحياة أيضًا يا رومانسية.. لا تتغافلي عن هذا

غمزت بها هَنا وهي تتمدد في مقعدها براحةٍ تاركة هم القيادة ومراقبة الطريق للشقراء، ولا تنكر أن وجود دارين على المقود أمر مزعج فالأمر ليس

فقط بشأن تلك التوقفات المفاجأة التي لم تتخل عنها بل أيضًا المضايقات الذكورية من كل صوت خشن اصطدمت عيناه بشعرٍ أشقر.

هناك دراسة تقول أن الرجال يفضلون الشقراوات.

قالتها هَنا بابتسامةٍ واسعة وهي تنهي على ما تبقى من مخفوق الشوكولاة المثلج وتريح رأسها على المسند ولو أنها تثق بدارين أكثر لنامت، ابتسمت دارين ساخرة لتتابع دون أن تزيح عيناها عن الطريق: أي دراسة تلك.. هل هي خاصة بمارلين مونرو؟؟

ضحكت هَنا ثم ارتخت عضلات جفنيها لتتابع ساخرة: أعتقد أنها دراسة خاصة بالذكر الشرقي في موسم التكاثر.

رفعت دارين حاجبيها بذات السخرية: مرحى لقد تلقيت لتوي دعوة عشاء من أحدهم وبخصلاتٍ كثيرة ومجعدَّة..

كانت تشير لشاب مراهق يجاور سيارتهم تمامًا وعلى ما يبدو يرفع لها بطاقة دعوة في باخرة شهيرة عائمة..

تابعت وهي تتجاهله وتعود للتركيز في مقودها: هذا يبدو صغيرًا جدًا ليتكاثر.

فركت هَنا رأسها لتكتم الابتسامة متجاهلة مزحتها ثم سألتها بمكرٍ: ألهذا منعك عن الجامعة؟؟

من؟

الأستاذ..

ربما..

وكانت ال «ربما» تخرج بلامبالاة واعوجاج شفتان لم تعد تكترثان بشيءٍ، تابعت هَنا وكانت جادة: لا تراوغي دارين.

والغريب هي حقًا لا تراوغ.. ربما تعلمت المراوغة لكي تحيا معه ولكن مع هَنا لن تفعل، ضمَّت شفتيها وكان مخفوقها هي ما زال ممتلئًا ترتشف منه ببطءٍ: ليست غيرة.. ببساطة هو يريد الحفاظ على عالمه هادئًا

زفرت هنا باستهجانٍ: وقبلتي؟؟

تنهدت دارين وشرودها أرغمها على أن تبطىء من سرعتها قليلًا: هكذا أفضل للجميع.

كانتا قد وصلا لوجهتهما، لم تصدق دارين أن هَنا تودُّ زيارة طبيبة نسائية بل أنها كادت تضحك بمرارةٍ على مخاوف ابنة عمها من الحمل.. ربما لأنها اختبرت هذا وإن كان بشكلٍ عكسي، لوي فم ماما شوقية.. تلميح قاسي منه بتأخر الحمل! واقتراح واجبُ التنفيذ بعرضها على طبيبة نسائية..

وكانت خائفة.. مرتعبة.. ورفض هو أن يذهب معها بحجة أن هذا شأن أنثوي ورفضت هي أن تأخذ معها حماتها فكانت هي وأمها وصرخة رغمًا عنها من ألم الفحص..

والنتيجة مكررة وعادية كما أغلب النساء، لا مانع والحمد لله مجرد آلام كحال كل عروس.. علاج مطهر وسخرية لاذعة منه وملامة لها وحدها.

كانت هَنا قد ترجلت من السيارة فاستدارت لها هاربة من أفكارها القاتمة: ما زلتِ تودين أن تكوني وحدك؟؟

نعم

أومأت هَنا بجدية قبل أن تهرب نحو العيادة.. قبل أن تتردد وربما تعيد الاختبار الغبي الذي لم تفهم منه شيء بالأمس....

كانت ترى تفاصيل المشهد في أفلام مكررة وأنثى مُنفعلة وتصرخ أزرق أزرق

ولم يكن هناك أزرق، كانا مجرد خطان أحدهما واضح كصفعة الشمس والآخر متردد كضوءِ قمر هارب خلف سحاب.

ونامت أسوء ليلة في تاريخها وضحكة طفل تناوش الأحلام والغريب أنها ترى ملامحه.. شعر أسود ولون بشرة كخاصتها ولكنه كان يحمل عيناه.. أنفه.. شفتيه عندما تضحكان.. كان هو بكل تفاصيله.

مدام هَنا

عودة للواقع، وطبيبة أربعينية بشوشٍ تتفحص ملفها وتسألها باهتمام عن مواعيد أخذها للحبوب، وقفازات طبية تثير في نفسها الخشية ورائحة العيادة توترها بما يكفي، حاولت أن تتنفس ببطءٍ ثم تمددت على طاولة الفحص ولم تمر ثوانٍ حتى شعرت بملمس بارد يداعب بطنها..

استرخي.

كانت تلك كلمات الطبيبة وهي تمرر ذراعًا بلاستيكيًا أملس متصل بجهاز الموجات فوق الصوتية وملامحها لا تنبىء بشيء.

لا انفعال ولا قلق ولا سعادة ولكنها كانت تراقب بتركيزٍ تام.. تركيز ارتسم بعد ذلك بملامح شائعة مع وصفة علاج أي طبيب.

الاختبار يربك البعض هذا يحدث كثيرًا.. ولكن لا تقلقي فلم يحدث حمل..

وانتهت.. لم يحدث حمل...

وأغمضت عيناها.. هذا الطفل الذي حلمت به ليلة الأمس لم يكن موجودًا ثم ابتسمت.. وكانت أسوء كذبة!

❁

كان يعلم أنها ستهرب، ستكرر محاولة رابعة وربما خامسة للإختفاء.. ربما تعد لزوجها طبق شهي يحبه وقد تطيل من وقت استرضاءه ، ستهتم بأبناءها وتُسَكِّن ضميرها بوعدٍ حر للتوقف.

وسيُحصي..

وبداية الأرقام واحد.. اثنان.. ثلاثة.. أربعة....

وظهرت باليوم الخامس...

كان الطقس ممطرًا وهو مثلها كان يحتاج لمشروبٍ دافيء، أعدَّ هو القهوة وتخلت هي عن وشاحها ثم أسندت رأسها على الجدار تراقب الزخَّات.

كانت ترتدي بلوزة حريرية ملونة قاسية الأزرار فوق تنورة سوداء طويلة بتصميم صارم، خصلاتها استطالت بعض الشيء ولكن ليس بالكثير ولكن أطرافها تناثرت هاربة من قيد رباط مطاطي مُحكم.

ناولها القهوة فأمسكتها بكلتا يديها أما هو فوضع خاصته جانبه ليقف خلفها تمامًا محيطًا خصرها بذراعيه وكأنه يستمد منها هي الدفء.

لم يبدو عليها تأثر.. كانت ترفع القدح لفمها ببطءٍ وعيناها متصلبة على ضربات المطر فوق الزجاج.

همس بعد فترة وبصوتٍ رخيم هاديء: قريبتك.

أنزلت عيناها وصورة هَنا تعود لذكراها من جديد..

صدمة هَنا..

وربما العُري في عيني هَنا...

صديقتي.

وكان جوابها جامدًا، يشبه تلك المرأة التي أدلت باعترافات كارثية ورحلت نحو نفس الطريق..

وكان هو لا يعي بعد، يحادثها في منحنى آخر رغم خطورته إلَّا أنه لا يمت لحزنها بصلة: ستخبر زوجك؟!

وجوابها هي ساخر ولكنه بذات الجمود.. بذات السحابة الرمادية التي لوثت حقيقتها أكثر: صديقتي..

حينها فهم.. الأمر لم يعد يحتاج لسؤال، أحاط خصرها بقوةٍ أكبر فشاركها عبق القهوة.. شعرت بأنفاسه تحرق جيدها ولكنها لم تجرؤ على التملص.

وبات قيده الآن مؤلم.. ذراعيه تطحن عظامها فيما يشبه عناق ولكنه عناق وحشي قاسٍ، يشبه عرض وثائقي جامح لأحد الحيوانات البدائية.

سليم.. لا

أنَّت بها في محاولةٍ غير مكتملة للتملص، أسقطت باقي القهوة فأدارها نحوه بعنفٍ وكانت باكية.. وتلك ليست المرة الأولى التي يتذوق فيها قُبلتها مع الملوحة، ولا ينكر أن شفتيها اللاذعة تحمل سحرًا خاصًا، هو ليس ساديًا وليس بمسخٍ يصاحب نشوته لذة ألم.

هو ببساطة يعشق تلك التركيبة المتمثلة في نادية، الخلطة التي تبدأ بالكثير والكثير من الندم.. بضع نثرات التردد، شذرات متفرقة من المقاومة وأخيرًا الإستسلام التام.

ثم تعود للندم من جديد..

دفعته تلك المرة بقوةٍ أكبر لتبتعد وقبضتها متشبثة بنسيج بلوزتها دون قسوة الأزرار.. نشيجها رسم سحابة مشوشة فوق الزجاج فجذب هو لفافة تبغ في حدةٍ ثم أفرغ باقي قهوته في حوض الجلي قبل أن يتابع: هل تتذكرين نهى؟؟

استدارت نحوه في مرارةٍ وعيناها تضيقان بعتابٍ مؤلم: ما الداعي؟!

ابتسم وهو يغسل قدحه ويعيده لمكانه بترتيبٍ أنيق: حينما صورتنا سويًا..

حينما التقطت هذا التسجيل لم يكن غضبي بشأنك وحدك نادية..

ثم صمت وهو يضم حاجبيه بجدية قبل أن يرفع عيناه نحوها بأشرس نظرة ممكنة: لست وحدك المتمسكة بالحفاظ على الواجهة النظيفة.. أنا مثلك نادية وربما أكثر منك لن أسمح لأحد أن يشوه صورة سليم.

ثم اقترب منها مجددًا وتلك المرة كان هو من يتخلص من قيد أزرار قميصه: ولكن هُنا.. أنا أفعل ما أشاء ومع من أشاء ووقتما أشاء نادية وهذا لن يجبرني عليه أحد....

❁

جار هادیء....

وكلمة هادیء لم تأخذ حيزًا في قاموسها بقدر ما أربكتها كلمة جار، تلك المسافة بينهما تتقلص سريعًا جدًا...

تتقلص وقد تصل رغمًا عنها لمرحلة اللا شيء.

تجاهلت قلقها وظلت تراقب الطرقات من سيارة الأجرة.. تنتفض أضلعها كما السائق الأحمق الذي يتعثر بكل مزلق ممكن، وحياتها لا تحتمل تلك العثرات.. هي تحتاج لطريقٍ ممهد فصعوبات كتلك لا يجب أن يكون لها مكان بعالم صدفة.

طلبت من السائق الإنتظار حتى تحضر مريم وتختلي بنفسها بين جدرانها الأربع، هي وابنتها فقط ولا مكان لرجل.. حتى وإن ناوشتها مشاعرها.

ورغم الشرود.. رغم فقدان التركيز مع صوت جرس الباب إلَّا أنها استمعت للجانب الآخر وبقوةٍ.. لدلال امرأة اتخذت مكانها بكل شكلٍ ممكن ولمائدة عائلية يقودها الزوج السابق والحرم المصون والحنو على ابنتها مثير للغثيان.

فتحت سميحة الباب لتبتسم لها بتشفي أحزنها أنه مقصود: أهلًا صدفة.. تعالي فمريم لم تتناول غداءها بعد.

ضاقت عيناها بتهكم لاذع ثم تجاهلت الدعوة والجسد المار أمامها بشبه سمنة وخصلات سوداء تصل لمنتصف الخصر مع ثوبٍ أقل ما يُقال عنه أنه فاضح وزعقت بحدةٍ كانت هي الزلَّة الوحيدة: هيا مريم.. يجب أن نرحل الآن..

ولم تعقِب خالتها فقد وصلت الرسالة، فكما أصرت صدفة على ترك المنزل فلتتحمل كون أنه لم يعد منزلها..

وستتحمل.. ستتابع بكل ما أوتيت من قوة رغمًا عنهم ولم تدرك أن عبراتها انهمرت وأنها كانت تنتقي الشاي والسكر وحلوى مريم من المتجر المجاور لمنزلها بنصف بصر، حتى أن مريم تركت لعبتها المحشوة واستقامت من عربة التسوق لترتفع نحو وجه أمها وتحيطه بكفوفها الصغرى ثم تطبع فوق شفتيها قبلة...

وكأنها بطفولتها استوعبت ما يفوقها بمراحل، أغمضت صدفة عيناها ولعنت هذا الضعف الذي اجتاحها أمام ابنتها.

لعنت وائل وزوجته وآلمتها قسوة خالتها، لعنت غضبها الذي ربما يضعها أمامه في خانة غيرة هي أبعد كل البعد عن معاركها.

وطبعت مريم قُبلة أخرى وحينها حاربت البكاء بأوسع ابتسامة ممكنة.. وأجمل غمَّازة وقعت عليها عينه.

ربما هي مشوشة وباكية وتختبأ منه خلف سحابة دخانه، وربما هو يحتاج لأن يطبع هو فوق شفتيها تلك القُبلة.. وربما يناوشه خياله بما بعد القُبلة..

ولكن.. هي تستحق بعض الوقت وهو أيضًا يحتاجه..

وغادر المتجر دون أن يُشعرها بوجوده، هذا اليوم هو على وعده..

مجرد جار هادىء..

عادت للعمل، والحياة ستسير بروتينها المعهود.

الحبوب وماكينة القهوة وثائر.

وهو لم يعقب على انتهاء فترة الجنون وفهمت أنه منشغل بعقد شراكة هام وكان يزعق بسكرتيرة مكتبه المسكينة لأنها أضاعت بيانات مهمة وضرب قدح القهوة بيده فأسقطه وغادر وكانت أول مرة ترى غضبه..

خلعت ملابسها وتركت جسدها لشلال المياه لتتساقط الأفكار مثلها تمامًا، أمنيات تحمل تمرد دارين ونجاة نادية.. وباغتتها ابتسامة طفل من شرودِ ليلةٍ سابقة وهربت تكررها لنفسها كما تفعل كل صباح..

هي لم ترد هذا الطفل أبدًا.. هي لا تنوي الاستمرار بتلك الزيجة.. ستكمل حياتها مع اختيار حر لا مع رجل حاصرها.. بل هروب أتقنته لتغلق بوابة جنون ابن عمها وترسم لوحة تضحية من أجل أختها الصغرى.

انتهت وقد توصلت لألف قرار.. ستنقذ نادية وستأخذ بيد دارين وحتمًا في النهاية هي ستترك ثائر... ومع ذكره كان حاضرًا بشحمه ولحمه حتى أنها شهقت فنظر نحوها ساخرًا، ظنت أن عيناه لا تستسيغ مئزرها الأصفر وخصلاتها المبللة وضم هو حاجبيه ليعاتبها بزعقةٍ خفيفة: لا تخرجي بعد حمامك حافية.. ستصابين بالبرد.

واستقام ليرحل مجددًا على ما يبدو بعد أن جمع عدة أوراق يبدو أنه نسيها ولكنه توقف حين مر بجانبها ليعود خطوة مجددًا ويلثم ثغرها بقُبلة..

لم تكن عميقة ولم تكن متطلبة.. فقط قُبلة سريعة خاطفة فوق برودة شفتيها، ارتجفت لتتلعثم مسرعة وهي تبتعد باحثة عن ملابسها: ستغادر؟

وأغمضت عيناها تشتم نفسها.

أغبى سؤال في العالم!

وحينها ابتسم هو بثقةٍ وعيناه ترمقانها بمكر: للأسف.

ثم رحل..

رحل وتركها مع غضبٍ يخبرها أنها تتغير..

وأنه يلاحظ..

الفصل الحادي والعشرون

صباح الجمعة..

لطالما كان له طقوس خاصة، صباح الجمعة يشبه مطبخ ثناء الممتلئ برائحة المعجنات الطازجة وفوضى أوراق خضراء متدرجة الألوان من أجل وليمة محشي.. يشبه زحام منزل سميحة بزيارات العم والخال وتلك اللمحة الدافئة لوِدِّ الأهل الذي غاب بين طيَّات الزمن، يشبه مقعد جنا الدوَّار الذي تجره غير مبالية بجوار موقد أمها لتراقب فقعات شراب السكر من أجل حلوى يوم العطلة وترضخ نادية في النهاية لتتذوق جنا السكر قبل الجميع.. هو بشكلٍ ما يشبه دفء كوب قهوةٍ كريمي النكهة بجوار مشروب طفولي مبهج ولا مانع من وجود مغلي الحلبة لامرأةٍ عجوز.

هو يوم العائلة....

أمي أريد الكاكاو الساخن.

عاشر طلب لمريم المتمردة، فالطفلة غاضبة لأنها كانت تود قضاء يوم العطلة بمنزل جدتها وجوار أصدقاءها في الحي لكن صدفة رفضت!

بأحقية امرأة لا بأس بأن تكون أنانية أحيانًا..

وضحكت ساخرة مع مرور الكلمة داخل عقلها، هل هي حقًا تتصرف باستئثار؟؟ هل كان يجب عليها أن تسحب مريم لتجمع عائلي لطيف يضم زوجها السابق وخليلته كما يقتضي التعبير..؟؟

أم أن البديل أن تترك لهم طفلتها في يومِ عطلتها الوحيد؟؟

سكبت الكاكاو في قدح ابنتها الملون وخرجت لتجد الطفلة في الشرفة تداعب العصافير كما العادة، رغمًا عنها صرخت حينما لمحت برودة الهواء ولباسها البيتي القصير الذي لا يجوز مع نافذة مفتوحة: مريم أغلقي نافذة الشرفة.. الآن

قطبت الفتاة جبينها لتغلق النافذة وتعود رافضة الاقتراب من كوب الكاكاو الذي طلبته، زفرت صدفة بقلةِ حيلة ثم مررت أناملها بخصلات مريم المشعثة والتي رفضت تمشيطها منذ الصباح: ما رأيك أن نلعب لعبة الفقاعات.. سأملأ المغطس بالماء الدافيء والصابون

لم تتبدل ملامح مريم وكأن هذا الإغراء ما عاد يُجدي.

فكرت صدفة مجددًا وهي تفرك رأسها بمداعبةٍ مضحكة ثم برقت عيناها وكأنها توصلت لفكرة: حسنًا.. لنخرج

تبدلت ملامح مريم لتظهر فوق وجهها ابتسامة متحفزة: حقًا أين؟

والباقي قالته صدفة وهي تحمل الفتاة بوضع مقلوب وتدغدغ بطنها مقلدة بصوتها نبرة شخصيتها الكارتونية المفضلة: لك ما تتمنين يا أميرة.. الملاهي.. مشاهدة عرض دولفين..

والتسوق في المركز التجاري لنبتاع أكبر لعبة...

وضحكت صدفة وهي تراقب انفعال ابنتها التي توجهت مسرعة لأخذ حمامها الصباحي كي ترتدي ملابسها بأسرع طريقةٍ ممكنة، ومع استدارتها لمحت النافذة النصف مغلقة..

غبية.....

قالتها لنفسها وهي تتوجه مسرعة لتغلق الشرفة وتلوم نفسها لأنها لم تتأكد خلف مريم ولكن الجار الهادىء لم يكن هناك.. فالتلصص لا يليق به.

كان منشغلًا مثلها تمامًا. يرتدي سروالًا بيتيًا فوق قميص قطني أبيض ويحايل فتاته المتذمرة ولا تود ترك المنزل على ما يبدو متمسكة بلعبتها الإلكترونية..

ضحكت صدفة وهي تلمح يأسه مع الفتاة العنيدة وما لبث أن ترك معركته خاسرًا ليفتح نافذته ويتوجه نحو الشرفة وحينها اختفت هي في لمحةٍ بصر والخجل يضرب فوق وجنتيها وكأنه يخبرها حقيقةٍ واحدة..

أنت الآن المتلصصة...!

❁

هل تدرك معنى أن يتلخص عالمك في ابتسامةِ طفلة؟؟

ابتسامة خالصة.. واضحة.. نقية.. بهيّة.

ببساطة.. مشرقة.

إنها جميلة جداً.. عندما تكبر ستذيب القلوب.

قالتها هَنا وهي ترتشف قهوتها ببطءٍ وتراقب مريم التي تطايرت خصلاتها جوار ضحكاتها فوق الأرجوحة الدوارة وعيناها تراقب أمها بتحفز وكأن الأخرى تعد أنها لن تفوّت لحظة..

لن تُفوّت ابتسامة ولا صرخة ولا أي انفعال ممكن.. ابتسمت صدفة وعيناها ما زالت متعلقة بابنتها: أشكرك على وجودك هَنا.. النزهة أجمل بصحبتك.

غمزت لها هَنا حينها بمشاكسة: لن أفوت فرصة التنزه مع تلك الجميلة.. إنها تعشقني تُشعرني أنني ملكة جمال الكون..

ضحكت صدفة وهي تحرك رأسها بيأس: لا أحد يفعل شيء لله.

رفعت هَنا حاجبيها بشكل بدا بديهي: هل تمزحين..؟؟ أنا زوجة ثائر الرويدي حتى الوقت له ثمن

كانت مريم قد أنهت لعبتها وتوجهت لأخرى ممتلئة بالكرات الملونة، تركت صدفة مراقبة الصغرى لتلتفت للكبرى تلك المرة: كيف تشعرين نحوه؟

كان سؤالًا مباغتًا، لم تسألها صدفة من قبل عن ثائر.. لم يسألها أحدٌ من قبل كيف تشعر نحو ثائر، دارين تُصِر أنها ستحبه وثناء تعيش بأمنياتِ أن كل شيء سيكون على ما يرام وزياد هو سبب هروبها من منزل ثناء يوم العطلة.

أغمضت عينيها لترتشف من القهوة أكثر وتراوغ في الحديث: يوم الجمعة هذا ممل للغاية، هو يستيقظ باكرًا كعادته ويقضي صباحه في السباحة.. إفطار وقهوة واسترخاء مع كتاب ويترك لي اختيار مكان العشاء في حلة رجل مثالي وسيم يدعو زوجته لسهرة.

وفاضت عيناها بتعبير غامض، تعبير لم تفهمه صدفة وربما لا تفهمه هَنا أيضًا.. ببساطة هي لم تعد تفهم نفسها، تركت القهوة وتعلقت عيناها مجددًا بمريم التي كانت تقضي وقتها مع عدة أطفال يتقاذفون الكرات ثم قالت: انصحيها صدفة.. لربما تنال هي ما فقدناه..

سألتها صدفة في حيرة: أنصحها بماذا؟

خرج صوتها دافيء: قولي لها تزوجي رجلًا يعرف نوعك المفضل من القهوة.. رجل يحفظ قسمات وجهك لأنه استوعب جمال ملامحك حين نومك ووقت ما خيَّروه بين نساء الكون أرادك، تزوجي رجلًا ينصت لكل ما تتفوهين به من هراء فقط لأنك تؤمنين به. رجل يعتبرك نصفه وليس مجرد نصف يجاور ما ناله هو من الكمال..

تزوجي رجلًا أنتِ له أنثى لأنكِ أنتِ وليس لأنكِ امرأة ناسبت احتياجاته.

ولا تعقيب من صدفة.. فببساطة هَنا محقة..

لأنكِ أنتِ وليس لأنكِ امرأة ناسبت احتياجاته!

❁

كانت طاولة جانبية مخصصة لضيفٍ مميز على العشاء، بطاقة مذهبة بكلمات منمقة تحمل حروف «محجوز» ومفرش حريري أطرافه فضية أكسبها تميزًا عن باقي الموائد.

لا تنكر أنها لاحظت بالطريق أنه انحرف عن مساره وغير الوجهة التي رشحتها لتناول العشاء ولم تعقِّب ولم يفسِّر، وحين أيقنت أنهم متوجهين لنفس المطعم حيث فندقه الفاخر الذي قضيا به ليلة غير مرتبة استنبطت أن في الأمر عشاء عمل، ولكن طاولة الشخصين بعثرت توقعاتها بشأنه.

تنهدت وقد هربت من شفتيها ضحكة ساخرة حين أيقنت أنها ترتدي ثوبًا أسود كسابقه: هذه المرة ليس عشاء عمل؟؟

رفع كأسه الكريستالي نحو فمه ليرتشف القليل من مشروبه المنعش قبل أن يرفع عينيه نحوها في صرامة مباشرة: وأنتِ لم تختاري الحساء.

توترت ابتسامتها ولم تكتمل ولكنها استدعت معاندتها كالعادة وتابعت وهي تمرر أناملها فوق سكين الزبد البارد: لنقل أنني والحساء لا نتفق أبدًا فالأمر دومًا ينتهي بفوضى...

أو خطأ غير محسوب.

ولا تنكر أن رده كان واضحًا.. صارخ ومباشر ويمهد اختياره للمكان الذي يحمل لمحة رومانسية لا تناسبه تمامًا، رفعت عيناها وكانت مباشرة أكثر منه: أنت محق فأنا لا أحب المفاجآت.

حينها كان النادل قد وصل بأطباق عشاءهم، السمك المنَّكه بالزبد والليمون مع البطاطا المشوية لأجله ولحم الخاصرة المشوي مع البروكلي الطازج من أجلها.. قطعت لحمها لتمضغ أول قطعة دون شهية متابعة: كيف عرفت؟

الأمر لا يتطلب اختبار ذكاء لتدرك ما يرمي إليه، وهي ببساطة لن تنتظر لأنها ليست بموضع اتهام لتدافع..

لم يقرب عشاؤه تابع وهو ما زال يرتشف مشروبه ببطءٍ: أعلم من البداية هَنا.

وحينها توقف الطعام قبل أن يبلغ حلقها، ابتلعته مضطرة وقد برقت عيناها في صدمة: كنت تقصد؟؟؟

وحينها كان صبر الثائر قد بلغ مداه، خُيِّل إليها أن الجميع بما فيهم النادل بآخر الرواق قد سمعوا ضربة الكأس الثمين فوق المائدة وتناثر المشروب الثلجي ملوثًا القطعة الحريرية وقبل هذا كله نبرته..

نبرة لم تختبرها منه من قبل وعيناه التي توسعت بغضبٍ مخيف ارجفا لكنها تمسكت بالقوة....

هل تظنين زوجتي العزيزة أنني بتلك الحقارة لأمارس تلك اللعبة الرخيصة لأجبرك على الطفل، ربما أنا أتحلى بالصبر هَنا.. ربما لاحظت توترتك وهلعك حينما اكتشفتِ أنكِ قد نسيتي حبوبك الثمينة وربما كان القدر رحيمًا معك كما تظنين لأنك لست أم ولكن......

وكان الفرق بين لكن وما بعدها طويلًا.. طويلًا جدًا بحيث أنها تمنت لو أنه لم يأتي ما بعدها أبدًا ولم تقابل هذا الوجه الجديد من قدرها الثائر!

ولكن.. لو أخفقتي مجددًا هَنا.. لو حدث الأمر رغمًا عنك وحاولتي قتل ابني فستدفعين الثمن وصدقيني سيكون باهظًا.

خلية النحل قد تكون تعبير مناسب.......

رغم أنها تصل للعمل مبكرة والقاعدة تقول مبكرة جدًا إلا أن هذا الصباح يبدو وكأنها أكثر متأخرة في العالم.

نشوى تتنقل بتوتر بين ملفات مكدسة ومهندس شاب يدور في الغرفة مجريًا عدة اتصالات أما عاصم المشهور برزانته فكان يزعق بأحدهم على الهاتف.

وضعت حقيبتها وعيناها على باب غرفته.. كان مغلقًا ولا حركة تنبأ عن وجوده، أمسكت نشوى من ذراعها لتسألها بقلق: ماذا حدث؟؟

جاوبتها نشوى بهمس: كارثة.. موظف المبيعات الجديد عبث بحسابات آخر مناقصة قدمناها لشركة المبيعات الهندسية ولا أحد يعلم كيف ولكن نتاج الأمر حوالي مليون جنيه مهدرة وهو منفجر بالجميع منذ الصباح.

قالتها وسبابتها تشير نحو باب غرفته.. إذًا هو بالداخل وحرق ما يزيد عن علبتي سجائر في خضم تلك الكارثة، أومأت لنشوى متفهمة وراقبت انتهاء مكالمة عاصم التي لم تفيد بشيء تقريبًا ثم طبعت آخر نسخة متوفرة لديها من ملف المناقصة المطلوبة وتوجهت نحو مكتبه.

وكما توقعت كان يجلس في وسط سحابة من الدخان.. يزعق في اتصال هاتفي بأحدهم ويمسك بقلمه الأسود المميز وعيناه تتجولان بسرعة فوق تفاصيل أحد العقود.. توقف فجأة حينما لمح ظلها وقبل أن تأتي الزعقة لنشوى التي ظنها اقتحمت خلوته لمح عيناها المترددة وهي تشير للملف بيدها: الأرقام كثيرة جدًا وأتوقع أنه قد قام بأكثر من خطأ!

دون دعوة جلست صدفة أمامه بحرفية وهي تشير لأول ورقة بملف المناقصة المنشودة: أنا ليست لدي خبرة كافية ولكنه على الأرجح كان قد أخطأ ببنود التسعير.

تنهد قبل أن يحرق تبغه مجددًا وهو يشير للفقرة الرابعة عشر بنسخة أوراقه: أنتِ محقة ولكن كل أخطاءه لا تتعدى المائتي ألف جنيه.. هناك عبث مخفي لا أستطيع إيجاده والغبي لا يتذكر.....

سحبت منه الأوراق ببطءٍ وخرج صوتها هادئًا مع ابتسامة: دعني أحاول ربما أكون محظوظة.

ولم تنتظر رده.. بدأت تراجع الأوراق بتركيزٍ وقد لاحظت علامات قلمه فوق الأخطاء التي وجدها بالفعل، لم يكن الأمر هينًا كما أخبرها فكل شيء يبدو مرتبًا ومثاليًا ورغم ذلك النهاية بعد تجميع الأرقام تزيد ثمانمائة ألف عن ما يجب تدوينه.. كادت أن تيأس مثله بل وتفقد أعصابها وربما تحطم أنف هذا الذي أوقعهم بتلك المعضلة ولكن كما أخبرته أو ربما الأمر يشبه نواياها فعلى قدر النوايا يكون الجزاء.

وجدتها!

لم يصدق نفسه وفرحة عيناها تخبره أنها وجدت ما كان يبحث عنه لساعات منذ أن علم بالكارثة.. كانت احدى البيانات مسعرة مرتين بخطأ املائي غبي يجعل من يبحث يظن أنهم طلبان مختلفان تمامًا.

مررت بأناملها الرقيقة دائرة فوقها ثم جذبت آلة حاسبة لتوضح له بسرعة الخطأ وتعديله وكان هو حينها غارقًا بها....

ليس فقط بابتسامتها ولا بتلك الغمَّازة التي احتفلت معها بصك إنقاذه بل كلها على بعضها كما يقتضي العشق.

أخبرتك قد أكون محظوظة....

وكانت عفوية.. مبهجة.. تشبه ضوء أصفر نقي يحمل دفء تبغه ولكن دون عبق الدخان الخانق، مجرد دفءٍ وكفى.

وصوته الخشن أجابها برصانةٍ ولكن ماكرة: أنا هو المحظوظ كُوني واثقة. وأبقاها..

رغم انتهاء العاصفة والأوراق وفحواها والعقدة والنجدة لم يسمح لها أن ترحل، في البداية طلب منها أوراق أخرى وتحجج أنه يريد منها مراجعة دقيقة كي لا يرتطم بخطأ حسابي آخر وحينما انتهت وكان يثق هو أن ما طلبه منها لا يحوي خطأ، اعتدل في مقعده مرخيًا ربطة عنقه ليبتسم لها بغموضٍ: في الصباح لا تنتظري كثيرًا أمام البناية من أجل سيارة أجرة فإصلاحات الطريق تمنع مرورهم، أنصحك بالطريق المعاكس فهذا سوف يوفر لك الوقت.

فتحت فاهها لوقت لم يكن بقليل وكانت تحاول استيعاب جملته وربما تستوعب رؤيته لها كل صباح وهي حائرة بحقيبة مريم وتبحث عن سيارة أجرة كي توصلهم للمدرسة، ابتسمت تشكره في صمتٍ واستدارت لترحل ولكنه أوقفها مجددًا: والصيدلية المجاورة لا تبتاعي منها شيء.. فالطبيب هناك سمعته سيئة ورواده عليهم خطوط حمراء، هناك أخرى بنهاية الطريق والمسافة ليست كبيرة فقط خمسمائة متر..

وتلك المرة كان قد ترك مقعده وحينما استدارت لتشكره مجددًا كان أكثر ما تود فعله في العالم هو الهروب من عيناه...

وكان أسوء هروب ممكن...

ارتباك.. تردد.. وتلعثم بشكرٍ مشابه: لاحظت أنك تعاركت مع الحارس البارحة بشأن سيارتك.

إذًا هي ملاحظة متبادلة... ورغم أن صوته لم يجهرْ بها إلَّا أن انفعال عينيه كان واضحًا ومن حظها أنها لا تنظر.. تتحاشاه وشفتاها تُكملان رد الجميل: فضلات الطيور ليست ذنبه، لقد رأيتُه وهو ينظفها وقت صلاة الفجر ولكن يبدو أن أحد السكان يضع الماء والطعام للطيور الشاردة فـ.....

وتلعثمت مجددًا ولكن تلك المرة بابتسامة تُشبع هوسه: فقط غيِّر موقعك.

ضم حاجبيه وقد وضع يديه في بنطاله الكلاسيكي: وفي النهاية تتلوث سيارتي أنا دون الجميع

ولا تنكر أن تذمره أضحكها فردَّت بعفوية: هذا ليس بعدل.

وتصلبت شفتيها مع عيناه التي لم تتركها، وتبدلت جدية نظرته لمشاكَسة هي لن تحتملها.. وهربت متشبثة بوداع رسمي مع ابتسامة تشكلت ببطءٍ فوق شفتيه وهمس باسمها لم يقدَّر لها أن تسمعه بعد...

لنا لقاء آخر قريب جدًا صدفة..

❁

حينما ترك أبيه الحياة واستلم هو دفة العمل لم يكن الإرث بشركة كبيرة أو صرح استثماري يبيع نجاحه، هو مجرد مكتب صغير يقع في الدور الأرضي لبناية إدارية قديمة منزوية بأحد أحياء منتصف المدينة.

تكدس ما يقومون به يقع على عبء الأستاذ منصور وهو رجل ستيني بلغ عقله السبعون وأكثر، كان صديق والده وبئر أسراره على مدى ثلاثون عامًا وتوَسَّم في زياد حماس الشباب وأصل العائلة وربما عريس مستقبلي لابنته الكبرى، ولكنه كان مخطئًا فالشاب ليس متمردًا على عالم عمل أبيه الهاديء فقط بل على منظومته ككل وفي النهاية انتهى به الأمر بديون قرب الإفلاس لعدة شركات وأولهم مجموعة الرويدي.

كان الوقت قد تعدى العاشرة بقليل، وصل وكالمعتاد، كان فتحي يقضم شريحة الفلافل الساخنة بنهم وفتحي هو زميل الدراسة ومساعده الذي أطاح بكل أحلام الحاج رحمه الله في تطوير تلك الخرابة..

ضحك زياد وهو يضرب رأس صديقه من الخلف بخفة مناوشًا انهماكه:

لهذا لن تتزوج.. لأنك سمين

نظر فتحي بغيظ لصديقه المنفجر النشاط دون سبب مؤخرًا ثم أكمل نصف شريحته على قضمةٍ واحدة وتابع وهو يتجرع مشروبه الغازي ليقول بلامبالاة: شركة السعدي قدمت بنا شكوى موَّقعة من ثلاث رؤساء إدارة.

لوى زياد شفتيه وقد تملكه من جديد يأس بعدم النهوض أبدًا.. فشركة أبيه تتولى تنفيذ بضعة أعمال التركيب الوقائية من الباطن لعدة مصانع ومؤخرًا هو يفتقد السيولة المناسبة لأجور عامليه وبالتالي تأخر مجددًا في التزاماته، ومد يده ليأخذ شريحة من شرائح فتحي المتعددة وقضمها دون شهية متابعًا: لا يوجد لدي حل.. سأبيع السيارة فآخر ما اتشبث به عملية السعدي ولو ضاعت نعلن إفلاسنا رسميًا.

أومأ فتحي بقلة حيلة وعلى ما يبدو استيقظ شعوره فلم ينه إفطاره الدسم وترك شريحيتن!

ولكن بعد أربع ساعات وثلاث دقائق وبعد أن زقزقت معدته مجددًا تنادي بموعد الغداء وبعد أن اطمئن على قطعة مزاجه البنية الثمينة التي تدفأ جيبه لتهديه سهرة مميزة وإن كان وحيدًا بفراشه إلا أن انعكاس ضوء مكتبه الضعيف فوق تلك النجمة الذهبية وأختها ونظرة العين المتفحصة التي تكاد تفتك به متلبسًا بجرم لم يرتكبه بعد.. أعطت ساقيه رشاقة لحظية ليفر ببساطةٍ هاربًا..

فهو اعتاد منذ مراهقته كلما اصطدم حظه العثِر بضابط أن يركض!

ولأن رشاقته مؤقتة فهو اصطدم أثناء هروبه بأربع طاولات وقهوة وجدي الساعي وآخر ما توقعه زياد في خضم تلك الفوضى أن تكون هي هناك!

الملازم فدوى..

شاي أم قهوة؟؟

قالها وعيناه تحمل سؤالًا لا يود الخوض بشأنه لسبب تلك الزيارة المفاجئة، جلست فوق المقعد المقابل له بأريحية ثم تجاهلته لتسأل الساعي باهتمام: لا يوجد غداء؟؟

ابتسم الرجل بحبورٍ وبدأ يعدد لها الخيارات بداية من مطعم المشويات على ناصية الطريق حتى عربة الكبدة التي يتطلب الأمر لمعركةٍ حامية كي ينجو بطعامه من الزحام، وقد كان..

اثنان كبدة وواحد مخ...!

ابتسم وهو يراقبها بعد أن أنهى شريحته الأولى تقريبًا، ولم يكن لديه نية لتناول غيرها فهو ليس من محبي وجبات الكبدة بأنواعها، كانت هي قد أنهت طعامها سريعًا والساعي كان أكثر من راضيًا بإحضار شايها الثقيل كما طلبته ثم استدارت له وقد ظنت أنه فرغ من تأملها: تلك هي المرة الأولى التي تلمح فيها فتاة تأكل الكبدة؟؟

اضجع بأريحية ليجيبها بمكرٍ: الكبدة لا.. ولكن ربما المخ...

مالت تُحرك لسانها بين شفتيها بسخريةٍ ورغم أن الإنفعال ذكوريًا عابثًا إلا أنه منها كان يبدو رائعًا.. تابعت وهي ترتشف الشاي الساخن: أنت لطيف لا تحتمل مثل هذا الطعام.

وكانت هازئة بدرجة قدير جدًا وحينها اقترب هو منها معتدلًا في جلسته وشابكًا أنامله تحت ذقنه لينظر نحوها بعبثٍ: أنا أقطن في 5 شارع مأمون حي.....

قاطعته هي مكملة: حي السيدة زينب بناية رقم عشرة الدور الثاني شقة ثلاثة!

رفع حاجبيه في دهشةٍ راضية جدًا: هذا اهتمام؟؟

وسخرت هي تلك المرة ولكن دون الابتسامة: جميع بياناتك عندي من اللحظة التي خطوت فيها باب بيتنا...

ثم اضجعت وقد أنهت ما تبقى من الشاي دفعةٍ واحدة: وأنا لست بطيبة القبطان فوزي.

أعلم.

وكان رده هادئًا حتى أن عيناه شردت لوهلة ولكنها لم تهتم، تابعت بما تنتويه وبقسوةٍ: أنا لا أهتم بحياتك العاطفية السابقة ولا بمحاولات نهوضك الفاشلة بتلك الشركة أو غيرها.. لا أبالي إن عدت لقصيدة ابنة عمك أو حتى حاولت نسج غيرها فما أعرفه أنني لن أكون تلك القصيدة.

وكانت عيناها جادة حتى أنها لم تحيد النظر عنه وإن كانت لا تهتم بجوابه، رفع حاجبيه بشكل بدا جدي بدوره ليجيب بمزحةٍ لاذعة: أنا لست شاعرًاواستقامت هي حينها لترتكز بكفيها فوق مكتبه وتميل نحوه بزاوية أربعون درجة أو أقل: وأنا ليس لدي وقت لأمثالك.. لذا جد لنفسك حياة وتوقف عن مطاردتي

ورحلت.. لم تنتظر منه رد ولا حتى غضب وهو لم يغضب، هو ظل يراقب خيالها الذي ابتعد ببطءٍ ثم أغمض عيناه، وشفتيه تلونتا بتهكم أخبره أنها محقة.

جِد لنفسك حياة!

إنه يوم الجمعة.. يوم العائلة...

وهي قلّما تجتمع بعائلتها كما يحق في تلك العطلة، فالإستيقاظ رغم أنه يكون متأخرًا قبل دقائق من وقت صلاة الجمعة إلّا أنها ترتدي ملابسها هيَ وأبناءها بسرعة الصاروخ ويتوجهوا جميعًا لمنزل الحاجة، ورغم أن الحاجة ماتت وواراها الثرى منذ ثلاث سنوات تقريبًا إلا أن أسامة ما زال يصر على إبقاء مكانته ككبير العائلة كما تقتضي الصورة.

المنزل القديم تدخله الشمس ويجتمع الأخوات والأخوة في وليمةٍ عائلية مبهرة ولأنها من زمن امرأة للمطبخ كانت تنصهر تقريبًا وسط الأبخرة لأكثر من ثلاث ساعات لتكون المائدة عامرة كما يجب، وفي النهاية الجميع سعيد.

هو ملك وسط عائلته والأولاد يقضون الوقت في اللعب والعراك والنساء تهوى الثرثرة والتعليق بشأن مظهرها المتعب وخصلاتها القصيرة التي لا تليق بها!

تنهدت بسخريةٍ وهي تتذكر سنوات زواجها الأولى حينما طلبت منه مرة وكانت هي المرة أن يتناولوا عشاءهم خارجًا ولم تنلْ سوى تقريع حاد يخبرها أنها امرأة أنانية لا تقدر قيمة العائلة.

وخرج هو ليلتها للسهر مع أصدقاءه!

كانت الساعة قد قاربت على الثانية فجرًا حينما أسندت رأسها على الوسادة بتنهيدة مكتومة تحمل وجع عظامها بتلك الليلة، فليس فقط أنها بذلت مجهودًا خرافيًا في المطبخ إلا أن أبناء أخته الصغرى دمروا غرفة الجلوس القديمة تقريبًا وكانت هي وأخته الكبرى من تحملا أغلب العمل.. انتفضت ولا تدرك أن رجفتها كانت تستحق حينما شعرت بأصابعه الغليظة تمسد جبهتها لتزيح من فوقها بعض الخصلات النافرة قبل أن تربت يده الأخرى فوق كتفها ببطءٍ مريب: لقد تعبتي اليوم كثيرًا نادية.

اممم

وكانت تقولها مقطوعة دون اكتمال، منذ متى يلاحظ أسامة تعبْ نادية.. بل منذ متى يهتم أسامة من الأساس؟؟

ابتعلت ريقها وعقلها يبرر أنه ربما يريد واجبًا زوجيًا ما وتدعو من داخلها ألا يطلب أبدًا ولكن تنهيدتها التالية رافقت توديع مُكترث منه على غير العادة:

استريحي.. لقد بذلت الكثير من الجهد.

ولولا أنها متعبة للغاية لما نامت.. ولكنها نعست سريعًا، كانت مستغرقة في النوم ورغم كل تغيير مطمئنة ولم تكن تعلم أنه بقيَ مستيقظًا يراقبها طوال الليل..

في عالم موازٍ انتبه دومًا للإشارات!

سائق أجرة متأفف من زحام الطريق،، سماء غائمة دون مطر.. وزوج يبالي.

لم يتناول طعام.. رحل مبكرًا ولم يثقل عليها بإفطاره، كانت ما زالت تشعر بالجهد من اليوم السابق ولكن دون الجهد كان يغمرها الإختناق.. حاولت أن تريح عقلها بقدحٍ خفيف من القهوة وبعض الحلوى ومرت فوق قنوات التلفاز مسترخية بعقلها مع دراما مكررة وفي النهاية ارتدت ملابسها وتوجهت لجدران الذنب.

كالعادة...

تختنق.. ترتبك.. تذهب إليه.

ووقت مستقطع من الراحة.

كان الوقت قد تعدى العاشرة بقليل، البناية هادئة كما العادة ومفاتيحها كادت أن تنكسر بالمزلاج.

وفي عالم موازي انتبه للـ..............

رجل أنهى من عمره أربع عقود ونصف، أنيق يرتدي حلة رمادية وعوينات كلاسيكية دون إطار، توقفت السيارة أمام البناية التي اكتشف بزيارات زوجته لها منذ خمس أيام...

خمس أيام لم يحتاج فيهم سوى أن يُخضعها لاختبار واحد..

سألها بلامبالاة عن احتياجات من السوق وأخبرته أنها لم تخرج..

وكانت كاذبة..!

خطواتها كانت بطيئة.. وضعت حقيبتها فوق طاولة مقابلة وكانت تخلع الوشاح ببطءٍ وهي تحاول تمسيد رقبتها حينما شعرت بأنفاسه..

جئت مبكراً؟

لقد قضيت ليلتي هنا..

وقالها بهمسٍ وازى قبلاته فوق جيدها، تولى هو أمر الوشاح مع استدارتها وأسقطه تحت قدميها وهمسه يستكمل: أشتاق.. سليم دومًا مشتاق.

حارس هزيل الجسد يرتدي زي موظف أمن مهترئ، وامرأة سمينة اعترضت طريقه بعدة أكياس مكدسة والزعيق يأمر الحارس بمساعدة..

زفر بقلة صبر وتوعد مجددًا امرأته، أقصى شكوكه تكمن في مشروعها الأحمق الذي كانت تجادل بشأنه منذ أشهر ويبدو أنها رتبت أمورها من خلف ظهره..

حارس ، اسمها ، سؤال ، جواب......

وابتسامة خبيثة لم تمر ببساطة على عقل رجل..

الدور الثالث شقة تسعة.

سليم..

وكانت هامسة، والدفعة ضعيفة لا تتحمل قيد جسده.. حركها ببطء حتى التصقت بالجدار المجاور للشرفة وضربت لسعة هواء باردة عري كتفيها، كانت بلوزتها ناعمة تحمل لون السماء دون ضوء وقميصه هو كان رقيق كتاني أبيض وقد مزق جميع أزراره فألصقها بدجنة صدره...

ابتعدت عنه بشفتيها...

تشعر بالاختناق..

ومرر هو أنامله فوق تروقتها.. شفتيه تداعبان وجهها وكفيه انسدلا مع انحناءات خصرها.. وفي النهاية قيد معصمها البارد..!

المصعد مُكَدَّس.

اتخذ الدرج وكان مظلمًا، تلك بناية دون ضوء...

تمكن من صدره الضيق حتى أنه حرر ربطة عنقه وبعد ثمان وأربعون درجة كان يقف أمام باب منقوش من خشب الأرو القاتم ودون بطاقة تعريفية...

شقة رقم تسعة..

تخللت أنامله خصلاتها وكانت آخر قبلة مطولة وقاسية تعاقب هروبها فرضخت...

أحاطت رقبته بذراعيها وكانت قد عدَّلت بلوزتها مجددًا ولكن الأزرار مِلكه، جذب طرفيها بمناوشة وقُبلة وتلك المرة كانت غير منتهية..

وباب يدق.

أبعدته..

وتبرَّم

من السخيف؟؟

وبررت وهي تعدل خصلاتها..

ربما أخطأ أحدهم في الشقة مجددًا

وجذبها واللعنة على مفسدي المتعة وقُبلة أطول...

والباب يدق..

دفعته مجددًا...

لينتهي أو لأنها ما زالت تشعر بالاختناق..

ويأس هو من المقاطعة..

سأفتح..

في عالم موازي انتبه دومًا للإشارات....!

مرحبًامرحبًاأليس هذا.. عفوًا ربما أخطأت...

وتوقف..

وعيناه لمحت حقيبتها.. وشاحها المُدهَس.. ورجل بقميص يوحي بوقتٍ عابث....

انتهى!

سقطت الحرة وباتت الخطيئة في وضع تلبس....!

الفصل الثاني والعشرون

خطوة.. اثنان.. ثلاثة!

امرأة وزوج وعشيق...

وتيبست الأنفاس...

لا...لم تتوقف ولم تنقطع، هي تيبست وكأنما غادرتها الحياة... فقدت نداوتها..

وكأنما أصبحت جثة..

وتحشرج الصوت.. بات يجاهد بنزعٍ أخير والكلمة..

أسامة؟؟؟

واللعنة..

أسامة؟؟؟

والنبرة..

أسامة؟؟؟

والخطوة..

أسامة؟؟؟

حذاءه.. خطوته.. وجذعه الذي مال ليلتقط وشاحها، واستدارته نحوها وجحوظ..

صمتٌ تام....

وصدمة.. وهلع

عيناه تحمل بروزًا قاتلًا وعيناها تموت...

وكان وجهها ينفي.. شفتيها ترتعشان وبكاؤها يتأرجح بهيستريا وقميصها لن ينجيها من العار، ضمَّت مُقدِّمته وشاهدت نهايتها في ملامحه...

تقهقرت.. انكمشت.. وتضاءلت حتى أفناها ظِلُّه،

خائنة.. وزوج

وخيال الآخر....

ومن لا شيء بدأ عراك.. من كل شيء بدأ عراك..

وفي النهاية اكتسحت وجه العشيق قبضات الزوج المخدوع، قبضة أولى وخطوة هروب....

ثانية وتقهقر... ثالثة وأطفالها فوق الجدران يراقبون....

رابعة ونهى عارية داخل الغرفة بين ذراعي رجل...

خامسة ونبرة تثير بها خضوع...

«شهية»

سادسة وأجفلها اقتحام شبه عاري...

«لم يحدث شيء»

سابعة وخطيئة قهوة...

«الأفكار تقتل المتعة»

أريدك نادية... أشتهيك... أراكِ امرأة...

سأهدي ضميرك قلة الحيلة.. نادية...

سليم..

هَنا.. ليس زوجك...

أخون...

اطلبي الطلاق...

عاهرة!

زادت الغيمة.. سماء فبراير رمادية وسقوط المطر حياة...

لم تعدْ الصورة تحمل سليم ولا زوجها، اصطدم ظهرها بسور الشرفة.. أسندت كفيها..

وغابت الرؤيا...

اليأس لا يرسم حياة....

تعويذة حب وثلاث فتيات...

وفرط خرج عن السيطرة!

سامحوني......

وبكت جنا فوق الجدران..

لسعة هواء.. استفاقة من بين دماء

عيناه تصرخ.....لا!

وعيناها تغيب في ارتياح..

رفعت بصرها نحو السماء.. وسقطت!

سقطت نادية..!

وصباح فبراير ما زال ملبدًا، فتاة صغيرة في عمر السابعة تجذب أمها نحو محل فطائر.. ولم تكن تعلم أن هناك امرأة تعد فطائر أفضل وأن خاصتها شهية ومنكهة بثمار التفاح الطازجة وأنها كانت تنوي خبز وصفة جديدة نهار السبت

وأن تلك المرأة سقطت كجسدٍ منتهي الصلاحية من حاجز شرفة.

أن سائق سيارة أجرة توقف متطوعًا وأن عجوز تراقب تصرخ في لوعة «استر يا ستَّار» وأن هناك رجل يبتعد في حلةٍ رمادية متمنيًا أنها جثة..

وخافت الفتاة واحتمت بجسد أمها واحتشد جمع من مطعم مجاور وسيدة أرستقراطية قررت استعمال الهاتف طلبًا للنجدة وأن اليد الشاحبة لصاحبة الفطائر تهتز على الأسفلت وأرضها قطرات دماء..

وفوقهم وعلى ارتفاع ثلاث أدوار في منتصف غرفة المعيشة هناك ساعة خرقاء.. بالأحرى متأخرة،

متأخرة للغاية..

والصوت يشبه ناقوس كنيسة تدعو روادها لصك التوبة، والحضور لم ينجح أحد فقد انتصر الشيطان.

كان مستندًا على جدار.. قدميه ممدتان دون حركة وذراعيه مرتخيين على جانب جسده، ارتجفت عيناه لوهلة ثم عادت للشرود...

فعيناه سقطت معها ودماءها باتت فوق يديه ووجهه وجسدها ليّن فهو اغتصب تفاصيله مرارًا فوق الفراش والآن تهشمت فباتت مهترئة دون عظام..

ويكى..

ولم يكن يعلم أن الشياطين تبكي ولم يكن يدرك أنه سيحاكم نفسه كشيطان مع دقات ساعةٍ خربة..

فالوقت تخطى العاشرة والزمن سبع دقات...

واحد

امرأة تسقط

ارحمني

اثنان

امرأة تسقط

الشياطين تعشق الحوريات

ثلاثة

امرأة تسقط

لست مثلكم

أربعة

امرأة تسقط

لن يلاحظ

خمسة.. ستة.. سبعة

هل فكرت قبلًا في حساب توقيت السقوط؟؟؟

نهاية

ارتطام

وصفعة جسد

سبع ثوانٍ

زمن سقوطها كان سبع ثوانٍ..!

الدور الثالث شقة رقم تسعة...

سقطت امرأة وهرب رجل كان يسأل عن العقار...

ثرثر الحارس..

أنثى تبلغ من العمر تسعة وثلاثون عامًادوًن ضابط شاب

اصطدمت بمكيِّف الهواء فقلل من سرعة السقوط

شاهد عيان.

الدور الثالث شقة رقم تسعة.

لا يوجد أحد..

وسارينة الإسعاف ما زالت تصم الآذان

تحركت بها وطبيب يصرخ أن هناك نبض حياة

وهو.. هو كان خلفهم يركض بسيارةٍ متشبثًا بنجاةِ ما تبقى من ضميره إن ظلت حية..!

صباح فبراير مظلم..

جدول أعمال مزدحم وهي ودفتر مواعيد لا ينضب،زفرت وهي تقلب صفحاته وتتذكر كم اجتماع عليها أن تحضر اليوم ودون هذا كله زوجها العزيز سيمر عليها في غضون ساعتين لاختيار غرفة معيشة جديدة..

ديموقراطي قرر أن ينسف ديكورها الإنتقامي ويستبدله بآخر بذوقٍ مشترك، وكما أن ليس بها طاقة لجدال فلا طاقة أيضًا لتوقعات ما ينتويه الثائر.. محاكمة أخرى بشأن ذنب لم ترتكبه أم محاضرة تلقنها مبادىء حنكته الخرافية!

زفرت مجددًا وعيناها تمر على أوراق دون معنى والعقل يعود لنادية.. يجب عليها أن تحادثها، أن تسحبها من براثن هذا الرجل وبأي ثمن. مسدت جبهتها وعادت تنهي بضعة أعمالٍ ورقية وأفكارها تناوش الهاتف باتصال...

تهاتفها الآن..

غدًا..

لم يمهلها هاتفها الفرصة..

كانت مكالمة من رقم عرفت صاحبه من قبل ولولا الجملة المقتضبة ما ميزت الصوت..

نادية انتحرت....!

واسم مشفى..!

رواق...

لم تُقدِّر طوله ولكن خطواته لا نهائية..

طنين أذنيها هواء..

ليس الآن فقط بل منذ نصف ساعة.. خطواتها المتعثرة فوق الدرج، الشهقة التي لم تخرج والدمعة التي لا يوجد لها وقت...

انتحرت نادية...

والصوت لجلاد..

وصلت المشفى بأعجوبة، وأمسكت بذراع فتاة ترتدي الأبيض والسؤال كان توسلًا لغريق: امرأة اسمها نادية جاءت..

ولم تكن تعلم ما التكملة، في تلك اللحظة اقترب منها الإنهيار وقاطعته الفتاة كما قاطعتها.. أجابت بديناميكية ملاك رحمة: الدور الثاني.. عمليات..!

رواق...

لا مُنتهي وآخره غرفة، باب مزدوج بقشرة رمادية مشققة.. لم تعد تعلم هل يبتعد الباب أم أنها هي التي لا تخطو؟؟؟

بل خطت متأخرة.. متأخرة للغاية، هي المذنبة، هي من تحتمل اللوم، هي الساكتة عن الحق....

هي الشيطان الأخرس..

رواق....

الباب يقترب..

وليست وحدها.. والشيطان ليس أخرس..

الشيطان يقف أمامها مستندًا برأسه على جدار وضحيته بين الحياة والموت..

وانفجر حينها الإنهيار بوجهه..

حقير.. أنت السبب.. حيوان!

وصفعت وصرخت وركلت وبكت: قتلت نادية.

وكان قميصه ممزقًا.. مهلهلًا والوجه نال أكثر مما يجب من اللكمات، ارتخت يديها والضربات فوق صدره باتت ضعف يصرخ..

شهقت..

انتهت قوتها وقيَّد هو معصميها ثم دفعها ببطءٍ عنه.. ظل ينظر نحوها بلا أي تعبير ثم عاد برأسه مرة أخرى للجدار وكلاهما بات بانتظار خبر...

رحيل أم حياة...؟؟؟

❀

كانت فتاة خمرية اللون، أنف رقيق رغم أنه مفلطح بعض الشيء.. وجنتين منتفختين بطفولة رضيع سمين وفم صغير ناسب عينيها السوداويتين.

أسندتها برقة حتى وصلتا لمقعد مجاور ورمقت الرجل الآخر بنظرة لا

تحمل راحة، كانت يدا هَنا ثلجية بصرها يهتز رغمًا عنها ولا ترى سوى سليم.. ونادية..

والباب الذي أصبحت تخاف أن يُفتَح..

ضمَّت جسدها لتنكمش في مقعدها وشعرت بتربيت دافيء فوق ظهرها..

أنت وحدك؟؟

هو هو زوجها؟

هل تودين أن تتصلي بأحد؟؟

سؤال تلو آخر تلو آخر...

استدارت للفتاة بجمود وبعيناها ألف عبرة ومسؤولية حتمية يمليها عليها القدر: متى ستخرج؟

ونظرت الفتاة للباب وملامحها تجهل الوقت كما النتيجة: ربما ساعات.. فقط ادعي أن تخرج حية..

وبعد ساعتين وربما أكثر لم يقطع السكون سوى رنين زوجها الذي ثار جنونه باحثًا عنها وأجابت بصوتٍ غليظ من كثرة ما حبس من الوجع: أنا في المشفى..

❁

أن تتفق مع زوجتك على موعد ولا تحضر..

عادي..

أن تهاتفها خمس مرات ولا تجيب..

يحدث..

ولكن أن تجيبك بأسوء صوت سمعته منها في تاريخك وتُمليك عنوان مشفى..

مرحبًا بأسوء خيال..!

وهو الثائر المتحكم قدر توقيت النانوثانية في أعصابه صدم سيارته مرتين وتعثر بدرج مشفى حقير بدائي التصميم ودار بثلاث أدوار حتى وصل إليها..

وتجمد كل غضبه وقلقه حين رآها.. منكمشة بمقعد معدني وتضم جسدها بذراعيها بهستيريا فوق الأرضية الخشنة وحدسه أخبره أن عزيزًا بالداخل..

ثناء..

دارين..

ارتعدت حين أمسك بذراعها وعندما نظرت نحوه..

حينما لمح عيناها..

لم يتصور أبدًا أنه قد يراها بهذا الضعف.

وقبل أن يستفسر تحرك الباب.. لتنتفض عيناها برعب أكبر بل، هي الآن تود أن تختبيء بصدره بعيدًا عن تلك العوينات القاسية لطبيب.. وخشونة الصوت الغير مبالية سوى بخبر واحد: الحالة غير مستقرة!

وعادت الفتاة الخمرية لتربت فوق ظهرها من جديد: ادعي لها.......

ووقعت هَنا..

صرخة.. وشهقة.. وعبرات الدنيا..

سقطت القوية، تهاوت على أرضية باردة ويديها ما زالت متشبثة بسترته وتلعثمها لا شيء.. تقول نادية وفقط....

ارتكز ثانيًا احدى ساقيه مقتربًا منها: هشششششششش

وتشبثت هي بكفه الدافيء وبكاؤها منع عنها البصر: نادية تموت..

ارتكز فوق ساقه الأخرى وخلع سترته ليحيط بها جسدها المرتعش ثم جاورها وضمها نحو صدره وأنفاسها تختض على ضلوعه بذات الكلمة وحينها ضم رأسها نحوه أكثر ويده الأخرى تصرف الفتاة المراقبة وربما حشد آخر قرر الانضمام..

أغمض عينيه منزويًا بها عن الجميع وهمسه يمر ببطءٍ أنفاسه فوق جبهتها: ستكون بخير.. ستكونين بخير..

❁

مساء فبراير قارس..

كانت الساعة قد قاربت على الثالثة فجرًا والصغيرة ذات الخصلات البنية لم تتوقف عن البكاء، اقترب رجل غزا الشيب جوانب شعره من النافذة وكان ما زال على نفس الهيئة إلا من ربطة عنقه التي لوثتها الدماء فخلعها كما خلع أزرار قميصه الفضية..

صرخت الفتاة مجددًا: ماما أريد ماما.

وملست أختها الكبرى فوق رأسها وانتفض المراهق الأوسط يلوم صمت أبيه وقرر النزول وحده بحثًا عنها

وصمت.. بل زعقة...

وقرار...

ونهاية قرر هو أن يكتبها بيده...

ماما.. ماتت!

الفصل الثالث والعشرون

فتحت عيناها فجأة لتصطدم كما العادة بالسكون.. أربع دقائق ونصف بين جسدها المتصلب وعقلها الذي بات يترجم الأحداث الفائتة على مدار شهر..

نادية وطبيب فظ الملامح بنبرةٍ خشنة وخبر بات حقيقة تتكرر..

غيبوبة تامة بعد معاناة أربع عمليات جراحية وجواب السؤال..

كان يجب أن تستفيق....

والتفاصيل بعد ذلك أصبحت وسيلة صبر، فطبيب يبرر ذاك بحالة نفسية وآخر يشكك في أدوية مُختارة أما الثالث فقال لها أن ذلك رحمة فهي لن تحتمل آلام جسدها إن استيقظت، ولم تعد تعلم هَنا أي آلام على نادية أن تحتملها أيضًا.. آلام جسد تم شجه بأكثر من مشرط بطول عمودها الفقري بفقراته أم آلام حقيقة أن أفضل ظروفها قد تصبح شبه عجز أم آلام قلب إن كتبت له الحياة فستكون نصف حياة لا أكثر؟؟؟

فالنصف الآخر.. الزوج بأبناءه رحلوا والبعد صار آلاف الأميال ويعلم الله وحده متى سيكون اللقاء.

أغمضت عيناها تحت شلال المياه وسخرية لاذعة تمر بشفتيها، الآن هي تستيقظ قبل زوجها.. الثائر الذي استفسر منها مرة واحدة عن أمر نادية ولم يعجبه الجواب..

قالتها بعزمٍ.. أيقن هوَ أنه لا بعده جدال...

«ما يخصِّ نادية سأحمله إلى قبري»

ولتكن منصفة مع الرجل فهو حينها لم يغضب.. ولكن بعد ثمان أيام وبعد أن أصبحت نادية مجرد جثة دون موت تمر هي عليها كطقس يومي بحديث بدايته بكاء وأوسطه دعاء وآخره اعتراف واشتياق وثرثرة عاود السؤال مجددًا ونال نفس الجواب فانفجر بأحقية رجل يجب أن يحيط بكل ما يخص زوجته وانفجرت هي بأحقية أنثى.... أنثى لا يعني استقلالها تمرد.. ولا أسرارها عاهة... ولا مَطالبها جحود...

أنثى من حقها القرار لا أن تُختزل في طاعة..

وأنهت كما المرة الفائتة انفجارها بجملة حاسمة...

«شأن نادية لا يخصك وشأن هَنا لا يهمك..!»

❁

•

هي آفة حياة أم أن جميعنا على هذا المنوال؟؟

لا ندرك قيمة ما نمتلك إلا حين فقدانه...

جد لنفسك حياة..!

«فتاة كان يطمع بصحبتها تعويض وحقائق تسقط فوق رأسه مرةً تلو أخرى..»

أنه لا شيء..

وربما الأسوء..

أنه لا يجيد اختيار نساءه، هو دومًا يلهث خلف من تراه نكرة..

أرخى رأسه على مسند المقعد وتعلق بصره بالمروحة الدوارة التي عفا عليها الزمن فباتت تذكره بعمر أبيه..

كان الوقت قد قارب على منتصف الليل وهو كعادته ساهر بين جدران العمل وإن كان دون العمل نفسه ولكنه لا يطيق المكوث بالمنزل.. لا يتحمل زيارات دارين المتقطعة بابتسامة تخبرهم أن كل شيء على ما يرام رغم أنها متزوجة بحقير، هَنا التي تختار بدقةِ الرويدي أوقات غيابه عن المنزل وإذا حدث وتلاقيا يتبادلان التحية كغرباء لم يتشاركا مائدة إفطار يومًا!

وثناء..

وأغمض عينيه بسخريةٍ مكتومة يوقن أنه مقصرًا في حق المرأة الوحيدة التي تراه بطلًا. يؤنب نفسه ويَعِدُها في خياله بتعويضٍ خيالي عن شهور الغربة في منزلها الدافيء ويتصور وجهها الأبيض المشرب بحمرة حرارة اللهب وقطرات عرقها بعد مجهود يوم كامل لتنال بابتسامةِ عائلتها الصغيرة الكبيرة كما تود وتنظر له بفخرٍ مطمئن وهو محيطًا بأختيه بحنان.

ابتسم بمرارةٍ مزيحًا أفكاره الخيالية ولكنه استقام وداخله رغبة قوية بالعودة للمنزل.

ربما ابتياع عشاء تحبه وخاصة حلوى البسبوسة بالقشطة التي تعشقها، سيمر بمحل العم سعيد ويبتاع لها أيضًا اللب السوري الذي تفضله وسيقضي معها الليلة أمام مسرحية فكاهية لمحمد صبحي.

واتسعت ابتسامته أكثر ولكن ما زالت المرارة تسيطر عليها وربما الندم، لمَ يضيع وقته في ملاحقة نساء لا يكترثون بأمره ويُهمل المرأة الوحيدة التي تتقبله كما هو دون مفاوضات؟؟

يهدر حقها به رغم أنها أبدًا لم تبخسه حقه منذ صرخ بوجه الحياة أول صرخة، يتركها ليبحث لنفسه عن سلامٍ ذاتي دون أن يدرك أن سلامه الوحيد بين ذراعيها.

أمه.....

ابتاع كل ما أراد، خطا نحو سكون المنزل وكان الوقت قد تعدى الواحدة.. مشى بحرص نحو فراشها الدافىء وكانت كعادتها نائمة مستلقية على ظهرها وخصلاتها الناعمة المشربة بحمرة الحناء الهادئة متسللة من تحت وشاحها الأبيض الذي ترفض التخلي عنه طالما ضيف الطقس شتاء.

يشعر بالذنب لأنه سيزعج نومها العميق ولكن البسبوسة ساخنة وسيعد بنفسه الشاي والسهرة ستكون للصباح رغمًا عنها...

ثناء؟؟ يا حاجة؟؟

لقد أحضرت معي البسبوسة الساخنة بالقشطة هيا يا بيضائي الدافئة...

وبضحكةٍ يائسة من إيقاظها وإصرار يوازي قبلة قوية ومزعجة فوق وجنتها..

قبَّل ، وعانق ، وتصلبت ملامحه...

وشحب وجهه ومع جحوظ عينيه بات يهزها في عدم تصديق ولا يملك عقله سوى أن يكذِّب...

ولكن.. هي آفة الحياة ونحن لا ندرك معنى الفقدان إلا حين اختباره......

رحلت ثناء.........

نساء يتوشحن بسواد، وباب فتح على مصراعيه لاستقبال المعزين وهي تلقت خبر رحيل أمها بمكالمة هاتف...

كان الوقت قد تعدى السادسة صباحًا وهو قد استيقظ مبكرًا لموعد صباحي هام متعجلًا لتناول إفطاره..

شاي ساخن وشريحة جبن أعدتها في وقت قياسي وصداع قاتل وازى تعليماته بالذهاب لأمه مبكرة لأنه سيتأخر.

أخفت تثاؤبها وأومأت كما العادة بنعم وحاضر كي تستريح وانقطع الحديث مع صوت الهاتف الذي حمل نداءًا عاجلًا من جارة متطوعة بأسوء كذبة..!

أمك مريضة تعالي حالًا دارين...

وحينما وصلت.. حينما لمحت نسيج السواد، عيون زياد المتورمة وصوت ثائر الأجش وهو يحاول مواساتها وباب الغرفة المغلق على أمها مع غرباء يمسحون جسدها بالماء الفاتر استعدادًا للرحيل، تهاوت على الأرض ونشيجها مكتوم كما العبرة تمامًا...

رحلت البهجة التي شبت عليها..

رحلت الشامية..

❁

هل هي بخير؟

كان لتوهِ قد دخل الغرفة وقد استرخى بجسده على الفراش مغمضًا عينيه بعد يوم مهلك للجميع، دارين التي فقدت قدرتها على الإحتمال، فانهارت فاقدة للوعي وأحضر لها زوجها طبيب أوصى لها بمنوم قوي المفعول، زياد الذي لم ينطق بحرفٍ واحد منذ أن واراها الثرى، فقط احتضن أخته الصغرى ثم كتف يديه ووقف ببصرٍ شارد يأخذ العزاء..

وهَنا..

هَنا التي أيقظته هذا الصباح بملامح جامدة وجملة واحدة لا غير..

أمِي ماتت!

وتوجهت نحو دورة المياه، فغسلت وجهها وارتدت ملابسها ببطءٍ وما أن توقفت أمام المرآة أيقنت أنها ترتدي ثيابًا ملونة.. أيقنت الموت فتجمعت

بعينيها عبرات مكتومة ولكن دون نحيب، ثم بدلت ملابسها ورحلوا.

وهناك.. بمنزلٍ رغم أنه لم يدخله إلَّا مرات معدودة ولكن استشعر برودته من أول وهلة وكأنه برحيل المرأة الطيبة غادرهم الدفء، كانت هَنا أول من وصل.. لمحت زياد يجلس القرفصاء في أحد الأركان لا يحادث أحد ونساء عجائز يقفن جوار باب مغلق بانتظارها، وبعد همهمة غير مفهومة فهم ثائر أن زوجته رغم رفض الجميع قررت حضور الغُسل وحينما فكر فقط بعينيه أن يثنيها شفقة عليها كان جوابها قاطعًا وللكل

«لن أتركها بمفردها»

وباقي أحداث اليوم مرت كدوامة ولكن زوجته.. زوجته كانت تقف صلبة دون أن تذرف دمعة واحدة، تأخذ العزاء وتطمئن على دارين وتحاور صديقة عجوز للراحلة بثباتِ ابنة كبرى وكلما شعرت بقرب الضعف.. بلحظة لا يوجد لها رفاهية كانت تستند على ذراع صديقتها التي تبدو مقربةً جدًا لها وتناديها صدفة، تغمض عينيها وتأخذ عدة أنفاس متتالية ثم تعود من جديد للجنازة والبكاء وصوت آيات الذكر الحكيم والترحم على من كانت بمثابة أمها..

حينما دخلت الغرفة وأسندت رأسها على الباب الخشبي اعتدل وعيناه قلقة عليها قبل أي شيء ولكنه سألها عن المسكينة الأخرى التي كانتِ قد استفاقت لتوها من عقار النوم لتواجه الحقيقة مجددًا بصراخ، زعق بها أحمد وأراد يأس زياد أن يناولها حبة أخرى أمَّا هَنا فأخرجتهم من الغرفة جميعًا واحتضنتها بقوةٍ دون حرف واحد.. احتضنتها لتبكي فوق صدرها بقهرٍ.. بمواجهة حقيقة الرحيل...

رحلت ثناء مثل من رحلوا قبلها، رحلت دون كلمة وداع فكان رحيلًا مفاجئًا قاسيًا على الجميع.. رحلت وعيناها متعلقة قلقًا بخصلاتِ دارين التي كانت كالعادة تكذب مطمئنة بشأن زوجها الرفيق.. رحلت ويديها كانت آخر

من ربتت على وجه هَنا متمنية لها راحة البال.. رحلت والقلب ما زال مرتجفًا بشأن زياد مع دعوات لا تنقطع بصلاح لم تفقد به الأمل.

تنفست ببطء وجلست فوق الفراش ظهرها له تخلع حذاءها وتجيب بصوتٍ ثابت: لقد أعطيتها دواء مهديء..

اعتدل في جلسته ليقترب منها ممسكًا بكتفها وعيناه تشعر بالقلق عليها: هل أنت بخير؟

لم تجبه.. فقط أومأت بإيجاب ثم بدلت ملابسها وأغلقت الضوء.. استلقت جواره فوق الفراش وكان فراشها صغير الحجم نوعًا ما بالكاد يكفيهم دون رفاهية الحراك، همست بصوتٍ متعب: لم يكن يجب عليك.. أقصد كان من الممكن أن تعود للمنزل.

قاطعها وحينها كان قد استدار لها مرتكزًا على رسغه بينما ظلت هي متجمدة على ظهرها تراقب الفراغ: وأتركك؟!

أنا بخير؟

لست بخير..

ثائر أخبرتك أنا بخير

وكانت نبرتها الأخيرة حادة.. مرتعشة ببكاءٍ محبوس حد الانفجار، وثب برقةٍ فاعتلى جسدها وحينما حركت يديها بشكل دفاعي عفوي طبق اللحظة قيدهما تمامًا بجانب رأسها ثم اقترب منها بشفتيه هامسًا بحزم: ابكي

لم تتحرك ظلت متصلبة على وضعها وعيناها محدقة به وكأنها تخشى أن تغمضها فيغافلها البكاء، كانت نبرته التالية صرخة: ابكي هَنا.. اللعنة ابكي قبل أن يفوتك وقت البكاء...

ناوشتها العبرات فشوهت البصر، لم تعد ترى ملامحه فباتت تشعر به من خلال أنفاسه.. همست بمعاندة أخيرة: لن يعيدها البكاء ثائر..

ارتخت قبضته من فوق رسغيها ليميل نحوها بقبلة طويلة فوق جبهتها ثم اعتدل مجددًا ليضمها نحوه صدره وحينها شعر بارتعاش أنفاسها وبكاء بات ينفجر فقط بين يديه.. ضمها نحوه أكثر فتشبثت به وكأنها تتوسل دفء أبوي كتب عليها أن تفقده مرارًا وتسللت العبرات واحدة تلو أخرى مبللة وجنتيها وصدره.. ولا تعلم متى نامت ومتى استيقظت....

لا تعلم فحوى همسه لها بعد أن غابت بسباتٍ عميق، ولا تعلم أن الذعر تملكه لمجرد مرور فكرة فقدانها هي، ولا تعلم أن فوضى المشاعر المتلبسة بها ترهبه هو أيضًا...

ولكن كانت تعلم شيء واحد..

أنها قضت ليلتها كلها مستلقية فوق صدره.

❁

هو ليس متلصصًا، ولا هاوي تجسس...

هو مثير للشفقة!

ولكن هي السبب.. هي من ظهرت بمكتبه صباحًا بوجهٍ شاحب واستئذان مبكر دون سببٍ واضح

دون أن تبل ريقه بسببٍ واضح....

اللعنة يا صاحبة الغمَّازة!

ومنزلها مظلم والوقت قارب على منتصف الليل.. وهو تناول عشاءه واطمئن على نوم لارا وشذب ذقنه متخذًا أهم القرارت مع مرآته وتبغه، وعاد مجددًا ليراقب النافذة وهي مختفية.

وقبل أن يفقد جنونه بدقائق لمحها تترجل من سيارة الأجرة دون مريم وتصعد شقتها وحيدة...

حسنًا هو فقد جنونه.. الآن يشعر بالقلق...

كانت قد دخلت لتوها المنزل بعد يوم شاق، بمحض الصدفة هاتفت هَنا في الصباح لتكتشف أن الشامية الطيبة غادرت الحياة.. تركت العمل على عُجالة وأبقت مريم مضطرة بمنزل سميحة وذهبت لتواسي صديقتيها، لولا قوة هَنا لانفجرت بالبكاء بدورها مع انهيار دارين ولكنها تماسكت من أجل هَنا التي كانت على شفا شعرة.

خلعت وشاحها وتخلصت من قيد بعض ملابسها ولم تكد تنهي وضوءها لتتم الصلاة حتى سمعت صوت هاتفها باتصال متأخر.. ابتلعت ريقها لوهلة وهي تلمح اتصاله وأناملها مترددة في الرد...

تلك هي المرة الأولى التي يهاتفها فيها في وقت متأخر مثل هذا.. بل هو في الأساس لا يهاتفها إلا لضرورة قصوى وبوقت العمل، ابتلعت ريقها وعدلت من إسدالها في حركةٍ عفوية ثم فتحت الخط وصوتها في ارتباك: آ...آلو

هل أنت بخير؟

كان صوته قلقًا.. عز الدين مجددًا فاقدًا لهدوءه المعتاد، تلعثمت لوهلة قبل أن تجيبه وكان هو الأسبق بسؤال آخر: أين مريم؟ ولمَ غادرتي مبكرة؟

أنا.. أنا كنت بعزاء

الآن أنفاسه أهدأ قليلًا.. تابعت وأولويتها طمأنته: تركت مريم عند خالتي فالوقت تأخر و..

لقد قلقت.

صمتت وحاجبيها الرقيقين باتا مضمومان في يأس، يأس يقول لا تقلق.. لا يجب أن تقلق ولا يجوز أن تقلق وهو يتابع بصوتٍ أجش تتخلله أنفاسه التي باتت أعمق: قلقت عليكي.

ردَّت مسرعة وبجفاءٍ مطلوب: أشكرك أنا بخير.

والتالي سيكون وداع.. ستغلق الخط أو هكذا ظنت، سألها مستفسرًا وتلك المرة كان هو قد اضجع براحةٍ فوق مقعد هزاز: عزاء من؟

هه..

من توفي؟

والدة صديقتي المقربة

صوتك حزين

كانت امرأة طيبة

صوتك حزين صدفة

صمتت وكان صوتها متحشرجًا..لم تبك ولكن هي بحَّة نشيج مكتوم، تابع بنبرةٍ دافئة: تذكرتي من؟

أجابت وشرودها يأخذها نحو الماضي: تذكرت أمي.

وكانت تبتسم كي لا تبكي، تحاول أن تتذكر طفولتها.. يوم زفافها وعبرات الأم وتوصية الخالة!

تابع بأريحية وقد بدا صوته لها قريبًا للغاية، ربما أقرب من مسافة هاتف: نحن مع كل حزن نستدعي جميع أحزاننا صدفة.

سألته بسخرية: ومع كل فرح؟

أجابها بشبه ابتسامة: نخاف.. نخاف وفي خضم الخوف ننسى أننا يجب فقط أن نفرح.

تنهدت وهي تراقب أضواء السيارات قرب النافذة: أمي كانت هكذا.. كان تبكي مع كل ضحكة.

ضحك حينها ليكمل: خيرًا اللهم اجعله خيرًاوضحكت هي متابعة: نعم هذا ما كانت تقوله.

صمت هو للحظة قبل أن يزفر ببطءٍ متابعًا: هل تعلمين حينما رحلت أمي لم أحتمل المكوث بالوطن.. سافرت.. ابتعدت وكأنها هي وحدها من كانت تبقيني، كان هذا منذ سبعة عشر عامًا.. عملت لسنوات بأحد الدول المجاورة وعدت وأسست شركتي وحاولت المكوث ولكن لم أستطع وكأنني اعتدت الغربة فسافرت مجددًا.

سألته بعفوية: ولمَ قررت العودة؟؟

استرخى صوته اكثر ثم تابع بضحكةٍ صادقة: اذا تجاهلنا إلحاح عاصم سأقول أنني اكتشف حاجتي لوطن.. دفء يشبه قهوة أمي.

ضحكت بدورها مع تنفس بطيء قَطَعه هو بسؤالٍ مفاجيء أربك نبضات قلبها على الفور: هل تجيدين صنع القهوة صدفة؟؟

تلعثمت وكأنها فقدت حكمة الجواب: لا.. نعم!

ابتسم بمكر وبين يديه كان يحرك لفافة تبغ غير مشتعلة: أنا أفضل الشاي!

أغمضت عيناها وتحولت ملامحها للوم.. لا هو، هي تلوم نفسها على تلك المحادثة المطولة المتأخرة جدًا، همَّت لتنسحب ولكنه امتلك دفة الحوار مجددًا: سبعة عشر عامًا.. كم كان عمرك وقتها يا تُرى؟؟

وقبل أن تفكر بالجواب تابع هو: ثمان أعوام.. أنا غادرت الوطن وأنتِ طفلة

وحين توقف كانت سخريته في صمته لا ضحكته.. الفارق بينهما خمسة عشر عام، كونه فارق مسموح لا ينكر أنه كبير فوقتما كانت هي تمشط ضفائرها ببساطة كان هو رجل. تنحنحت وبدا من صوتها أنها تود الهروب ولكنه لم يكن على استعداد أن يمنحها تلك الرفاهية فجاءت نبرته متحكمة: لا تغادري الشركة متعجلة مجددًا فترهقي قلب رجل عجوز....

وعادت السخرية لنبرته فقاطعته وخلف نبرتها ابتسامة: بالتأكيد أربعون عامًا لست عجوز...

وابتسم هو بمكرٍ بعد أن سحبها لمنطقته: رائع.. أصبحتِ مهتمة بالحسابات مثلي.

وغاب لون وجهها إلّا وجنتيها تمكن منهما احمرار خجل وتشابكت الحروف: لقد تأخر الوقت.. يجب أن..

همس مودعًا ببحة مقصودة: تصبحين على خير

وتصبح على خير خاصتها قالتها وهي تغلق.

قلبها ينبض..

عقلها يثرثر..

وضميرها يرفض.. لقد أخطأت.. ما كان يجب عليها الرد أبدًا!

❁

وتفاصيل المساء مشوشة.. فالظلام يقوم بواجبه ونصطدم نحن بالواقع تحت مظلة الضياء.

لامت نفسها..

أنَّبتها وغاب النوم دون صاحبة الفراش الوردي، وصاحبة الفراش الوردي هي أهم مخلوق بالعالم...

لا مكان لرجل جوار مريم..

ولا تبديد لشعور سوى نحو مريم..

وفي الصباح كانت متدثرة بوشاحها الأخضر الضخم.. رأسها الصغير كان يحمل أسوء نظرة بالعالم وشفتيها لم تكن تنوي صباح الخير....

بل موقفًا قاطعًا لا يجوز معه حديث!

ولا قلق ليس من شأنه..

لا محادثات تليفونية متأخرة أو غيرها...

وحتى تلك النظرة يجب أن يكف عنها للأبد!

ورغم أن القوة تبخرت مع ابتسامته وربطة عنقة الرمادية مع خيوط قميصه الزرقاء إلا أن الحاجبان ما زالا متقوسان بغضبٍ...

برفضٍ..

وهروب..

وابتعلت ريقها أربع مرات وبعد أن وقَّعت منه أوراق مطلوبة وأسقطت القلم ورغمًا عنه بحق لامس يديها فخرجت نبرتها متحفزة: باشمهندس عز الدين

رفع عيناه نحوها وكان ما ستقوله متوقعًا.. هو يحفظها كغمَّازتها الهاربة تمامًا، أغمضت عيناها ثم تابعت وهي تتحاشى النظر نحوه: أنت مديري في العمل وفقط.. لا يجوز.. لا يصح أن تكون هناك محادثات شخصية..

رفع رأسه وأسنده فوق كفه الأيمن ثم رمقها بتفحص ونبرته تسألها بخشونة: لا أفهم!

عضت فوق شفتيها ثم عادت خطوتان للوراء وصوتها ينهي الحديث بحدة: أفضلها علاقة رسمية.. رسمية وفقط.

واستدارت لترحل خطوة واثنان وثلاثة.. ونقاط كان يجب أن تضعها فوق الحروف ولكن لم تكن تعلم أنه هو من أحضر النقاط.. وضعها بين أناملها وشكل تفاصيلها كما يشاء وانتظر ردَّة فعلها..

وقبل أن تبلغ الباب توقفت مع صوته وهو يجيبها برزانةٍ ثابتة: إذًا لنجعلها رسمية!

استدارت وعيناها حائرة لا تفهم مقصده تمامًا وربما تخاف أن تفهم، والخوف بات متعلقًا بقطار أسموه نبضات قلبها وهو يقترب أكثر ويداه مستريحتان بين جيوب بنطاله، عيناه مرتكزتان عليها وابتسامته تتمكن منها فتوقف العالم فعليًا مع آخر جملة.

نجعلها رسمية.. زوج وزوجة.

الفصل الرابع والعشرون

اليوم الخامس بعد الرحيل..

ويقولون هو خُفوت مرحلة الصدمة وبداية اضطراب المواجهة.

حقيقة الفقد..

هذا الحي القديم يحافظ على روتينه المبكر، صوت بائع المنتجات البالية.. زعيق امرأة بابنها من النافذة ورائحة فلافل ساخنة من مطعم مجاور.

ورغم خلو محيط فراشه من ماكينة قهوته الضخمة إلّا أن رائحة البن المحضر بحرفيةِ امرأة عجوز والقدح الصغير بنقوشه الزرقاء العربية المعقدة كان يحمل متعة مختلفة.

متعة تشبه أطروحة عن رجل وحيد اختار كهفًا ليبدأ به حياة، فطرته تقوده نحو الماء.. الطعام والقتل والنجاة والأنثى.. حد الرغبة وحد التشبع وحد الخواء. وفي النهاية انبلج من داخل الكهف ضوء.

ضوء ضعيف كان يصارع داخله ليحيي ولم تحرره سوى امرأة واحدة..!

أغمض عينيه وتجوال أفكاره ترجمته شبه ابتسامة ثم مال ليقبل عنقها النابض بنوم مستريح ورحل مع همسٍ ماكر: سأمر على المنزل ثم الشركة.

ورحل وعيناها المغمضة تتشبث بسبات، وقبلته الدافئة ما زال أثرها ملموسًا فوق العنق النابض..

نبض يتأرجح باقترابه فلا يجوز معه هروب ولا ادعاء..

ففي النهاية الضوء لا يخصه وحده..

مع خطوات رحيله تعلقت عيناها بسقيفة غرفتها الخشنة وشعاع شمس ضعيف تسلل من حواف النافذة، الغرفة تضج بكل ما يخصه وكأنه امتلك المحيط في خمسة أيام.. عطره الخاص فوق طاولة زينتها وملابسه المنزلية مطوية في الخزانة ومنشفة استحمامه مفرودة على حافة مقعد خشبي ووسادتها باتت تحملهما سويًا.

وكأن الغرفة باتت مستعمرة ثائرية والقهوة هي الغنيمة..

جذبت باقي القدح بابتسامة ساخرة ولسانها يتمتم بينما توجهت للمطبخ لجلي بعض الصحون..

هذا الرجل جزيئات تعرُّقه قهوة!

وفجأة داهمها صوت آخر..

صباح الخير

توقفت تمتمتها وتصلبت يديها بعض الشيء تحت الماء البارد، لم تجبه ولكنها استدارت لتلمح هيئته الباهتة دون حياة.

زياد الذي لم ينطق بحرف واحد بعد مرور ليلة الوفاة.. يستيقظ دون حياة ويجلس فوق مقعد خشبي منزوي في أحد أركان المنزل، يستقبل الزائرين ويمضغ طعامًا من أجل البقاء لا أكثر ومع دخول الليل يرحل.. يختفي تمامًا فلا يعود إلا صبيحة اليوم التالي ويعاود التشبث بمقعده الخشبي مجددًا.

ابتلعت ريقها ثم جففت يديها بتوتر لتجيبه دون أن تنظر نحو عيناه: صباح الخير

سألها بعد أن شرد بصره في الجدران لوهلة: دارين استيقظت؟

لا..

ابتسم مومئًا ثم استدار ليرحل ولكنها أوقفته بنبرةٍ مرتجفة: زياد

توقف دون أن ينظر نحوها فتحركت لتتخطاه متوجهة نحو المبرد، لمح ارتعاش أناملها وهي تخرج بعض ثمار البرتقال الطازجة وتبحث بيأس عن سكين حاد ثم بدأت بتقطيعه وتحريكه في العصارة اليدوية.

واحد.. اثنان.. ثلاثة

كوب كامل في عشر دقائق.

وحينما استدارت نحوه من جديد، لمحت عيناه وقد امتلأتا بعبرات ثقيلة ووجهه جامد كتمثال، ذراعيه متهدلان وساقاه تجمدتا دون حراك.

اقتربت منه حتى أمسكت بكفه فرفعته نحو الكوب وثبتته بين أنامله متابعة بصوتٍ متحشرج: كانت تحرص على كوب عصير البرتقال.

ثم رفعت كتفيها متابعة والعبرات حليفتها تلك مرة: زياد يفضل البرتقال الطازج.

أغمض عيناه وكان يتنفس باضطراب.. صورتها النائمة لا تفارق مخيلته، عقله الذي يصرخ كل مساء بحروف هي الأسوء في تاريخ العالم.

«لو»

لو آتى ليلتها مبكرًا؟؟؟

لو اهتم بها أكثر؟؟

لو أعلم قدر ألم فقدانها قبل الرحيل؟؟

وكان يعلم أن لو تفتح عمل شيطان وأن الشيطان كان حليفه هُنا ومنذ أشهر وفي تلك البقعة حينما حاول انتهاك شفتي ابنة عمه وهَنا تقف أمامه الآن بابتسامةٍ بريئة تتشبث بذكرى أمه ومشروبه المفضل وترد لها الجميل والحنو والأمومة في ابنها فتقول له أنها موجودة وستظل ابنة العم.

الحبيبة التي تود أن تكون أخت كبرى..

وانحنت شفتيه بسخرية مريرة فوضع كوب العصير فوق الطاولة ورفع بصره نحوها والنبرة كانت خشنة.. صلدة متمسكة بقسوةٍ قارب خشبي حقير بات يقضي فيه ليله ونومه وهذيانه وعقاب يستحقه دون نجاة..

أنا لن أتذوقه مجددًاوتركها ورحل نحو ذات الركن بالمنزل....

نحو المقعد الخشبي!

❁

«لنجعلها رسمية»

وبعدها هي تستحق لقب الموظفة التي هربت من مديرها بعد عرض زواج.. أو لنقول ركضت!

وساقها الركض نحو مكان مغلق.. مطعم وجبات سريعة اختارته بعشوائية بنهار كان هو النقطة الفاصلة، يوم أن اكتشفت أن الزوج يخون.. وأنَّبتها نساء عجائز أن زواج الرجل ليس خيانة، هو حق ومستحق وحاجة ومعركة خسرتها منذ أول جولة..

قالوا لها أن زواجها معركة وطلاقها خسارة.

قالوا لها نزوة وستبقى هي صاحبة السبق.

قالوا لها أن المطلقة لا تملك فرصة وأن أقصى أمانيها عجوز أو مطلق أو أربعيني معه طفلة!

وسخريتها وازت قسوة مكعبات الثلج في كوب مشروب بارد لم تقربه..

فيجاورنها ويرون كيف يكون الأربعيني والد الطفلة...

وذكره يستحضر ملامحه، خشونة نبرته وقدح مشروبه البارد ولفافة تبغه المحترقة على الدوام.

وابتسمت ثم كتمت الابتسامة، بل قبضت بأناملها فوق نبضات قلبها وأخرسته تمامًا ومساءها كان احتضان لمريم.

بكاء.. وهمس لا تسمعه الصغيرة ولم يسمعه هو رغم أن كل الحروف بشأنه، بشأن من تحركت مشاعرها نحوه رغمًا عنها وسترفض عرضه أيضًا رغمًا عنها..!

ولمَ الرفض؟

وكانت تحادثها نفسها، المرأة الكامنة بين ضلوع أم.. وصرخت بل رفضت..

هل جننتي؟؟ سيأخذون مني الطفلة...

وماذا عن عز؟ أليس برجلٍ يستحق محاولة؟؟

والنفس تجادل.. تحاور وتلعب فوق أوتار القلوب، والقلب ممتلىء باسم مريم ولكن هناك مجال لتجويف صغير وهو حق ومستحق وحاجة.

ألم يتزوج الغالي لذات السبب؟؟

وتهكمت على النفس وذكر الغالي: لا توجد حقوق للنساء!

وتنتفض الأنثى بحماقة من تظن الخلاص: أنت من تقررين حقك

وأحاطت رأسها، تقيد الأفكار كي لا تجنح باتجاه غير محمود: سأرفض.. أنا لا أفكر بالزواج

وسخر منها ذات الصوت وكأنها صدفة الأخرى التي تتمرد على كل خضوع.. إذًا فأنتِ لا تستحقين رجل مثله!

وبظهر يدها مسحت ما تجمع بعيناها من دموع، جذبت الهاتف كي لا يكون بعد القرار رجوع ولم تجرؤ على المحادثة فلم تمتلك سوى نص رسالة.

آسفة..

ومرت ثلاثة أشهر..

امرأة راقدة في غيبوبة ويتوافد فوق فراشها ثلاث نساء، حينما كانت تدخل الشقراء للمشفى كان يقول طبيب متدرب حل الربيع!

ولا يمكننا أن نتهم الرجل بمغازلة، فالربيع قد حل بحق وتناثر العبق والزهور والفسيخ بين جدران البيوت المصرية، ووضعت دارين باقة الورد واقتربت بشفتيها من جبهة نادية ثم أسندت رأسها على المقعد لتبدأ حكاية.. والتفاصيل غير مهمة، ويوم ما جذبت هَنا من ذراعها وأصرَّت صدفة معها على معرفة ما يؤرقها أخذتهم بصمت نحو هذا المشفى.

نحو جسد نادية الذي بات يقترب من مجرد جلد فوق عظام ولم تجب على أي سؤال يذكر وسيذكر.

كل ما قالته كان جملة واحدة سردتها بجفاء: لقد اتخذت قرارًا خاطئًا!

وتتأملها دارين وتطيل النظر نحو خصلاتها البنية الناعمة، شفتيها الوردتين ما زالا محتفظتان ببعض الجمال رغم الشحوب وأناملها تصاحبهم برودة والبرودة أقلقتها وصرخت تبحث عن طبيب وجاء وطمأنها وغازلها ورحل تاركًا بداخلها فراغ..!

بل الأسوء

سؤال

هل اتخذت هي بدورها قرارًا خاطئاً؟؟

وقرارها كان شارد بدوره.. بعيد ويبتعد ويملي كالعادة كل أمر ممكن وبداية القصيدة كانت تأففه من اللون الأسود.

من الحزن..

وبكت ليلتها وكرهت شفتيه وهما تطلبا منها خلع الحداد، والقاعدة الحزن في القلب وكفاه أربعون يومًا بين سواد.. وخلعته لأن الأمر طاعة والزوج طاعة والجنس طاعة وكرهته ليلتها وناوشتها نفسها بطلب الطلاق.

والآن هي لم تعد تمتلك رفاهية فعلها، أخرجت من حقيبتها الشريط أو كما تخبر نفسها العلامة.

علامة نجاح الأمر.. والحب والزيجة.. وأمنية مصقولة بعناية أن يتغير أحمد!

فهي تحمل بأحشاءها جنين!

ووقت رحيلها كانت تظهر صدفة، العسلية هادئة الملامح.. نفس الطبيب ولا عذر لك أيها الرجل أنت في عرف المصريين ذكر بصباص!

وصدفة تبدأ زيارتها بتنهيدة ثم تشمر عن ساعديها بنشاط وتطلب من ممرضة تغيير الشراشف وتعطير الأرضيات.. وأثناء العناية بنادية وبشبه حمام اسفنجي تقص لها كل شيء وكل شيء يعني عنه..

آسفة

ولم يرد..

وغابت عن العمل ثلاث أيام فأرسل لها مع عاصم والقول يحمل أن العمل نقرة والحب نقرة.

وعادت بتوتر يحمل كل أمنية أن يرحمها من تلك النظرة ولم تكن تعلم أن الرحمة ستكون لعنة، غابت النظرة وغاب سحر الغمازة.

ألم تكن تعلم أنه مفتون؟!

كانت تعلم وبحدس امرأة والآن باتت تشتاق لتلك الفتنة.

وغضبت من نفسها وصرخت ببحة مكتومة: أحبه نادية.. ولن أمتلك سوى تلك المشاعر.

ثم قضمت ظفر بنصرها تتابع بغيظ: وكأنه نسي الأمر تمامًا وكأنه اهتمام بأنثى وفقط.

ونهاية الزيارة تكون بنفس التنهيدة وحل مؤقت تردده لحالها كل ساعة: هكذا أفضل..

وكانت تهرب قبل موعد هَنا، وهَنا يبتعد عن طريقها الطبيب ويبتلع في حلقه المغازلة فتلك قد تحطم أنفه وأغلى ما يمتلك في لحظة غضب.. وهَنا تحضر كعاصفة زوجة الرويدي ولها الحق فهو من تولى نقل المريضة لهذا المشفى بنفسه.

هَنا تغلق باب الغرفة وتتأكد من جميع الطاقم عن تفاصيل من مر بباب نادية ثم تخلع سترتها وتستند برأسها على المقعد مجاورة للغائبة دون أن تنبس بحرفٍ واحد.

هَنا لا تقص شيء.. لا تتحدث عن ثائر ولا تتذكر مع ملامح نادية الماضي وثناء، اليوم.. اليوم فقط تحركت شفتيها بشيء وربما تخترق الحروف عقل النائمة علّها تسمع وتتشبث بهبة الحياة.

لقد علمت أين سافر زوجك..

❁

مرت ثلاثة أشهر.....

منزل مظلم وشبح رجل.

تحضر دارين وتحاول هَنا ويتركهم ويخرج،

ولمَ سيبقى؟؟

ألم يكن يرحل ويخلفها وحيدة؟؟

ألم تمت وحدها وربما فقدت رفاهية شربة الماء قبل الشهقة؟

إذًا فالعدل أن ينال المِثل!

ويموت وحده..

رفع رأسه بصعوبة من على الوسادة وحك لحيته التي استطالت فأخفت رقة ملامحه ثم مد ذراعه ومرر أنامله بحثًا عن لفافة محشوة من الليلة السابقة.

البداية سحر والنهاية سحر وما بينهما هذيان...

أي شيء سوى الحقيقة...

حتى مكالمة فتحي صديق العمل ولفافات البهجة وخبر منتظر لنجاح عمل آخير والعبور من عنق الزجاجة بات لا شيء..

فقد تحطمت الزجاجة وتناثرت شظاياها تحت قدمي امرأة عجوز وفي النهاية جرحت قلبها فماتت وماتت بعدها الفرحة.

لو كانت حية؟؟

وعاد لـ «لو» ومع ذكرها وجنون الشيطان جوار رأسه سمع دقات الباب في موعد غير مرتب، بعد تجاهل لمدة ربع ساعة حرك قدماه على مضض وارتدى سروال بيتي مكرمش فوق قميص لم يكترث بقيد أزراره وشفتيه تنوي صرف الجارة وربما الفتاة الجامعية ابنة الصديقة التي قررت أن تذيقه هي وأمها طبق غبي الطعم من الأرز بلبن وتوقفت نواياه حين فتح.

ظل لدقيقة يرمقها دون حراك، توترت شفتيها بابتسامة غير مكتملة ثم رفعت بصرها نحوه ليخرج صوتها ديناميكيًا كما اعتادها: كيف حالك؟

ملازم فدوى!

ونبرته كانت ساخرة وتود أن تزيد ما سر حضورك الكريم أو تبديد وقتك

الثمين أم ربما تحمل بين جعبتها نصيحة أخرى!

جد لنفسك حياة.........

حسنًا لقد بحث ووجد الموت..!

حرك ذراعه بطريقةٍ ساخرة وكأنه يقول تفضلي، تخطته ومرت بعيناها على الجدران ببطءٍ.. صور كثيرة تترجم حياة مثالية لامرأة وثلاث أطفال، شقراء تطفأ شموع كعكة وأخرى بخصلات سوداء تقف في زي طالبة مثالية ووسيم تحتل صور طفولته ركن كامل آخرها كانت واحدة بابتسامة مشعة وهو يتوسط الفتاتان.

أشارت لإحداهما وهي تستدير نحوه: هَنا؟؟؟

صمت لوهلة وجموده يحمل تهكم عن ضرورة السؤال ثم أومأ دون اكتراث.. استدار فقاطعت هروبه: لقد حادثتك أكثر من مرة وأبي..

قاطعها هو: القبطان جاء وزارني حينما علم، أشكرك على اهتمامك.

وكان انحناء شفتيه سخيف.. ليس ساخرًا بل سخيف، وكأنه لا يطيق وجودها ولا الزيارة ولا الحوار مع أي بشري كان، مرت بعيناها نحو الغرفة المفتوحة لتلمح الفراش المبعثر ودخان اللفافة الأزرقِ جواره

ولمَ النظر؟؟

فرائحة دخانه واضحة ومسيطرة ومعبرة بشكل واضح عما آل إليه، كتفت ذراعيها باستهزاء: أنت لا تخيب ظني أبدًا

لم يستدير لها، كان يوليها ظهره وكفيه مستقرَّان في جيب بنطاله، يراقب ما تبقى من ضوء الشمس من خلف النافذة وأنفاسه بطيئة.

ترفض الشهيق والزفير والحوار ووجودها كله...

أكملت وهي تقترب منه والغريب أن تلك المرة النبرة حملت حنوَ: لا تترك

نفسك لهذا الضياع.

تحركت شفتيه بجفاءٍ: أشكرك على النصيحة.

استعرت نبرتها وهي تقترب أكثر وتلك المرة بغضب: لمَ أنت ضعيف هكذا؟ هل تظن أنك الوحيد الذي اختبر الفقد؟؟

وحينها كانت استدارته مفاجأة حتى أنها لم تشعر بذراعها الذي تيبس بين قبضته حينما جذبها نحوه محذرًابعين يتملكها الإحمرار: دعيني وشأني

لا لن أدعك وشأنك، لن أدعك تدمر حياتك

الأمر لا يخصك ومن كانت تهتم رحلت.. هل تفهمين؟؟ رحلت دون رجعة.

وتحشرجت نبرته حتى أنه دفعها بعيدًا عنه فارتطمت رغمًا عنها بالحائط، تناثرت خصلاتها فوق وجهها وآلمها ذراعها ولكن ما آلمها أكثر هيئته..

كان يبكي.......

تخللت أنامله خصلات شعره بقسوة ثم فرك وجهه وعيناه وحرك يده مودعًا: ارحلي فدوى.. ارحلي الآن!

ضيقت عيناها بتحدي ولم يكن في نيتها تربيت.. مواساة أو محايلة ولا حتى احتضان أنامل مكترث، عدلت خصلاتها وتابعت وهي تتخذ أنفاسها ببطءٍ: هي ليست سعيدة.

استدار وعيناه مشوشة: ماذا؟

أمك.. هي ليست سعيدة.

وتابعت بحدةٍ أكثر وهي تحرك كلتا يديها: كنت خيبتها في الحياة والآن ستصبح خيبتها في الممات...لا فارق.

الآن شهيقه وزفيره وأنفاسه كلها في مرحلة عودة..

اشتعال...

حرَّك ذقنه وعيناه متضرمتان بغضبٍ لم تلمحه: ارحلي!

واقتربت هي غير مبالية.. هي لا تخافه ولم تخافه من قبل: هل تتصور حسرة امرأة رحلت على ابن فاشل لا أمل فيه؟؟

اهتز جسده عدة مرات ثم فرك صدغه بإبهاميه ونبرته خرجت تلك المرة محتدة: اخرجي.. اخرجي من بيتي!

أبي قال لي الأصل طيب وأنا أقول الواقع مرير....

برافو.

أنا الآن أفهم.. أفهم لمَ لم ترضى بك هَنا.....

وكانت خطوتها أخيرة ونبرتها أخيرة ولم يفهم هو حينها أنها تحادث نفسها.. أنها تفكر.. تتقدم وتهرب وتثبت لحالها قبله أنه لا يصلح!

وحينما رفع عيناه نحوها.. حينما انفجرت بين عروقه الدماء وتصلبت كلتا يديه فلم يشعر سوى بأنامله تشتد فوق خصلاتها وشفتيه تحطم شفتيها حتى التصقت بالحائط بمقاومة فاشلة لا توازي كل قوة استحضرها أمامها وما استفاق إلا على صفعة.. صفعة تبعها تيهٍ مؤقت دفعته هي فيه ليبتعد ضاغطًا فوق أنامله بندم وعيناه مغمضة تود أن تقول ما حبسته أنفاسه.

«قلت لك اخرجي»

وجذبت حقيبتها لترحل باكية، لأول مرة باكية من رجل.. ليس لأنه كان الأقوى وليس لأنه تمكن وليس بسبب تذوق قبلة كريهة لم تكن سوى مجرد عقاب...

لأن أبيها كان على حق...

هي تهتم وتعلم أنه لا يفعل!

❁

خائنة ولم تتلوث بعد!

حين أخبره الطبيب أنها حيّة وحين تهاوت صديقتها حينما علمت أنها نصف حياة...

هرب!

وكان نصف هروب...

استلقى ليلتها فوق فراشه وذكرى اللحظة الأولى تمر بخاطره ولم تكن لحظة الانتهاك..

لا.........

كانت البداية حينما لمح الخوف بعينيها حين رأته أول مرة...

وأثاره الخوف.

وباتت المتعة مختلفة.

ونالها كما أراد.

ثم انتهت أمام عينه.

وقرر الغياب.. التجاهل والمضي قدمًا كما يجب أن يكون سليم...

فاكهة محرمة وقضمها وانتهى الأمر...

وهو صاحب خطيئة لا ينكر ولا يبالي!

ونال لقب شيطان والغواية أدّاها باحتراف....

وحين تكون الضحية أنثى لا يكترث أحد..

لن يطيل الناس التحليل ولن تسعفهم المتغيرات في عصر الثوابت

فالزانية ستذبحها الكلمات قبل الرجم والزاني يمتلك حق خيار الزواج

وهذا هو مجتمعه الرائع..!

وتناسى المذاق والدماء وهاتفه حارس العقار يتشدق ويعلم ويطمع ببضع مئات وأعطاه ما أراد وليلتها أحضر معه امرأة أخرى!

كانت أرملة ملولة وجدها تبحث عن رفيق على الشبكة العنكبوتية فدعاها لمخدعه... وتوجهت المرأة لمعبد الطاهية.. ضحكت ورقصت وتذوقت مقرمشات منكهة وتأوهت وعيناها تدعو لاقتراب... واقترب.. واللعنة هي تشبها.. بكل تفصيلة في جسدها رآها هي وكما رآها أبصر معها التهشم..

اليد الشاحبة ووقت سقوط لا ينتهي أبدًا وكأنه بكل ما تم كان سقوطًا غير مكتمل..

فيجب أن يسقط هو أيضًا..

واتخذ قراره بالتخلص من المنزل وقالها للحارس المتحذلق، خلصني منه بأي ثمن!

ابتسمت له الممرضة وأفسحت الطريق، بل سمحت له بكل بساطة أن يغلق الباب فهو رجل لا تعصى عليه امرأة.. كانت ممددة على الفراش وعيناها تغفو في سلام نفسي لا يؤرقه سوى صوت جهاز ضربات القلب المكرر.

أي نجاة ستنالين نادية؟؟

الموت أم المثابرة؟؟

وكانت نبرته ثقيلة رددها بهمسٍ وهو يجلس قبالة الفراش مستحوذًا على يديها..

لست نادم.

برغم كل ما حدث أنا لست نادم نادية.

لو تكرر الأمر لأردتك ولنلتك بنفس الطريقة.

والسخرية وازت النبرة بل تبعها بقبلة حارة فوق الكف المنتهي من بهجة الحياة..

الشياطين تعشق الحوريات.

وأنا نلت فاكهتي المحرمة حتى أفقدتها المذاق، أنا لعنتك نادية وأنتِ تفاصيل اللعنة..

فبِتِّي تفاصيل كل النساء!

وزفر حتى خُيل له أنه استنفذ أنفاسه، زفر وشبح الموت يمر بين جسدها وصوته فلا هي واعية لتصرخ أو تزلزل حياة ولا هي رحلت فارتاحت وتركت له مواجهة الذنب...

هي كما هي طوال وجودها بين يديه.

نصف رغبة.... نصف هروب.

نصف خطيئة....نصف قديسة.

ونصف عاهرة.

وكان ينوي وداعًا بتشبث قُبلته الأخيرة....

ذات الكف وذات الأنامل التي احتواها وسيطر على هروبها مرارًا وذات القبلة الملتهبة فهي من وضعتها على أبواب الجحيم..

وداعًا عاهرتي النقية...!

وعلى بعد خطوات وتبكير موعد مقصود من هَنا كي تقابل صدفة.. خطت كلتاهما غير منتبهتين لارتباك الممرضة نحو غرفة نادية وصوت هَنا يناوش صديقتها: لنا حديث مطول بعد أن..

وتصلبت كلماتها مع رؤيته وكل ما لمحته صدفه ظل رجل يُسقِط من بين يديه كف نادية الشاحب وهَنا تصرخ بكل ما تمتلكه من غضب...

اخرج من هنا!

الفصل الخامس والعشرون

كان زوجها يعتبرها امرأة قديمة الطراز، أو لنقول تاريخية بشكل مثير للشفقة.. فهي تحتفظ برقعة قماش قديمة كانت أول ما التف حول جسد مريم، نظارة طبية متهالكة تخص الراحل أباها ونسيج كلاسيكي أبيض لمفرش مطرز قديم كان لأمها المفضل..

نعم...

صدفة امرأة قديمة الطراز..

ينقبض قلبها من رائحة المشافي، وتؤمن أن هناك وجوه تجلب البهجة ووجوه تجلب الشؤم فتذكرك بسوادِ ريش غراب قابيل وأول خطيئة على وجه الأرض.

ورغم فجاعة أول خطيئة سيظل يراودك هذا الهاجس عن آخر خطيئة في صفحة عمرك..

هل ستفعلها أم ستنجو؟؟

وبين الأمنيات وشبه النجاة كانت ترقد صاحبة الخطيئة الأخيرة، كفها يسقط من بين تملك غير مشروع لرجل ذكّرها بغرابِ قابيل وهَنا تزمجر في نبرةٍ دفاعية تخبر حتى الجدران أن هذا الرجل هو سبب كل ما حل بنادية.....

اخرج

ولم تنل جواب، كل ما نالته نظرة لامكترثة وخطوات بطيئة تخطتها بسخريةٍ وكأن قولها وغضبها لا يعني شيء!

وكأن خروجه لا يعني شيء ووجوده لا يعني شيء..

توقف الزمن أو أوقفه هو حين أراد..

ولم تتحرك صدفة ولم تجرؤ على رفع بصرها مجددًا نحو ظل الرجل الراحل وأغمضت عينيها تلو هذا.. تستمع لصراخ وتأنيب هَنا لطاقم التمريض ولم تحتمل أكثر فرحلت بعد أن ألقت على نادية نظرة باكية هي نفسها لم تفهم معناها.

يقول الواقع أن كل النساء حين يغضبن يصبن بحمى الشراء..

وهي في ذلك ليست قديمة الطراز..

هي أنثى.....

والتموجات داخلها من المشاعر كانت أسوء كثيرًا من الغضب، سوءًا يحمل ابتياع علبة بوظة من الحجم العائلي جوار أربع ألواح من الشوكولاتة المحشوة بالمكسرات وحلوى الجيلو المضرة لأسنان مريم بالإضافة إلى رقائق البطاطا المملحة، خطوات باقية نحو الهزيلة على الكاشير وستصنفها المرأة أسوء أم بالعالم.

وربما أسوء زوجة...

أسوء عاشقة ومعشوقة وبالأكيد أسوء صديقة..!

لا تصدق أن شيطانها يلوم نادية، وربما ملاكها..المرأة المتزمتة داخلها والأخرى التي لا تفهم معنى الغفران...

همست لنفسها وعيناها تراقب صغيرتها التي غفت في سكينة داخل عربة التسوق..

«ربما أنا امرأة غير قادرة على المسامحة»

لا أتصورك قاسية القلب!

كان صوته..

متى جاء؟ كيف وأين؟؟؟

ولماذا؟؟

لا يهم

الأهم أنها متصلبة كمراهقة مفتونة بمعلم الكيمياء ولا تجرؤ على استدارة والأسوء أنها باكية، عيناها مغرورقتان بالدموع ووجنتيها تنبضان بكل حروف كدرتها وأسعدتها في هذا العالم..

وعن السعادة فهي بشكلٍ ما تترجم تفاصيل النبض نحو هذا الرجل..

كان متأنقًا كعادته، يرتدي قميصًا قطنيًا بلون سماوي راقي فوق سروال مستقيم من خامة الجينز، لحيته مشذبة وعيناه تبدو مرهقة إثر نوم غير منتظم وتدخين فوق المسموح...

نظر نحو مريم بابتسامة حانية ثم تخلص من لفافة تبغه وربَّت على رأسها النائم متابعًا قبل أن ينظر نحو المرتكبة والغاضبة من وقت ما رفضت عرضه: كيف ستحملينها وكل تلك الأكياس؟

كما جسدها...تصلبت شفتيها لوهلة قبل أن تستوعب سؤاله ثم أجابت بتلجلج: سأوقظها.

ابتسم بمكر وفي تلك اللحظة كانت عيناها تتأملانها: هذا ليس بعدل.

وهذا ما كان ينقصها..!

وكان هناك رجل عجوز يجاهد لأن ينال علبة السمن المحرمة من رفٍ علوي وشاب متزوج حديثًا يحاول أن يفهم من زوجته على الهاتف مكان المنتجات العضوية وكيف تبدو، وبآخر الرواق امرأة أربعينية تزعق بآخر نسلها من العفاريت ورف ألبان معلبة واجه مصيره فوق الأرض الصلبة وكلهم إن

لم يكن معهم أيضًا كل من مر من رواد المتجر في هذا الرواق غرق بطوفان البكاء...

وإن كنتِ امرأة ستدركين جيدًا معنى أن يجتاحك هذا الطوفان وكما قال محمود درويش لا شيء يعجبني،

قال الطوفان لا شيء يوقفني..!

حين تبكي المرأة يتوقف عالمها أو يغرق...

وهي لا تعلم ماذا أصابها، والأسوء أن العبرات ليست صامتة.. هي تشهق وتحاول أن تكتم أنفاسها بلا جدوى وحين تقرر أن تتحدث ينقلب الأمر لكارثة...!

نظر حوله ثم أخرج من جيب بنطاله منديلًا وعيناه تتابعها في قلق: صدفة ما بك؟ ماذا حدث؟

جذبت المنديل عله يكتم تلك العبرات الخائنة، لا فقط يجففها ثم نظرت لفم مريم الملوث بباقايا الشوكولاة وعربة تسوقها الكارثية لتنحني شفتيها بخجل والعبرات تعود مجددًا: أنا أم سيئة.. أنا أسوء أم.

قبل أن يحاول أن ينطق تابعت وكأن طوفانها بات حماقة مصارحة أكثر منه بكاء: أنا صديقة سيئة.. أنا أسوء صديقة على وجه الأرض

نظر حوله فوجد أن المرأة كممت عفريتها كي تجيد السمع والعجوز نسي بشأن السمن أما الشاب فأغلق بوجه زوجته الهاتف!

أنا لا أجيد شيء سوى الهرب.. آخاف على مريم فأهرب بها من عالم وائل، أهرب من مواجهة أزمة نادية وأهرب... وتوقفت متلعثمة تكتم الحروف وتحمد الله أن طوفانها سيتوقف قبل أن يسرد حماقة ولكن حينها اقترب هو ليمسك عربة التسوق جوار يديها باقتراب مهتم دون أن يُخجلها بلمسةٍ: هَربتي منِي.

رفعت عيناها نحوه وما زال للعبرات دور البطولة: أنا آسفة.

جواب خاطيء!

قطبت حاجبيها ثم تابعت وتلك المرة كانت عيناها تهرب: أنت غاضب منِّي

جواب خاطيء مجددًا!!

وتلك المرة كانت نبرته دافئة، توترت مقلتيها فتأرجحت بين نظر وهروب ثم تلعثمت في تردد: وما الجواب الصحيح إذًا؟!

أطال النظر نحوها مما أربكها أكثر ثم تابع: الجواب الصحيح هو أنك امرأة لا تأتي في العمر سوى مرة واحدة.. وأنا غير مستعد لتفويت تلك المرة!

هربت أنفاسها وفي صمتها كان يدرك هو كل معنى، أشياء لا تقال ولكن هو يفهمها بل حتى حفظتها أفكاره على مدار الأيام الفائتة..

يداه اقتربت من يدها أكثر فبات الدفء وكأنه ملموس والصوت خشن باشتياق في عقيدة العشق مباح: عاجلًا أم آجلًا أنا سأتزوجك صدفة.. ولكن لا تتأخري علي كثيرًا وإلا سيفقد الأربعيني وقاره ويختطفك.

والجملة الأخيرة وازت ابتسامة ماكرة منه ورأتها هي ساحرة ووازت هروب يديها واستحواذه على عربة التسوق.. وجفت العبرات في خضم حوار كان هو به صاحب السيطرة وتركتها هي له بكل رضى.

نظرت بشفقة نحو منديله المبتل بين يديها والمطرز بحروف اسمه، لمح فوق شفتيها شبه ابتسامة غامضة فضحك مبررًا: أنا رجل قديم الطراز.

وباتت شبه الابتسامة أخرى كاملة ورغم أنها لم تجرؤ على مصارحته بعشقها للمناديل القطنية بدورها إلا أنها وضعته في حقيبتها وهزت كتفيها بخجلٍ: سأنظفه.

أريدك أن تحتفظي به.

هربت من عيناه على الفور ووضعت خمس معلبات من لا شيء ثم نظرت بشفقة نحو مريم النائمة في سحابة هادئة: يجب أن أرحل.

أومأ برأسه متفهمًا ولكنه قال: دعيني أحمل مريم.

رفضت مسرعة: لا لا سأوقظها.

كان يعي جيدًا خوفها من سكان البناية وأي تعليق من أحدهم إن رَآه معها، ابتسم متفهمًا ولكنه لم يتركها، ظل جوارها حتى أنهت حسابها وأيقظت صغيرتها التي ابتهجت حينما رأته وأصَّرت أن تذيقه من حلواها المفضلة وحين أسقطت بعضها فوق ملابسها لم تخف عن ملاحظته مناديلها القطنية الملونة التي أخرجتها على عجالة من الحقيبة لتجفف ملابس ابنتها ويخجل ما تلوث بأحد أكمام قميصه، همس بمناوشة بعد أن انتهت من فوضى مريم: أَنت أيضًا قديمة الطراز

ابتسمت في خجلٍ فتابع وهُما يستعدا لمغادرة المتجر: هل تدخنين؟!

اختطف منها الضحكة فنفت بحركة رأسها فما كان منه إلَّا أن ضحك بدوره ممازحًا ثم تابع يتحدث عن ما يفضله وبشكلٍ فاجأها كان يشبهها كثيرًا!

نعم كانت صدفة امرأة قديمة الطراز.

أو هكذا كان يظن زوجها وعيناه اللتان تلتهمانها شزرًا وهو يراقب طرازها الذي تبدل مع غيره.

❁

ستظل تلك اللحظة التي تخبر فيها كل أنثى زوجها عن الخبر المنتظر هي الأهم في تاريخ البشرية!

حبيبي أنا حامل.....

ارتباك ودمعة وشريط بخط أزرق أو خطان... على حسب الشركة المصنعة.

قبلة فوق اليد...احتضان.

ذهول..هروب.

وصلاح ذو الفقار يمسك بيد شادية ويقسم عليها ألا تتحرك..

ورشدي أباظة يحملها إلى الفراش..

وممثل آخر قرر أن يحترف الطبخ..

تبًا لتلك الرومانسيات البائسة التي أفسدت العقول وفجَّرت الأمنيات!

لم تقل حبيبي وتأملت انتفاخًا مزعجًا بات رفيق عينيها بالفترة الأخيرة ثم توترت وهي تقترب منه وتبتسم بتردد يحمل اسمه..

أحمد

وأحمد رجل مميز وهي من أصرت على اختياره، وسيم بل يكاد يضاهي زياد في وسامته مع ملامح أكثر رجوله.. عويناته الكلاسيكية تهديه وقار خاص وتكون في أغلب الأحيان درع هام للغاية ضد قسوة نظرته.. ولكن النظرة تبدلت حينما ناولته ورقة مؤكدة من أحد المعامل الطبية تفيد بالخبر اليقين، فمع أحمد يجب أن تكون متأكدة...!

لمعت نظرته وتبدلت نبرته لاهتمام بعد أن كان متجاهلًا وجودها لأكثر من نصف ساعة مع الهاتف.

حامل؟!

أومأت بإيجاب قلق وهي تبتعد عنه خطوة ويقترب هو خطوة، خصلاتها الشقراء تنسدل رغمًا عنها فوق وجهها ويمد هو أنامله في سابقة لا تتكرر كثيرًا ليعدلها..

يوقف تقهقرها بتملك لطيف حول خصرها وعيناه تتأملانها بشغف مختلف، سيصبح أبًا ،ويهمس : أخيرًا.ويقبل وجنتها، جبهتها وشفتيها وبرقة لا لغرض مختلف ثم يحملها نحو الفراش ويقسم عليها وسط غيمتها الوردية وأمنيتها التي تحققت كالمعجزات: لا تتحركي.

ويتركها ويهاتف أمه والصوت ينبض سعادة ولا تعلم هي هل لأنه سيحظى بطفل أم سيحظى منها بطفل.

لا يهم.... الغيمات حتى الوردية منها تمطر...

راحت السَكْرة واعتاد الفكرة وفي النهاية هي ليست أول امرأة بالكون حامل.. وصباح وقهوة وإفطار تأخرت في إعداده...

داريييييييين.. أنت أيتها ال.....

وتعود تلك اللحظة الذي يخبرها فيها الواقع بحقيقة لن تتبدل!

لن يتغير أحمد....!

❀

هل حقًا الطفولة فضيحة؟؟؟

لا يوجد من لا يمتلك بألبوم ذكرياته صورة أو اثنان كل ما ينقصهما خط أحمر واسع عريض والمسمى فضيحة...

هي نفسها مزقت ثلاث صور من خلف ظهر ثناء من قبل كان العرض فيها عري طفولي مبهج طالما سخر منه زياد.

لوت شفتيها تكتم ضحكة وأكملت عبثها الذي بدأته من ساعة وأكثر كي تقتل الوقت.. والأفكار.

فقد كان يومًا طويلًا بدأ منذ ليلة سابقة بظهور سليم ثم محادثة نهارية مطولة مع دارين التي باتت تحمل في أحشاءها طفلًا من الرجل الغير مناسب.

وهناك احصائية غربيةٍ ما تؤكد أن الإنجاب بعد أي زواج يجب أن يكون مدروسًا خلال عام.

وفاصلة وهوامش عدة تحمل تفاصيل تلك المجازفة كي لا تنتهي بانفصال يدمر عالم طفل لا ذنب له ولكن هَنا ويكل عقل شرقي الجميع يبحث عن الولد منذ أول ليلة!

الولد....

المدلل.. المميز.. العبقري بخمسة وعشرون شهادة تقدير على مدى سنوات تحصيله الدراسي، ميداليات في رياضة السباحة وأخرى في تجربة فروسية ووجه منمق دون أخطاء مع حلة كلاسيكية تناسب عمر ثمان سنوات وصورة مع وزير التعليم في هذا الحين.

ثائر...

وهذا لم تكن طفولته فضيحة، بل كمال مثير للغيظ!

أغلقت ما وجدته مخبئًا في الخزانة والضيق على ملامحها يبرر ما فقدته من تسلية ظنت أنها ستجدها في ذكريات زوجها المبجل ثم توجهت ببطءٍ نحو الفراش علّها تحظى بنوم مبكِر فهو تناول عشاؤه في صمتٍ وانزوى بغرفة مكتبه منكبًا فوق عدة أوراق بطقوسِ عمل عادة ما تهاجم ليله المتأخر مع قدح قهوة وموسيقى كلاسيكية جوار شاشة تلفاز صامتة تعرض شريط اخباري أزرق يضم آخر أخبار الإقتصاد.

والموسيقى كانت مقطوعة باشبل المميزة...

canon in d

وهو يعشق تلك المقطوعة ورغم أن تصنيفها يرتبط بحفلات الزفاف أو كما يدَّعي البعض أن باشبل قام بعزفها بزفاف أحد أشقاء باخ!

إلَّا أن تأثيرها عليه كان يشبه حسبة معادلة رياضية مثالية كما يعشق...

تكرار منظم.. مميز.. ومدروس

ومقطوعة بناها بإتقان...

حرك بصرهُ ببطءٍ فوق أوراقه دون أن يلتفت للباب النصف المغلق وقدميها المكشوفة خلفه، لقد نبَّهها مرارًا على التحرك حافية كي لا تصاب بالبرد وكالعادة هي تنفذ عكس ما يُقال...

والآن وبعد جولتها المزعجة بين خزاناته تضيع الوقع وتكتم قلقًا مكررًا يخص صديقتها الذي لم يعد يعلم أحد هل هي تصارع الحياة أم الموت، قررت على ما يبدو النزول ومراقبته...

عاد لأوراقه وعيناه من حينٍ لآخر تتابع شريط الأخبار أمامه مع متابعة عدة رسائل نصية متأخرة من أحد مساعديه، ومرت خمس دقائق كاملة حتى أنه ظن أنها غادرت في صمتٍ كما ظهرت ولكن صوتها الأنثوي خالف توقعاته...

كيف تفعل ذلك؟

كان وجهها بتلك اللحظة يحمل نقاوة شفافة لا ينكر أنها تقتله، رغم حزنها الذي بات مصاحبًا لها على الدوام، رغم غضبها المبالغ فيه وهروبها المكرر كما مقطوعة باشبل إلَّا أنها يكفي أن تظهر بتلك الطلَّة وخصلاتها السوداء المنسدلة بعفوية فوق صفحة وجهها الهادئة دون رتوش وشفتيها الورديتين بمرطب الرمان اللاذع فتمتلك دون أن تدرك كيانه وبقدرِ ما هذا ممتع فهو مخيف!

عادت لتساؤلها حين لاحظت شروده: كيف تفعلها؟

ماذا؟؟

تفكر بأكثر من أمرٍ بذات الوقت وبكل جهة أنت كامل التركيز...

ضم حاجبيه وانحنت شفتيه بابتسامة مستفسرة، فتابعت وهي تقترب منه وأناملها تمر فوق مشغل الأقراص المدمجة: موسيقى تستدعي الإنتباه وأجزم أنك تعرف تاريخ العازف، أوراق تستدعي تركيز صاروخي ومتابعة مساعدينك على الهاتف وآخر ما تقدمه لك نشرة الأخبار الإقتصادية..

ووازت جملتها الأخيرة بجذب المتحكم الآلي للتلفاز فأغلقته وتابعت مستديرة نحوه: كيف؟!

ضيق عيناه وعقله يوحي له بمغزى آخر مما تقول.

كيف ماذا؟

كيف تنال متعة بوسط هذا الزحام؟؟؟

استقام وقد أزاح أوراقه جانبًا وتوجه نحو ثلاجة جانبية صغيرة ليرتشف بعض الماء موليًا ظهره إليها وقد وضع كمه الأيسر بجيب بنطاله يتأمل لوحة كلاسيكية مظلمة الألوان.

هذا ليس بزحامٍ، كل عنصر بشكلٍ ما يكمل الآخر، المتعة في ترتيبهم بشكلٍ صحيح.

متعة الحبكة أم النتيجة؟؟

كلاهما.

والمرأة هل هي الضلع الوردي بتلك المنظومة؟؟

المرأة أم الزوجة؟؟

وهل هناك فرق؟

كبير!

استدار وقد اتسعت ابتسامته بثقةٍ معتادة ثم خطا نحوها لتمتد يده اليمنى معدلة احدى الخصلات النافرة من فوق جبهتها ثم تابع هامسًا: المرأة تطمع بأحد الأركان وقد تستحقه.

والزوجة؟

تريد أن تنال كل شيء.

وحينها التوت شفتيها بسخريةٍ فتابعت وهي تبتعد عنه: فتنال أحد الأركان.

تصلبت ملامحه لوهلة وقد ظل على وضعه محافظًا على ما قررته هي مبتعدة في خطواتٍ ثم تابع: هذا رأيك!!

تلك هي الحقيقة.

وأنتِ ماذا نلتِ هَنا؟

كان سؤالًا مباغتًا، ولا تنكر أنه أربكها، فالترجمة الصحيحة ماذا نالت أم ماذا تريد؟؟؟

هل هو اعتراف برغبتها أن تنال كامل اهتمامه؟؟

أم هو تمرد على كونها مجرد ترس جميل يدور في منظومته الضخمة؟؟

وقبل أن تجيب نالت منها الشهقة حينما شعرت بقربه منها محيطًا خصرها من الخلف وقبلة ناعمة خفيفة تمر فوق كتفها النحيل.

هناك شيء وحيد لا تجوز معه أفكار مجاوره.

تلميحه كان واضحًا وتريد أن تحمد الله أنه محق فعكس ذلك سيكون أمر مخيف ولم تدرك أن همسة «مخيف» كانت عالية النبرة فأسند ذقنه حينها جوار عنقها ثم أكمل: مخيف أم قاسي؟؟

كانت ترى انعكاس جسديهما في ظل نافذة مقابلة، هي بثوبٍ كلاسيكي أبيض طويل دون أكمام وهو ما زال بحلة العمل، فقط تخلص من السترة وربطة

العنق ليبقى ببنطاله الرمادي القاتم وقميص أبيض يوازي نقاء ثوبها في لونه، لاحظت يديه وهي تزيح خصلاتها لتستقر على جانب كتفها الآخر ثم عاد ليهمس في أذنها بمناوشةٍ: يبدو أنك تشككين بتركيزي ما رأيك أن نجرب لنرى من المحق؟؟

كتمت ابتسامتها وحينها تخلصت من قيد ذراعيه لتستدير نحوه مضيقة عيناها في اتهام ممازح: أنت ككل الرجال تحول الدفة نحو نقطة واحدة لا غيرها.

ورغم أنها كانت تمزح وكان هروبًا للتخلص من توتر بات يصيب مشاعرها مؤخرًا مع قربه إلّا أن ملامحه غامت لوهلة قبل أن يتابع بنبرة غريبة لم تعتادها منه: ربما أنا أفتقدك.

ابتلعت ريقها وعيناها تناوش بسؤال لا تجرؤ حتى طرحه عبر نفسها.. لقد مر حوالي شهران منذ آخر لقاء زوجي بينهم..

هي تهرب وبدأت تشعر أنه يوازيها بالهروب!

أيهم تفتقد ثائر؟؟

المرأة أم الزوجة أم.. هَنا؟؟

رفعت بصرها نحوه في تردد وحبست بحلقها السؤال وهو اقترب منها خطوة أخرى حتى أحاط وجنتيها بكفيه وبصوتٍ مبحوح تابع: أفتقدك هَنا.

تشوش بصرها قبل أن تسأله في تردد: هل تسألني ثائر؟؟

ولم يجبها.. فقط أومأ بإيجاب وعيناه متعلقة بملامحها وعندها باتت معها هي البداية.. ولأول مرة كانت هي صاحبة القُبلة..!

❁

«قالوا لا تظلم المرأة سوى المرأة.. وكانوا على حق..»

ورغم أن الابتسامة بشوش ورائحة الطهي تنبىء بطعام كانت تفضله ونبرة سميحة كانت تشبه رنة صوت أمها الراحلة إلا أن انقباض القلب عاد وحاولت أن تبتسم معتذرة ترفض دعوة الغداء ثم جذبت مريم متحججة بموعد الرحيل ولكن..

لا يغلب المرأة سوى المرأة!

أنا لا أود أن أستبقيكي للغداء صدفة.. أنا أود عودتك..

لا تعلم كم مر من الوقت وهي تتأمل وجه حماتها العجوز، ربما تسعى لاستنباط أفكار ما خلف العرض وربما ترفض العرض والفكرة والكلمة بنظرة عين...

وأتى ما بعد النظرة..

أعود!

قالتها باستهجان والتلميح لكل وجهٍ ممكن من العودة..

سواء كان رجل أو جدران..

وتأهبت سميحة لعراك كان ينتظر الرد وتوسعت عيناها بشرٍ وغابت نبرة الأخت الراحلة: بالطبع لا تودين العودة كي تظلين على راحتك؟؟

والتهكم واضح وبات يحمل أسوء معنى ولم يعد الحوار بين ابنة يتيمة وخالة كانت كل ما تبقى بل بات مطلقة وحماة....

واهتزت شفتي صدفة بعدم تصديق ثم خرجت كلماتها مرتعشة: أظل على راحتي؟؟

وسميحة لم تكن ترى اهتزاز ولا صدمة ولا حتى ابنة ربَّتها على يديها، كانت ترى غضب ابنها المصدوم الملكوم في الزوجة التي نشأت بين يديه

والآن هي تتساهل وتتسامر مع الرجال والعرف العامي القاسي كان يقول «ماشية على حل شعرها»

وصرخت سميحة والغضب بات انفجاري: لا أصدق صدفة التي ربيتها على يدي تتساهل مع هذا وذاك، وائل كان سيجن حين رآك مع هذا الرجل وتماسك ورحل مسرعًا حتى لا تحدث فضيحة!

وبعد صمتٍ طويل، لا لقلة حيلة ولكنه وجع الصدمة صرخت صدفة بنبرة مبحوحة وعينان رغمًا عنها اجتاحهما ضعف البكاء: اصمتي....!

لم تصدق سميحة نفسها فضيقت عيناها وهي تهمس مستهجنة: ماذا؟؟

وتابعت صدفة وكان غضبها هي النار في هذا الحين: قلت لكي اصمتي، لا يحق لك التحدث عني بحرف واحد ولا يحق لابنك محاسبتي ولا التجسس عليّ والتدخل في حياتي هل تفهمون؟؟؟

وكان صراخ صدفة مستمرًا، مبحوحًا.. متحشرجًا.. متشبثًا بحق بشري فطري لا علاقة له بأعراف واسمه الدفاع عن الشرف...

وسخرت سميحة بلؤم العجائز: أصبح لك صوت يزعق بأمك؟؟

وقسا قلب صدفة والوجع يشبه القهر حين تتوسم بهذا الغائب عن وضعها الحالي واسمه العشم.

الأم لا تشك بأخلاق ابنتها يا حماتي..

وتهكمت هي هذه المرة مع لفظ الحماة، ثم جذبت ابنتها وتابعت بحق نفسٍ أخير ظنت أنه سيعيد كرامتها: وهذا الرجل طلب يدي للزواج على سنة الله ورسوله ويثق بأخلاقي أكثر منك!

وكان للباب صفعة ولوجه سميحة وعقلها صفعات عدة..

كل ما فكرت وخططت له وتمنته على مدى الشهور السابقة يتبخر وحين تتزوج صدفة سينغلق طريق عودتها لوائل إلى الأبد.

❁

وكما العرف العامي قاسيًا بالإهانة وخاصة للنساء بات الوضع يشبه مثلًا شعبيًا آخر قرر أن يتخذ نهجه شبه الرجل الذي كانت على ذمته...

خذوهم بالصوت..!

خطوة.. اثنان.. ثلاثة، كانت تتنفس بحدة وهي ترتعش خلف الباب الخشبي والضوضاء زعيقه..

ليس زعيق، لا....

هي اتهامات بأفظع ما قد تختبره امرأة.. ومضة مؤلمة اجتاحت عقلها في لحظة لتتخذ أسوأ قراراتها اختيارًا وتفتح الباب....

وحينها نبأتها عيناه وقبلها كلماته بأنها أخطأت بل وستأخذ أسوأ عقاب قد تختبره امرأة!!

الفصل السادس والعشرون

كان الوقت مبكرًا.. مبكرًا جدًا ليستيقظ أحد أو لنقُل أن يبادل أحدهم طليقته بزيارة.

ولكنه كان قد اختار الموعد بعناية، ابنته استقلت لتوها حافلة المدرسة وطليقته عادت أدراجها كي تتجهز سريعًا وتبدأ يوم عمل مهم للغاية...

فالمدير عاشق.

والموظفة راضية.

وألف مبروك!

وكانت تلك هي كلمته الأولى بعد أن فتحت في لحظة يأس باب الشقة، هو يسب ويلعن ويتوعد ويوقظ الجيران وهي متلحفة بإسدال صلاتها وباكية، لا لضعف ولكنه مرقف لا تُحسد عليه.

ومباركة وازت شرارة عين مخيفة..

مبروك يا هانم.

ويقترب...

اشتقتي للزواج؟؟

ويستهزأ...

كم أنت رخيصة!

وما تلى ذلك لم يعرفه أحد، فمع خطوة أخيرة ويد تمتد لم تعد تدرك حينها أهو انتهاك أم صفعة؟؟

شعرت بتلابيبه تنعصر بين قبضة قوية ظهرت من العدم وكل ما رأته بعد ذلك دماء وجه وائل بين يدي عز...!

هاتفه كان مُلحًا وكان بطريقه المعتاد لإيصال صغيرته لمدرستها حتى انتبه لرقم حارس العقار المقابل على غير العادة، نعم لقد نفحه بمبلغ مادي معتبر كي يطمئنه على قريبته كما ادَّعى وينفذ لها جميع ما تطلب قبل أن تتفوه به ولكن آخر ما توقعه أن يخبره الحارس بنبرةٍ قلقة عن أحدهم الذي سأله مستفسرًا عن رقم شقتها ويقول أنه زوجها ويزعق دون رادع على الباب منذ عشر دقائق.

أدار السيارة بعنفٍ على الفور وعاد أدراجه كالمجنون تاركًا لارا بعهدةِ صديقه بنفس العقار وملتهمًا خطوات الدرج حتى وصل إليها... ظل رجل وهي تعود للخلف مرتعبة وما تلىَ ذلك كان ببساطة حقه...

هي أصبحت حقه ولن يسمح لأي نكرة بالإقتراب منها حتى لو كان زوج سبقه إليها، هي أصبحت زوجته ومن قبل هذا العقد المبرم..هي امرأة عز الدين والدماء نصيب من يتجرأ بلمس شعرة منها..

استفاق على نشيجها وهي تبتعد عن جسديهما المتعاركان وتلتصق بالحائط في ارتجاف، احدى خصلاتها شردت فبرزت من خلف الوشاح وابتل طرفها من عبراتها المنهمرة.. ترك المنتهي على الأرض بعد طوفان ضرباته ثم اقترب منها ليعيد خصلتها النافرة لموضعها مربتًا على رأسها ومستديرًا في الجمع المنجذب لسيناريو الفضيحة: انتهى العرض!

ثم رمق الآخر بشراسة وكان قد بدأ يستقيم مترنحًا يجفف دماؤه وينظر نحوها بكراهية: اخرج وإن عدت هنا مجددًا سأكسر قدمك...

هزأ وائل وتلونت فوق شفتيه ابتسامة باردة: بصفتك..؟؟

نظر له عز الدين باحتقار: صدفة خطيبتي وسنتزوج خلال شهر..!

وكان صوته يعلو كي يسمعه باقي المتطفلين من جيرانها الذين باتوا يبحثون عن قصة، غابت ابتسامة وائل ولكن فقط للحظة قبل أن تعود بقوةٍ إبليسية فهم عز مغزاها جيدًا واستوعب كيف قرر الحقير أن يُساوم صدفة.. بـ... مريم

أمال وائل رأسه ليمعن النظر نحوها من جديد وحرك ذراعه بسخرية وهو يودعهم بذات الكلمة التي جاء بها.

مبارك!

وحين رحل كانت هي قد فقدت السيطرة.. تهاوت...

❁

حين رحل كريه الابتسامة لم يمهله الوقت لإستيعاب شيء، حيث أنه استدار على صوت ارتطام جسدها بالأرض، ظل متصلبًا لثوانٍ قبل أن يخطو نحوها على الفور مربتًا فوق وجهها في قلقٍ زاد حين لم يتلق منها أي إستجابة. دون تفكير ثانٍ مد ذراعه تحت ساقيها والآخر حول خصرها ليحملها ويمدد جسدها الصغير فوق الفراش الوردي في غرفة النوم الوحيدة كما لاحظ.. شفتيها كانتا شاحبتين كلون وجهها ووشاح إسدالها ملفوف بإحكام حول رقبتها فباتت الأنفاس شبه معدومة.. بعد تردد بتَرهُ على الفور قام بحل عقدة الوشاح ليزيحه من فوق رأسها ثم أسند رأسها من الخلف على كفه وبات يمرر بعض العطر على وجهها بقلق وهو ينادي اسمها مكررًا دون جواب.

اقترب من فقدان أعصابه وبات خياره الوحيد حملها مجددًا لسيارته ثم أقرب مشفى ولكن ظهور المرأة الطيبة زوجة صديقه صاحب العقار أنقذ الموقف وهدَّأ اضطرابه.. اقتربت السيدة بوجه مطمئن لتومأ برأسها بصوت مُهتَّم: دع الأمر لي لا تقلق.

واقتربت من صدفة الممددة بوعي معدوم وكفين نالتهم البرودة ثم بدأت تحل قيد ملابسها ببطء فابتعد هو على الفور مشيحًا ببصره.

طلبت من إحداهن بعض العصير لتمرره فوق شفتيها وبعد دقيقة واحدة استفاقت فاطمئنت أنفاسه ولكنها كانت منهكة بحشرجة مرتجفة أوجعت قلبه، كل ما كانت تردده هو اسم ابنتها، وشعرت المرأة الطيبة نحوها بالشفقة فقررت أن تدس بفمها مهدىءٍ ما ظنت أنه سيهديها الراحة.

ظنت...

فبعد تلك اللحظة تحديدًا بنصف ساعة كانت هناك امرأة عجوز تخطو بفناء مدرسة خاصة بعد الطابور الصباحي بعشرون دقيقة لا أكثر وتسرد ظرفًا اضطراريًا لاستلام ابنة ابنها.

وهي لا تحتاج لإفناد أسباب فموظفة الإستقبال تعرفها جيدًا وتعلم أنها جدة مريم...

هيا يا حبيبتي سنذهب لبابا..

❀

بعد أحداث كتلك أنت تستيقظ وأمنياتك أنه مجرد حلم..

ولكن ماذا إذا تحول لكابوس؟؟

كانت قد مرت ساعة وأكثر حين بدأ يخترق الضوء عيناها ومعه وجه امرأة بشوش، أما هو فأوصل ابنته لبيت أخته الكبرى ثم عاد منتظرًا عودتها للواقع وحتى ذلك الحين كان قد أحرق علبة سجائر كاملة.

تلعثمت صدفة وهي تتأمل وجه المرأة ليخرج صوتها بمجاهدةٍ: ماذا حدث؟

ثم بدأت تعود لما حدث بهلع: ابنتي.. أين مريم؟

ابتسمت المرأة بتردد وداخلها حيرة بشأن تفاصيل هي لا تعلمها ولكنها طمأنتها: اهدئي حبيبتي.. لقد أعطيتك حبة مهديء ولكن رأسك الخفيف لم يتحملها فاستغرقتي بالنوم.

وكأنها سكبت فوق رأسها برميل ماء مثلج...

نوم؟؟

نظرت في ساعتها وبغضون دقيقة واحدة كانت تنتفض من الفراش بحثًا عن ملابسها بهستيريا، حاولت المرأة أن تثنيها عن الحركة لشحوب وجهها الذي ما زال حاضرًا ولكنها كانت بعالم آخر.. دوامة موجعة لا يتخللها سوى همس طفيف باسم مريم ودعاء مرتجف بتخييب ظنونها.

خرجت من الغرفة لتجده أمامها ووجهه لا يقل شحوبًا عنها، أغمضت عيناها لتتخطاه ولكنه أوقفها بصرامة رغم شدتها إلا أنها متلهفة لاطمئنان: صدفة!

لم تجبه.. تحركت مسرعة تأكل الدرج بقدميها وحينها لحق بها هو على الفور ليفقد ما تبقى له من ثبات ويجذبها من ذراعها مانعًا حركتها: صدفة انتظري.

خلصت ذراعها منه وحينها بدأت دموعها في الإنهمار مجددًا: أنت لا تفهم.. سيأخذ مريم.. سيحرمني منها.

تغضنت ملامحه بألم ثم تابع بنبرةٍ تبتغي تهدئتها: لن يستطيع أحد أن يحرمك من ابنتك صدفة...

ولكن ملامحها هي باتت جامدة.. ثلجية بارتجاف شفتين وعبرات غابت في خضم الألم لأنها أصبحت غير كافية: عقد زواجك هو وثيقة فقداني لابنتي يا عز!

ورحلت لتتركه متصلب بمكانه بين مطرقة عشقه لها وسندان أمومتها....

ولا تعلم ما سر مصادفة أحداث حياتها الدرامية مع التيه داخل سيارات الأجرة. ومتى بدأ التيه تحديدًا..؟؟

هل عندما لمحت نهاية زواجها في ظل امرأة أخرى؟؟

أم حينما كاد أن يجردها حاتم من كرامتها لولا ظهور عز؟؟

وربما كلمات عز نفسه التي أربكتها في شكل عقد زواج؟؟

حسنًا هي قدرها أن تنتقل باكية داخل تلك السيارات ولكن هذه المرة لم يكن مجرد بكاء، كان انهيار....

الموظفة المتلعثمة من هيئتها وهي تخبرها أن السيدة سميحة استلمت مريم..

صراخها في الفتاة وتعثرها مرتين لتسقط في مهانة لا توازي شيء في بحر لهفتها على صغيرتها الغائبة..

وسيارة أجرة أخرى تلتهم الطريق نحو منزل سميحة...

أو وائل..

لا فارق!

وكما بدأ وائل صباحه بفضيحة، أيقظ صوت الباب فضول الجيران بمنزل الحماة.. وامرأة أصابها الجنون فباتت تصرخ مطالبة بابنتها. ووجه سيدة عجوز كانت أم.. وكانت خالة...

وباتت من ألد الأعداء..!

فتحت سميحة الباب بجمودٍ لتجذب صدفة للداخل بقسوة خالصة: كفاكِ فضائح يا صدفة.

لم تجبها صدفة.. تحركت كالمجنونة بين الغرف وهي تهذي لا تتحدث: أين ابنتي.. أين مريم؟؟

كان بصرها غائرًا بضياع، لو نظرت نحوها سميحة بقلب امرأة لأيقنت الإنهيار.. ولكن سميحة كانت تشع كراهية بتحفز أم..

أم جاءها ابنها بوجه مدمم يخبرها كيف تهجم عليه الزوج المنتظر للهانم، وقرار آن وقت تنفيذه بإحضار الفتاة...

واللفظ كان سافرًا لا جدال فيه..

فلتحيا تحت قدميه ككلبة دون تمرد أو لتتزوج وتغور تاركة ابنته!

عادت صدفة لمواجهة سميحة وتلك المرة باتت حروفها تلعثم من فقد القدرة على النطق: أين ابنتي.. أين مريم يا خالتي؟؟

وابتعدت سميحة عن محيط نظرها لتوليها ظهرها في إشارة لإنتهاء حديث لن يبدأ، شعرت صدفة بصقيع مؤلم يهاجم جسدها في ضراوة ثم اقتربت من العجوز لتلمس ذراعها بيد مرتجفة: أرجوكِ.. أريد ابنتي

لوت سميحة شفتيها بسخرية: الآن أرجوكِ!

شعرت صدفة بأنفاسها تغيب عنها كما وضوح الحروف: مريم.. أحضري مريم

ثم تأرجح عقلها بين حقها المكتسب ووضعها الباكي: لا يحق لكم أن تأخذوا ابنتي.

حينها استدارت سميحة وقد لمعت عيناها بغل: ابنتك؟؟ ابنتك أنت من ستلفظيها وتتفرغين للزوج الجديد...

برقت عينا صدفة بذهول تلاه نفي يائس: لا لا.. لا زوج.. لا زواج.. فقط أعيدوا ابنتي

كتفت سميحة ذراعيها متابعة بشماتة: يا سبحان الله تغيرت النبرة.

اقتربت منها صدفة أكثر ويأسها بات بأقصاه: أرجوك خالتي أنت تعلمين أنني لا أستطيع الحياة دون مريم

هه

وكان إستهزاء في أوجه.. ثم تابعت ببسمةٍ صفراء: ستتعودين.

ثم توقف لسانها لتُكمل بمرارة: كما تعودت أنا على غيابكما وفراغ هذا البيـت.

تجمدت الحروف فوق شفتي صدفة وغاب عقلها لتغيب صورة سميحة ووائل وعز وكل الكون

كانت فقط تبحث عن مريم.

عادت تدور في الشقة كالمجنونة وتلك المرة فقدت التحكم في نبرتها: أين ابنتي.. لا يحق لكم أخذها ،هل تفهمون..؟؟ سأحضر الشرطة.

رفعت سميحة حاجبيها وكأن صدفة تحقق توقعاتها تمامًا وبتلك اللحظة تحرك قفل الباب منبئًا عن وصول المحروس والزوج السابق وبترتيب هو واعي له تمامًا رغم زرقة كدمات وجهه.

استدارت له المسكينة رغم نيران الشرر بعينيها: وائل.. ابنتي يا وائل

تمددت شفتيه بحقد: تقصدين ابنتي؟؟

أغمضت عينيها بشدة حتى تغضنت جفونها وببطءٍ تحرك لسانها: ابنتنا

ضم حاجبيه ساخرًا: وابنتنا تعني ماذا يا زوجتي الهاربة؟؟

فتحت عينيها في غير تصديق: أنت لا تقصد..

استدار ليوليها ظهره وضحكته رنينها صاخب بشماتة أيقظت الجدران: نعود؟ هههههه لا فقد فات الوقت أيتها الرقيقة

حركت رأسها لا تفهم: فا....ت الوقت، ماذا تعني؟؟

استدار وجموده يوازي ملامح أمه: تزوجي صدفة.. اذهبي لهذا الرجل الذي اشتهيته أما ابنتي فليس لك بها صالح.

اختض جسدها ككلٍ فبات ينفي كحركة رأسها وملامحها الفزعة: لا.. أخبرت خالتي أنا لن أتزوجِ.. والله لن أتزوج

تجاهلها وكأنها لا شيء.. صاحبة دور منتهي وحان وقت لفظها بقراره تلك المرة، عادت بنظرها نحو سميحة التي تصلبت للحظة ولكنها استعادت وجه القسوة: أخبريه خالتي.. أقسم لك لن أتزوج، سأترك العمل.

تجاهلتها سميحة أيضًا وأشاحت ببصرها عنها بشفتين ساخرتين دون حديث..

مزّقوها.

تمزقت في تلك اللحظة بينهم فعاد الصراخ والبكاء والهذيان

المذلة والتوعد!

سآخذها.

سأبلغ الشرطة.

ابنتي حقي أنا.

ثم ترنحت خطواتها بين مجاهدة وسقوط تشبث بقميص وائل: لن أتركك حتى تحضر لي ابنتي.. أريد مريم.

وصراخ أيضًا بات يجاهد

ودفعها..

أسقطها أرضًا فأصبحت بجانب قدميه وحينها مال بجذعه يهمس بدناءة تليق به: ابلغي الشرطة.. بل أحضري حبيب القلب ليضربني مرة أخرى ولن تنالي شيء صدفة، سأدَّعي أنني لم آراها وأتهمك أنت باختطافها!

تشبثت تلك المرة بيديه وكان هو مشوهًا في نظرها الباكي: وائل من أجل مريم.. مريم تحتاج أمها.

لم يعقب.. ملامحه كانت راضية بشرارة عين تود المزيد، وفهمت فمسحت دموعها بظهر يديها متابعة في لهفة: والله لن أتزوج فقط أعدها.

رفع حاجبيه والتعبير يقول تابعي.

أغمضت عينيها في يأس لتتابع والعبرات تعود مجددًا للإنهمار: سأتزوجك.. سأعيش تحت قدميك فقط أعد لي ابنتي.

وهنا نال ما أراد...

استقام مجددًا وشفتيه منحنيتين بابتسامة مُذِلة: لا!

تلعثمت والعبرات تتوقف لتعود وتعود لتتوقف: ماذا؟!

كتف ذراعيه بلامبالاة: أخبرتك.. أنا لا أسعى لعودتك.

ثم تابع بحروف بطيئة ساخرة: ف..ا..ت ال..و..ق....ت

ثم جذب ذراعها لتستقيم: انتهت المقابلة.

تشبثت بصدره: لا لا.

ثم عادت بنظرها لسميحة: خالتي أخبريه

ولكنه لم يمهلها فرصة، ببساطة قذفها خارج المنزل.

قذفها وكأنها لا شيء...

من تجرأت على مساواته بآخر.. بل إرجاح الكفة!

وخلف الباب المغلق تهاوت على الأرض.. العيون جاحظة والشفتين متجمدتين أما الوجه ففقد الحياة..

لا بكاء.. فالعبرات تغيب في شدة الألم وعلى الناحية الأخرى نظرة غامضة بين ابن وأمه، فبشكلٍ ما تبدلت الخطة...!

❁

كان يدور كالمجنون، جنونه دفع أفكاره للتوجه نحو منزل خالتها بحثًا عنها ولكنه تراجع حين أدرك جيدًا ما قد يحدث إذا ما لمحه الآخر وتأثير هذا على وضعها الحالي.

وجد أن الساعة قد قاربت الرابعة وهي لا أثر ولا حس ولا خبر كالهاتف الذي نال منه أربعون محاولة اتصال...

باتت أفكاره تحرقه وتصور أنها هناك وربما تعود الآن لعصمة السابق باحتياج غير عقلاني تحت وطأة الحرمان من ابنتها..

أغمض عينيه وهو يحرك رأسه نافيًا ومحدِّثا نفسه: لا.. هذا لن يحدث صدفة

وحينما فتحهما لمح قدمين صغيرتين تجاهدان للخروج من سيارة أجرة.. وجه أصفر بشحوب مرض التهمها في ساعات ومقلتين متحجرتين تجمدتا أمام المبنى دون أن تجرؤ على دخوله.

متصلبة ورأسها مرتفع تراقب الشرفة حيث اعتادت مريم أن تتناول بعد معركة فطور يوم الجمعة.

اقترب منها بحرص ليهمس باسمها والقلق بات مستبد دون رحمة: صدفة؟؟؟

ولكنها لم تجب.. كان بصرها ما زال مرتفع هناك مع شرفةٍ لم تعد تقف بها مريم.. فراش لا تنام عليه وغرفة وردية ستقضي بها الليل وحدها..

بعد أكثر من عشر دقائق من الصمت حركت رأسها في اضطراب والدموع تشوش عينيها: لا..

اقترب منها ليواجه أنفاسها في قلق: صدفة.

وتحول القلق لهلع.. هي لم تكن تراه.. لا تشعر به من الأساس.

هي في تيه خاص وبصرها هناك معلق بشرفة منزلها ولسانها بات يصرخ: لا.. لا أستطيع الصعود وهي ليست هناك.

ثم وضعت كفيها حول عينيها وجبهتها تفركهم بألم: لن أدخل هناك دون مريم.

شعر ببعض المارة وقد توقفوا للمشاهدة، الحارس خرج مسرعًا على صوت صراخها وعلى ما يبدو امرأة أو اثنتان تراقبانها بحسرة.

حينما استدار لها مجددًا وجدها قد جلست على الأرض مستندة بركبتيها ومن هيئة ملابسها بدا وكأنها ليست أول مرة..

مد ذراعه نحوها كي تستقيم فنظرت نحوه بعيون مدمعة مزَّقته وشفتاها متمددتان بحسرة: لقد أخذوها مني.. أخذوها ولن يعيدوها أبدًا!!

جز فوق نواجذه ليكتم غضبه على قدر ما استطاع ثم انحنى ليجلس القرفصاء أمامها ويده تمتد نحوها من جديد: لن يستطيع أحد أن يحرمك منها صدفة.. سأعيدها لك حبيبتي أعدك

ولكنها لم تكن تستمع إليه.. أذنيها لا يوجد بهما سوى رنين بنبرة وائل..

«سأدَّعي أنني لم آراها وأتهمك أنت بإختطافها»

وعاد رأسها يتحرك نافيًا بهستيريا ثم دفنته بين يديها مرتعدة بنشيج مهلك

قطع أنفاسها كما قلبه..

وحاول تحريكها ولكنها كانت متجمدة دون جدوى.

همس باسمها بيأس: صدفة أرجوك..

هزت رأسها مجددًا في اضطراب: لن أصعد.

اقترب من رأسها بيده بحنو ولكنه توقف دون يلمسها ثم تابع: لنذهب لمكان آخر.. سأحجز لك غرفة بأحد الفنادق.

عادت لتحريك رأسها مجددًا وتلك المرة نبرتها باتت حادة: اذهب!

ثم تلونت بالصرخة: أنت السبب.. اتركني.

وعادت لذات النشيج.. بذات الهروب ورأسها المدفون وأنفاسها التي تهرب دون تحذير فتدوي بقلبه في لحظة.

لا شعوريًا وجد نفسه يقيد يدها ليسحبها من حول وجهها ورأسها ويضمهما نحوه بنظرة صارمة: لن أذهب يا صدفة.. لن أتركك وحدك.

توسعت مقلتيها بشراسة: قلت لك ابتعد عني.. أنا لا أريدك.. لا أريد شيء سوى ابنتي

ودفعته مما جذب مارة أكثر ولولا إيقاف الحارس لأحدهم الذي ظن أنه يتهجم عليها لكان قد دخل في نفس اليوم بعراك آخر.

استقامت بعدها تنظر للناس حولها ووجوههم جميعًا في نظرها كأشباح مبهمة الملامح.. عبراتها أفقدتها الرؤية بل والقدرة على تحريك بصرها بشكل صحيح، خطت خطوة وفي الثانية كادت أن تقع لولا أنها استندت عليه ولم يستنبط من أنفاسها سوى حروف متلعثمة قالتها بمجاهدة: اتصل ب.. هَنا

واللفظ الأخير أرعبه!

متقطع.. سكير.. منتهي الادراك وبعدها الوعي.

لها نصيب هَنا مع هلع الهاتف..

تارة نادية..

وتارة.. صدفة..

كانت قد وصلت لتوها للمنزل حينما لمحت رقم صديقتها فأجابت بنبرةٍ ممازحة: العسلية المختفية.

وحينها توترت جفونها مع صوت رجل أجش على الطرف الآخر يخبرها أن صدفة متعبة وتريدها وأنه يتوجه بها للمشفى...

وكل ما حدث بعد ذلك كانت دقائق حابسة للأنفاس..

توترت تستفسر منه عن ألف شيء ومن هو وما اسمه وأين صدفة وماذا حدث والرجل كان فاقدًا لأعصابه بدوره فكان رده مقتضبًا بوضوح: فقط تعالي.. هي تحتاجك.

سألته مقاطعة: أين..؟؟ اسم المشفى؟؟

أجابها وهو ينظر للجسد المرتخي جانبه ويداه تتحكم بصعوبة في مقود السيارة: لا أعلم لم أصل بعد، أنا قرب منطقة المهندسين، غالبًا سأذهب لمشفى...

وحينها قاطعته مجددًا باسم المشفى اللاتي اعتدن جميعًا على الذهاب إليه وثباتها كان لابد منه وهي تُكمل: اسأل عن الدكتور حسن صابر وأخبره أن الحالة تخص مدام هَنا وأنا بطريقي إليك..

❁

ورغم أن خطواتها في المرة السابقة كانت انهيار إلا أن تلك المرة لا مكان له...

والسخرية تتسائل..

هل هو اعتياد على المصائب؟؟؟

والعقل والقلب يرفض..

صدفة بخير.....

وفي غرفة بيضاء الجدران والشراشف كانت ترقد صاحبة الخصلات العسلية بشحوب وازى لون وسادتها.. عيناها مغمضة في سلام كاذب ورجل هيئته توحي بوقار لم تعد تصدقه بعد أن صادفت سليم.

كان يقف جوار فراشها مكتفًا ذراعيه وينظر نحوها في ألم.

محت السكون كإعصارٍ وقرقعة حذاءها تقتحم الغرفة لتهديه نظرة مرتابة ثم توجهت بسؤالها للطبيب الذي على ما يبدو كان لتوه قد أنهى عمله..

ماذا حدث؟

انهيار عصبي.

تجمدت ملامحها وعادت بنظرها للدخيل الذي لم تكن تعرفه فتابع الطبيب وتلك المرة كان يوجه حديثه لعز الدين: المنوم سيبقيها غافية حتى الصباح.. لا تقلق

ثم غادرهم ونظرة هَنا لا تحد عنه، فتابع هو بتوضيحٍ هاديء: المهندس عز الدين.. صاحب الشركة التي تعمل بها صدفة.

شعرت بالخجل لوهلة فهدأت ملامحها قليلًا قبل أن تتابع: ماذا حدث؟؟

وحينها أرخى هو ذراعيه ليضعهما في جيبي بنطاله ثم ألقى عليها نظرة حانية قبل أن يعود لهَنا بصوت مجهد: سأخبرك كل شيء.

وقت تعدى منتصف الليل، وامرأة مستندة على جدار أعلمت زوجها برسالة أنها ستبيت بالمشفى لأن حالة صديقتها ساءت.

والسخرية تتبجح بعقلها عن أي صديقة؟

السابقة أم المستجدة في الفرط!

لم تنجو الضعيفة ولا العفيفة.

وكأن عقد الحبات بدايته ونهايته يجب أن تكون بقيد رجل.

وإن تناثر فهو مجرد فرط رمان.....!

الفصل السابع والعشرون

«هل تمتلك الأنثى رفاهية الاختيار؟؟؟»

تنص المادة 20 من قانون الأحوال الشخصية على أنه ينتهي حق حضانة النساء ببلوغ الصغير أو الصغيرة سن الخامسة عشر ويُخَيِّر القاضي الصغير أو الصغيرة بعد بلوغ هذا السن في البقاء في يد الحاضنة وذلك حتى يبلغ سن الرشد وحتى تتزوج الصغيرة.

وكان النص قبل التعديل كالآتي: ينتهي حق حضانة النساء ببلوغ الصغير سن العاشرة وبلوغ الصغيرة سن 12 سنة.

وهناك مطالب حالية بتخفيض السن للسابعة للذكور والتاسعة للفتيات..

ينص القانون على فقدان الأم لحقها في الحضانة في حال زواجها من أجنبي وتنتقل الحضانة بعدها بالترتيب لأم الأم أو الأخت تليها أم الأب أو العمة ويليهما الأب.

إذًا للمرأة خيار..

هو اختيار بين حقها في الزواج أو تفريطها في الأمومة

يالها من رفاهية!

وبين جوانب جدران مجهولة ستجد هناك فتاة تنقم على أمها لأنها تركتها واختارت رجل وستصطدم بصبي يلعن كل النساء لأن القدوة غابت عنه وكونت لها عائلة من صلبِ غريب وستوجعك دمعة طفل فقد عمدان أسرته وبات ضيف الجد والجدة ،وعفوًا هو لا يدرك تفاصيل الوصاية..

وما بين الشرع والفقه والقانون تاه العامة وبكت النساء تلهث خلف عبق وليد وصرخ الرجال من إجحاف حق الرؤية.

ويبقى السؤال.... فوق الأرض وما بعد رحلة السقوط من الجنة

هل سننجو دون قانون؟؟

هل القانون دومًا على حق؟؟

هل حقق القانون غايته من ما بين العدل و المساواة والإنصاف؟؟

هل يضمن ثبات النص عدالته باختلاف المتغيرات؟؟

أم أن جمود التشريع شر لابد منه؟؟

أين النجاة حال انغلاق الأبواب؟؟

في القانون أم بالهوامش؟؟

عفوًا أيها القانون.. القضية ليست صدفة

ولا وائل

القضية ليست امرأة.. ولا رجل

القضية هي هل يضمن لنا العدل تحقيق العدالة؟؟

❁

طفلة.. شابة.. أو عجوز...

ستظل المرأة هي المرأة، ملكة العاطفة والدراما..

وإن أخذك نظرك نحو الطفلة ستجدها تجلس القرفصاء وحيدة بأحد الأركان، أسقطت عن عمد كوب الحليب البارد وقلبت شفتيها بهذا التعبير الدارج على شكل ابتسامة مقلوبة ولن تعود إلا برؤية ماما.

وماما ابتلع جسدها فراش..

ممرضة تقترب وتحقن في محلول وريدها ابرة، وطبيب بوجهٍ بشوش يملي تعليماته بهمس وصديقة تكتم البكاء لأنه ليس بحل ورجل بات قدرها وقدره أن يبتعد.

استفاقت.. ربما...

عيناها باهتة دون حياة والطبيب يوصي ويكرر ويفسر وهَنا تمنع البكاء.. تحجمه وتصفعه وتقسم ألا ينال منها بسبب رجل.

أما هو فكان يستند على الباب وعيناه تمران ببطءٍ فوق تفاصيل ملامحها.

عيناه حزينة مثلها تمامًا.. يبحث داخلها عن بهجة مريم..

وأشاحت بوجهها.

تريد رحيله.. تتمنى رحيله.. وتبكي رحيله.

صدفة..

صوت هَنا مبحوح، تحكمت بالعبرات وخانتها النبرة..

حبيبتي

وتتابع هَنا، تحادث نفسها وتبحث عن صديقتها وسط هذا الشبح الحزين..

لقد رحل عز.

صدفة عودي.

سنستعيد مريم.

الحق معك. اللعنة عودي وانتزعي ابنتك.

ومعها الحق هَنا والحق حليف صدفة ولكن هل سيسمعه أحد دون صوت؟؟

واستقامت هَنا بحدقةٍ متسعة وهي تراقب فوق ملامح صديقتها حقيقة أقرب من الحق، وواقع امرأة مقهورة على فلذة كبدها التي انتزعوها منها دون رحمة.

غابت مريم وغاب صوت صدفة..

هو فقدان نطق نفسي.

يقولها الطبيب ببساطة وهو يعبث جوارها بأوراق، يوصي ممرضة بجرعة معتدلة من الكورتيزون ويؤكد أن حل الصدمة في محو توابعها، ولم تتابع معه تفاصيل أكثر ولم تعد تكترث بمحاضرته التشخيصية ونهج العلاج.

لتعود صدفة يجب أن تعود مريم..

وفي خضم محادثة تليفونية مع الراحل الذي أوصاها أن تخبره بآخر المستجدات وخطواتها العائدة نحو غرفة صدفة توقفت شفتيها وغاب عن أذنيها نبرة عز وتفاصيل موعد حدده مع محامية شهيرة، وانتهت المحادثة بصرخة منها فوق رأس ممرضة غائبة: أين صدفة؟؟

❁

كانت أبواق السيارات قريبة، فمنزل سميحة يقع بحي مزدحم ممتلىء بالباعة الجائلين ومحلات الخردوات المتعددة، ووسط كل تلك الضوضاء كانت هناك امرأة هزيلة الجسد بثياب غير مرتبة تعاني أمام باب مغلق لأكثر من نصف ساعة!

أسندت يدها على الجدار وجبهتها فوق حاجز خشبي متسخ وكان القلب يغوص في الصدر باحثًا عن مبتغاه دون أمل.. تناثرت بضعة قطرات من العرق فوق وجهها وخصلاتها انسدلت غير مرتبة من حجاب غير محكم.. تحت أحد أكمام قميصها بدت ثلاث بقع حمراء نتاج نزعها لإبرة المحلول المغذي الذي

علقوه لها وبيدها الأخرى كان هناك باقي نقود مجعدة وقلم حبر جاف كتبت بفضله العنوان للسائق وهاهي وحدها تتشبث بمقبض الباب ولا تملك سوى الطرقات.

صدفة!

واستدارت على وجه امرأة، جارة وعجوز أخرى وكانت فيما قبل صاحبة نصيحة كل لا تترك بيتها.. تُراها كانت محقة!

حبيبتي تعالي لترتاحي.

لم تختلف عينا صدفة عن ما كانت عليه بالمشفى.. نفس النظرة الضائعة التي أعطتها لهَنا وذات الطرقات مستمرة لا تنقطع فباتت الجروح قريبة من خطوط الكف ونقاط الدماء تعود للظهور من موقع الجرح من جديد.

وبهتت المرأة وترقرقت عيناها بالدموع وعادت لتلعن من جديد في سرها سميحة، وتحاول أن تجذب الضائعة.. تظن أنها أراحتها حينما قالت بأن المنزل فارغ ولا يوجد به أحد، وطلَّ الوجع من انحناء فم صدفة التي باتت بينها وبين ابنتها مسافات غير معلومة.. ضربت صدفة الباب ضربة أخيرة بيأس ويأس وخيالها يصور لها ضحكة مريم بين أحضانها بوقت صلاة الضحى ويوم تبدل فيه عالمها بأكمل.

وانحنت الشفتين من جديد والعبرة تطغي على غياب النبرة...

يا رب

وكان الرحيل يحتاج قوة.. قوة لم تعد تمتلكها ولو بهذا الحين.

شكوى القلوب يفقهها الخالق وحده....

وقبل أن تسقط أو تحاول المرأة العجوز لحاقها كانت تستند فوق ذراع صديقة..

ومن قال أن الصديق وقت الضيق كان محقًا..

فلا صديق إلَّا وقت الضيق..

كانوا ثلاث نساء..

الطفلة والشابة... والعجوز

وإن أردت أن ترى الدنيا بعين مختلفة فجربها بعيني امرأة عجوز، وعينا سميحة كانت تدور في شقة حديثة تحمل جدرانها لون قشور البصل الأحمر.

ساعة حائط لامعة على شكل خيوط شمس وتابلوه ذهبي ضخم بصورة زفاف لابنها والأخرى.

ظهر بالشفتين انحناء يشبه حسرة وأمنية بعودة الماضي وعبق منزلها المزين بضحكات مريم.. وصدفة!

هل أجرمت لأنها تحارب من أجل تلك الحياة..؟؟

اختارت الزيجة والزوجة ونالت منهما على مدار سنوات ما تستحقه كأم، الفتاة المنتقاة تربية عينها كما كانت تتباهى والابن البار اللاهث خلف رزقه وكرم الحياة لعائلته والطفلة التي يوقظ صوتها بهجة الدنيا.

وذات صباح وأثناء اعدادها لمائدة عامرة لم تكن تتمنى منها سوى الصحبة انفرط العقد وحباته ورحلت الكبرى لتأخذ في ذيلها الصغرى وباتت المائدة فارغة لا تحمل سواها.

قست نظراتها للحظة وهي تتصور ابتعاد صدفة أكثر وأكثر في عصمة رجل غريب وبين أحضانها مريم، هكذا ببساطة يختطفون عائلتها التي بنَتْها واعتادتها على مدار سنوات.. يختطفون فرحتها..

فليأخذها الموت وتأخذهم اللعنة على قدر هواهم.

وهوى وائل كان في محادثة هاتف، فبعد قراره العنتري أمام عينها بالأمس بعدم رد صدفة توجه لأحضان الزوجة والخطة ورب العمل السابق والرحيل من جديد.. وأغلق الهاتف ليقولها ويكرر ويبرر ولأول مرة يعلو صوته عليها: لن أردها لعصمتي.. سأعيد تربيتها من جديد

وها هو مجددًا يشرد عن سربها كما فعل من قبل وتزوج دون اعتبار للجميع.. وشروده يحمل نكهة امرأة وليست تلك من ربتها ولقنتها ولم تكن تعرف من الرجال سواه بل الأخرى صاحبة الخبرة الأعمق في السيطرة!

وظهرت حينها ببطنها المنتفخ الذي كانت ستجبره على تركها لولاه والبسمة كاذبة فوق شفتيها: ماما سميحة.

ولم تجيبها ولم تنظر، بحثت عن البهجة فوجدتها باكية والصوت لا يكف عن الصراخ.

أريد ماما.

ووائل دلل وقبّل ومازح وصرخ وفقد نفسه فكاد يصفع وخافت الفتاة ولم تجد رَحِمًا تحتمي به، فالطفل حين يخاف يحتضن خصر أمه، يدفن رأسه في بطنها بحثًا عن رحم كان له من قبل جدران الأمان..

وباتت نبرته بعدها وعيد: لقد صبرت عليها كثيرًا وحان وقت الحساب.

والتكملة هي قانون العقاب كما نصه بأحقية أنه رجل: سأتركها هكذا معلقة.. لن تنال عصمتي ولن تتزوج غيري.

❁

الحضانة للأم.

ووازت الجملة ابتسامة من شفتي امرأة محنكة تخطت عامها الثالث والخمسون، وشاح رمادي اللون فوق عوينات قراءة بسلسال ذهبي قديم وأنف حاد مذبب يفتقر لأي مظهر جمالي ولكن حتمًا خطوط الوجه تحمل آثار صولات وجولات بين أروقة المحاكم.

نعلم أن الحضانة للأم ولكن كما نقول لك هو اختطفها.

وكانت تلك هَنا، بناريتها المعتادة، تجاور صدفة على أريكة جلدية أنيقة وتحرق أعصابها جوار تبغ عز الذي لم ينطق بحرفٍ واحد منذ وصلا للمكتب الشهير.

عيناه تراقبها وكفى...

تجلس منكمشة جوار صديقتها وكأنما تتلمس في قربها الأمان، مثابرتها منتهية وكأنهم قتلوها حين أبعدوا عنها ابنتها فباتت مهلهلة بشبه قوة تجاهد أن تخطو على هامش الحياة، عاد صوت هَنا للسؤال مجددًا فأخرجته من أفكاره: وما الحل الآن، هل نقدم بلاغ؟

أومأت المرأة موافقة وعيناها تمر باهتمام على بعض الأوراق: سنفعل وإدارة المدرسة ستشهد أن الجدة استلمت الفتاة، أيضًا من الممكن الإستعانة بشهادة الجيران وإثبات محاولة الزوج التعدي عليك في صباح الواقعة ولكن...

صمتت قليلًا تمر بين الوجوه خاصة عز ثم تابعت: لا أستبعد أن يقوم الزوج برد فعل ملتوي يذكر فيه اسم عز للإضرار بسمعة الحاضنة، فالحضانة تسقط عن المرأة حال الزواج أو الإعاقة أو الإهمال وسوء السمعة..

ولو جزم أحدهم أنه من قبل اختبر هروب اللون فهو لم يرى ما آل إليه وجه صدفة...

شمعتها؟؟

هكذا ببساطة وعلى أوراق بلاغ رسمي!

فرك عز جبهته محاولًا التحكم في أعصابه قدر الإمكان ومتجاهلًا الإنهيار فوق وجه صدفة كي لا يتهور أكثر ويبحث عنه محطمًا عظامه..

نريد عودة الفتاة بأقصى سرعة اليوم قبل غد.

رفعت المحامية حاجبيها بثقة..

سأقوم بتقديم بلاغ صباح باكر بالنيابة وإذا أثبتنا أنه الفاعل وامتنع عن تسليم الفتاة ستكون جنحة وحتى إن تزوجت مدام صدفة الحضانة ستكون مع والدة الزوج بحكم أن والدتك متوفية ولهذا..

وقاطعتها صدفة على الفور بوجه يتحرك باضطراب والمعنى كان واضح..

لا..

لا زواج!

وعيناها باكية تهرب من الجميع...

هي فقط تريد ابنتها...

تريد مريم...

- ومتى التنفيذ؟

وكان هذا صوت عز.

لن يصبر وهي لن تحتمل أكثر...

هي بالفعل منتهية..

نظرت نحوه المحامية بإيماء متفهم: بمجرد أن نستخرج إذن النيابة سنجبره على تسليم الطفلة ولا تقلق سيخاف في النهاية فغرضه كما تعلم ليس الفتاة.

ثم استدارت نحو صدفة تتأملها ببطءٍ متابعة: غرضه معاقبتك مدام صدفة ومنعك من الزواج.

والمرأة محقة، وائل يعاقبها على طريقته الخاصة..ومع كل ألم ممكن.. وقد نجح!

مبارك يا أم الغالي!

في يوم صيفي حار كان هذا ليوازي روتين معتاد ليس أكثر، هي بثوبٍ أسود محتشم.. حقيبة جلدية قاسية الملمس ووشاح قطني فاتح ابتاعته لها صدفة وكانت تصر عليها ارتداءه..

«الأبيض ينير وجهك يا خالة»

مريم متشبثة بكفها المتغضن تفرك عينيها المتعبتين من بكاء أيام متتالية كان كثيرًا.. كثيرًا على طفلة، تشرب بأنفاس متقطعة عصير التمر هندي البارد وتستند برأسها الصغير من حين لآخر فوق ذراع جدتها من التعب، استدارت سميحة لـ راضية التي انقطع حديثها معها من وقت ما ساعدت صدفة على التمرد ووفرت لها عملها الحالي.

تكرهها ومن داخلها تشفق عليها كلما لمحت زوجها العادل يحضر متبخترًا لزيارة شهرية لا تتعدى العشر دقائق ثم يعود مهرولًا لزوجته الشابة.

هل هذا ما تتمناه لصدفة؟؟

هي في النهاية سترحل عن هذا العالم، ستقابل أختها الصغرى وتخبرها كيف أجبرت ابنتها على العيش في كنف ابنها مضطرة..

مبارك يا أم الغالي!

ونبرة راضية تتكرر.. تتهكم بصوتٍ حزين وتخرجها من دوامة أفكارها التي لازمتها على مدار الأيام الفائتة، وائل الذي عاد لحياته المعتادة متخذًا

قراره بالسفر مجددًا ومؤكدًا عليها في انتصار أن صدفة ستعود لها وتعيش في كنفها وحينها سيكون هو مطمئنًا عليها وعلى مريم.. وزوجته تتأوه كلما مالت بجسدها لتنظف بقعة أو إعداد كوب حليب للصغيرة ويبرر هو بضحكة صفراء أنها متعبة بسبب الحمل، ويبرر أنها غير معتادة على الأعمال المنزلية ويبرر ويبرر ويبرر!

من كتاب كيف تسيطرين على رجل؟؟

أيام وفقدت صبرها وعادت..

الغالي باع الغالي بالتراب يا سميحة...

وغادر دون عودة...

مبارك نجحتم، أنهيتم عليها ولكن صدفة ستعود يا سميحة.. ستعود وستأخذ حقها منك ومن إبنك!

وقبل أن تعود سميحة لواقعها كاملًا ومع ارتجافة حدقتيهما واستيعاب راضية صوت الصغيرة مريم التي صرخت ببحة موجعة: ماما.

سقط باقي العصير جوار قدميها وتناثر ملوثًا مقدمة حذائها، تركت يد جدتها لتتشبث بثوب راضية في حركة فجائية وصوتها بات قريبًا من البكاء:

ماما.. أريد ماما هل هي معك.. هل عادت من السفر؟؟

الكذبة المعتادة.. في الألم... لا ابتكار...

نظرت راضية بغضب مكتوم لسميحة التي أشاحت ببصرها ثم همست بنبرةٍ ثقيلة: ستحادثين ماما يا حبيبتي.. سنكلمها على الهاتف.

وقبل أن تستدير لتغادر أوقفتها نبرة راضية القاسية: لا.

ومع صدمة عيني سميحة تابعت راضية مضطرة بهمسٍ غاضب حرصت ألا تسمعه مريم: بفضلك يا أم الغالي صدفة فقدت صوتها!

المدة أسبوع...

سبعة أيام...

مائة وثمان وستون ساعة...

هل يجوز أن تحصي كم دقيقة، بل كل ثانية تمر عليها دون مريم؟؟؟

حين طلبت الطلاق لم يمر بخاطرها أن قد تدور يومًا بأروقة المحاكم.. أن تصطدم بمصطلحات مثل إثبات الحضانة وحق الرؤية ومصلحة المحضون..

ما هذا؟؟

كانت تحيا...

تظلل على ابنتها وتحيا...

خرجت للشرفة بعد إلحاح قوي من هَنا، وجهها قابع في ظلام الغرفة منذ أيام رافضًا ضوء الشمس وسميحة لم تعد لمنزلها منذ ذاك اليوم أمَّا هو فاختفى...

ببساطة غاب وكأنه لم يكن، وبات أسوء خيالاتها يصور لها أنه سافر ولولا تدخل عز الأخير وبحثه مع صديق له نفوذ عن بياناته بين المسافرين لما زار النوم جفونها أبدًا.

امتدت يدها تتشبث بكف هَنا الممتد ليخرج من شفتيها انحناء باكي كما عادتها الأخيرة وتشير نحو قيد عصفور في شرفة مجاورة وتهمس دون صوت ولكن بحروف واضحة الرؤية كما صارت تفهمها هَنا.

مريم....

لم تكن تعلم هَنا قصة العصفور وكم كانت تتمنى مريم واحد وصدفة تعدها بتحريره،

آااه... كيف أنتِ يا عصفورتي الآن؟؟

كيف يبدو وجهك.. هل أنت بخير؟؟

يا الله احفظها لي...

يا الله اجمعني بها على خير...

يا الله لقد افتقدتها...

أنا لم أعد أحتمل الفراق...

يااااا رب...........

وكان البكاء تلك المرة كارثيًا، لم تبك هكذا منذ غادرت المشفى، رغم صمتها أغلب الوقت كانت متماسكة، كانت تذهب لقسم الشرطة وللمدرسة وتمر كل يوم على منزل سميحة ولكن هذا الصباح ومع تكرار نفس الحدث المشؤوم الذي بدأ بزيارة وائل فقدت قدرتها تمامًا، ولولا تماسك ذراعي هَنا لكانت سقطت أرضًا،

أمسكتها هنا بقوة وهمست ترفعها هامسة جوار أذنيها برقة: استندي علي يا حبيبتي.. يجب أن تأكلي شيئًا...

حركت صدفة رأسها في نفي مرتجف وضمت جسدها البارد من قلة الطعام ثم أشارت لهاتفها الجوال ففهمت أنها تستفسر عن البلاغ.

أخفضت هنا رأسها في غضبٍ مكتوم: لم يظهر بعد.

وصدفة تعرف الجواب..

هي كل يوم تتمنى غيره ولكنها باتت تعرفه وتحفظه وتتضاءل ضربات قلبها مع تكراره..

ولا تعلم أنه كان يقف هناك.. يتلصص من خلف نافذته ويراقب نشيجها الذي مزق نياط قلبه...

عاد لهرس لفافة تبغ عاشرة والهاتف بين يديه يؤكد له الصديق أن هذا الرجل لم يترك البلاد ولكن مكانه غير معلوم. حتى عمله تركه منذ ثمان أيام أي قبل زيارته لصدفة بيومٍ واحد. وتمكن منه وسواس أقلقه كثيرًا....

هل خطط للأمر؟؟

هل كان ينوي بالفعل حرمانها من ابنتها؟؟

وقبل أن يستغرق في البحث عن جواب ومع اختفاء ظلها من أمام أعينه كان جرس الباب ينبأ عن زائر اختار بعد تفكير طويلٍ موعده.

هو لا يَستقبل زوار والجرس مُلّح ومثابر ومتشبث بتلك الفرصة قبل أن يتراجع عن قراره، كانت امرأة عجوز والساخر أن ببعض ملامحها شيء من صدفة ولكن الأهم أنها كانت تمسك بيُمناها مريم..!

الفصل الثامن والعشرون

عجوز بوجه متحفظ وتمسك بيُمناها مريم..

ظل متصلبًا مكانه لوهلة قبل أن يضم حاجبيه بتعجب، قطعته الصغيرة التي ابتسمت له بعفوية تاركة أنامل جدتها لتسأله في براءة: هل عادت ماما من السفر؟

ارتخت جفونه فتجاهل أفكاره بشأن العجوز ليثني ساقه اليسرى على الأرض فبات قريبًا من مستوى الطفلة ثم فرد ذراعيه ليلتقطها بابتسامة هادئة: ماما عادت يا حبيبتي.

ثم رفع بصره للمرأة وقبل أن تعقب أو تبدأ حوار كان صوته هو المسيطر بثباتٍ: تفضلي يا سيدة سميحة..

بعين عجوز خبيرة تنقلت ببصرها بين أركان المنزل في دقائق معدودة، كانت شقة مفروشة، بعناية بداية من الجدران المنقوشة بصيحة حديثة راقية وغرفة الطعام الجانبية من الخشب المحفور القاتم، تليها غرفة معيشة واسعة بأرائك جلدية تحمل بصمة رجل وغرفة استقبال رغم ألوان مفروشاتها الشبه مبهجة إلّا أنها تفتقد للمسة أنثى.

عاد بعد أن أوصل مريم لغرفة لارا وخلفه امرأة بلباس رسمي متحفظ وكوب من عصير البرتقال الطازج، جلس بعد أن قدمت المرأة واجب الضيافة مراقبًا ابتسامة ضيفته الغامضة وهي ترتشف رشفة قليلة من العصير قبل أن تبدأ: طبعًا انت مستغرب من زيارتي تلك سيد عز الدين؟؟

ابتسم بثباتٍ ويديه تمتد نحو قدح قهوته: وأود أن أسمعك سيدة سميحة...

تبدلت ملامحها في لحظة لتبدو أكثر أريحية فتابعت وهي تعتدل بجلستها إلى الوراء: في الحي الذي أقطن فيه ينادونني يا حاجة.

تباطأت نظرته حينها فبدت أكثر راحة ولكن بحرص.. ترك لها حرية المتابعة فوضعت العصير جانبًا ثم شبكت أناملها وبرغم هالة الثقة القاسية المرسومة على وجهها إلا أنه استشعر توترها المختبىء خلف نبرتها الجامدة: لماذا تريد أن تتزوج ابنتي؟

لا ينكر أن سؤالها كان مباغتًا، بل تفاصيله.. ابنتها..!

الآن تقول ابنتها...

تلاشت الراحة من فوق وجهه فكانت نبرته جدية ومباشرة: هل نحن نتحدث عن الزواج الآن؟!

جمود نبرتها كان ما زال بدوره حاضرًا فتابعت بجدية موازية: أنا أنتظر جوابًا على سؤالي لا سؤال سيد عز..

غامت عيناه لوهلة فبدا مستغرقًا بأفكاره ثم أخرج علبة سجائره مستأذنها في اشعال واحدة لينفث بعد لحظات دخانه بجدية مُكملًا: أنا لم أكن أبحث عن زوجة لأختار صدفة.. أنا وجدت صدفة فقررت أن تكون هي الزوجة!

لا تنكر أن نظرتها ضاقت بإعجاب، أي امرأة مهما مرت عليها السنوات يربكها التقدير أيًا كانت تفاصيله. ولكن رغم ذلك تابعت بوجهٍ صلب: أنت رجل عاقل وكما قيل لي جاد جدًا بحياتك وعملك، هل تريد أن تخبرني أن قرار زواجك بابنتي هو مجرد مشاعر عابرة؟؟

تكرر ابنتي.. تؤكد على اللفظ وتتمسك به والأمر لن يمر على رجل مثله.. لم يطل في التفكير، رد بجواب مباشر: بالطبع لا.

ثم تابع وهو يعود لارتشاف القهوة: المشاعر هي البداية بين أي رجل وامرأة، والزواج هو وضع النقاط فوق الحروف، صدفة امرأة يتمناها أي عاقل زوجة له حتى دون حسابات المشاعر التي يبدو أنها تزعجك سيدة سميحة.

ورفع حاجبه الأيسر بثقة مع جملته الأخيرة مراقبًا ارتباكها الذي بترته على الفور: لا تزعجني..

وتابع هو بثقةٍ مستغلًا فرصته: من الطبيعي أن تزعجك.. صدفة كانت زوجة لولدك وهذا شعور عادي تمامًا.ثم صمت لثوانٍ قبل أن يستكمل بنبرة أكثر اتزانًا: ولكنها الآن أصبحت طليقته، والطلاق تشريع ديني واجتماعي كالزواج بالضبط.. فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف.

لم تعقب.. أومأت برأسها موافقة فتابع هو بهدوءٍ مسيطر: صدفة لم ترتكب خطيئة حينما طلبت الطلاق، هذا حقها وأنا لم أرتكب ذنبًا حينما عرضت عليها الزواج على سنة الله ورسوله وحتى اللحظة التي طرق فيها ابنك بابها لم تكن صدفة قد وافقت بعد.. صدفة كانت خائفة مثلها مثل نساء كثيرات في مثل وضعها ورعب خيار التخلي عن أطفالهن.

قاطعته على الفور بمعاندة: هناك نساء يترملن على صغار ويفنين عمرهن لتربية أبناءهم دون التفكير برجل.

فرك أنامله ثم تابع بذات الهدوء: معك حق ولكن هل هذا عدل؟؟

وبحال صدفة التي مر من عمرها خمس وعشرون عامًا فقط هل ترضين لها كابنتك تكملة باقي عمرها وحيدة؟؟ ومع احترامي.. ابنك له زوجة وبيت وحياة مستقرة.

حاولت أن تقاطعه مجددًا ولكنه لم يعطيها الفرصة فتابع مستحوذًا على تفاصيل الحوار: أنا لا أهاجم ولدك سيدة سميحة، كفكرة زواج ثاني أو ثالث أنا كرجل أخبرك أنه حقه ولكن من حق صدفة أيضًا أن تشارك في هذا القرار

وأن توافق أو ترفض ولا تنسي أن الرسول صلى الله عليه وسلم اشترط على سيدنا علي ألّا يتزوج على السيدة فاطمة وتلك إشارة لنا؛ تخبرنا أن هناك نساء لديهن القدرة على تحمل هذا الوضع وأخريات لا..

تغضنت ملامح سميحة فلم تمتلك سوى الهجوم الذي توقعه تمامًا: وأنت هل ستفعلها؟

مُلَمِّحة للزواج الثاني...

تابع بابتسامةٍ واثقة: صدفة لا تستحق رجل يوجعها مجددًا وأنا سأكتفي بها عن دون كل النساء.

وتلك المرة النظرة كانت ثاقبة وواضحة ولن تسمح بغضب أو دفاع عن الابن الغائب.

فركت كفيها بتوتر ثم ألقت نظرة على مريم التي كانت مستمتعة باللعب مع الطفلة الأخرى لتعود نحوه بسؤالٍ وهجومٍ آخر: وماذا عن زوجتك السابقة؟

ارتكز بنظراته عليها بفطنةٍ: زواجي السابق انتهى للأبد. فوالدة لارا أرادت استقلال وحياة عملية بعيدة عن التزامات الأسرة واشتاقت لتحررها الأوروبي، ولهذا مسألة عودتها لي أمر مستحيل أما حضانة ابنتي فأخذتها بالإتفاق.

ضاقت عيناها بقسوة: لو كنت مكانك ما تركتها لها أبدًا.

وضاقت عيناه هو بإصرار: لو كانت مثل صدفة لتركتها لها مغمض العينين.

ثم تابع ونظرته تمر فوق ضحكة الطفلتان: الأم هي من تربي سيدة سميحة، أنا أترك ابنتي لمربية مضطرًا وأحضرتها متخصصة في السلوك التربوي والنفسي للطفل كي أكون مطمئنًا.

ثم تابع مستديرًا نحوها: وسأحتفظ بها بعد الزواج للفتاتين، صدفة ستكون زوجتي وشريكة حياتي وليس بغرض تربية ابنتي.

مرت دقيقة من الصمت بينهما في هذا الحين، عاد هو ليرتشف ما تبقى من قهوته تاركًا لأنفاسه عنان التوتر بينما ابتسمت هي بغموض مجددًا ونظرتها مرتكزة على عمر الورود في الغرفة المجاورة،

أنا أترك ابنتاي آمانة في عنقك سيد عز.. فحافظ عليهما!

❁

بعد عناء أقنعتها هَنا أخيرًا بترك سور الشرفة والتوجه للداخل في محاولة فاشلة لتأكل شيئًا، لم تستطع أن تبتلع اللقيمات القليلة فأجبرت نفسها على اثنتان وفي الثالثة تملصت من صديقتها بصعوبة ثم توضأت وتوجهت لسجادة الصلاة.

تصلي أو تبكي؟؟

في النهاية كانت تجد بين سجودها الراحة.. كانت تستند على الجدار، فرغمًا عنها ضعفها يحركها ببطء بينما هَنا تعيد باقي الطعام للمبرد وجرس الباب يدق في تنبيه عن زائر.

لم يكن لديها قدرة على الحراك لتفتح رغم قربها من الباب ولكن......

كانت نبرة.. رنة.. براءة حروف تمر من خلف الباب الخشبي ومفادها ماما!

مر.... مريم

كيف قفزت في لحظة لتفتح الباب على مصراعيه وكيف سقطت فوق ركبتيها تجذب مريم لتلتهمها بين أحضانها جوار حشرجة صوتها العائد ببحة لا تحمل سوى أربع حروف....

كيف بكت.. كيف قبّلت الرأس واليد والكتف والأُذن...

كيف مسحت بطرف ثوبها حذاءها الأبيض الملطخ ببقعةٍ ما وعادت تجذب أطراف خصلاتها فتقبل من جديد وتبكي، تتشبث بها خشية أن تكون حلم أو تمر اللحظة وينتزعوها منها مرة أخرى.

همس برقةٍ وهو يراقب عيناها التي اختفت خلف طوفان العبرات: مريم معك صدفة.. ولن تتركك.

رفعت بصرها نحوه بابتسامة مبتورة ثم عادت لتدفنها في رقبة الصغيرة والشهقة لا تنقطع.. ولا تحوي سوى ذات الأربع حروف..... مريم..............

دمعت عينا هَنا، وتهدجت أنفاس عز وانزوت سميحة..

لم تجرؤ على المواجهة ولا حتى على المواساة....

غادرت باكية وآخر ما سمعته كان أنفاس صدفة بالوعد والخوف والقرار...

لن أتزوج خالتي.....!

❁

يتذمر الرجل من طلبات المرأة...

فالمرأة حوت لا يشبع!

تريد المال.. تريد الوقت...تريد الحب... وتريد عقله إن لزم الأمر...!

وهو يا قلبي مسكين..

هو فقط يريد منها شيء واحد

أن تكون......Super woman!

وهي ليست امرأة خارقة، هي بسيطة.. بسيطة حد بنود اختياره...

الشقراء

الحمقاء

والعاشقة

وهذا لم يكن يكفي!

فبشكلٍ ما هي غير جديرة بملء هذا الفراغ.. وبمثل تلك الظروف يبدو العراك أفضل حل والسبب محفوظ...

هي لم تكن لطيفة مع أمه، أفسدت قميصه المفضل.. لم تسأله ماذا يفضِل على العشاء وفي حالتها هي..

أحرقت البامية..

يا للهول!

ومتى بدأ الزعيق.. كيف انتهى.. التفاصيل.. النتيجة؟؟

الجسد الشبه مبتل والخصلات المنثورة جوار ركبتيها المنكمشتان وكاحل مرتجف بتوازي مع شهقات مكررة، جوار وجْنة محمرة نتاج صفعة مستحقة كما قرر..

أوكما فقد أعصابه...

أوكما أجبرته...

هي السبب وكفى..!

كان قد صفعها ورحل.. جذب هاتفه الجوال ومفاتيح سيارته وبرطم بهمسٍ متنمر غير مفهوم المعنى واختفى!

جلس بسيارته منفردًا كما عادته الأخيرة، أنامله تمر فوق تفاصيل احدى صفحات التواصل الإجتماعي ووجه خمري مستدير مع عينين ناعستين بلون بني صافي وفم واسع الضحكة.. تضحك وتشير لكاميرا هاتفها بعلامة نصرٍ ما مع صديقتين أمام باخرة نيلية شهيرة إحتفالًا بعيد مولدها السابع والعشرون..

بيساطة عادت ندى، لها بالوطن حوالي شهر ونصف بعد حالة ملل أصابتها في بعثة سفرها المزعومة.. سألت عنه صديق فعلمت أنه تزوج ولم تعلق وبقيَ هو يراقب حياتها من خلف شاشة إلكترونية!

لعنة إلكترونية...

وبمنزله.. مملكته الزوجية وتلك الفتاة التي جاء بها بديل..

تثاقلت خطواتها نحو دورة المياه في محاولة أن تغسل دموعها ولكن دون فائدة.. ظلت تشهق في محاولة فاشلة أخرى وفي النهاية تهاوت على الأرضية الباردة تتشبث بجسدها البارد وترتج مع كل ذكرى..

سباب.. صفعة.. وقسوة بدت غير منتهية ولم يشفع لها الطفل... ولم يبق لها الطفل..

كل ما نالته قطرات دماء...

هي تحتاج للراحة

كلمات مقتضبة من طبيبة أربعينية بملامح قاسية، كان قد استفاق على مهاتفة عاجلة من حارس البناية يخبره أن زوجته خرجت مستندة فوق ذراع جارةٍ ما وأملاه اسم المشفى.

والباقي معروف...

فقدت الجنين!

لأنها مدللة... لأنه صفعها!

مجرد نصيب!

لا فارق..

والغريب أنه لم يشعر بأي شيء.. لا غضب ولا حزن ولا حتى راحة.

كان يقف بجمود جوار فراشها وعيناه تمران ببطءٍ فوق ملامح وجهها الشاحب.. عيناها مغمضتان فوق عبرات مكتومة وما يمر بخاطرها لا يعلمه إلّا الله.

اقترب أكثر حتى جلس جوارها على حافة الفراش ثم قرب أناملها نحو فمه فطبع قبلة باردة. شعر بارتجافها لوهلة ولكنها لم تفتح عيناها.. فقط انسابت من بين جفونها دمعة ساخنة ولو كانت تجرأت وفتحتهما لوجدت أغرب انفعال قد تلمحه بوجه رجل قد تبصره بهذا الموقف.

شفتيه مزمومتان ونظرته تتأملها بقسوة.. حاجباه مضمومان بجدية وأنفاسه تمر على صفحة صدره ببطءٍ، يود أن ينفجر بها لأنها أفقدته ابنه وعلامة صفعته فوق وجنتها سلسال قيده فبات صك حمايتها منه، قلبه يود الغضب.. الحزن.. وعقله مرتاح!

قلب يريد الأخرى! وعقل يمتلك الزوجة......

❁

هناك امرأة تتزوج رجل وهناك امرأة تتزوج ثائر الرويدي!

يقال أن المرأة حين تحب زوجها بصدق تنصبه ملك، تقدم فروض الولاء والعشق وتنتهي فداء نظرة عيناه.. ولكن ماذا لو تزوجت بمن يرى نفسه ملك..؟؟

لا تنكر أن عقلها أباح لها أسوء تصورات ممكنة من خلف مقود سيارتها في طريق العودة..

صدفة التي فقدت ضحكتها حين اختطفوا منها الحلم.. الحق..

والإجابة ذكر..

نادية الراقدة بين موت وشبه حياة...

والبداية ذكر...

وهي.. هي تقف في منعطف طريق مع رجل قدم لها كل شيء ولا شيء.

اذا ما أرادها قدم العالم واذا ما زهدها فببساطة..

سيكون ذكرا!

المنزل كان هادىء.. مظلم وكأنه ليس هناك، صفَّت سيارتها وتباطأت خطواتها حين لمحت شعاع ضوء صغير يتسلل من خلف غرفة المكتب.

هو حي يرزق إذًا؟؟

والهمسة كانت لنفسها ساخرة.. متذمرة.. وتشتهي عراك!

تشتهي انتزاع حق صدفة.. حياة نادية.. وحُلم دارين!

وبانفعال غير مكتمل فتحت الباب فلم تجده، كانت أوراقه متناثرة فوق المكتب جوار قدح قهوة. كل شيء كما المعتاد ولكن دونه..

زفرت بضيقٍ مكتوم ثم صعدت لغرفة نومهما متوقعة أنه غفا والتوقع رغمًا عنها أهداها راحة ولكنها لم تكتمل، توترت كما مقلتيها حين لمحته يجلس بهدوءٍ فوق جانبه من الفراش.. بين يديه كتابٍ ما ويرتدي بنطالًا قطنيًا واسعًا تحت صدر عاري وعوينات قراءته القاسية الإطار.

تصلبت للحظة قبل أن تغلق الباب خلفها ونظرها لا يحيد عن تجاهله الذي قطعه بلمحةٍ سريعة رفع فيها بصره إنش واحد عن كتابه ثم عاد للقراءة مجددًا دون أن يعلق..

تحكم الضيق في أنفاسها أكثر فتوجهت نحو جانبها من الفراش تخلع حذاءها وتتجهز لعراك زوجي قادم على ما يبدو لا محالة.

سيتنمر الزوج.. سيصرخ ويحاسب ويطالب بالوقت والحق..

وهي زوجة، فإذًا هي الحق!

جسد ونفس...

عقل ووقت...

ذات وحياة..

لقد كنت عند صدفة.

وقررت أن تبدأ حوار، والبداية غبية فلامت نفسها.. لمَ توضح؟

هل يخبرها هو بوجهته؟؟

بل ألم يفعلها من قبلِ ويُعلمها عن قرار سفره برسالة..؟؟

ولم يجب.. بل يرفع نحوها البصر، حلت أزرار قميصها واستقامت تفتح خزانة ملابسها تبحث عن بيجامة قطنية مريحة ونبرتها تهرب منها بحدة: ليست لي طاقة بعراك ثائر.. لست ملزمة ب..

ولم تشعر لحظتها سوى بذراعها يكاد ينخلع عن كتفها وهي تعود نحوه بقسوة لتصطدم بصدره الصلب وعيناه منفعلتان بتوهجٍ مرعب: لست ملزمة بماذا؟؟ بأن تكوني زوجة؟؟

ثائر اترك ذراعي.

ونبرتها كانت عالية ولكنه لم يكن تحدي، كان خوف.. تركها مبتعدًا عنها ثم أولاها ظهره ليسحب قميصًا بيتي فوق جسده في عنف ويرمي عويناته جوار كتابه بينما ضمَّت هي قميصها المفتوح حول جسدها في اضطراب..

المرأة التي تحترم زوجها لا تبلغه عن قرارها بالمبيت خارج بيتها برسالة.

قاطعته بتسرع: أنت أبلغتني من قبل برسالة.

استدار وملامحه تكتم طوفان ولكنها تابعت دون اكتراث: أم أنني يجب أن آخذ منك الإذن أولًا؟؟

يفقد أعصابه.. بشكلٍ غير مسبوق يفقد نفسه.. بغضبٍ لم يعد يدرك مدى عواقبه.. ضرب كفه بالحائط بعنفٍ قبل أن يصرخ بها فعليًا ولأول مرة: نعم يا

مدام الرويدي.. يجب أن تأخذي مني الإذن أولًا.

ليس حقك.

حقي.

وكانت زعقة أكثر قسوة!

حقي يا زوجتي العزيزة.. كما حقي أن أكون أب ورغمًا عنك إن لزم الأمر.

وفي تلك اللحظة كانت قبضته قد عادت لتملك ذراعها من جديد، ضغط فوقه لا شعوريًا فآلمها ولكنها لم تبالي فصراخها كان يتخذ منحنى آخر.

لا.. ليس رغمًا عني ثائر.. أنا امرأة.. هل تفهم امرأة ولي رأي وعقل وحياة.. لست مجرد وعاء تختاره وقتما شئت وتنبذه وقتما تريد هل تفهم؟؟؟

وزاد الصراخ.. بل هو زعيق مثل خاصته تمامًا.

برقت عيناه بقسوة فآلمها وهو يقربها نحوه أكثر: هل تودين أن تعرفي كيف تكون الوعاء.. هل أريك الآن هَنا لتدركي الفرق؟؟

ولم يقربها حينها.. دفعها في غضب فسقطت على الفراش ثم استدار ليضرب الحائط مجددًا: أي زواج لعين هذا..؟؟ ماذا تريدين هَنا..؟؟ عائلة أم هي معركة إذا رميتك في نهايتها ستصبحين منتصرة؟؟

ضاقت عيناها في غضب وتشبثت يديها في شراشف الفراش بقسوة أمّا هو فتابع بانفجار: أنتِ امرأة لا تُقَدِر الزواج.. ولا تحترم زوجها ولا تنوي.

هاجمته على الفور: أنت لا تريد زوجة.. لا تريد مشاركة.. أنت اتخذت قرارك بابتياع الزوجة ولم تعطني حق الخيار.

ولم تحصي بعدها دقائق الصمت...

وكانت تبكي ولا تعرف لمَ...

لم تلحظ أنه ارتدى ملابسه ليرحل حين نطقتها بارتعاش: طلقني ثائر!

وكانت لحظة فارقة..

تدفعه لعنان غضبه أو يعود لثائر كما يجب..

وجذب مفاتيح سيارته ورحل...!

❁

هناك امرأة تتزوج رجل وهناك امرأة تتزوج ثائر الرويدي!

هل مرت عليها شهقة.. اثنان.. عشرون؟

ما بها.. لم تبك هكذا من قبل!

وفي تلك اللحظة تذكرت ثناء.. وجهها البشوش.. كفَّيها اللذان أحاطا وجهها ليلة الزفاف بنصائح أمومية معتادة.. أمنياتها الصادقة لها بالسعادة والذرية الصالحة.. همسها الصادق بوجوب طاعة زوجها و...

وتوقفت أفكارها عند كلمة زوجها...

هو زوجها...

وهي شاءت...

وافقت ووقعت وتقنع نفسها كل ليلة أنه لم يكن خيار..

تكررها لأنها تخاف.. تخاف التعلق به فتفقد نفسها حين فقدانه..

أنت متأخرة يا هَنا!

أنت فقدتي نفسك بالفعل حين أحببته..!

وهو قذف نفسه بسيارته دون وجهة..!

لم يفعلها منذ غادر أبيه الحياة، وقتها شعر بصدره فارغًا وتضاءل عمره أمامه فبات طفل صغير لا يودُّ سوى أن يبكي.. ولم يفعلها.

بل أقسم أمام قبر أبيه أنه سيظل دومًا القوي كما عهده.

والآن.. هو هائم بفضل امرأة..

والسخرية مقيتة فهي امرأة لم تكترث يومًا به!

رفع بصره نحو السماء المظلمة دون بهجة قمر كما لون عيناه وذكرى وجهها تقفز أمامه حين رآها لأول مرة في مقر عمله.. دخلت كإعصار وفي النهاية أغرقته.

نعم تزوجها بقرارٍ، ولكنه لم يكن قرارًا محسوبًا كما ادعى..

من يخدع؟؟

منذ متى ويعالم ثائر تفاصيل نساء؟؟

بل متى انتبه لفتنة عين امرأة حين تضحك.. أو تغضب.. أو حتى وقت مغامرتها الصباحية وهي تناوش ضعفه في مواجهة حمى..؟؟

لم يكن قرار..

كانت مغامرة..

اشتهاء!

أو ربما انقياد غير محسوب العواقب.

تصلبت قبضته فوق المقود وهاجمه اختناق فأوقف السيارة متحللًا من أول زرين من قميصه تاركًا المجال لعاصفة أنفاسه المتلاحقة.. شهيق بعبق امرأة تسللت له رغمًا عنه وزفير قرر أن يتخلص منها.

ضعف..

ما ينتابه الآن ضعف مثير للشفقة..

والثائر لا يضعف أبدًا!

ربما كان زواجه منها قرارًا غير محسوب، لكن طلاقه حتمًا سيكون..!

ومع ظل باب مغلق.. وهمسها الذي طلَّ من خلفه حين نطق حروف اسمها بصوتٍ مبحوح..

وأناملها التي احتوت مقبض الباب المعدني في تردد.. بل تناقض بين دفء أنفاسها وبرودة المعدن القاسي تحت ضغط قبضته.. رأسها الذي أسندته بانهاك فوق الخشب الصلد مقابلًا لضربات قلبه التي لم تسمعها أبدًا...

ما نالته كان ما طلبت ويالها من لحظة عشق!

ومن خلف الباب المغلق..

خطوة.. اثنان.. ثلاثة

اضطراب خطواتها كاد أن يعثِّرها مرتين.. رمقت نفسها بالمرآة فأبصرت أيقونة امرأة منتهية.

ضعيفة وتعاند حد اللعنات!!

رغم التبرج.. رغم الظلال السوداء المرسومة بدقة فوق جفنيها.. رغم نكهة الرمان بشفتيها لأجله.. رغم الثوب الذي دلل نهديها أيضًا لأجله!

خرجت نبرته قاتمة حد الألم.

أنتِ طالق!

الفصل التاسع والعشرون

إن كنت تشعر بالخواء فأنا أشعر بالخلل!

هل هكذا يبدو الأمر.. شعور امرأة مطلقة؟!

مرت الليلة طويلة، أطول ليلة في التاريخ ولم تحتمل حتى منتصفها فغادرت وكانت تعلم أنه غادر بدوره،

دلا بدلوه وتركها معلقة.

فلا هي نالت حريتها بكلمة ولا نالت راحتها...!

هي مطلقَّة تِبع العقل والاسم والقانون، أما المشاعر فقيدُها أقسى!

فوق شفتيها ارتسمت ابتسامة خالية المعنى وهي تتذكر خطتها التي قررتها من قبل، تنال طلاقها من ثائر وتعيش حرة بعيدًا عن منزل عمها ومحاصرة زياد.. لتصبح امرأة حرة مستقلة.

عاشت هَنا حرة مستقلة!

وفقدت ثائر وياله من فَقد..!

آنسة هَنا هل ستوقعين العقد؟؟

مدام.

ولمحت الفتاة المبتدئة العمل بمكتب العقار سخرية لاذعة بعينين ضبابيتين التبرج تحت ظلال سوداء قاتمة، شفتين مكتنزتين بلون ثمرة رمان غير مكتملة النضج وحذاء شاهق الإرتفاع ضرب الأُرض بثقة قبل أن تغادر متجهة إلى عملها.

قوية هي ولن تترك نفسها تبكي أطلال رجل...

كاذبة هي حتى النخاع..

بل حد الخواء، أو حد الخلل!

أنت لا تدرك أنك تذوقت الحياة إلّا حين تفقدها.....!

رحلت شقراء.. حلّت سمراء

رحلت سمراء!

ويوم ثائر الرويدي لن يختلف كثيرًا، شقة عصرية حديثة الطراز وفراش ضخم من خشب الصنوبر القاتم جوار ماكينة قهوة!

كان صوت سكرتيرته على الهاتف بداية استيقاظه، تخبره عن قرار اللجنة المسؤولة عن صفقة توريد الأسمنت المحسَّن وقرار وزير التجارة بشأن حاويتهم المحتجزة بميناء السويس وموعده الهام مع العضو المنتدب لإحدى الشركات الدولية.

و.... مجرد خبر ثانوي ليس أكثر....

أنهى محاميه إجراءات طلاقه المدنية ورفضت زوجته المكوث بالفيلا،

عفوًا طليقتك سيد ثائر!

وأنهت الفتاة المحادثة مرتبكة، فهي تعلم أن بداية ثورة شياطينه تكون مع ذكر اسم هَنا المهدي ولو اقتصر الأمر على توقيع أوراق!

رحلت سمراء...

وحقًا لم يختلف عالم ثائر!

نحن لا نختار الحب، حين القرار هو من يختار!

وهي حقًا لا تعلم.. هل هي امرأة تملك اختيار؟؟

أم أن ما اختارته كان مجرد خداع لقهر فُرض عليها، في الأمومة لا اختيار ولا مجازفة فيما يخص مريم.

وهو يعلم.. بل يتفهم ويقدم العذر ويبرر ولكن رغم كل هذا هو عاشق، وباتت معركتها ومعركته هذا العشق.

افتقدتك بغباء!

وكانت تلك نشوى، تحتضنها وصوتها يخترق جدران الطابق العلوي ترحيبًا بصاحبة الغمَّازة.. عودتها للعمل كان قرارًا دكتاتوريًا منه ولن يقبل منها جدال، وكان يعلم أنها تبحث عن بديل.

مر الأسبوعان السابقان عليها في عملية بحث موسعة ومقابلات كل منها أفشل من الأخرى وكانت عيناها حائرة.. حزينة.. فقدت الثقة بنفسها وتأكدت أن خبرتها القليلة لم تشفع لها ليوظفها أحد ولم تكن تعلم أن للعشق قسوة مشروعة.. وجه آخر يبيح له امتلاكها ولو من خلال مراقبة غمَّازة.

أفسد المدير الأربعيني كل فرصة عمل أمام موظفته.. ربما لن يتزوجها ولكنها يجب أن تظل بعالمه وبأي صورة.. ورغمًا عنها تتجاهله تمامًا، تعتبر وجودها بجوار جدرانه فترة مؤقتة وحرمت على نفسها دخول مكتبه وهربت بعيناها من نظرته التي تقول ألاحظ!

ولا تنكر أنه كان ولا زال مراعيًا حد خجلها من ردود أفعالها معه، صباحه تحية سريعة وقهوته تطلبها له نشوى ولا اتصال بينهما سوى أوامر كتابية تنفذها هي على أكمل وجه ودون خطأ واحد يستدعي نقاش، وهذا الصباح كانت متألقة.. وجنتاها تحملان أثر ورود ربيعية مرت فوق عبقها بتأني وشفتيها

ابتسمتا عشر ابتسامات متتالية وزعتها على الجميع سواه.

هذا ليس بعدلٍ!

وحاجباه تقوسا بغضبٍ طفولي من حق زوج وكانت قد ضغطت لتوها زر المصعد لتسليم بضعة عقود لقسم المشتريات بالطابق الثالث وتوقف الباب مع خطوات ثابتة قرر صاحبها المشاركة في تلك الرحلة...

صباح الخير

وصوت أجش وغاضب ولم تجب، أومأت بتحية وشبه ابتسامة وضغطت أصابعه هو على الدور العاشر والأخير، وحركة عيناها رغمًا عنها تترجم تساؤل كان فقط لعقلها...

أين ستذهب؟؟ فلا شيء هناك سوى السطح الفارغ!

وعيناه هو ساخرة ترمقها بغضبٍ مكتوم وأفكار مباحة فقط مع نفسه...

ربما سألقي نفسي، بل أحتجزك معي وأعاقب شفتيك على تلك الإبتسامات البعيدة عن مدار رجل عاشق.

وصمتت أفكارها مع حركة عيناها لضوء رقم ثلاثة، أطول عشر ثوانٍ بين طوابق. وتخطته بنبرة رقيقة مودِّعة ولم تكتمل الحروف مع حركة قدمه التي اعترضت طريقها، فبات تخطيها غير مكتمل مع ذراعه الذي مر أمامها ليضغط زر إغلاق المصعد.

فات ثلاثة وباقي سبعة وليتهم كانوا مائة طابق وليسوا عشرة!

وتبرمت ملامحها بيأس قَطَعَهُ هو باقتراب أجبرها على التقهقر حتى اصطدما كتفيها اللينين بالمرآة خلفها فأشاحت بوجهها مغمضةِ عينيها: عز هذا لا يجوز.

لم يبالي واقترب أكثر حتى اشتدت قبضتيه على أسطوانة معدنية خلف

جسدها تمامًا ثم همس بصوتٍ رغم قوته مبحوح: هذا ما أمتلكه منك صدفة، مجرد دقائق مسروقة!

عز أرجوك.

وكانت ضعيفة، ستبكي الآن وتغيب الابتسامة بفضله.. ابتعد متخلخلًا بأنامله خصلات شعره في إنهاكٍ

أعتذر.. أنا..

ثم أخرج لفافة تبغ نفثها بعنف!

أنا أفتقدك.

ثم ابتسم متابعًا بمزاحٍ هادئ..

أفتقدك بغباء.

وارتخى حينها كتفيها المتصلبان مع تنهيدة صامتة لم يشعر هو بها حين انفتح باب المصعد ليخرج وحيدًا للهواء الطلق هامسًا بشكلٍ مسرع قبل الرحيل: سأدخن قليلًا.

وأغلق الباب مع همس منها كان متألمًا ولم يسمعه أبدًا: وأنا أيضًا.....!

لا تنسى امرأة بأخرى... ولا تهين الأخرى فلا تنسى...!

وإهانة المرأة قد تتمثل في أشياء عدة ومنها القُبلة، فالقُبلة ليست مجرد انفعال عاطفي كما يدعي البعض.. ليست اشتهاء فقد السيطرة أو تغزل في شفتين ممتلئتين وكفى!

أحيانًا تكون القُبلة محاولة هروب...

وحين أغضبته عن قصد بذكر عفريته، أو لنقل عفريتها هي، وهي امرأة لم

تتصور لها من قبل غريمة

عاقبها... قبَّلها.... وفقدها للأبد....

أحببتِ يا فدوى؟؟؟

نعم وهو غير مناسب!

أحببت يا زياد؟؟

بلى، أخطأت مع أنثى لا تستحق الخطأ!

والإعتذار رغم أنه واجب إلا أنه أيضًا مشوه!

آسف لأَنِّي قبَّلتك...؟؟؟

أم آسف لأنني طاردتك؟؟

ولن أحبك!

كانت نضرة، ترتدي حلة رياضية بلون أسود فوق بلوزة قطنية فاتحة، خصلاتها جمعتها في جديلة قصيرة بعض الشيء وركضت كثيرًا حد التعرق فتوقفت في النهاية مستمتعة بزجاجة مياه باردة تحتاجها بهذا الطقس الحار.

صباح الخير

وظهر أخيرًا، وهي تود طحنه.. ركله وتلقينه درسًا لا يُنسى، والأسوء من هذا كله هي تود تجاهله تمامًا.. أن تمر جواره فلا تراه وكأنه أبدًا لم يكن.

وتخطته بالفعل.. قذفت زجاجتها الفارغة في حاوية قمامة ولوت شفتيها بسخريةٍ لاذعة وتجاهلت ظله. فهو هكذا بالفعل مجرد ظل رجل يقتات على حب ليس من نصيبه وحياة لا ينوي أن يجعل لها جدوى.

استطاعت أن تشعر بعمق أنفاسه مع نبرته التالية التي تحمل بصمتها:

فدوى.

وتجمدت رغمًا عنها وبتلك اللحظة فقدت القدرة على تحديد مشاعرها.. أهو حب أم شفقة؟؟

وتابع بذات النبرة: فدوى أنا ضائع.

ضمت حاجبيها بقسوة لترد بصوتٍ صلب دون أن تستدير: وأنا لست منقذتك زياد.

زفرة أخرى أخرجها تشبه من يتخلص من همه وأسوء ما قد يقوله رجل لامرأة: أنت تستحقين من هو أفضل مني.

وضحكة هازئة انفلتت منها.. وضعت يديها الصغيرتين في جيوب بنطالها القطني لتتشبث بنبرةٍ ذكوريّةٍ: تلك حجة قديمة جدًا يا رجل.. حقًا ألم تجد أفضل؟؟

رفع حاجبه الأيسر ممارسًا ذات السخرية مثلها: حقًا؟؟ كانت تُجدي قديمًا.

استدارت لتقترب منه رافعة ذقنها في شموخ: مع فتيات لسن مثلي.

وحينها اقترب هو بعيناه قبل جسده والنظرة قد لا تكون حب ولكنه تقدير: لا أحد مثلك!

وتحركت مقلتيها مع رد حازم: أنت تستحق عقابًا على ما فعلته.

وكان متحديًا رغم ندمه: وأنتِ لم تفعلي

استدارت مكتفة ذراعيها: ارحل ولا تثير غضبي زياد!

وابتسم هو آسفًا: مهما اعتذرت فلن يكفي..

ثم مال جوار أذنيها بهمسٍ: محظوظ من سينال تذوق تلك الشفتين بقية عمره!

ونال حنقها فاستدارت بعين متوعدة ويديها تسبقها ولكنه أوقف حركة

معصمها بابتسامةٍ أخرى مستجدية: ها قد عادت حضرة الملازم....

ثم سحب أناملها في حركة رغم بطئها كانت مفاجآة ليطبع فوقهما قبلة راقية قبل أن يستكمل: أعرف أنني لا أمتلك الحظ الكافي لأنال امرأة مثلك.

وسحبت هي أناملها لتضمهما نحو صدرها متحاشية نظره: ليس حظ زياد.. بل قُدرة!

وتوسعت انحناءة شفتاه بهمهمةٍ صادقة: معك حق.

ثم حرك كتفيه بصوتٍ تخللته أنفاسه: ربما تكون لدينا فرصة.. حين أصبح رجلًا آخر سوى هذا المسخ.

كما فاجأها، اقتربت هي منه ففاجأته، كانت رقيقة وهي تزيح احدى خصلات شعره الذي استطال من فوق جبهته وهمسها يرد في رقة لا تصاحبها كثيرًا: أنت أي شيء ولكن لست بمسخ.

تنهد وبصره في الأرض خجلًا: أخبريني فدوى.. هل لدينا فرصة؟ ولو بعد حين؟؟؟؟

وكانت صادقة، همستها وعيناها وحتى أفكارها التي لازمتها طوال الفترة السابقة: لا.. لا توجد لدينا فرصة زياد.. أنا لا أريد أن أكون تلك المرأة!

ورفع هو ذراعه في وداع مسرحي لا ينقصه سوى إغلاق الستار على تلك القصة الغير مكتملة: وأنا ما زِلت على رأيي.. محظوظ من سينال تلك القبلة.

ورحل.. رحل بعد أن نال منها تلك النظرة أو هذا الغضب الخاص بالملازم فدوى.. مجرد كذبة صغيرة على نفسه وحالها.

وهي عادت كما هي وأن شيئًا لم يتغير!

«مسموح لك أن تحاول نسيان امرأة بآخرى، ولكن.. ليست كل أخرى

ستقبل أن تكون تلك المرأة »

الزواج هو عرض وقبول...

وشقة ومهر وغرفة نوم مُبْهرة وتشطيب سوبر لوكس ونوع سيراميك فاخر ورجل لا يعيبه شيء، هذا هو واقعنا!

الرجل لا يعيبه شيء...

ونحن ساعدنا في وضع تلك الحدود، نحن بحثنا عن صاحب المال وتغاضينا عن السمعة المشكوك بأمرها بذريعة أنه رجل وبررنا الخيانة بالإحتياج والعبث بالفحولة واختزلنا النساء بين متعة ونسل!

دون إطالة...

تزوج سليم!

تريد الأم ومنذ زمن ونال هو المتعة بكل صورة وتبقّى النسل، فابتاع طفلة وكانت عذراء بعشرين ربيعًا وهو تسعة وثلاثون...

كبير ولكنه وسيم...

عابث ولكن الرجل لا يعيبه سوى جيبه..

غريب عنها ولا مجال لفترة تعارف ولكنه... النصيب!

كانت جميلة لا ينكر، اقترب منها ببطءٍ يتلمس ملامحها بإبهامه وعيناه تترجم جميع التفاصيل، لا توجد امرأة لا تمتلك جمال فهناك الشفتين المكتنزتين وهناك الشعر الجامح وحتى القصير له فتنته وهناك الجسد البض الممتليء بحساب وأيضًا عظمتي ترقوة فوق النهد لهما سحر خاص...

كل امرأة تمتلك تفاصيل خاصة من الحُسن.. الفتنة التي تنفجر تحت

سيطرة رجل والخجل البادي بعينيها وهي منكمشة فوق الفراش.. تسترجع كمّ النصائح التي تلتها على أذنها الأم والعمة والخالة وجارة تمتلك فضول، تشعر بخوفٍ مشروعٍ هو من حقها كامرأة كما من حقها أيضًا أن تمتلك ليلة العمر كما يُقال.

وهي محظوظة.. ألم تتزوج بساحر نساء؟؟

خطا نحوها بملامحٍ غامضة..

ربما في زواجه خلاص، ربما تتركه لعنة الدماء المهدورة التي ما زالت تصاحبه..

ربما....

اقترب وجذب وعانق وقبّل.. بالأحرى اجتاح، أخذ متعته وانتهى منها في خمس دقائق!

تركها باكية ومتألمة وتحمل بين أحشاءها بذوره فباتت الحرث والنسل وشبه المتعة...

فهو اعتاد متعة العشيقات وفقط..

❁

دكتور.. المريضة في الغرفة ٢٠٩

ما بها؟؟

استفاقت!

كانت منشغلة بحديث هاتفي مع شركة الشحن الأهلية ويدها الأخرى توقع أوراق ما وتوقف كل هذا مع اتصال...

عادت نادية!

بعد تصلب دام عشر دقائق كاملة أيقنت أنه لا توجد لديها قدرة على المواجهة.. على الإحتواء...

فهناك أشياء تفوق قدرتنا على المُساندة....

ورغم أن ما رأته كان عكس ما توقعت إلّا أنه كان أقسى، نادية بوجهها الذي بات جلدًا فوق عظام وخصلاتها القصيرة الملتصقة بفضل تعرق مُنهِك كحالة عيناها وجسد منكمش تحت رداء المشفى الأبيض دون حراك.

بل كل ملامحها متصلبة كالموتى، دون بكاءٍ ودون انفجار!

الشريط بعقلها واضح ويمر ويمر بلا انقطاع فهي لم تنل رفاهية فقدان الذاكرة..

ارتفعت يداها تتلمس وجهها في عشوائية مُؤلمة انتهت بصفعةٍ، بيد واحدة تصفع وتصفع مرارًا مُستجدية الألم والعقاب.. تراجعت هَنا خطوتان في عجزٍ وأغمضت عيناها تترك لعبراتها المرور باكية.. استندت على كتف صدفة التي كتفتها الصدمة بدورها ولكنها كانت أشجع فاقتربت مقيدة يدا نادية التي خرجت عن السيطرة لتحتضن جسدها المنتهي بعزم هامسة قرب أذنها بصوتٍ متحكم: هششششش.. اهدئي نادية.. اهدئي.

دخلت ممرضة مسرعة بإبرة مهدئة وتبعتها أخرى كانت تعلم أن الحل بات في تقييد المريضة وتمسكت هَنا بمقبض الباب تضغط عليه بقسوة مؤلمة خالية من الحلول، ولكن صدفة أوقفتهم جميعًا بذراعٍ واحدة ثم تابعت تحكمها بجسد نادية الذي بدأ يفقد صلابته دون أي عقار لتهّمس فوق أذنها من جديد:

اصرخي!

وأغمضت نادية عيناها في عجزٍ تام، حتى العبرات ذبحتها فهي في عُرفها

رفاهية لم تعد تستحقها ولكن صدفة تابعت بحزمٍ وبصوتٍ عالٍ تلك المرة:

اصرخي نادية..

اصرخي فلك كل الحق ولو لم يكن لما كتب الله لك نجاة...

وأغلقت هَنا الباب مع صرخات امرأة فقدت كل شيء.. حتى نفسها فقدتها بأسوء طريقةٍ ممكنة ولا تمتلك سوى العويل وعليها أن تختار، أن تنتهي معه وترتاح من تلك الحياة أو تبدأ وتلك وحدها معركة بشبهِ فرصة.

❁

بعد مرور شهران...

أحيانًا تكون النجاة كحبل غليظ يشتد رباطه بين امرأتان كل منهما تحتاجه بشكل مختلف..

قد لا تكون نجاة كاملة وقد يشتد الحبل فيؤلمنا في مواجهةٍ قاسية بحقيقة الإحتياج، ولكنه في النهاية يظل هناك

رباط مقدس بينهما لن ينقطع...

وتناولت دارين إفطارها مسرعة.. رسمت فوق وجهها بجواره ابتسامة باهتة وهو لم يعقب ،فانشغاله عنها بات حقيقة واضحة هي فقط تمر بمرحلة نكران.. أو هروب!

تُشغل نفسها بنادية ولأنها تحتاج هذا الإنشغال فبات دون ترتيب طوق نجاة...

نادية قليلة الكلام وبعد سقوط متعدد مع حالات انهيار استطاعت أن تجمع شتات نفسها أخيرًا بمساعدة صديقاتها الثلاث ورسائل صدفة الداعمة التي لم تنقطع.

انتقلت للعيش بمنزل أمها بالحي القديم وهناك علمت أن زوجها أرسل إليها قبل سفره مباشرة ورقة طلاقها أو بالأحرى قبل اختفاءه.. علمت هَنا البلد التي سافر إليها ولكنها لم تستطع التوصل لمعلومات أكثر.

لم تعد تمتلك سوى الوحدة، خاصة في المساء الذي كانت تحارب صدفة وحشته بآيات مختارة على الهاتف وتختتم حديثهما بدعاءٍ ثم تتركها مع رسالة خاصة.

بارقة أمل هي تستحقها مهما ابتلعتها الخطايا...

الله كتب لك النجاة نادية.. لأنه يحبك...

لا يوجد على وجه الأرض إنسان دون خطيئة، حتى آدم رأى الله والشيطان والملائكة وعصى وفي النهاية نال من ربه الغفران...

ولا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا...

ابتاعت دارين القليل من الطعمية الساخنة مع الخبز المنتفخ الطازج ولم تنسى المخلل والزيتون الحار.. تحييها نساء الحي بمودة وفضول لا ينقطع عنها وعن زياد وبالطبع هَنا وتجيب هي بسلاسةٍ ومكرٍ اكتسبت القليل منه من زواجها الذي قارب على العام.

ببساطةٍ تراوغ..

واليوم هي نالت جائزة خاصة قدمتها بابتسامة فوق مائدة الإفطار التي أصبحت عادتها صباحًا بجوارِ نادية.

حركت نادية كرسيها المدولب الذي بات رفيقها، فهي لم تمتلك بعد القدرة الكاملة على مغادرته ووضعت دورق المياه جوار الطعام ناظرة لدارين الجميلة بامتنانٍ صامت قبل أن تبتلع اللقيمات دون شهية لتبرق عيناها مع الورقة المجعدة فوق كف دارين الوردي كطفولة جنا التي اشتاقتها.

ضحكة غادة وابتسامة علي ووقوفها بين جدران مطبخها الضيق لتعد لهم وجبة مشبعة بعد يوم دراسي حارٍ.

جذبت نادية الورقة بعينين مترقرقتين بدمعات تخشى السؤال فاحتوت دارين أناملها على الفور بصوتٍ ظل بعدها هو صدى ليالٍ طويلة وطوق نجاة: هذا هاتف غادة ابنتك وهم يعلمون أنكِ حية.

❁

خطوة.. اثنان.. ثلاثة، الساعة تخطت الثانية عشر مساءًا.. كانت تخطو حافية بحرصٍ شديد، خصلاتها الذهبية منثورة فوق كتفيها وترتدي غلالة حريرية انتقتها بعناية.. فالليلة هي عيد زواجهما الأول...

كيف ينسى؟؟

كيف يظن ببساطة أنها نامت ويتوجه كالعادة نحو حاسوبه؟؟

تسللت بخفةٍ نحو الغرفة المظلمة وكان يوليها ظهره منشغلًا بعمله كالعادة.. منشغلاً.. كالعادة..

وتسمرت وهي ترقب على الشاشة صورة امرأة أخرى!

الفصل الثلاثون

امرأة أخرى.....

التسعة حروف الأكثر فعالية في هدم كل زيجة!

رغم أن رد فعل كل زوجة يختلف عن الثانية، فهناك من تهرب وهناك من تواجه وهناك من تقاتل بأسلحة الأنثى كي تصبح القناص وهو الفريسة وهناك من تحطم العالم فوق رأسه فيسقط ضحية الثرثرة والفضيحة وهناك هي..

تنسحب بخطواتٍ عكسية نحو غرفة النوم.. تخلع الغلالة وتجمع خصلاتها في قيد مكوَّر، تزيل التبرج ببطءٍ وتتدثر بغطاءٍ سميك وتنام.

الزوج لديه سهرة مع خيال معشوقة قديمة!

وصباح هادىء...

جبن أبيض كريمي فوق شريحة خبز مع الطماطم، بيض مخفوق.. وفواكه وشاي ساخن.

حضَّرت الزوجة الإفطار..

وظيفة مكررة واحدة..

تناوله الزوج دون حديث..

حق مكرر واحد..

جلت الصحون وجمعت الملابس في سلة...

وظيفة مكررة اثنان..

تحرك متعجلًا وصرخ بشأن قميص مفقود فنالت سُبابها الصباحي....

حق مكرر من دارين إلى أحمد!

وبعد يومان مع صمتٍ غامض منها لم يعتاده مرَّت فوق شفتيه كلمة، بل خطة احتلت عقله منذ أسبوع كامل.. رغم أنها تبدو أنثوية بعض الشيء إلا أنها بحقٍ ترسم فوق وجهه سعادة. فلا يوجد ما هو أفضل من حفل خاص يُعِدُّه الأستاذ الجامعي بمناسبة ترقيته المبكرة وعيد زواجه بشقراءه الفاتنة والدعوة استلمها الكثيرون وبمصادفةٍ محسوبة منهم ندى....

حتى أنه دعاهم قبل أن يُخبر زوجته!

نظرت نحوه وعيناها تضيق في استفسار عن تلك الكلمة التي اخترقت غمامتها على مدى اليومين السابقين: ماذا؟

ترك الجريدة التي بيده ثم توجه نحوها ليحيط خصرها بكلا ذراعيه من الخلف ضاربًا جيدها بأنفاسه وهمسه المقصود: لقد استأجرت شاليهًا منعزلًا على البحر.

ثم مر بسبابته على طول كتفها متابعًا وأنفاسه تُغرق جيدها أكثر: وسأمنحك فرصة تعويضي عن ليلة عيد زواجنا الفائتة!

لم ينلْ الرعشة ولا طوفان المشاعر، كل ما ناله رجفة عين لم يلمحها، ولن يلمحها..

ابتسمت.. منعت العبرة وكتمتها مقابل تخلصها من قيد ذراعيه لتستدير متأملة ملامحه وكأنها تراها لأول مرة، بل ترى شريط حياتها معه منذ قررت أن تحبه وقرر أن يمتلكها والنهاية حفل خاص..

يجمع الزوجة والحبيبة...

وفي روايةٍ رومانسية حالمة ستحمل كلمة التعويض انفراده بها فوق فراش..

كلمات حالمة وغلالة وردية وهدية ماسية لا تُقدَّر بثمن ورغم أن هذا يضم واقعها دون الخاتم وربما الغلالة إلَّا أن التعويض في قاموس حياتها معه يحمل تفاصيل أخرى..!

حفل يجب أن يكون تنظيمه احترافيًا.. اتقان دور ربة المنزل المثالية بجوار ديكور الحبيبة.. وابتسامة كاذبة..

وما أصعبها جوار طوفان بشر.. وما أصعبها جوار زوج كاذب.. وما أصعبها جوار نظرته نحو أخرى!

امرأة أخرى.....

بداية هدم كل زيجة، والمرأة قد تغفر الخيانة..

قد تغفر الإهانة... ولكنها أبدًا لا تغفر الحب!

❁

بسيناريو رديء هي مجرد امرأة حمقاء أيقنت أنها لزوجها ليست أكثر من مجرد شيء!

وكان هو كل شيء..

ومع صوت البحر غيرت مُشغِل السيارة.. اختارت أغنية خاصة رسمت فوق معانيها مع السحاب حُبَّه.. تركت الحفل والضيوف والكذبة، فإن اضطررت للكذب فمن الأفضل أن تختار كذبتك الخاصة.

أو ذكرياتك الخاصة...!

دارين.

تبدين جميلة وأنت خجول.

دارين أريد أن أتزوجك.

ولكنك لن تختار واقعك الخاص..

داريـــــــــــــــــــــــــن

والصوت غاضب.. بل منفجر

صوت لا ينبيء بخير..

رغمًا عنها تحسست يدها مكان الصفعة حتى قبل أن يبدأ، ارتعشت شفتيها تحبس الكلمات والخوف وفي نهاية الخمس ثوانٍ قبل أن يسحبها من ذراعها بعنفٍ من السيارة أيقنت أنها مرتعبة.

ضائعة..

رخيصة..

لا تملك قرار!

حينما استدارت بخصلاتها التي باتت مشعثة من فوق الرمال تحت ركبتيها رأت أن الجمع رحل.. غادر ساخرًا منه ومن زوجته التي لم تعره اهتمام فتركته وحيدًا في منتصف الحفل......

يا للعبث.....

عذرًا أحمد فقد رجّت حمقاءك الصورة!

غبية

واحد..

من تظنين نفسك..؟؟ ستدفعين الثمن يا دارين!

اثنان..

أنا.. أنا تفعلين معي هذا يا ابنة ال...

ثلاثة

أنا من أخطأت حين تزوجت حثالة لا تقدر معنى زواجها برجلٍ مثلي....

أربعة

عاد نحوها مجددًا وانفجاره تلك المرة كارثي.. جذب الخصلات مجددًا فسقطت أرضًا قبل أن يرفعها، والضعف يستحق صفعة....

وصمتها يستحق صفعة....

وغباؤها يستحق صفعة....

و.........

تحجرت عيناه وهي تمسك بمعصمه بكل ما أوتيت من قوة.. تتخلص منه باشمئزاز وتنظر نحوه في ندمٍ من خلف غمامة..

بل قرف!

الحياة مع رجل أفقدها رفاهية الخيار.. القرار..

رجل ليست بالنسبة إليه سوى خيال وأداة وجسد..

رجل دمر أحلامها قبل أن تبدأ وأطفأ شعلة الحب البريئة التي لم تُكِنَّها لسواه..

رجل كما أعطته الحب اكتسب بكل جدارة الكراهية...

«هناك نساء قدرهن ورود الحب وآخريات قدرهن التمني!»

وهي اكتفت من الأمنيات......

خطوة.. اثنان.. ثلاثة

الآن تدرك أنها فوق الرمال حافية.. باكية.. وحرة...

كان مشغل السيارة ما زال صادحًا وصوته يجاهد ليعلو عليه وبشكلٍ ما ناجحًا حتى الآن!

سأحضر هاتفي وحسابك لم يبدأ بعد!

يا إلهي.. كم يجعله ضعفها واثقًا..

خطواته تسمرت مع وجودها داخل السيارة.. تجلس خلف المقود تمامًا وعيناها جاحظة نحوه في نظرةٍ لن ينساها أبدًا.. تمسك هاتفه وابتسامتها ساخرة بقدر كل رسالة كتبها لتلك التي لم ينلها وكل صفعة حفرها بجدارةٍ فوق وجهها...

كل مهانة وكل سبّة....

عيناها تضيق في تحدٍ وتدَلّي هاتفه بين أناملها في استهزاء قبل أن تقذفه بلا اكتراث نحو أمواج البحر..!

شاطت عيناه بغضبٍ مستعر وتحركت تفاحة آدم التي عشقتها يومًا مع صوته الجهوري الذي لم يكتمل: داريييييييييين.. هل جننت؟؟

زعيق لم يكتمل..

توقف مع حركة أناملها البذيئة نحوه والمعنى هو من لقنها إياه على مدار زيجة.

تحركت السيارة مع ضغطة قدمها الحافية فوق دواسة الوقود ونال منها مراوغة يستحقها، أسقطته أرضًا قبل أن تتركه وحيدًا مع رمال متناثرة ودون هاتف.

خمسة....!

❁

جسدها السمين لم يعد يحتمل مهام محددة، أم ربما هي لم تعد لها رغبة بتلك المهام...

إفطار ساخن مع خبز مخبوز طري.. إوزة سمينة تقوم بذبحها خصيصًا بغيةْ تجَمُّع العائلة، وكوبان شاي تُشاركهما مع أحد...

كوبان وليس كوب واحد!

أغلقت الهاتف بابتسامة متحسرة على العقد الذي انفرط ولم يعد له رجعة...

وائل المنتشي بابنه الذكر وخططه القادمة لسفرة سياحية على هوى الزوجة وصدفة التي غابت هي وابنتها ومعها كل الحق.

كانت تود أن تلوم.. تُجادل.. تذكره بحق مريم وجدة مريم ولكن.....

أي ملامة تعطيها لمن جذب عقد أسرته فنثره وابتاع آخر دون ذرة ندم؟؟

بل هناك ملامة.. ملامة لم توجهها سوى لصدفة وعالم صدفة ولو كانت ابنتها لتغير رد فعلها تمامًا.. حتى الرجل الناضج الذي عوضتها الحياة به شاركت بكل ما أوتيت من مكرٍ بمنعه عنها.

تركت كوب الشاي دون أن تمسه وعادت لألبوم الصور القديمة الذي اعتادت تصفحه طوال الأيام السابقة.. تلك صورة لزفاف صدفة ووائل، وأخرى لوجه أختها الراحلة بصفاءه.. تلك لقريبة لهم أصرت على الرقص ليلة العرس وخجلت صدفة من المشاركة وأخرى لمريم بعد ولادتها بيومٍ واحد.

كانت عالية الصراخ حتى أنها أيقظت الحي كله بأول لَيلة مبيت..

مسحت عبرة انزلقت فوق خطوط وجهها رغمًا عنها والابتسامة تعود وتناوش من جديد مع ذكريات لن تعود مُطعمَّة بصوتِ مريم.

ماما.

جدتي!

وكأنها تنادي جوارها بالمنزل.. بل من غرفتها.. تحديدًا من خلف باب الشقة...

رفعت بصرها وتلك المرة كانت بالعبرة وأخواتها.. لم تعد تميز أهو خيال أم بكاء أم حقيقة وفرحة؟؟

حينما سمعت دقات الباب دبت الحياة في ساقيها المتخدرتين وصوتها الذي انطلق ببحة وهي تقبل الصغيرة التي ابتسمت ببراءةٍ وهي تدعك خدها الصغير: أريد الذرة المشوية.. ماما وعدتني أننا سنحضر البعض.

رفعت بصرها لتلمح صدفة التي قدمت ببساطة مغلقة الباب خلفها مفككة وشاحها بشكلٍ سريع أولًا: سنتناول الغداء أولًا ثم سأخرج لابتياع الذرة.

ثم وضعت اللفافة الساخنة فوق طاولة الطعام لتستدير نحو سميحة الباكية بحنو: لقد أعددت الدجاج المحشو بوصفتك الخاصة خالتي.

تجاهلت سميحة اللفافة وتركت برقةٍ يد مريم لتتقدم نحو صدفة محيطة وجهها الصغير بكفيها وكان الإشتياق حينها مجرد تعبير عن الندم.

قولي أمي.

ابتسمت صدفة وهي تكتم عبراتها بجهدٍ: لقد أعددت الدجاج المحشو بوصفتكِ يا أمي.

ولم تشعر بعدها سوى بجسدها مضمومًا بين ذراعي سميحة التي تركت لبكاءها العنان لأول مرة منذ انفرط العقد.

سامحيني يا صدفة.. سامحيني يا ابنتي.

آلة غبية!

للمرة الخامسة عشر استدارت تتفحص الكتالوج الورقي الذي تباهى البائع أمامها بسهولةِ استخدامه، والآن هي بفضله غارقة في شبر قهوة!

ما كل تلك الأزرار وهذا الأحمق لم يخبرها أين تضع الكبسولة وأي قهوة ستشربها بفضل كبسولة من الأساس، هي تريد بن مطحون وفلتر معدني كهذا الذي كان يحرص على تنظيفه بنفسه وتلك الرائحة..

وأغمضت عينيها في سلام نفسي وهي تستدعي تلك الرائحة الصباحية الخاصة بقهوته والتي حتمًا لا يوّجد لها أثر بتلك الماكينة الغبية.

وكما العادة ضربت طاولة الماكينة بقدمها وغادرت للعمل دون عبقه!

مر شهران..

ولأنه ذكر مغرور متحذلق بارد.... حياته لم تختلف..

ثائر الرويدي يوقع صفقة جديدة مع وزير التجارة.

ثائر الرويدي يسافر بعد غد لمؤتمر الأجهزة الذكية بأسبانيا.

ثائر الرويدي يعيش حياته أفضل مما سبق وهي عاجزة عن تشغيل ماكينة قهوة!

حمقاء..

ومقود سيارتها بات يحفظ السيناريو.. تراقبه من خلف ظل أحد الأشجار الضخمة على بعد سبعة أمتار من واجهة شركته، منشغل هو بالعبث بهاتفه قبل أن يستقل السيارة وخطوته توازي غيظها وهي تراقب تفاصيل وجهه.

غبي.. وسيم.. ويخفي عيناه تحت نظارة شمسية...

ويبتسم..

بغموضٍ جانبي لم تلمحه هي أبدًا...

ولو علمت لتوقفت عن مراقبته...

فهو يعلم ومنذ أول يوم.....!

هَنا.. هَنا أجيبي الهاتف الآن.

ملعون من علَّم دارين البريد الصوتي!

أجابت بعد أن فرغت من غيظها وتأمل هيئة زوجها السابق..

أنا هُنا دارين.. فقط كنت منشغلة ببعض العمل

أي عمل.. أنا بمكتبك وأنتِ غير موجودة!

فقدت صبرها الذي لم تعد تمتلكه على أية حال..

بالخارج دارين.. لدي اجتماع بالخارج، ماذا هناك؟

وصمتت دارين.. صمت طال وتغيرت النبرة حتى أقلقتها وقبل أن تستفسر جاء جواب لا بعده رد..

لقد رفعت قضية خلع على أحمد!

❁

"البدايات مهما نالت من غرابة ستظل النهايات صاحبة السبق!"

أوقفت هَنا السيارة فجأة حتى كادت أن تصدم رأس كلتاهما: فعلتي ماذا؟

كما أخبرتك.. ثم تركته بذاك المكان وتركت السيارة أمام منزله مع بعض........

ولم تُكمل، لوت شفتيها بانتصار: ما زالت سيارة.

وماذا فعل؟

وكانت عينا هَنا تشع ببريقٍ منتعش، ربما هو الثأر لقهر أنثى...

رفعت دارين كتفيها بلامبالاة: يواظب على إرسال الشتائم والتوعد.. ولكن المحامية خاصتي تقول أن الأمر مفيد في قضية الخلع.

تبدلت ملامح هنا لتناقشها بشكلٍ جدي: تستطيعين أن تطلبي الطلاق.

وحينها ضاقت عيني دارين بغضبٍ ربما لم تلمحه هَنا بوجهها من قبل، غضب يلخص عام كامل مما أعطته وَمِمَّا سلبها إياه بكل قسوة.

غضب ترجم النبرة التي ثَقُلت بكل حرفٍ يحوي ذكره...

هو رجل يستحق الخلع!

ما زالوا يطلقون عليه منزل الشامية، رغم أن الشامية رحلتِ..

ولكن الصغرى عادت، ويُقال أنها خلعت زوجها الأستاذ الجامعي والكبرى ابنة العم انتقلت للعيش معهم مجددًا، أما الشاب فتبدل حالة مائة وثمانون درجة فبات مسؤولًا لا يغادر عمله!

أقاويل الحي مستمرة ودارين لأنها الجميلة فهي البطلة على الدوام، تودُّ أن تزوجها أم إسماعيل لابنها الغائب ويقولون أنه تزوج مرتان ولم ينل البنت ولا الولد وحذرتها زوجة سعد صاحب محل الخردوات فهي فتاة جريئة رفعت قضية خلع!

ضحكت دارين وهي تتناول ما تبقى من ليمونها المثلج: العجوز الشمطاء أضاعت عليَّ الفرصة.

فركت هَنا عيناها المتعبة قبل أن تستلقي جوارها على الأريكة: حقًا دارين أنت تحتاجين للعمل بدلًا من ثرثرة تلك النساء.

إنها ثرثرة مسلية، كما أنني أشعر بالفضول بشأن اسماعيل.

جاءتها ضربة قوية فوق كتفها ولم تكن من هَنا، كانت صدفة التي جاورتها وهي ممسكة بكوبٍ ساخن من الشاي: هَنا محقة.. أنت تحتاجين للعمل.

مالت دارين برأسها فوق كتف صدفة ثم ابتسمت مناوشة: ربما أجد فرصة في شركة المهندس عز الدين!

لوت صدفة فمها وقد فهمت المزحة: قريبًا سيحدث... فأنا أنوي ترك الوظيفة!

رمقتها هَنا بجدية: وجدتي البديل؟

وتبدلت ملامح صدفة بيأسٍ: هو يُفْسِد علي كل فرصة.

عادت دارين للمناوشة: محظوظة

دارين!

لن تجدي كل يوم رجل بكل هذا الحب.

أنت لا تدركين تعقيدات الأمر.

أدرك ولكنه الرجل المثالي.. ألا تفهمين؟؟ مثالي أخبريها يا هَنا.

أومأت هَنا بمنطقية ولكن ساخرة: أنتِ وجدتي الرجل المثالي وتهجرينه.

ووجدت صدفة نفسها وحيدة بين مرمى الاثنتان وبدأت دارين مجددًا: يريدك لأنك أنتِ

وردَّت هَنا: لستِ مجرد صفقة خاسرة.

يحترم رغبتك وبذات الوقت لم يتخل عنك.

وليس مدمن قهوة.

وبعدها استفاضت هنا في غيظٍ: يشربها في الصباح والمساء والليل وروتيني

حتى في موسيقاه فيختارها تشبهه حتى حين يقرر أن يستبدلك بامرأة لا تجديد على الإطلاق، تخبرك ببساطة إحداهن أنها رأته في نادي الصيد يتناول الغداء مع طليقته السابقة.

وكانت النبرة تصاعدية بدايةٍ من الهمس للغيظ وحتى الصراخ...

تفهم دارين وتدرك صدفة وتكذب هي على حالها كل ليلة..

أنها تحبه......!

تشتاق عبق قهوته وموسيقاه ومنزله القاتم الجدران بل تشتاق القُبلة وكل إهداء نحو شفتيها حمل توقيعه.

ليلة سعيدة....

أو طويلة.....

غادرت صدفة....ونامت دارين... وبقيت هي ودليل سهادها ضوء الغرفة..

ومراقبته هو لنافذتها من داخل سيارته!

لا ينكر أنه يشعر بالراحة لأنها غادرت تلك الشقة التي استأجرتها بعد الطلاق فهو كره ذاك المبنى الذي حمل بصمة ابتعادها عنه...

ولكن هُنا ومع الضوء الطفيف المتسرب من تلك الغرفة، وذكرى دموعها التي تسربت رغمًا عنها بين أحضانه.. هو يشتاقها بحقٍ. يشتاق عينيها.. صوتها.. عبق أنفاسها حين تترك لنفسها العنان فوق صدره، وهمسها الطفيف أثناء نومها الذي لم يخبرها بشأنه أبدًا..

أشتاقك هَنا..

ثائر..

المرأة تفاصيل حياتها متعبة ....

تبكي حين مغادرة بيت الأهل وتبكي حين العودة ...

والفاصل سنوات.. حياة كاملة تبخرت وتركتها وحيدة ...

وضعت دارين بيدها الورقة ومنذ حينها وهي تنام بجوارها كل ليلة باكية..

تموت بجوارها شوقًا كي تسمع صوت ابنتها.. فقط النبرة ليس أكثر، وتجذب الهاتف ويتجمد لسانها هربًا مع الصوت فتجبن وتبكي ...

ماذا ستقول ؟؟؟

وهل تمتلك حق القول ؟؟

هي خائنة......

بل عاهرة باعت نفسها في لحظةِ ضعفٍ أصبحت لحظات، شهقت بعنفٍ تمنع صوتها الهارب وتعود لاشتياقها نحو صوت غادة !

هذا ما باتت تحيا به الآن.. مجرد كلمة ألو وتكتفي غير آملة بما هو أكثر.

فلحينها سيعرف طليقها ويمنع عنهم الهاتف فيمنع عنها بؤرة الحياة.

الو.. من المتحدث؟؟

هل أنت....؟

وتلك المرة كان هناك اختلاف.. اختلاف تلجمت بعده قبل أن تنفجر باكية ....

ماما؟!

وعلى بعد كيلومترات ليست هينة وفي ظلام بناية كان فقدانها به البداية، تلكأت خطوات رجل يتبعه حذاء ذهبي شاهق رخيص الصنع...

خطوة.. اثنان.. ثلاثة

تجولت بعيناها فوق الجدران قبل أن تخلع من فوق كتفيها وشاح مزركش رخيص عارضة بضاعتها بسخاءٍ قد يمنحها بقشيشًا مضاعفًا...

بلل شفتيه بارتجافٍ صامت قبل أن يسحبها خلفه وهي تفاوضه على السعر...

ثمان مائة جنيه!

موافق.

أخبرني مجددًا.. ما اسمك؟؟

وأكمل همسه وهو يجذبها حارقًا بين ظلام شفتيه ورقة محشوة بتبغه: سليم..!

الفصل الحادي والثلاثون

«كان فرط.... وكان فوضى!»

هناك مقولة أن الحب الحقيقي يبدأ بسؤال ....

هل..؟

نعم..

وهناك مقولة أخرى تصر أنه قرار...

أحبك

وفقط..

ولكن هل يصمد الحب وحده أمام قوانين الحياة؟؟

وما نيل المطالِب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا...

أو لنقل ......

وما نيل الحب بالتمني ولكن يؤخذ الحق غلابا !

وهي ليست رجل يمتلك بقلبه حجراتٍ أربع تبيح له الزواج والعشق كيفما يشاء ..هي امرأة ..مجرد امرأة أحبت ولكن حبها لن يغادر جدران الأمنيات لأن حقها لن تأخذه غلابًا....!

مخطئة.

ونبرة هَنا محتدة، احتداد يوازي تشبثها بكوب الشاي رغم سخونته وشرودها في مراقبة غروب الشمس من الشرفة العالية... ربتت صدفة فوق خصلات مريم

المنهمكة في حلوى الآيس كريم مع فيلم كارتوني مثير ثم تركتها وعادت للشرفة مجددًا وعيناها تلوم هجوم صديقتها: مخطئة لأنني اخترت ابنتي؟

زواجك لا يعني تخليكي عنها.

كيف تقولين هذا يا هَنا؟! أنت كنتِ معي هناك، أنت سمعتِ كلام المحامية..

وأذكره جيدًا.. هي قالتها يا صدفة هو فعل ما فعله كي لا تتزوجي لا لمصلحة مريم.

النتيجة واحدة.

بالفعل النتيجة هي أنكِ حققتي له ما أراد !

هَنا أنا لا أفكر به.

ولا تفكرين بنفسك.

ابتسمت صدفة برضا: أنا أم.. ابنتي هي نفسي.

ابنتك ستخاف الزواج.. ستتردد مائة مرة قبل اختيار الرجل.. ابنتك ستعرف أن خياراتها محدودة

هذا هو الواقع يا هَنا.

اللعنة على الواقع !

وغضبها يزأر.. يُسقط الشاي وينثر زجاجه في لوحة فوضى. ارتكزت صدفة بركبتيها تلملم البعثرة وحينها مالت هَنا لتساعدها تُخفي بقوة واهية ضعف عيناها ولكن هيهات ..

همست صدفة: أنت تحبينه يا هَنا

وردَّت هي بغيظ: من؟ عز الدين؟؟

رمقتها صدفة باستياءٍ فهربت منها الأخرى بمراوغةٍ: لا تنظري إلي هكذا.. في النهاية ستتزوجه امرأة غيرك.

ثم استقامت لترحل ضاربة الأرض بقرقعة حذاءها العالي جاذبة انتباه وبراءة الصغيرة مريم فنظرت في النهاية لكلتاهما بحنان صادق.

أنتما تستحقان عائلة سعيدة..

وستنلنها.....

❁

منذ أكثر من خمس سنوات.. اختارت لابنها أفضل عروس. الفتاة التي تمنت ابنة مثلها يومًا واختارت لها زوج لم يصُن..

حقيقة مؤلمة..

بكت بفضلها على وسادتها مرارًا.. بل تغاضت وظلمت وبررت وفي النهاية صفعها الواقع بأنه أبدًا لم يكن نعم الزوج!

محادثة أخرى أسبوعية لا تحمل جديد.. يطمئن أنها ترى مريم .. ويطمئن أن صدفة تعيسة وحيدة.. ويعود لأحضان زوجته فلا تسمع منه إلًا بعد أسبوعٍ آخر..

حسنًا لم يعد هناك احتياج للتفاصيل، اتخذت القرار واستخارت ربها وكفى.. رسمت فوق وجهها ابتسامة وقابلته في الموعد المحدد وبعدها بساعة كانت تدق جرس الباب ...

اتفاق ضمني.. خيالي ...شرير!

ستختلف المسميات.. وستظل غير مضمونة العواقب ولكن ستتزوج ابنتها من رجل يستحقها.

ستتزوج صدفة....

ماذا؟؟

استقامت في هلعٍ وهي تنظر نحو هَنا ودارين وسميحة وتتحاشى النظر نحوه...

وبات الهلع خجل وهروب ورفض...

عبرات ترقرقت ليحضر الوجع من جديد ..

لا خيار مع مريم!

كان يشعر بها، يفهم كل ما يجول بصدرها من صراع.. يشعر أنها نصفه.. بل تخصه ليس منذ الآن بل منذ أن عرف بوجودها في الحياة...

اقترب منها وعيناه تتأملانها في حنان: سامحيني على محاولاتي لنيل المرأة التي أحب.

تبكي هي ولأول مرة تنطق اسمه بأريحية تفضح المشاعر الصادقة التي تكنها إليه: عز أنت لا تفهم !

بل أفهم صدفة.. أفهم حبيبتي ...

أنا لن أجازف بابنتي يا عز لن يحدث ...

زواجك لا يعني مجازفتك بابنتك.

زواجي سيفقدني حضانتها.. لن يتركها لي أنا أعرف.

ألا تثقين بي صدفة.

حينها تدخلت سميحة في الحوار، بكت صدفة والحيرة استحوذت على عيناها: خالتي أنا أثق بك لكن..

وترقرقت أعين سميحة بعبراتٍ مماثلة: أنا لن أؤذي ابنتاي يا صدفة.. لا أنتِ ولا مريم ....

نفت صدفة وواقعها يضرب من جديد: وائل لن..

وقاطعتها سميحة: وائل لن يأخذ مريم إلّا اذا قابلت رب كريم وأسأل الله أن يطيل بعمري لأجلكن يا ابنتي..

لو أقسم لها أحدهم قبل شهور أن تلك كانت ستكون كلماتها لقالت أنه مُختّل..

ولكن ألا تستحق صدفة هذا العطاء؟؟

ألا تستحق مريم أن تحيا في كنف عائلة مستقرة وبيت دافيء ورجل ربما لن يحل محل أبيها ولكنه سيكون موجود؟؟

ألا تستحق ابنتها رجل يقدرها لا يكسر قلبها بأخرى؟؟

أغمضت عيناها لتهرب من ضعفِ أمومتها وتابعت بتصميم: أعدك ألا يأخذها وائل يا صدفة.. أعدك يا ابنتي.

وربتت صدفة فوق كتفها: لا تقيدي نفسك بهذا الوعد يا أمي.

وقبل أن ترد سميحة تدخلت نبرة عز بثبات: صدفة معها حق.. ربما الوعد فوق طاقتك سيدة سميحة.

ثم صمت لثانية قبل أن يستطرد: ولكن.. المعركة ليست فوق طاقتك صدفة.

رفعت صدفة عينيها نحوه في احتياج وتابع هو دون أن يحيد نظره عنها: هي معركتك صدفة شئتي أم أبيتي وهروبك والإستكانة جوار الحائط ليس انتصار..

أنا لا أبحث عن انتصار.. أنا اخترت ابنتي.

ابنتك ليست محل خيار لتختاريها صدفة.. زواجك لا يعني تخليكي عنها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة سألته فيما يخص ابنها أنت أحق

به ما لم تنكحي.

وقال الله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم.

نحن لا نشز عن القاعدة.. ولا نحلل حرامًا لم يشرعه الله

ولكن القانون معه.

القانون نص نحن من كتبناه.

هو من الشرع.

والشرع يبيح احتفاظك بها.

برضاه.

بل بقوتك.. بقوتنا جميعًا.

الأمر ليس سهل.

أخبرتك هي معركة.

معركة أقوى مني.

أنت من تحددين قوتك وأنت من تحددين خيارتك.

تركته لتقترب من مريم لتحملها بين أحضانها متابعة وهي تدفن أنفها بين خصلات شعرها الناعم: اذا انغلقت الأبواب سأختار مريم.

فاقترب هو منها ليضع يده فوق كتف الصغيرة وتابع وعيناه تطمئنها: وأنا لن أسمح بأن تفقديها أبدًا.

وكان لزامًا على أحد حينها أن يقطع الحوار.. شقراء أخذت الدفة بشكل عفوي لتطلق زغرودة وعجوز احتضنت ابنتها بضميرٍ مرتاح...

توردت وجنتاها في خجلٍ وهو يسحب أناملها في لحظاتٍ قليلة ليزين خنصرها بخاتم ماسي نقشت فوق حوافه حروف اسمها خصيصًا وارتجفت

عيناها في خوفٍ باتت تشعر أنه سيظل هاجسًا فوق سحابة سعادتها معه.

قدرها أن تحيا هكذا ...تتأهب لمعركة لا تضمن عواقبها ..وتصارع تحت منصة حكمت المحكمة!

❁

ثائر العظيم... عاشق!

وهذا الشيء المسمى الحب غريب.. أنت لا تنام وإن نمت فتحلم وحين تستيقظ تجد نفسك قد شردت لدقائق في تفاصيل وسادة فارغة، تستقيم وتنسى أن تُحضِر قهوتك كما يجب ويأخذك الوقت فتلجأ في النهاية لمسحوق مغلف جاهز وتلك وحدها كارثة كونية!

اللعنة عليك يا هَنا.

سأقتلك..

سأشرب دماءك حتى آخر قطرة.

سأ......

ثائر العظيم.. ضائع

اهتز عالم ثائر.... بل أصابته حماقة، حماقة وتفاصيلها لذة !

سيد ثائر.

احم احم سيد ثائر.

اعتادت الفتاة تيه مديرها الغريب.. أول أمس وجدته يدقق النظر في صورة خافتة الإضاءة فوق جواله ولم يكن مسموح لها أن تلمح تلك اللحظة فانفجر فيها حتى كادت أن تستوعب نهاية الكون وبعد ساعتين كان يخرج من غرفته

مبتسمًا وكأن شيئًا لم يكن!

جيد..

فقد مديرها عقله!

سيد ثائر

مرة ثالثة وصوت رفيع مزعج النبرة يقسم أنه سيرفدها بسببه، كان يحاول أن يتخلص من صداعه القاتل بقدحِ قهوة طبيعي تلك المرة ويترك مساحة لعنان حماقاته..

ألا يتعافى صاحب الإدمان من مخدره بشكل تدريجي؟؟

ألا ينال الطفل قطع الحلوى جوار زجاجة الدواء؟؟

هو في مرحلة نقاهة ليس أكثر ....

أنا لا أحبك هَنا.

أنا أدمنتك..

الآنسة دارين المهدي تنتظر بالخارج.

وقذفت الفتاة بدلوها في النهاية علَّه تلك المرة يسمع.. وهو لم يسمع فقط هو تحول بكل ذرات جسده نحو الهاتف...

وبعد نظرة غامضة استمرت لنصف دقيقة تحركت شفتيه بثباتٍ ثائر!

أدخليها!

منذ عام واحد بدأ الأمر بزيارة..

ملحمته أم لعنته..

لنقل زوجته ..

وضيقت دارين عيناها بثقة وكأنها تفهم شروده.. رفع حاجبه الأيسر في

غرور فقاطعته على الفور بابتسامة أكثر حنكة: أنت تعلم لمَ أنا هنا.

انحنت شفتيه بمراوغة: سأدعي عدم الفهم.

زفرت بغيظٍ ثم جلست على المقعد المقابل وهي ترمقه بذكاءٍ: أنت مغرور وهي عنيدة.. أسوأ ثنائي في العالم.

ثم ارتخت جفونها بحالمية فقدتها مع من اختارته زوج: ولكنها تحبك.. هي تحبك يا ثائر وأنت تعشقها.

غادرته الثقة ولم ترتجف عيناه حينها بل تبدلت لقسوة.. هروب أكمله بصوته الخشن: الزواج ليس حب وفقط.

كانت تتوقع رده، ثائر الرويدي لا يصارح نفسه باشتياق فماذا عن الآخرين؟؟

على عكس المنتظر منها رفعت كتفيها بلامبالاة لتستقيم على الفور معلقة حقيبتها: أتعلم ربما معك حق..

ثم ضيقت حاجبيها وكأنها تفكر: بل من الأفضل لها أن تتزوج رجل مناسب بحسبة العقل فقط دون تعقيدات الحب وعامة لم يتبق على انتهاء عدتها الكثير!

بحنقٍ احتلت أنفاسه الهواء ليصاحب نبرته غضب مكتوم: أربع أيام وثمان ساعات ونصف!

وحينها انحنت شفتي الشقراء بثقة: جيد، أنت تتابع الأمر إذًا

رغم أنه يدرك الخدعة إلّا أن مجرد ذكر رجل آخر أوقد في نفسه اللهيب، سخرت نبرته ولكن بصوتٍ يشوبه القسوة: تلك اللعبة مكررة للغاية دارين.

وابتسمت هي ابتسامة أوسع جاورت الثقة بالبراءة: وتنجح بكل مرة.

ثم تحركت خطواتها مبتعدة وآخر كلامها كان بموازاة إشارة يد مودعة: اختطفها ثائر.. قيد هروبها رغمًا عنها وقدم لها الحب الذي تستحق، فالمرأة حين يتمكن منها العشق تبكي.. تضعف.. وبإرادتها تصبح فريسة لطوفانه!

وغادرت ولم تكن تعلم أنها مزقت أوتار قلبه مع حروفها الأخيرة ....

فهَنا تبكي بسببه..

❁

دارين.. أين هاتفي لا أستطيع أن أجده؟؟

كان الوقت قد تعدى صلاة العشاء بقليل.. جذبت أحد أقلام الرصاص من فوق طاولة جانبية لترفع خصلاتها بشكل عشوائي وتتأمل وجهها المتعب بمرآة مجاورة.

حسنًا هَنا أنت لا تنالين قسطًا كافيًا من النوم.

ستنسيه هَنا ستنسيه.. المسألة مجرد وقت.

أنا لا أحبك ثائر.. أنا أدمنتك!

وانحنت شفتيها ولكن دون بكاء.. لن تبكي.. هي تحادث نفسها بسببه وهي تقترب من الجنون بسببه وابتاعت أسوء ماكينة قهوة في العالم بسببه ولو رأته ستحطمها فوق رأسه العظيم!

أغمضت عيناها بيأس وحالها يقول اخرج من رأسي...

ثم همست وهي تستند برأسها فوق المرآة: اخرج مثلما دخلت ..

ألم أخبرك ألا ترتدي تلك المنامة.. فهي تجعلك سمينة ...

هي لم يصيبْها الجنون لهذا الحد.. أن تتخيل صوته....استدارت فجأة بجحوظِ عينين حائر لا يدرك من أين جاء هذا ....

ملامحه هادئة وشفتيه تنحني بثباتٍ، يرتدي حلة رمادية تخلص من سترتها فور ما دخل ليقذف بها فوق أحد المقاعد مشمرًا عن ساعديه بأريحية ناقضت غضب نبرته: لو كان زياد بالمنزل لقتلتك.. لا ترتدي هذا أمام رجل !

ما زالت الحيرة تُلجِمها.. ليس لكلماته ولا ظهوره من العدم حتى أنه فتح الباب بمفتاحٍ خاص...

بل هي رؤيته ... وجوده خطف قلبها فباتت حمقاء...حماقة بين تفاصيلها لذة!

أحبك يا غبية!

ارتجفت مقليتها وانحدر مستوى استيعابها لتحت الصفر.. بل تحت مائة صفر...

ماذا؟!.. ماذا تقول أنا لست..

وكانت تقاطعه.. تغضب وتثور وتنفجر ليس لشيء سوى لأنها تشتاق ...وأكل الخطوات بينهما لتجد نفسها فجأة محاصرة بين الجدار وجسده فتلعثمت ومحاولتها كانت فاشلة في التخلص من قيد يداه: هل جننت..؟؟؟ ابتعد عني وكيف دخلت المنزل من الأساس؟؟

ابتسم بمكرٍ وشفتيه قد اتخذتا قرار الإقتراب...

أنا أقول أحبك وأنت تهربين.

أغمضت عيناها تهرب بالفعل ولكن من ضعفها كأنثى: أنا لا أهرب وأنا لست زوجتك الآن...ابتعد.

عادت أنفاس القهوة.. بل تقترب منها حد القُبلات وحد معصميها بين قبضتيه دون فكاك، حين فتحت عيناها قررت شفتيها أن تنتهج درب المعاندة بجنون هَنا المعتاد فصرخت: أنت طلقتني.. طلقتني في لحظة أيها الأحمق.

وكان آخر هروب فَلَم تشعر بعدها بشيء سوى شفتيه... برضاها أو رغمًا عنها ....

قسوة القبلة أو نعومتها ...

عبق أنفاسها ونكهة قهوته...

اجتياح كانت تشتاقه وكأن ذراعي زوجها الوطن ...واستفاقت...بل دفعته بقسوة تعدل من خصلاتها وتزيل نكهته المحرمة ...تصرخ وتلومه كي تهرب من نفسها: لست زوجي.

وستصيبه تلك المرأة بالجنون طوال حياته، بل هي نجحت بالفعل ولأول مرة تُفقده السيطرة ..دفعها وتلك المرة كان يحيط رأسها بتملك تام لن يكون بعده نجاة: أنتِ أغبى امرأة في التاريخ فأنا أعدتك لعصمتي قبل أن أسلك طريقي إلى هُنا!

مجددًا ثائر.. مجدد...

وغابت حروفها الأخيرة مرة أخرى بين شفتيه وهمسه الصارم بأحقية عاشق..

اخرسي !!

❁

مدفع الإفطار.... اضرب!

يقول البعض أنها موروث شعبي جاء بمصادفةٍ من وقت الخديوي وآخرون يطلقون عليه مدفع الحاجة فاطمة.. والبعض الآخر يعتبرها بدعة لا يود الحديث بشأنها ولكنها في النهاية ستظل أيقونة خاصة كما زجاج الفانوس الملون وأوراق الزينة المعلقة من شرفةٍ لأخرى، صوت بائع العرقسوس وأكياس المخلل المنزلي الصنع وكوب التمر المثلج.

رمضان..

جميعنا نحمل بشأنه ذكريات مختلفة.. هادئة.. دافئة.. وأوقاتًا مزدحمة..

وبعضنا يحمل اشتياق...

بَعضُنَا يحمل ألم وبعضنا يتشبث ببهجة..

غادة.. العصير في الثلاجة، علي أحضر لي بعض الأطباق.

جنا أحضري الأكواب الملونة لماما.

ماما.

خرجت الكلمة ليلتها مبتورة ...

تلجمَّت غادة.. الطفلة التي ما زالت تخطو أول أعتاب المراهقة ...

ماما.

قطعها الأب بلفظٍ صادم منذ شهور ...

ماتت..

ولم تصدق وعاند الابن وصرخت الصغيرة وأنبأتهم العمَّة باقتضاب أنها سافرت!

والأمر بعدها لم يحتمل ولو القليل من التفسيرات، هم من رحلوا وبات ذكر حروف اسم الأم يثير شياطين أبيها فصمتت.. صمتت كما صمت اخوتها وباتوا ينتظرون ظهورها بمعجزةٍ هذا إن كانت تبحث عنهم!

ماما.

وصرخت وبكت وزعقت بل انفجرت وباتت قاضي وحاكم وجلاد..

ماما.

وبكت ماما.. بكت كما لم تبك في حياتها من قبل، بكت فبات صوتها

مجرد شهقات تبدو وكأنها آخر ما ستسمعه من الحياة.. بكت لأنها لم تعد تمتلك سوى البكاء...

رمضان..

ما بال الذكريات لا تُغادرها اليوم، ما بال الذكريات تُعاقبها اليوم..؟؟؟

ليلتها هدأت غادة.. أخبرتها كم تفتقدها.. كم تشتاق ...

أخبرتها أن أبيها غاضب وكم هي مخيفة غضبته وأن جنا لا تكف عن السؤال ...

هدأت غادة وباتت تحادثها يومياً.. تتسلل لتسرق معها دقائق معدودة وتنام على نبرة صوتها المتعجلة قبل أن يعود الأب ...

أخبرت أخي بالأمس ولكنه.. غاضب لأنك رحلتِ ولا أضمن جنا

الله أكبر.. الله أكبر

كان الآذان ما زال في البداية، من خلف نافذتها ترقب تجمع الأهل والجيران وتنظر بعين باكية لصحن الشوربة الدافيء دون أن تقربه..

أول أمس تمكن منها الإنهيار، انهيار كان أقسى من أن تصارح به أحد، بمعني آخر تفضفض..

تحاملت على جسدها فتوضأت بمياه باردة ثم أسندت ظهرها على حافة الفراش جالسة فوق سجادة الصلاة.

بكت.. بكت كثيرًا وما بداخلها لا يعلمه سوى ربها ..

ندمت وصرخت ونال منها الوجع حتى نامت بمكانها ولكنها استيقظت مُرتاحة..

يكفيها صوت ابنتها ..

يكفيها النفَس ولو من خلال هاتف ..

يكفيها الإطمئنان..

«الحمد لله»

وكانت تمسح عبراتها بظهر يدها هامسة بتكرارٍ: «الحمد لله»

صامت وليس بها طاقة لطعام«الحمد لله»

تلك المرة كانت بشهقة وإيماءة راضية تسترجع آخر محادثة مع غادة التي ستعد لهم الدجاج المحمر بنفسها والمكرونة بالجبن كما تحبها جنا.

«الحمد لله»

وتلك المرة غابت الكلمة وسط العبرات.. وسط خيالات تحمل صوت غادة وصورة علي وضحكة جنا.

الوحدة حقًا مؤلمة ... وخاصة بأول يوم في... رمضان!

"حي على الصلاة"

المؤذن دون ذكرياتها ما زال بالبداية، ومع حركة عيناها نحو صوت الباب تداخلت الأصوات..

نادية

نادية افتحي.. سيبرد الطعام.

دارين أنت السبب.. تأخرنا!

تحركت بكرسيها المدولب تجاه الباب ، وامتدت قبضتها تفتح المزلاج بينما يدها الأخرى تجاهد كي تزيل آثار الدمعات.

حينما رفعت رأسها لمحت دارين المنشغلة بحمل لفافة ساخنة من اللحوم وهَنا التي تمسك باحتراف طنجرة الشوربة.. أما صدفة فتحركت برشاقة تهرول خلفها مريم فوضعت الأرز على الطاولة وهمت بتوزيع الأطباق.

اقتربت منها هَنا فأحاطت جسدها الضعيف بذراعٍ واحدة:

هل ظننتِ أنكِ ستأكلين دوننا ؟؟؟

تجاهلت دَارين عبرات نادية كي تحبس خاصتها بدورها ثم فتحتِ لفافة اللحم متابعة: هيا... أنا سأسقط من الجوع !

صفقت هَنا بحماس: وزعي أطباق الشوربة.

وشمَّرت صدفة عن ساعديها وهي تحرك مقعد نادية لمقدمة الطاولة: ولا تنسي المخلل.

هرج.. مرج.. صداقة.. حياة

ترقرقت عيناها مع ذات الابتسامة.. وجع واشتياق ورضا وصُحبة...

هناك أشياء لا نملك القدرة على تغييرها، وهناك تفاصيل مهما كانت بساطتها ستدفعنا للاستمرار..هي صفحات من دفتر حياة ...

لون وردي.. آخر رمادي.. وبالهوامش فوضى ...

وكل هذا خلف قشرة رمان.. !

❁

خطوة.. اثنان.. ثلاثة.

قدمها اليسرى تنثني على كاحلها بضغطاتٍ مؤلمة.. ولكنها تحتمل..

عرجة خفيفة وازت اتكاءها على حافت المقعد قبل أن تضع كوب النعناع

الساخن بجانبها وتضغط بسبابتها زر الإتصال..

تغيرت ملامح جنا كثيرًا.. باتت خصلاتها أطول وتزينت ابتسامتها بفقدان أسنانها الأمامية..

تكبر جنا..

ضحكت وهي تمسح عويناتها من جديد كي تضمن رؤية جيدة حابسة كل ما استطاعت من العبرات ثم مررت أناملها برقة فوق شاشة الحاسوب...

هذا كل ما نالته...

وهذا ما باتت تمتلكه..

مجرد دقائق يومية من خلف شاشة حاسوب...ولكنها كافية لتتشبث بالحياة!

❁

خطوة.. اثنان.. ثلاثة

نظرت لغرفة الفتاتان بابتسامةٍ يائسة بعد أن لمحت ما أحدثته من فوضى ثم توجهت ببطءٍ نحو غرفة مكتبه تمسك بين يديها قدح الشاي خاصته.. كان شاردًا يراقب حركة السيارات من النافذة وبين أصابعه لفافة تبغ غير مشتعلة..

مالت برأسها تناوشه قبل أن تستند بذراعها فوق كتفه لتجلس بأريحية فوق ساقيه ثم مالت لتضع الشاي جانبًا قبل أن تدس بين فمه لفافة التبغ لتشعلها ببطءٍ...

ارتسمت فوق شفتيه ابتسامة ماكرة: أنت تكرهين رائحة التبغ.

سقطت فوق وجهها خصلة عسلية رفعها هو مجددًا ليغوص بعينيه داخل غمَّازته الخاصة قبل أن تعود بنظرها نحوه من جديد: أنا صرت أعشق كل ما

يخصك عز....

خطوة.. اثنان.. ثلاثة.

كانت متعجلة فاليوم لديها طلبية خاصة بزفاف زياد.. زياد الذي وجد في زواجٍ عقلاني بفتاة تعشقه كل ما يريده وما يتمناه لنفسه من عائلة.

هي تعرف أن ما زال بقلبه شيئًا لهَنا، ولكنها تتمنى أن تخلصه تلك التي جازفت ويختبر معها لونًا خاصًا من الحب.

نادية باتت أنشط بالعمل منذ أن استقرت محادثتها مع أبناءها وخاصة الصغيرة جنا وهي تحتاج لهذا النشاط، فالعروض على شركة طعامهم باتت صاروخية حتى أنها تفكر في تعيين بعض الفتيات واستئجار مطبخ احترافي مريح أكثر لنادية.

زفرت في ضيقٍ وهي تنظر للفتى الذي أخرها أكثر من نصف ساعة حتى الآن لاستلام بضعة فطائر لا أكثر، وصديقتها تدق لها الهاتف متحمسة بشأن اختبارها الأخير..

كل شيء تبدل...

هي تعمل بنصف دوام وتدرس بالنصف الآخر...

زوجها السابق بدَّل عمله بعد أن أثار أحدهم فضيحة بشأن تورطه العاطفي مع زميلة له وخلعه بفضل زوجته..

ومتأنق حالي لا يحيد نظره عنها وكأنها ستسقط بفضلِ مغازلة..!

استلمت مالها وغادرت لمحطة أخرى، فلا وقت للحب ولا لتناثر الرمان!

خطوة.. اثنان.. ثلاثة

بل عشرة.....

خطوات بطيئة ومثيرة للشفقة ومنتفخة....

هي ستقتل زياد وستقتل أخته وعروسه التي اختارت موعد زفافٍ يوازي شهرها التاسع، بل ستقتل ثائر لأنه هو من فعل بها هذا كله!

كان ضوء القاعة قد أخذ في الإنخفاض وبدأت مفاوضات قبلة العريس للعروس تحت خدعة كعكة..

لوت شفتيها مللًا من الفكرة ثم تشنجت كل عضلاتها فجأة قبل أن تتصلب أناملها فوق ذراع ثائر..

ثائر.. اللعنة ثائر انظر لي!

استدار نحوها، فلمح الإصفرار بوجهها مما أفزعه، صرخ باسمها وعلى أثره انتبهت دارين...

وكان التوقع الأسوء....

هذا لا يحدث.. لا

اقتربت منها صدفة بسرعةٍ لتجفف عرقها وانتفض ثائر يطلب الإسعاف، والكارثة أنهم على بعد ساعة من أقرب مشفى، أما دارين فتحركت بحرفيةٍ لتُبعد الجمع مستفسرة عن طبيب دون جدوى..

هي ببساطة تلِد!

ليس ببساطة بل بأسوء الأوقات على الإطلاق!

صرخة أخرى منها أوقعت قلبه، فجلس بجوارها يربت فوق يديها في حيرةٍ والعجز حليفه تمامًا، أما صدفة فجذبت بسرعة بعض الشراشف لتشكل ساترًا حول الطاولة ورفعت دارين خصلاتها بشكل متعجل جالسة عند قدميها!

فزعت عيني هَنا وتبدلت حينها ملامحها كطفلة...

لا..

جذبت دارين قدميها بجدية...

نعم..

لا.. ثائر هاتف الإسعاف.. هاتف الشرطة!

سنفعلها هَنا.. ألم نشاهد العديد من الولادات سويًا؟؟؟

أنتِ مجنونة

وبدأت هَنا فعليًا بالبكاء وقبضتها تجذب كل ما تطال من ثائر!

قميصه.. ربطة عنقه.. سترته.

صرخت به منفجرة بفزعها: أنت السبب.. هذا خطؤك.

لم يملك شيئًا سوى مهادنتها ومراقبة دارين بذهولٍ وهي تتشبث بجديةٍ تناقض الخوف فوق تفاصيل ملامحها: هَنا.. هذا الطفل سيخرج بإرادتك أو رغمًا عنك...

لا.

نعم.

لن ألِد!

ليس بقرارك.

قلت لك لا..

إنه قادم هَنا.. ساعديني فتلك أول مرة لي.

ماذا؟؟ هي أول مرة لي أنا...

هيا هَنا.. ساعدينا.. إنه قادم.

ذ

نعم.

لا . لااااااا

هيا..

ثااااااااااااااااااا .

سقط رأسها فوق ذراعيه من الألم. متعرقة . منتهية.. ولتوها أنجبت طفله!

تأملت دارين الجسد المتزلق بين ذراعيها غير مصدقة ثم نظرت نحو هنا المستلقية بإعياء فوق صدره ويدها الأخرى قريبة من قلب صدفة...

همست مع أول صرخة: إنها فتاة.

ماذا؟

كان صوته مبحوحاً.. قلبه كاد يموت قلقًا على حبيبته وعيناه متعلقة بشغفٍ بهذا الوجه الرضيع.. إنها فتاة.. تُشبهك ثائر

كانت تتلوى كقطعة حمراء.. قطعة حمراء منه وتشبهه تمامًا...

خرج صوت صدفة دافئًا بقدرِ اللحظة: ماذا ستسميها؟

وصمت متأملًا وجه ملاكه وعيناه تغيب في ملامح نصفه الآخر، واحدة تمتلك قلبه والأخرى باتت تمتلك عالمه.

وخرج صوته أجش يرسم ابتسامة: سأسميها فرط.

فرط الرمان!

«هي قاعده الفاكهة...هي الفرضى...هي النكهة اللاذعة والحلوة والقاسية واللينة والمُرّة.

هي فرط الرمان......!

الإمضاء ثائر...........»

تم بحمد الله

شكر خاص

لكل دعم كان في الظل منذ البداية

الصديقة الرائعة

أماني حسين

فرط الرمان

الصوت يشبه ناقوس كنيسة تدعو روادها لصك التوبة، والحضور لم ينجح أحد فقد انتصر الشيطان.

كان مستنداً على جدار.. قدماه ممدتان دون حركة وذراعاه مرتخيان على جانب جسده، ارتجفت عيناه لوهلة ثم عادت للشرود...

فعيناه سقطت معها ودماءها باتت فوق يديه ووجهه وجسدها لين فهو اغتصب تفاصيله مراراً فوق فراش والآن تهشمت فباتت مهترئة دون عظام..

وبكى..

ولم يكن يعلم أن الشياطين تبكي ولم يكن يدرك أنه سيحاكم نفسه كشيطان مع دقات ساعة خربة..

فالوقت تخطى العاشرة والزمن سبع دقات...

Cover by #ahz_art

E-mail: publish@tashkeel-publishing.com
Tashkeeel 201006250473
www.tashkeel-publishing.com
تشكيل للنشر والتوزيع
9 789776 555709